تفسير
القرآن العظيم

للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٣ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم - جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم - جامعة المنيا

الجزء الثاني



دار النشر للجامعات
دار ابن حزم

تفسير
القرآن العظيم
(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

القرآن العظيم

للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٣ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم - جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم - جامعة المنيا

الجزء الثاني

دار النشر للجامعات

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ - ١٢٤٥م
تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. - ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.
تدمك X ٢٨٠ ٣١٦ ٩٧٧
١ - القرآن - تفسير
أ- مسعود، موسى علي موسى (محقق ومعلق).
ب- القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق ومعلق).
جـ- العنوان ٢٢٧

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٦٧٥٧م

الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٧ - ٣١٦ - ٢٨٠ - X

الكود: ٢/٢٠٠



دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

سورة النمل [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة . والكتاب المبين : اللوح . وإبانته : أنه مبين فيه كل شيء . أو السورة ، أو القرآن ، وإبانتهما : أنهما بينا ما اشتملا عليه من الأحكام والحكم وإضافة الآيات إلى القرآن تعظيم ؛ فإن الإضافة إلى العظيم تعظمه ، ونُكّر الكتاب المبين ؛ ليكون أفخم له ؛ كقوله : ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1] وإذا أريد به القرآن فهو من عطف الصفات بعضها على بعض ؛ كقولك : هذا فعل السخي والجواد والكريم ، والتقدير : آيات القرآن ، وآي كتاب مبين ، والمعطوف بالواو تارة يكون تقديم أحد الأمرين على الآخر لمزية ظاهرة ؛ كقوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[2] وتارة لا مزية فيه ؛ كقوله : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾[3] ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[4].

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ إما نصب على الحال ، أي : هاديًا ومبشرًا . وإما رفع على إضمار هو أو على البدل من " الآيات " أو على أن يكون خبرا بعد خبر .

وقوله : ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يجوز أن يكون من تمام الصلة عنده ، ويكون جملة اعتراضية ؛ كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ، وتكرير " هم " يقوي هذا المعنى .

نسب الله التزيين إليه بقوله : ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وإلى الشيطان بقوله : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ

---

(١) سورة القمر، الآية (٥٥).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٦١).

(٤) سورة البقرة ، الآية (٥٨).

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [١] إلا أن الإضافة إلى الله حقيقة وإلى الشيطان مجاز . ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ القتل والأسر يوم بدر . ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتؤتاه من عند أيِّ حكيم عليم ، وهو معنى تنكيرهما .

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ اذكر إذ قال موسى لأهله . قيل : لم يكن معه سوى زوجته ، فأتبع ذلك بورود الخطاب بلفظ الجمع في قوله : ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [٢] .

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (١٢)﴾

الشهاب : الشعلة . والقبس : النار المقبوسة . ومن قرأ ﴿بِشِهَابِ قَبَسٍ﴾ بالإضافة [٣] لأن الشهاب يكون قبسا وغير قبس ، ومن نون الشهاب جعل القبس بدلا أو صفة .

﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ (١٦٢/ أ) جزم فيه بحصول القبس . وفي طه قال ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ [٤] فجعله مترجيًا لذلك ؛ لأن المهتم بالأمر إذا ظن حصوله يقول : سأفعل كذا ، وسأصنع كذا . وأتى بلفظة " أو " ؛ لأنه بنى الأمر على حصول أحد الأمرين ؛ النار وهداية الطريق . ولقد وجدهما معا ، وحصل له عز الدنيا وعز الآخرة . " أن " في قوله : ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ مفسرة ؛ لأن النداء فيه معنى القول . ولا يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة ؛ لأنه لابد فيه من " قد " ولا يجوز إضمارها ؛ لأن فيها فائدة تذهب بحذفها ، ومن البركة في تلك البقعة

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إرسال موسى نبيًّا ، وكلام الله تعالى له ، وظهور المعجزة . ورب خير يظهر في بعض البقاع فينشر الله بركته في أقاصيها وأدانيها . وقيل : المراد بالمبارك : موسى والملائكة الحاضرون ، وإنما نودي بذلك بشارة لموسى بأنه يقع أمر عظيم وبركة شاملة ،

---

(١) سورة النمل ، الآية (٢٤).

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٩).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر " بشهابِ قبس " وقرأ الباقون " بشهابٍ قبس " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٥٥) ، تفسير القرطبي (١٣ / ١٥٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٧).

(٤) سورة طه ، الآية (١٠).

وكذلك قوله : ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وفيه تعجيب لموسى- عليه السلام - من عظم البركة التي تنتشر من هذه البقعة . الهاء في " إنه " ضمير الشأن . ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ وتفسير للشأن ، ويكون المراد : إن مناديك ومخاطبك أنا الله العزيز الحكيم . وعطف قوله : ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَ﴾ على ﴿بُورِكَ ﴾ لأنه نودي بهما جميعا . قوله عز وجل :﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء من غير الجنس ، أي : ولكن من ظلم نفسه منهم في وقوع شيء مما يجوز على الأنبياء ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ ﴿بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾ أي: توبة﴿بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾بعد معصية .

﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾أي : اذهب في تسع آيات ، ويجوز أن يكون المعنى : وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات ، أي : في جملة تسع آيات وعدادهن ، وهي العصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم والجراد والجدب في البوادي والطوفان والطمسة وانفلاق البحر والنقصان في مزارعهم فتكون إحدى عشرة ؛ إلا أن الجدب قد ينازع في كونه آية.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

المبصرة : الظاهرة البينة ، وجعل إبصار أهلها بها كأنه إبصارها ، ويجوز أن يراد أنها سبب في استبصار كل من رآها أو (١٦٢/ ب) في استبصار فرعون وجنوده ، ولأن كلمة الحق تهدي ، وكلمة الباطل تضل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ (١)

الواو في " واستيقنتها " واو الحال ، و" قد " بعدها مضمرة . والعلو : الكبر والترفع عما جاء به موسى ، كقوله :﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾ (٢) وفائدة ذكر الأنفس ، والعدول عن قوله : ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ ﴾ للدلالة على أنهم قد رسخ ذلك في قلوبهم واستقر في بواطنهم .

(علما) أي : نوعا من العلوم . وقيل : أراد تعظيمه ، أي : علما سنيا .

قوله : ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ﴾ يريد من لم يؤت علما ، أو لم يؤت مثل علمها . وفيه دليل على

(١) سورة الإسراء ، الآية (١٠٢).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤٦).

شرف العلم ، وتقدم حملته وأهله ، ويجب عليهم شكر الله تعالى على ما وهبهم من العلم ، ويجب على من وهب العلم أن يعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم غيرهم وقد قال عمر : " كل الناس أفقه من عمر "(١) هضما لنفسه .

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ : من أبيه، ورث منه النبوةَ والملكَ دون سائر بنيه. وكانوا تسعة عشر، وكان داود أكثر تعبُّداً ، وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله .﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تشهيراً لنعمة الله وإظهاراً لها ؛﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ (٢) وطلب من الناس تصديقهم بهذه المعجزة بعد النظر فيها . و﴿مَنطِقَ﴾ كل ما يُصَوَّت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد ، وقد ترجم يعقوب (٣) كتابه بـ " إصلاح المنطق " وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم(٤) . والذي

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء ، الآية (٢٠).

(٢) سورة الضحى ، الآية (١١).

(٣) هو شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي النحوي المؤدب مؤلف كتاب إصلاح المنطق، ديِّن خيِّر، حجة في العربية ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني وطائفة ، روى عنه أبو عكرمة الضبي وأحمد بن فرح المفسر وجماعة ، وكان أبوه مؤدبًا فتعلم يعقوب وبرع في النحو واللغة وأدَّب أولاد الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ثم ارتفع محله وأدب ولد المتوكل ، وله من التصانيف نحوًا من عشرين كتابا . ولابن السكيت شعر جيد . ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنيه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: بل قنبر . فأمر الأتراك فداسوا بطنه فمات بعد يوم وقيل: حمل ميتًا في بساط .. قال ثعلب : أجمعوا أنه لم يكن أحد بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز فلما حضر قال له ابن السكيت: بم تحب أن تبدأ قال: بالانصراف. قال فأقوم. قال المعتز: فأنا أخف منك. وبادر، فعثر، فسقط ، وخجل فقال يعقوب :

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته بالقول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

قيل : كتاب إصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وكتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب . قلت – أي: الذهبي . إصلاح المنطق كتاب نفيس مشكور في اللغة . مات ابن السكيت سنة أربع وأربعين ومائتين . تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤ / ٢٧٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/١٦– ١٩).

(٤) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ١٠٨) : " إصلاح المنطق من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب ولذلك تلاعب الأدباء بأنواع من التصرفات فيه ؛ فشرحه أبو العباس أحمد بن محمد المريسي المتوفَّى في حدود سنة ستين وأربعمائة ، وزاد ألفاظا في الغريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الهروي المتوفَّى سنة سبعين وثلاثمائة ، وشرح أبياته أبو محمد يوسف بن الحسن بن السيرافي النحوي المتوفَّى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، ورتبه الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفَّى سنة ست عشرة وستمائة على الحروف ، وهذبه أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة اثنتين =

علمه سليمان من منطق الطير ما يعرف به مقاصدها . ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد : تفنّنه في العلوم ، وهو كقوله في بلقيس :﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ . ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ شكر لم يقصد به المباهاة ، وهو كقوله عليه السلام : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " [(١)].

قوله :﴿ عُلِّمْنَا﴾ و﴿وَأُوتِينَا﴾ بنون العظمة ، وليس حقيقا بالتعظيم ؛ لأنه أراد نفسه وأباه ولأن الملك يراد من صفاته أن يكون له هيئة حسنة ، وكلام جزل لتقوى بذلك حرمته وتنفذ كلمته ، وقد أمر رسول الله ﷺ بحبس أبي سفيان حتى تمرّ عليه الكتائب [(٢)].

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة ؛ خمسة وعشرون للإنس (١٦٣/أ) وخمسة

=وأربعين وأربعمائة ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفّى سنة اثنتين وخمسمائة وسماه التهذيب ، وعلى تهذيب الخطيب رد لأبي محمد بن عبد الله أحمد المعروف بابن الخشاب النحوي المتوفى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وعلى الأصل رد لأبي نعيم علي بن حمزة البصري النحوي المتوفّى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، ولخصه أيضا أبو المكارم علي بن محمد النحوي المتوفّى سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وناصر الدين عبد السيد المطرزي المتوفّى سنة عشرة وستمائة ، وعون الدين يحيى بن محمد ابن هبيرة الوزير .

(١) رواه أحمد في المسند (٣ / ٢) ، والترمذي رقم (٣١٤٨) ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٨) ، عن أبي سعيد الخدري . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٧١).

(٢) روى البخاري في صحيحه في المغازي ، في غزوة الفتح رقم (٣٩٤٤) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال : " لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح بلغ ذلك قريشا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران ، فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الخيل ؛ حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : غفار . فقال: ما لي ولغفار . ثم مرت جهينة ، فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم ، فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، ثم جاءت كتيبة ، وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير ... " الحديث بطوله .

وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للجن ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة ، وسبعمائة سرية ، ونسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم [١] فرسخاً في فرسخ ، وكان يوضع منبره في وسط البساط ، وهو من ذهب – فيجلس الناس حوله ، والجن حول الناس ، وتظلّه الطير بأجنحتها ؛ حتى لا تقع عليه الشمس ، وترفع ريح الصَّبا ذلك البساط ، فيقطعوا بالغداة مسيرة شهر ، وفي العشي مسيرة شهر ، وكان يأمر الريح العاصف برفعه ، ويأمر الريح اللينة وهي الرخاء فتسيره ، فأوحى الله إليه: أني زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا حملت الريح ذلك إلى سمعك . فحكي أنه مرَّ بحَرَّاثٍ فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً . فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث ، وقال : إنما مشيت إليك لئلا تتمنَّى ما لا تقدر عليه ، ثم قال : لتسبيحة واحدة يقبلها الله خيرٌ مما أوتي آل داود .

﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم حتى يلحقهم آخرهم ؛ لأن اجتماعهم أهيب وأوقع في النفوس .

﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ بالشام وهو كثير النمل .

قرئ ﴿ٱلنَّمْلُ﴾ بضم الميم وهي لغةٌ ، وكذلك النُّمُلة [٢] ، وإنما عُدّي ﴿أَتَوْا﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لأن إتيانهم الوادي كان من فوق ، أو لأنه يراد قطع الوادي وبلوغ آخره ، يقال : أتى على الشيء . إذا أكمله ، وكان سليمان قد أراد أن ينزل عند منقطع الوادي ، وإلاَّ فما داموا فوق البساط لا يتأذى به النمل ولا غيره من الحيوانات .

ويحكى أن قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال : سلوا عمَّا شئتم . وكان أبو حنيفة غلاماً فقال : سلوه عن نملة سليمان ؛ أكانت ذكراً أم أنثى ؟ فأفحم قتادة ؛ فقال أبو

---

(١) **الإبريسم** : الحرير ، وهو معرب ، وفيه ثلاث لغات ، قال ابن السكيت : هو الإبريسم بكسر الهمزة والراء وفتح السين وقال : ليس في كلام العرب إفعيلل مثل إهليلج و إبريسم ، وهو ينصرف ، وكذلك إن سميت به على جهة التلقيب انصرف في المعرفة والنكرة ؛ لأن العرب أعربته في نكرته ، وأدخلت عليه الألف واللام وأجرته مجرى ما أصل بنائه لهم . **ينظر** : لسان العرب (برسم) .

(٢) قرأ الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان " النَمُل " و " نَمُلة " بضم الميم وفتح النون ، وقرأ سليمان التيمي بضمتين فيهما وهي لغات في الواحد والجمع . وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٠٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٥٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٨) .

حنيفة كانت أنثى ؛ لقوله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولم يقل : قال نملة ، ولأن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى ، فيميَّز بينهما بعلامةٍ تقول : حمامة ذكر وحمامة أنثى [(١)] ولمّا وصف النملة بالقول أجراها مجراهم في قوله :﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾ و ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ وهو كقوله (١٦٣/ ب) ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [(٢)] يريد الشمس والقمر .

وقوله : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يجوز أن يكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً .

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ والمراد جنوده ، أو المجموع ؛ كقولك [من الرجز] :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها[(٣)]

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ أخذ في الضحك ؛ لأنه تجاوز حدَّ التبسم منتهيا إلى الضحك وهذا هو الضحك النبوي ، وأما ما روي " أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه " [(٤)] فهو مبالغة في ضحك النبوة ، وإنما ضحك سليمان من قولها كاشفةً لعذر سليمان بقولها : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني : أنهم لو شعروا لم يفعلوا ، وسروراً بما وهبه الله تعالى من إطلاعه على كلام بصوتٍ خفيٍّ من نملة حتى وعاه سليمان وعرفه .

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) ﴾

ولا جرم دعا ربَّه فقال :﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ومعنى ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٥٦) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٣٠٢).

(٢) سورة يوسف ، الآية (٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور ، الآية (٤٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨١٨ ، ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٥١٣) ، ومسلم رقم (٣٠٨ ، ٣٠٩) ، والترمذي رقم (٣٢٣٨) ، وأحمد في المسند (١ / ٤٢٩ ، ٤٥٧) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأكفه وأجعله مرتبطا ؛ حتى لا أزال شاكراً لك ، وأدرج ذكر والديه ؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالد ؛ خصوصاً النعم الدينية . وروي أن النملة أحسَّت بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء ؛ فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت ؛ لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن . قوله :﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾أي : واجعلني من أهل الجنة

(أم) هي المنقطعة . نظر سليمان إلى مكان الهدهد فلم يره فقال :﴿مَالِيَ لَا أَرَى ﴾ على تقدير أن الهدهد حاضر وسليمان لا يراه بل كان غائبا . وروي أن سليمان نزل بصنعاء فرأى أرضاً مخصبة فنزل بعسكره يستريح فطار الهدهد حين نزل سليمان فلقي هدهداً آخر فتواصفا ملك صاحبيهما وفي ذلك الوقت تفقَّد سليمان الهدهد فلم يره . وقيل : نزلت الشمس على سليمان فرأى موضع الهدهد خاليا ؛ فقال :﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي : ليكونن أحد هذه الأمور الثلاثة ، فطلب العُقَابَ ، وقال : ائتني بالهدهد ، فتوجه لطلبه ، فلما أدركه قصد إليه فقال له الهدهد : أسألك بالذي أقدرك عليَّ وأضعفني إلاَّ تركتني . فقال له العقابُ : إن سليمان قال كذا وكذا ، فرجع مع العقاب إلى سليمان ، فلمَّا رأى الهدهد سليمان أرخى جناحيه ذُلاًّ بين يدي سليمان (١٦٤/أ) فقال له : أين كنت عن موقفك ؟ فقال :﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ من خبر بلقيس ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾الآيات .

والمرأة بلقيس بنت شراحيل ، وكان عرشها قوائمه من ذهب ، وكان مكللاً بالجواهر المختلفة . فإن قلتَ : كيف وصف الهدهد عرش بلقيس بالعظم ، وقد رأى ملك سليمان وعظمته ؟ قلتُ : استصغر بلقيس عن أن تملك مثله ؛ فعَظُمَ بالنسبة إليها ، ويجوز ألا يكون لسليمان مثله ، وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك . وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : من كل شيء يحتاج إليه الملك ؛ لأنه عطف على الملك خاصةً ، وقول سليمان : ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من النبوة والحكمة والمعجزة ؛ لأنه عطف على قوله : ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ إلى آخر الآية . وألهم الله الهدهد وعلمه أن بلقيس وقومها لا يهتدون ، وأن الشيطان زين لهم ذلك كما ألهم جميع الحيوانات مصالحها .

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ أي : لأن ، ويجوز أن تكون " لا " زائدةً ، وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وجميع ما خبأه الله عز وجل من غيوبه ، وقوله : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ من كلام الهدهد . وقيل : من كلام الله تعالى . وقرأ الكسائي " ألاَ " مخفَّفاً [1] " يا اسجدوا " أي : يا قوم اسجدوا ، وسجدة التلاوة مطلق به في القراءتين جميعاً ؛ لأن الطلب إمَّا بأمر أو بثناء على فاعله أو ذم لتاركه ، وإحدى القراءتين أمر ، والثانية ذمٌّ لمن تركه ، وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه [2] . ووصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إلى مملكتها ووصف عرش الله تعالى بالعظم بالنسبة إلى جميع المخلوقات . قوله : أَصَدَقْتَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أبلغ من أن يقول : أم كذبت ؛ لأنه أراد الانخراط في سلك الكاذبين . ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ؛ ليكون ما يقولون بمسمع منك ، وهذه معجزة عظيمة ، حيث صار الهدهد يفهم كلام بني آدم ويؤديه إلى سليمان .﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ بالجمع ، وإنما ألقاه على بلقيس ؛ لأنه قال : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا﴾ أي : ألقه إلى القوم الذين هذا شأنهم .﴿كَرِيمٌ﴾ مضمونه حسن . وقيل : مختوم . وفي الحديث : " كرم الكتاب ختمه " [3] .

---

(١) قرأ بها الكسائي وأبو جعفر ورويس ، وقرأ باقي العشرة " ألا يسجدوا " بتشديد اللام . قال الكسائي : ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . وعلى هذه القراءة تكون " ألا " حرف تنبيه واستفتاح ، وما بعدها حرف نداء ، و " اسجدوا " فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا (ألا يا اسجدوا) ولكن الصحابة – رضي الله عنهم – أسقطوا الألف من " يا " وهمزة الوصل من " اسجدوا " ووصلوا الياء بسين " اسجدوا " فصارت صورة الخط : " ألا يسجدوا " .

و تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٦٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٢٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٧).

(٢) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١١٥) وعبارته : ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة . وفي الأصل " غير مرجوح " والمثبت كما في الكشاف وهو الأنسب .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٣٨٧٢) عن ابن عباس ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠٢) ونسبه للطبراني وقال : وفيه محمد بن مروان السدي وهو متروك . وذكره العجلوني في=

أو لأنه من ملك كريم . وقرأ ابن عباس " ألاَّ تغلو عليَّ " بالغين المعجمة[١] وكانت كتب الأنبياء جملاً وجيزة ، وكتاب رسول الله (١٦٤/ب) ﷺ مختصرٌ أيضاً . قيل : ألقاه عليها وهي مستلقية على ظهرها ، وقد غلقت الأبواب عليها . وقيل : ألقاه إليها بمحضر من جنود مملكتها فرفرف عليها بأجنحته حتى رفع الناس رؤوسهم فرأوه فألقاه حينئذ إليهم .

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ منقادين أو مؤمنين .

الفتوى : الجواب في الحادثة ، واستعطفت جندها بقولها : ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ . ﴿ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ في أجسادنا ، وقوة بآلات الحرب . والبأس : النجدة والبلاء في الحرب . ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى ؛ تصديقاً لها ، أو من كلام بلقيس ؛ لأنها نشأت في الملك القديم ؛ فسمعت ورأت .

﴿مُرْسِلَةٌ﴾ رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ فأرسلت خيلاً وجواري وغلماناً ولبناً من الذهب والفضة وغير ذلك[٢] ؛ فأمر سليمان فأحضر إليه طوائف الجن وأولادهم ، وجلس سليمان على سريره وجنوده على يمينه ، وطوائف الجن صفوفاً كثيرة على يساره والطير يظله ، وقال

= كشف الخفا (٢ / ١٦٠) رقم (١٩٢٣) ونسبه للقضاعي وقال : بسند فيه متروك .

(١) قرأ بها ابن عباس – رضي الله عنهما – وأشهب العقيلي وابن السميقع ، وهي من الغلو وهو مجاوزة الحد

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧٢) ، تفسير القرطبي (١٣ / ١٩٣) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٣٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٤٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣٩) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ١٩٦)

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٥٧) لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

للرسول : ارجع إليهم ، فعاد الرسول إليها وأخبرها ، فقالت : هو نبيٌّ وما لنا به طاقة ، فشخصت إليه ومعها اثنا عشر ألفاً . الهدية : اسم المُهدَى ؛ كالعطية اسم المُعْطَى فيضاف إلى المُهدي والمُهدَى إليه في قولك : هذه هدية فلان .

قوله : ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي : من الملك والجاه والدين وطاعة الجن والإنس وتسخير الطير والوحش شيء لا يحتاج إلى الزيادة عليه . ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بما يهدي إليكم فرح افتخار . ويجوز أن يكون المراد : بل أنتم بهديتكم هذه التي أتيتم بها تفرحون بردها إليكم . ﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاب للرسول ، وقيل : للهدهد مُحَمَّلاً كتابا آخر . ويروى أنها أمرت عند تجهزها للقدوم على سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات ووكلت به حرسا يحفظونه . قيل : إن سليمان بلغه استيثاقها بحفظ العرش فأراد أن يبين لها ما وهبه الله من التمكين والقدرة . وقيل : أراد أن يجعل ذلك عنوانا لقهره وقوة سلطنته .

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ الآية ؛ قال قتادة : يجوز عرشها قبل أن تسلم لأنها إذا أسلمت حرم عليه أخذ شيء من مالها قهراً [1]. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ العفر والعفرية والعفارية (١٦٥/أ) القوي من الرجال ، الذي يعفر أقرانه ، ومن الشياطين الخبيث المارد ، وقالوا : كان اسمه ذكران .

﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما حواه من الجواهر . ٱلَّذِى ﴿عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ . ملك أيد الله به سليمان . وقيل : آصف بن برخيا كاتب سليمان . وقيل : هو سليمان ؛ كأنه استبطأ العفريت ؛ فقال : أنا أحضره في أقل مما ذكرت . وقيل : هو رجل كان يعرف اسم الله الأعظم ، وهو : يا حيُّ يا قيوم . وقيل : يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحداً لا إله إلا

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٥٩) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

أنت . و" آتيك " في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل .

الطرف : تحريك الأجفان عند النظر . جعل مكان المنظور إليه ، والمعنى: أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش . فبرز العرش عند سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ، ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء به ؛ كما تقول لصاحبك : افعل ذلك في لحظة . ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي : تعود منافع الشكر له .

وقيل : الشكر صيد النعمة المفقودة . وقيل : النعمة الموجودة .

﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ، كريم : بالإنعام على من يشكر ؛ تلقى سليمان النعمة بالشكر؛ كعادة الأنبياء قبله . ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي : اجعلوه متنكراً متغيّراً فلا تعرفه ، قالوا : وسّعوه وجعلوا مقدمه مؤخره ، وأعلاه أسفله .

قرئ ﴿ نَنظُرْ﴾ بالجزم على الجواب ، وبالرفع على الاستئناف [1] ﴿ أَتَهْتَدِيٓ ﴾ لمعرفته ، أو للجواب الصواب ، أو للإيمان لسليمان إذا رأت تلك المعجزة .

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَهَٰكَذَا﴾ ثلاث كلمات : ها للتنبيه ، والكاف للتشبيه ، وذا اسم إشارة ، ولم يقل : أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا ؛ فلم تقطع في أمر العرش بشيء ؛ كأنها قالت : قويّ الشبه ، وترددت في الجواب . ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من كلام سليمان وملئه ، قالوا لها حين أجابت بهذا الجواب : أصابت ، وعلمت اللفظ المخلص فأتت به ، وقال الحاضرون - سليمان وجنوده- : أوتينا العلم بالله تعالى وقدرته ، وتواتر آياته ، ولم نزل على دين الإسلام ، شكراً لله على تفضيلهم عليها .﴿ وَصَدَّهَا﴾ هي عن دين الإسلام أنها من أولاد الكفار ، نشأت على ذلك . ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من كلام بلقيس (١٦٥/ ب) موصولاً بقولها :﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾، والمعنى : وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوّة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة ، يعني : ما تبيّنت من الآيات عند وفده المنذر ، ودخلنا في

---

(١) قرأ الجمهور من القراء " ننظرْ " وقرأ أبو حيوة " ننظرُ " . **و تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٤٩) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ١٩٩).

الإسلام ، وصدها ضلالها عن اتباع سليمان . وقيل : صدَّها عمَّا كانت تعبد فحذف حرف الجر ، وقرئ﴿ إِنَّهَا ﴾ بفتح الهمزة [١] أي : لأنها .

الصرح : القصر . وقيل : صحن الدار . وأمر سليمان قبل قدومها أن يُتَّخَذ قصرٌ شديد الصفاء من زجاجٍ أملسٍ وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دوابّ البحر -السمك- ووضع سريره في صدره . وقيل : إن الجن خافوا أن يتزوجها سليمان فتأتي بولدٍ يملكهم بعد سليمان ، فقالوا [له][٢] : إن في عقلها شيئًا، وهي شعر الساقين ، ورجلها كحافر حمار فاختبر عقلها بالعرش فقالت : كأنه هو ، واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها ؛ فكشفت عنهما ؛ فإذا هي أحسن الناس فاتخذوا النورة [٣] . وتزوجها سليمان ، وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فبنوا لها سيلحون[٤] وعمدان ، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له ، وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همذان وسلطه على اليمن ، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه ؛ فبنى له المصانع ، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان .

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ تريد : بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت أن سليمان يغرقها في اللُّجَّة ، فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا

(١) قرأ بها سعيد بن جبير وابن أبي عبلة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧٩) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٠٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٠).

(٢) في الأصل: «لها» والمثبت هو الصحيح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ١٦٩) والنورة : من الحجر الذي يحرق ، ويسوى منه الجير ، ويحلق به شعر العانة . وفي الوسيط : هي أخلاط من أملاح الكلسيوم والباريوم تستعمل لإزالة الشعر .
ينظر : لسان العرب (نور) ، المعجم الوسيط (نور).

(٤) **سيلحون** - بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح لامه ثم حاء مهملة وواو ساكنة ونون - وقد يعرب إعراب جمع السلامة فيقال : هذه سيلحون ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين ، ومنهم من يجعله اسمًا واحدًا يعربه إعراب ما لا ينصرف فيقول : هذه سيلحين ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين . وهي موضع باليمن قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية . **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٢٩٨).

﴿شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كل فريق : الحق معي . ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ العقوبة ، و﴿الْحَسَنَةِ﴾ التوبة . وإنما قال :﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ وإنما يكون ذلك إذا كانا متوقعين . وتنازعوا في القَبْلِيَّة لأنهم كانوا يعتقدون بجهلهم أن التوبة تنفعهم عند نزول العذاب فبقوا على ضلالتهم ، وخوطبوا بنحو ذلك .

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ﴾ هلاً ، كانت العرب إذا أرادوا سفراً أو الدخول في أمرٍ نفَّرُوا طائراً من وكره ، فإن مرَّ على جهة اليمين تيمَّن به ، وإن مرَّ على جهة الشمال تشاءم به ، وفي الحديث : " أقروا الطير في وكناتها ؛ فإنها لا تجلب ضرراً ولا نفعاً " [(١)] فقيل فيه : تطيَّر فلان ، وتيمَّن ، ومنه قوله :﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [(٢)] أي : هو (١٦٦/ أ) الفعل لما ينفعكم ويضركم .﴿ تُفْتَنُونَ ﴾ أي : تعذبون أو تختبرون .

الرهط : من الثلاثة إلى العشرة . أو من السبعة إلى العشرة ، والنفر : من الثلاثة إلى التسعة . قوله : ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي : إن شأنهم الفساد المحض ؛ كما ترى [بعض المفسدين] [(٣)] لا يفعل فعلاً فيه شيء من صلاح . قوله :﴿ تَقَاسَمُوا﴾ يجوز أن يكون أمرا ، وأن يكون خبرا في محل الحال و" قد " مقدرة . وقرئ " ليبيتنه " بالياء وعلى هذا لا يكون إلا خبرا ، وقرئ " لتبيتنه " بالتاء ' و" لنبيتنه " [(٤)] بالنون .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦ / ٣٨١) ، وأبو داود رقم (٢٨٣٥) ، وابن حبان رقم (٦١٢٦) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٣٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٣١١) وصححه ابن حبان والحاكم .
والوكنات : موضع عش الطائر ووكره . وقيل : مواقع الطير حيثما وقعت .
ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥ / ٢٢٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٤٧)

(٣) زيادة من الكشاف (٣ / ٣٧٢) مناسبة للسياق وليست في الأصل .

(٤) قرأ " ليبيتنه " - بالياء - مجاهد وابن وثاب والأعمش ، وقرأ " لتبيتنه " - بالتاء - حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " لنبيتنه ". و تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٣٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣١٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٨)

وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون أمرًا وخبرًا . والبيات : الهجوم على العدو ليلا . وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات ، فقال : ليس من دين الملوك استراق الظفر .

قرئ ﴿مَهْلِكَ﴾ بضم الميم من " أهلك " و ﴿مَهْلِكَ﴾ من هلك [١] .

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿مَكْرِهِمْ﴾ تدبيرهم كيف يقتلون صالحا ومن معه . ومكر الله : إهلاكهم من حيث لا يشعرون . ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ من قرأ بكسر الهمزة فهو استئناف ، ومن فتحها [٢] جاز أن يكون خبرا لـ " كان " . أي : كان عاقبتهم التدمير . وقيل : اللام مقدرة ، أي : لأنا دمرناهم ، أو بدلا من العاقبة . روي أن قومًا من أبناء أشراف قوم صالح قالوا: إن صالحًا يزعم أنه يفرغ من هلاكنا في ثلاثة أيام ، فنحن نسبق إلى قتله وقتل جماعته قبل الأيام الثلاثة ، فأخذوا أسلحتهم ودخلوا إلى مغارة في طريق صالح إلى مسجده ينتظرون صالحًا ليقتلوه إذا مر بهم ، فأرسل الله صخرة عظيمة سدت باب الغار ، فهلكوا فيه ولم يعلم لهم أحد خبرًا . قرئ

---

(١) قرأ جمهور القراء " مُهْلَكَ " وقرا عاصم في رواية حفص عنه " مَهْلِكَ " وفي رواية شعبة عنه "مَهْلَكَ" .

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١١) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر " إنا دمرناهم " بالكسر ، وقرأ بقية العشرة " أنا دمرناهم " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٨٣)

﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالرفع ، والنصب أحسن[1] .

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل لكونه من القاذورات ويغيظنا إنكارهم . وعن ابن عباس : هو استهزاء[2] .﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾ قدرنا كونها من الغابرين ، والتقدير واقع على الغبور في المعنى .

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته وحكمته وإنعامه ، وأن يستفتح بحمده ، والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده ، وفيه تعليم حسنٌ وتنبيه على أدب جميل وبعث على التبرك بذلك ، ولقد توارث الخطباء والعلماء والوعاظ كابرًا عن كابر فبدأوا بحمد الله وثنّوا بالصلاة على نبيه وعلى أوليائه وعلى الأنبياء أمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وتذكرة . (١٦٦/ ب) وتبعهم المترسلون في كتابة مهماتهم . وقيل : هو متصل بما قبله ، وأمر بالتحميد على إهلاك الظالمين ؛ كقوله تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3] وقيل : الخطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك قومه ، ويسلم على كل مصطفى من عباده .

معلوم أنه لا خير فيما أشركوه به حتى يوازن بينه وبين خالق الموجودات كلها ، وإنما ذلك للتبكيت والاستهزاء بهم ؛ لأنهم آثروا عبادة أصنامهم على عبادة الله ، وإنما يكون الإيثار لمقتض اقتضاه ، وسبب ساق إليه ؛ كما قال فرعون : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ

---

(١) قرأ جمهور القراء " جوابَ " بالنصب ، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش والحسن " جوابُ " بالضم .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٣) ، مجمع البيان للطبرسي (٧ / ٢٢٧) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٤١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٩٦) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وليس عن ابن عباس .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٤٥) .

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[١]. مع علمه أنه ليس لموسى أنهار تجري من تحته ، ثم عدّد سبحانه الخيرات والمنافع التي خلقها لعباده ، ثم قال : ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم:٤٠] وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأها: "بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم"[٢] .

فإن قلتَ : ما الفرق بين " أم " و " أم " في قوله :﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ و﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾؟

قلتُ : الأولى متصلة ؛ لأن معناها : أيهما خير ؟ وهذه منقطعة بمعنى: بل. والهمزة لما قال : أما يشركون ، قال : بل أمن خلق السماوات والأرض خير. وقرئ "أمن" بالتخفيف[٣] ووجهه أن يجعل "من" بدلا من اسم الله ؛ كأنه قال : أمن خلق السماوات والأرض خير أمَّا يشركون . وإنما التفت عن الغيبة إلى الخطاب في قوله :﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ لأن إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم والروائح مع كونها تسقى بماء واحد أدل على القدرة ، ولهذا خصَّ هذا النوع بقوله :﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ ومعنى ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ما ينبغي وما يتأتى ؛ كقوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[٤] ومعنى﴿مَا كَانَ﴾ في هذين الموضعين الاستحالة عقلا ، وقد تأتي للمنع شرعًا ؛ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[٥] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[٦]﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[٧]. والحديقة : البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة ، وكذلك لا يسمى حائطًا إلا إذا حوط .﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ كقولك : النساء ذهبت . والبهجة : الحسن ؛ لأن الناظر يبتهج به . ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾أغير الله يصلح أن يتخذ معه شريكًا .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٢) .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣ / ٢٢١) مرفوعا ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٧٠) لعبد ابن حميدعن قتادة .

(٣) قرأ بها الأعمش . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٥) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١١٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ٢٠٦) .

(٤) سورة مريم ، الآية (٣٥).

(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٦١).

(٦) سورة التوبة ، الآية (١٧).

(٧) سورة يوسف ، الآية (٣٨).

وقرئ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[1] . بمعنى : أتدعون أو تشركون ، ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدّة ، وتخرج الثانية بين بين . (يعدلون) (١٦٧/أ) به غيره ، أو يعدلون عن طريق الحق .

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ ﴿قَرَارًا﴾ . دحاها وسواها للاستقرار عليه . ﴿حَاجِزًا﴾ كقوله : ﴿بَرْزَخًا﴾[2] الضرورة : الحالة المحوجة إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها ، والفاعل والمفعول منه مضطر ، والمضطر هاهنا : الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجوء والتضرع إلى الله . وقيل : المذنب إذا استغفر .

فإن قلتَ : كم من مضطر يدعو فلا يستجاب له ؟! قلتُ : الإجابة لها شرط ، وهو ألا يكون في المدعو به مفسدة ، فإذا فقد الشرط فقدت الإجابة ، ولذلك لم يجب كل مضطر، والمضطر : اسم جنس يقع على الواحد وعلى الكثير .

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها، والتصرف فيها قرنًا بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط . ﴿مَّا﴾ مزيدة في قوله : ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي : تذكرون تذكرًا قليلا ، والمعنى: نفي التذكر . والقلة تستعمل في معنى النفي . ﴿يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم في السماء ، والعلامات في الأرض . وقال : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم ينكرون الإعادة ؛ لأنهم مقرون بالنشأة الأولى أنها من عند الله ، والنشأة الثانية تلزمهم ، ولازم القول قولٌ فهم كالمقرين بها . ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات إن ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن مع الله إلهًا فأين دليلكم عليه ؟

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

---

(١) تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٣) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية (٥٣) .

قوله :﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن الله ليس فيهما ، وكان حقه أن ينتصب ، وهذا على لغة بني تميم ؛ حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمارٌ ، يريدون : ما في الدار إلا حمارٌ ؛ كأن أحدًا لم يكن ، ويقولون : ما أتاني زيدٌ إلا عمرو، وما أعانه إخوانُكم إلا إخوانُه ، وإنما عدل إلى اللغة التميمية دون الحجازية ليصير الكلام في تقدير: إن كان الله في السماوات والأرض فهم يعلمون الغيب ، لكنه ليس كذلك ؛ فلا يعلمون الغيب ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[(١)]

يعني : إن كنت تعد فلول السيف من قراع الكتائب عيبا .

كذلك قوله [من الرجز] :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلا اليَعَافِيرِ وَإِلا العِيسُ[(٢)]

أي : إن كنت تعد اليعافير والعيس أنيسا فتلك البلدة بها أنيس . فإن قلتَ : هلاَّ زعمت أن الله ممن في السماوات والأرض كما يقول المتكلمون : الله في كل مكان ، على معنى أن علمه في الأماكن كلها ؛ فكأن ذاته فيها حتى لا نحمله على لغة بني تميم ؟ قلتُ : يأبى ذلك أن كونه في السماوات والأرض مجاز ، وكونه فيهن حقيقة ، وإرادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز ممتنع ، على أن قولك : من في السماوات والأرض ، وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية ، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته ؛ ألا ترى كيف قال - عليه السلام - لمن قال : ومن يعصهما فقد غوى- : " بئس خطيب القوم أنت "[(٣)]. وقيل : نزلت في الكفار حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت مجيء الساعة.﴿ أَيَّانَ ﴾ بمعنى متى ، ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ، ولكان مصروفًا ؛ لأن النون أصلية . وقرئ " إيان " بكسر الهمزة[(٤)].

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٢) البيت لجران العود ، **ينظر في** : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري (١ / ٣٥٣) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠ / ١٥) ، الدرر اللوامع للشنقيطي (٣ / ١٦٢) ، ديوان جران العود (ص : ٩٧) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢ / ١٤٠) ، شرح المفصل لابن يعيش (٢ / ١١٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٨٧٠) ، وأبو داود في سننه رقم (١٠٩٩) ، وأحمد في مسنده (٤ / ٢٥٦ ، ٣٧٩) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٢٨٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١ / ٨٦) عن عدي بن حاتم .

(٤) قرأ بها السلمي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٩٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي =

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

ومعنى ﴿ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾ تكامل ، وتدارك : تتابع واستحكم ومعناه : أن النظر قد أدّى إلى أن قيام الساعة من جملة الحكمة ، وأنه حق لا ريب فيه وهم في شك من ذلك . ﴿عَمُونَ﴾ عن إدراكه ، يريد : الكفار ونسبهم إلى السماوات والأرض ؛ لأن من كان في أحد شيئين فهو فيهما ؛ كما تقول : بنو فلان ، قالوا وفعلوا ، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [(1)] والقاتل عدد قليل ، ومعنى الكلام أنه نفي لعلمهم واستهزاء بهم ؛ كما تقول للجاهل : ما أعلمك ؛ تستهزئ به ، يعني أنهم قد علموا الدليل الدالّ على وجوب قيام الساعة ، فما أجهلهم ؛ حيث أنكروا الطريق الدال عليها.

وفي ﴿ادَّارَكَ﴾ و﴿ادَّارَكَ﴾ معنى آخر وهو أن يكون بمعنى فني ؛ يقال : أدركت الثمرة إذا تناهت لأنها عند ذلك تعدم ، وقد قال الحسن : إن معناه اضمحل[(2)] ، ويقال : تدارك بنو فلان ، إذا تتابعوا في الهلاك ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي : في شأنها ، ومعنى ﴿بَلِ﴾ وتكرارها : الانتقال من أمر إلى أمر ، لا إبطال الأول .

فإن قلتَ : قدّم في هذه الآية ﴿هَٰذَا﴾ على ﴿نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾ وفي آية أخرى قدّم ﴿نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾ على ﴿هَٰذَا﴾ [(3)] ؟ قلتُ : العرب تقدم ما هم ببيانه أعنى ؟

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الضَّيقُ والضِّيق بمعنى ، ويجوز أن يكون الضَّيْق بمعنى الضَّيِّق ، وقد يكون الضَّيْقُ مخففًا من ضَيّق .

﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ

= (٥/ ٣٢٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٤٢).

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩١٤) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٧٥).

(٣) في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ سورة المؤمنون ، الآية (٨٣).

وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ ردف : يتعدى بنفسه ، ولا يجوز دخول اللام على المفعول المتأخر من فعل متعدٍ ، وزيدت اللام في ﴿لَكُم﴾ كزيادة الباء ؛ كما في قوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ (1) وقد يعدى بـ" من" (١٦٨/أ) كقول الشاعر [من الطويل] :

فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سِراعًا والمنيةُ تُعنِقُ(2)

أو ضمن ﴿رَدِفَ﴾ معنى فعلٍ يتعدى باللام ؛ نحو: دنا. من عادة الملوك إذا اطلعوا على نصيحة عبد لهم قالوا : يكون الخير ، وطب نفسا فيطمئن إلى ذلك وينزله منزلة الوعد الصريح ، وكذلك جرت عادة ملك الملوك وهو الله عز وجل، يرد بـ " عسى " و" لعل " وليستا من التصريح في شيء . الفضل والفاضلة والإفضال معناه : وإن ربك لذو فضل على عباده بتأخير العقوبة . يقال : كننت الشيء وأكننته . ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ وكذلك خافية أي : ما من قضية ، والتاء فيهما للمبالغة ؛ كالعلامة والنسَّابة ؛ كالتاء في الذبيحة والنطيحة ، المعنى : ما من شيء شديد الغيبة والخفاء إلا وهو معلوم عند الله .

لما بُعث عيسى - عليه السلام - اختلفت الملل فيه ، فاتبعه قوم وكذبه آخرون ، وقذفه وأمّه آخرون ، فأنزل القرآن بيان ما هو الحق في ذلك . ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن لهدى ورحمة لمن آمن منهم أو من غيرهم . قوله :﴿ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾أي : بعدله ؛ لأنه لا يحكم إلا بالعدل ؛ فيسمى المحكوم به حكمًا مع أنه لا يجوز أن يقال : ضرب زيد بضربه ، ولا قتل بقتله ؛ لأن المعنى فيهما واحد ؛ بخلاف قوله : ﴿ يَقْضِي بِحُكْمِهِۦ﴾ .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٥).

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٩٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٨١) ، وردفنا : دنونا . وتعنق : تسرع .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الثابت ، وفيه بيان أن صاحب الحق عليه أن يتوكل على الله ؛ لأنه علل الأمر بالتوكل بـ ﴿ إِنَّ ﴾ الدالة على التعليل .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ علل ترك اتباعهم بأنهم مختوم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فجعلهم موتى وصُمًّا ؛ لأن إنذاره ثَمَّ لا يحصل لهم به نفع ؛ لكن رسول الله ﷺ يؤدي به ما وجب عليه من البلاغ ، والأعمى إذا ولى عنك هاربًا كان بعيدًا من فهم ما تقوله ؛ فلذلك قال : ﴿ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ . ﴿ إِن تُسْمِعُ ﴾ أي : ما يجدي إلا من آمن بآيات الله وهو منقاد إلى ما يؤمر به . سمي مؤدى القول ومعناه قولاً في قوله : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب . ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً ﴾ دابة الأرض هي : الجساسة لا يدركها طالبٌ (١٦٨/ب) ولا يفوتها هاربٌ ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : بخروجي لأنها من آيات الله ؛ فهذا من كلامها. وعن السُّدِّي : تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام . وقيل : معها خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام ، تنكت المؤمن في وجهه فيستنير وجهه حتى يصير كالكوكب الدري ، وتنكت وجه الكافر فيسودُّ وجهه[(١)]. وقيل : إنها تخرج من الصفا . وقرئ ﴿ تَكْلِمُهُمْ ﴾ بالتخفيف[(٢)] أي : تجرحهم ، وكذلك من قرأ ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ بالتشديد[(٣)] يجوز أن تكون متابعة في ﴿ تَكْلِمُهُمْ ﴾ ؛ كما تقول : تجرَحهم وتجرِّحهم .

قوله: ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تبكيت بليغ ، جعل فيه صدر الكلام هو المقصود ، وهو قوله : ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا ﴾ وجعل بقية الكلام تشبيهًا بكلام المغضب الذي يقول لوكيله الخائن : أنت كنت تأكل مالي ، أم ماذا كنت تصنع ؟ ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ ﴾ أي : القول ، وهو العذاب .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٨٧) ، والطبري في تفسيره (٢٠ / ١٥) وقال الترمذي : حسن غريب .

(٢) وهي قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وأبي زرعة والجحدري . **تنظر في** : الإملاء للعكبري (٢/ ١٧٥) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٠) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٣٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٦٠) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٤٤) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٣٠٠).

(٣) قرأ بها جمهور القراء . تنظر في المراجع السابقة .

وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ أي : يبصر به ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [١] وإنما قال : ﴿فَفَزِعَ﴾ بلفظ الماضي ؛ لأن أحوال القيامة تأتي في كتاب الله بالماضي؛ إشارة إلى تحقيق ما قرن به . ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [٢] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [٣] وغير ذلك . قوله :﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل [٤]. وقيل : هم الشهداء [٥]. وقيل : الحور وخزنة النار وحملة العرش [٦] . وعن جابر : منهم موسى ؛ لأنه جزي بصعقته في الطور [٧].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٩).

(٢) سورة الزمر ، الآية (٦٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآيات (٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٢٩) مرفوعا عن النبي ﷺ وعن السدي . وفيه : "ملك الموت" بدل " عزرائيل " . والثابت في الأحاديث ذكر ملك الموت بغير تسمية ، أما تسميته في بعض الكتب فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣ / ٤٥٨) في تفسير قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ : " الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور قاله قتادة وغير واحد " .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب " الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع " (١/ ١٠٨) : " تسمية ملك الموت عزرائيل اشتهر ذلك بين الناس وقد راجعت مبهمات القرآن لأبي القاسم السهيلي فلم أجد ذلك فيه ثم راجعت تفسير القرطبي فوجدته ذكر أن اسم ملك الموت عزرائيل ولم ينسبه لقائل ولا ذكر فيه أثرا ، ثم راجعت تفسير الثعلبي فوجدته حكى أن اسمه عزرائيل وعزاه لتفسير مقاتل وتفسير ابن الكلبي ، ثم تتبعت الآثار في ذلك فوجدت في كتاب العظمة لأبي الشيخ ، ثم نقل الحافظ عن أبي الشيخ بسنده حديث وفيه أن اسم ملك الموت عزرائيل ، ثم قال الحافظ ابن حجر : " ضعيف ورجال هذا السند يوثقون ولكن أشعث شيخ عنبسة هو ابن جابر الحراني وهو تابعي صغير والحديث معضل . وقال السيوطي في شرحه لسنن النسائي (٤/ ١١٨) : " لم يرد تسميته في حديث مرفوع وورد عن وهب بن منبه أن اسمه عزرائيل رواه أبو الشيخ في العظمة " .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٤ / ٣٠) مرفوعا ، وعن سعيد بن جبير .

(٦) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٢٥١) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه .

(٧) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٢٥١) لابن المنذر عن جابر رضي الله عنه .

الداخرون : الصاغرون . ﴿جَامِدَةً﴾ أي : واقفة في مكانها ، يقال : جمد في مكانه إذا لم يتحرك ، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مرًّا حثيثًا ؛ كما تمرُّ السحاب وكذلك الأجرام العظام المتكاثرة العدد ؛ قال الشاعر [من الطويل] :

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسبُ أَنَّهُم وُقُوفٌ لحاج وَالرِّكَابُ تهملِجُ[1]

﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ من المصادر الموحدة ، ومثله : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[2] و﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾[3] و﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾[4]. وهذا المصدر يقصد به المبالغة ، ولهذا أتبع كل واحد منهما بما يقويه ،﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5]. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[6]. ﴿وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[7].

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يريد الإضعاف ، وقوله :﴿خَيْرٌ﴾ ليس من أفعل التفضيل في شيء ؛ إذ لا شيء أفضل من لا إله إلا الله قال النبي ﷺ : " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[8].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي ، ينظر في : تفسير الطبري (٢٠ / ٢١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٨٧) ، لسان العرب لابن منظور (صرد) والأرعن : الجبل العالي . والطود : الجبل العظيم . وحاج : اسم جمع واحده حاجة والركاب : المطي . وتهملج : تسرع ، والمعنى : حاربنا العدو بجيش عظيم ، تظنهم واقفين لحاجة لكثرتهم ، والحال أن ركابهم تسرع السير .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٣٨).

(٣) سورة الرعد ، الآية (٣١).

(٤) سورة النساء ، الآية (٢٤).

(٥) سورة النمل ، الآية (٨٨).

(٦) سورة البقرة ، الآية (١٣٨).

(٧) سورة الرعد ، الآية (٣١).

(٨) رواه أحمد في المسند (٢ / ٢١٠) ، والترمذي رقم (٣٥٨٥) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٠٣).

والمراد : فله خير يتجدد منها ؛ لأن العمل ينقطع والجزاء يدوم . وقرئ ﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ بالفتح مع الإضافة إلى غير المتمكن ؛ كقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [١] . وقرئ منصوبًا مع تنوين ﴿فَزَعٍ﴾ [٢] والفرق بين الفزعين أن الأول هو ما لا يخلو منه أحدٌ عند الإحساس بشدة تقع من رعب وهيبة وإن كان آمنًا في حصول الضرر؛ كما يدخل الداخل على الملك بصدر مملوء هيبة . وأما الثاني فللخوف من العذاب ، ونكّر (الفزع) على قراءة من قرأ بنصب ﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ وتنوين ﴿فَزَعٍ﴾ لأن المراد نوعٌ واحدٌ من الفزع ، وهو خوف العقاب لا الخوف عند استشعار أمر عظيم ؛ فإن البشرية تقتضيه ولا يخلو منه أحد ، ويحتمل أن يريد نوعًا شديدًا من الفزع فيكون للتعظيم . ﴿ءَامِنُونَ﴾ أمن يتعدى بنفسه تارة ؛ كقوله : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾[٣] ويتعدى بحرف الجر تارة أخرى ، تقول : أمنت من زيد .

وقيل : ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الإشراك . يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة ؛ فكأنه قال : فكبُّوا فيها ؛ كقوله : ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[٤] . ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانًا بأنهم يكبون على وجوههم ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[٥] . ويجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكبِّ بإضمار القول . أمر رسوله أن يقول : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ يعني : أن الله أمر نبيه أن يعبده ويوحده ، وأثنى على نفسه بأنه ربُّ مكة وجعل ملكه لسائر الموجودات تبعًا لملكه لمكة .﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الثابتين على الإيمان . ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يجوز أن يريد : وأن أقرأ القرآن ، ويجوز أن يريد : وأن أتبع ما في القرآن من الأمر والنهي من قوله : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[٦] . أي : تبعها ، و﴿ٱلْبَلْدَةِ﴾ مكة الذي حرم

---

(١) سورة الذاريات ، الآية (٢٣) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر (من فزع يومئذ) بالإضافة وعدم تنوين وفتح ميم " يومئذ " . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (فزع يومئذٍ) بالإضافة وكسر ميم وتنوين " يومئذ " وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (من فزعٍ يومئذٍ) بالتنوين وفتح ميم " يومئذ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٢) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٤٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٠) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٩٩) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية (٩٤) .

(٥) سورة القمر ، الآية (٤٨) .

(٦) سورة الشمس ، الآية (٢) .

صيدها وقطع شجرها واختلاء خلاها .

وقرئ " التي حرمها "[١] ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وهو ما حلَّ بهم يوم بدر من القتل والأسر، وما حلَّ بهم قبل ذلك من القحط والدخان (١٦٩/ ب) .

وقيل : هو كقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ [٢] .

* * *

(١) قرأ بها ابن عباس وابن مسعود . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٢) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٤١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٣٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٣) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ٢٢٢) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٥٣) .

سورة القصص [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: نتلو عليك بعض نبأ موسى وفرعون .﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لمن سبق في علمنا أنه مؤمن ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ طغى فيها ، وعنى بالأرض أرض مملكته ، وجاوز الحد .﴿شِيَعًا﴾ فرقًا يشيعونه على ما يريد ، أو يشيع بعضهم بعضًا في طاعته ويسخرهم في البنيان وغيره ومن لم يستعمله ضرب عليه خراجًا. أو فرقًا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط ، وبنو إسرائيل هم المستضعفون ، وسبب ذبحه الأبناء أن كاهنًا قال له : سيولد في هذا العام مولود يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ؛ فأمر بذبح الأبناء واستبقاء المولودات .

﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حال من الضمير في جعل .﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وذلك لأن الكاهن إن صدق لم يغن الحذر ، وإن كذب فلا معنى للذبح ؛ فكان القتل فسادًا .

﴿وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية ، ويجوز أن يكون حالا من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمنَّ عليهم .﴿أَئِمَّةً﴾ مقدمين في الدين والدنيا . وقيل: ملوكًا .

﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه وأموالهم . ﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر . وقيل : نيل مصر . قوله :﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي : من أمر الذباحين فاسكني إلى وعد الله بنجاته .

وقوله ثانيا : ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ أي : لا تخافي عليه الغرق ، أو من الذباحين ، أو أن يقع في يد

بعض العيون . والفرق بين الحزن والخوف أن الخوف غمٌّ يلحق الإنسان لمتوقع ، والحزن غم يلحق لواقع ، وهو فراقه وإلقاؤه في البحر ، ويروى أنه ذُبح في طلب موسى سبعون ألفًا ، وكانت بعض القوابل من جملة عيون فرعون ، وكانت مصافية لأم موسى؛ فقالت لها أم موسى : لتنفعني محبتك اليوم. فلما وضعته ظهر معه نور بين عينيه، فعظم في قلبها وأحبته فلم تنم على الولد ، فلما خرجت دخل الذباحون، فأخذت ابنها من الدهش[1] فألقته في التنور والنار مشتعلة فيه ، ولا تدري ما تصنع ، فلما خرج الذباحون لم تدر أين ولدها ، فسمعت بكاءه في التنور ، فوجدته قد صار عليه بردًا وسلامًا ، فلما ألحّ فرعون في قتل الولدان (١٧٠/أ) أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم . وروي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله .

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله :﴿ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا ﴾ " ليكون " منصوب بلام كي التي للتعليل ، في مثل قوله: ضربت بَنِيَّ للتأديب ، ولكن التعليل – ها هنا- مجاز؛ لأن التقاطه لم يكن ليكون لهم عدوًّا؛ فإن الالتقاط لا ينتج العداوة ، ولكن لما كانت العداوة قرينة لهذا الفعل استعير له التعليل كما يستعار لفظ الأسد للشجاع . وقرئ " وحُزْنًا "[2] وهما لغتان ؛ كالعدم والعدم .

﴿كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ فليس خطؤهم في تربية موسى ببدع أو كانوا مجرمين خاطئين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم .

فلما وقع التابوت في أيديهم عالجوا فتحه فلم يستطيعوا فدنت آسية امرأة فرعون فعالجته ففتحته فرأت بين عينيه نورًا هالها عظمه فأحبته محبة شديدة ، وكان موسى عليه السلام لا

---

(١) **الدهش** : ذهاب العقل من الذهل والوله . وقيل : من الفزع ونحوه ، ودهِش الرجل بالكسر دهشا: تحير . **ينظر** : لسان العرب (دهش).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " وحَزَنا " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ١٠٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٣٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٩٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٦٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٤١).

يراه أحد إلا أحبَّه ، وقد قال الله تعالى في حقه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ (١) وكانت لفرعون ابنة برصاء ، قالت له الكهنة : إن هذا المرض لا يزول إلا بشيءٍ يجيء من قبل البحر شبيه بالإنسان ، لعابه شفاؤها ؛ فأُخِذَ من ريقه ولطخوا ذلك البرص فبرئ .

وقيل : لما نظرت إلى وجه موسى برأت فقالوا : إن هذه لنسمة مباركة فأحبُّوه ، وهمَّ فرعون بقتله فمنعته آسية واستوهبته منه . قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من آل فرعون ، والتقدير : فالتقطه آل فرعون وهم لا يشعرون أنه المولود الذي يكون هلاكهم على يديه . وقوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ إلى قوله : ﴿خَاطِئِينَ﴾ جملة معترضة .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) ﴾

﴿فَارِغًا﴾ صفرًا من العقل لشدة ما دهمها من وقوع موسى في يد فرعون . ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ لتصرِّح به . ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر ؛ كما يربط على الشيء المتفلت.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بالوعد ، وهو قوله : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ ويجوز: وأصبح فؤادها فارغًا من الهمِّ حين سمعت أن فرعون أحبه وتبناه . ﴿كَادَتْ﴾ تبدي بأنه ولدها لسرورها بما سمعت ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواثقين بوعد الله .

﴿قُصِّيهِ﴾ قصي أثره ، وتتبعي خبره . وقرئ " فبصِرَت " (٢) (١٧٠/ ب) وهما

---

(١) سورة طه ، الآية (٣٩)

(٢) قرأ " فبصِرَتْ " بكسر الصاد عيسى بن عمر ، وقرأ " فبصَرَتْ " بفتح الصاد ، وقرأ الجمهور "فبصُرَتْ" بضم الصاد . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٣٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٥٩).

لغتان ، بمعنى علمت . و﴿عَن جُنُبٍ﴾ أي : عن جانب ؛ يقال : قعد على جنبه وإلى جانبه ، أي : نظرت إليه مزوّرة ؛ حتى لا يحسبوا أنها أخته . التحريم استعارةٌ للمنع وذلك أن الله تعالى منعه قبول المراضع ، فلم يقبل ثدي امرأة حتى جاءت أمه ووجد ريحها ارتضع حتى امتلأ جنباه .﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ جمع مرضعة . وقيل : جمع مرضع ، وهو موضع الرضاع من قبل قصها أثره .

روي أنها لما قالت :﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾قال هامان : إنها لتعرفه ، فقالت : إنما أردت وهم للملك ناصحون ، والنصح : خلاص العمل من شوائب الفساد فجاءت أخته بأمه فوجدت موسى على يد فرعون يبكي ، ويطلب الرضاع ؛ فدفعه إليها وأجرى عليها رزقًا وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في قوله :﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾فعند ذلك استقرَّ عندها أنه سيكون مرسلا في قوله :﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (١) وجاز لها أن تأخذ ما أعطاه فرعون لأنه مال حربي مباحٌ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه حق فيرتابون ، وفيه تسميع لأم موسى حيث لحقها الجزع حين وقع ولدها في يد فرعون .

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ واعتدل ، وبلوغ الأشد : أربعون سنة وهي التي يبعث فيها الأنبياء .

﴿حُكْمًا﴾ السنة ، و﴿وَعِلْمًا﴾التوراة . وقيل : معناه : آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه . ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر . وقيل : ريف من ضياع مصر و " حين غفلتهم " : ما بين العشاءين . وقيل : وقت القائلة . وقيل : يوم عيدهم وهم مشتغلون بلهوهم فيه . وقيل : لما استحكم عقله شرع يتحدث في إبطال المذاهب الفاسدة فنهوه عن ذلك .﴿ شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل .﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط ، وكان يسخر الإسرائيلي بحمل الحطب إلى مطبخ فرعون .

والوكز: الدفع بأطراف الأصابع . وقيل : بجميع الكف ، وجعل قتل الكافر ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنه وقع من غير إذن فيه .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن

(١) الفرقان: آية ٢٠ .

تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله : ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ يجوز أن يكون قسمًا؛ أقسم بما أنعم الله عليه . ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ ويجوز أن يكون استعطافا ؛ كأنه قال : رب اعصمني بما أنعمت عليَّ من المغفرة ؛ فلن أكون - إن تعصمني - ظهيرا للمجرمين ، وأراد بمظاهرة المجرمين : إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته (١٧١/ أ) وتكثير سواده ، وكان عند فرعون كالولد ، وإمَّا مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم كما أدت نصرة الإسرائيلي إلى القتل . وقيل : معناه : بما أنعمت عليَّ من القوة فلن أستعملها إلاَّ في مظاهرة أولئك . ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المكروه ، وهو طلب القود[1] منه ، أو يترقب الأخبار وما يقال عنه .

﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ القبطي ؛ لأنه ليس على دينهما . والجبار : الذي يقتل ويضرب عند الغضب . وقيل : المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله . ولما قال هذا وصل آل فرعون وهموا بقتله . قيل : الرجل : مؤمن آل فرعون ، وكان ابن عم فرعون .

﴿يَسْعَىٰ﴾ يجوز أن يكون ارتفاعه وصفًا لرجل وانتصابه حالا منه ؛ لأنه قد تخصص بأن وصف من قوله :﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾. ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قصدها ونحوها ، ومدين : قرية شعيب عليه السلام ، سميت بذلك ؛ لأن مدين بن إبراهيم نزلها ولم تكن في سلطان فرعون، بينها وبين مصر ثمانية أيام ، وخرج وهو لا يدري كيف الطريق ، بل وثق بربه وهدايته فقال :﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي : وسط الطريق . وقيل : حماه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين .﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ الماء الذي يستقون منه ، وكان بئرًا . وورده : الوصول إليه . ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيره ومستقاه .﴿ أُمَّةً﴾ جماعة كثيرة العدد من الناس من أناس مختلفين .﴿ مِن دُونِهِمُ﴾ من مكان أسفل من مكانهم . والذود :

(١) تقدم معنى القود في تفسير سورة الشعراء ، الآية (١٤) .

الطرد والدفع ، وكان على الماء من هو أقوى منهما ؛ فلا يتمكنان من السقي . ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي : حتى يذهب . ﴿كَبِيرٌ﴾ كبير السن لا يقدر على السقي . ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى عنهما لأجلهما . وقيل : إن الرعاة كانوا يضعون حجرًا على البئر لا يقله إلا سبعة . وقيل : عشرة . وقيل : أربعون . وقيل : مائة فأقله موسى وحده ، وساغ لشعيب عليه السلام أن يستعمل ابنتيه في سقي المواشي ، وذلك لا يليق برفعة قدرهن ؛ لأن العوائد في ذلك مختلفة . ﴿إِنِّي﴾ لأي شيء أنزلته إليَّ من قليل أو كثير لفقير، وإنما عُدِّي ﴿فَقِيرٌ﴾ باللام ؛ لأنه ضُمِّنَ معنى سائل وطالب . قيل : ذكر ذلك وخضرة البقل ترى في بطنه من الهزال ، ما سأل الله إلا أكله (١٧١/ ب) ويحتمل أن يريد : إني فقير من الدنيا ، غنيّ بما آتيتني من النجاة من الظالمين ومن العلم والحكمة ، وكان الظل ظل شجرة .

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ
فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى
ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ
عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ
ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ ﴿٣١﴾
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ
مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ
مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن
جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي : مستحيية متخفرة [١] قد استترت بكم درعها، وإنما ماشى موسى ابنة شعيب ؛ لأن هذه الحالة يقطع فيها بالأمن من الفتنة ، نبيٌّ كريم وابنة نبي .

وقوله : ﴿ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ ﴾ لم يقبله موسى على أنه أجرة ؛ بل ضيافة وكرامة لما علم أنه من أولاد إبراهيم ، ومثله من يكرم ويحتفل بأمره .

وقولها : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلام حكيم جامع لا مزيد عليه ؛ لأنه إذا حصل في وكيلك الأمانة والكفاية فقد تفرغ بالك من جهته . قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجود معناه : ما لكم من إله غيري ؛ كقوله تعالى عن ذاته المقدسة : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] ؛ لأن العلم تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه ، ويجوز أن يكون المراد أن إلٰهًا آخر غير معلوم عنده ، ولكنه مظنون كما قال في آخر الآية : ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين ، بل عالمًا بصحة قول موسى عليه السلام ؛ لقول موسى له : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [٣] لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولا تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى ، وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته ؛ حيث حسب أنه في مكان ، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته ، وليت شعري أكان يضحك على أهل بلاده ويسخر منهم ، أم كان هو بهذه الصفات ؟! فإن صح ما يروى من عود النُشَّابَة [٤] إليه ملطوخة بالدم فتهكُّمٌ به بالفعل ؛ كما جاء التهكُّم بالقول في آيات كثيرة ، ويجوز أن يفسَّر

---

(١) **الخفر** بالتحريك : شدة الحياء ، وخفرت المرأة خفرا وخفارة ، فهي خفرة على الفعل ومتخفرة ، وتخفرت : اشتد حياؤها . **ينظر** : لسان العرب (خفر).

(٢) سورة يونس ، الآية (١٨).

(٣) سورة الإسراء ، الآية (١٠٢).

(٤) **النشابة** بضم النون وتشديد الشين المعجمة وموحدة وبتاء التأنيث ودونها: السهم . لسان العرب (نشب).

الظن على القول الأول باليقين ، ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادَّعاه من العلم واليقين ، وإنما قال : ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ﴾ ولم يقل : اطبخ لي الآجُرَّ ؛ لشدة اهتمامه ببناء الصَّرح ومناداة هامان الوزير بالأمر بالطبخ ، ودخول حرف النداء في وسط الكلام دليل التعظُّم والتجبُّر . وعن عمر ﷺ : أنه حين سافر إلى الشام ورأى (١٧٢/أ) القصور المتخذة بالآجُرّ قال: " ما علمت أن أحدًا بنى بالآجر غير فرعون "[1]. والطلوع والإطلاع بمعنى الصعود . والاستكبار بالحق إنما هو لله - عز وجل - فهو المتكبر على الحقيقة .

وعن رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه - عز وجل - : " الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري ، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيتُه في النار "[2].

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضم والفتح[3]. قوله :﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام الفخم الدالّ على العظمة ؛ شبهَّهم مع كثرتهم بحصياتٍ أخذهن آخذٌ في كفه فطرحهن في البحر، ومثله قوله - تعالى - : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[4]. ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[5] وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره ، وإن كل مقدور وإن عظم وجلّ فهو حقير بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى .

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٢٤٤) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢ / ٢٤٨ ، ٣٧٦ ، ٤١٤) ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه ابن ماجه رقم (٤١٧٥) ، وابن حبان رقم (٥٦٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) قرأ بفتح الياء والبناء للمعلوم " يَرْجِعون " نافع حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون " يُرْجَعون " بالضم والبناء للمجهول تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٩٤).

(٤) سورة الحاقة ، الآية (١٤).

(٥) سورة الزمر ، الآية (٦٧).

ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾
وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ
يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: دعوناهم بهذه السمة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [1]. لم يصيروهم إناثا ، بل : وصفوهم بذلك .

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الحق .﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ من المطرودين . البصيرة : نور القلب ؛ كما أن التبصر نور العين ؛ سماها بصائر؛ لأنها سبب في الاهتداء بكشف الغطاء عن الحقائق .﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها لوصلوا إلى نيل الرحمة . يجوز أن يكون المراد : ترجِّي موسى هدايتهم ؛ كقوله :﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2]. ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ المكان الواقع في شق الغرب ، وهو موضع خطاب الله لموسى ، وقوله عز وجل :﴿ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾أي : خاطبناه بالأمر والنهي ، وثواب المطيع وعقاب العاصي ، والمعني بقوله :﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا ﴾الاستدراك ، أي : أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك . ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾إلى القرن الذي أنت فيه ، واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك ، فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة ودلَّ به على المسبب ، وإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده ، ودلَّ (١٧٢/ب) هذا الكلام على أن بعثة الرسل حق ، ولمّا كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل من كسب الأيدي وإن كان من أعمال القلوب ، والمعنى : ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة فيقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فبعث الرسل لقطع المعاذير ؛

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (١٩).

(٢) سورة طه ، الآية (٤٤).

لقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]. ﴿فَلَمَّا﴾ جاءتهم الرسل تعنتوا واقترحوا على الرسل بعد ظهور معجزاتهم أن يؤتى كل رسول مثل ما جاء به موسى ؛ فأنكر الله ذلك عليهم بقوله :﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ وقالوا في حق موسى وهارون : ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ واحدٍ منهما﴿ كَافِرُونَ﴾. وقيل : قالوا : في محمد وموسى – صلى الله عليهما وسلم . وقيل : في التوراة والقرآن ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾.

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

هذا الشرط في قوله :﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾يقوله المدلُّ لصحة قوله ؛ كما يقوله الصانع لمن عمل له عملاً : إن كنت قد عملت لك فأعطني حقي .فإن قلتَ : ما الفرق بين الاستجابة في الآية ، وبينها في قول الشاعر [من الطويل] :

وَدَاعٍ دَعَانَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[2]

حيث عدّي في الآية باللام ، وفي قول الشاعر بغير لام ؟ قلتُ : إذا عدّي باللام فالمراد

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (١٥).

(٢) البيت من بحر الطويل ، لكعب بن سعد الغنوي .

ينظر في الأصمعيات (ص :٩٦) ، تاج العروس (جوب) ، جمهرة أشعار العرب ص (١٣٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠/٤٣٦) ، لسان العرب (جوب).

ويروي الشرط الثاني منه : .... فلم يستجب عند النداء مجيب

قال البغدادي في " خزانة الأدب " : والمعنى : رب داع دعا : هل من أحد يمنح المستمنحين ؟ فلم يجبه أحد . ومعنى الندى : الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود . كما في " الصحاح " .

استجابة المدعوّ ، فيكون معنى قوله : ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ ، أي : لم يستجيبوا لأجلك ، وإذا عدّي الفعل بنفسه ، كما في قول الشاعر: فلم يستجبه - جاز دخول اللام وحذفها ، تقول : استجاب الله دعاءك ، ولا يكادُ يقال : استجاب الله لك دعاءك .

فإن قلتَ : فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا ؟! قلت : قوله :﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ﴾ استدعاء للإجابة . ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ في موضع الحال﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي : أنزلناه متواصلاً ؛ وعدًا ووعيدًا وعبرًا . (ليتفكروا) قيل : نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل ؛ اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام ، والضمير في﴿ مِن قَبْلِهِۦ﴾للقرآن . ﴿مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ وكل من اتبع نبيًّا فهو مسلم . ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾بصبرهم على إيذاء الكفار ، أو بثبوتهم على دين الحق . ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾الطاعة .﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (١٧٣/أ) المعصية المتقدمة . ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة .﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم وصحبتهم .﴿ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على أن تدخل في الإسلام من طبع على قلبه . قال الزجاج [(١)]: أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب ، وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ : " يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله " فقال : أما والله إني لأعلم أنك صادق ولولا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك ؛ فقال له بعض من حضر : أنت على دين آبائك ، فكان آخر ما قاله هو على ملة الأشياخ[(٢)].

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

وقالت الكفار للنبي ﷺ : إنا نخاف إن اتبعناك أن تتخطفنا العرب . فأجاب الله تعالى وقال: قد مكنت لخدمة البيت﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ وهم كفار فإذا ضموا إلى ذلك الإيمان كانوا

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١٤٩) ، وفيه : أجمع المفسرون .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٦٠ ، ٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥) ، ومسلم رقم (٢٤٢٥) ، وأحمد (٥ / ٤٣٣) .

أولى أن يحفظوا . وسخر لهم في واد غير ذي زرع أن جلب إلى مكة أنواع الثمرات .

وقوله : ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي : أكثرها ؛ فإن بعضها لا يتيسر نقله إليها .

وقوله :﴿رِّزْقًا﴾ إن جعلته مصدرًا انتصب بأنه مفعول له ، وإن جعلته اسم المرزوق ، كان مفعولاً به معمولاً لـ ﴿يُجْبَىٰٓ﴾. ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ منصوب بحذف حرف الجر ، أي: بطرت في معيشتها ، أو : بتقدير حذف الزمان ، أي : بطرت في زمن معيشتها . أو ضمن "بطرت" معنى : كفرت وغمطت . بطر النعمة هو ألا يُرعى حق الله فيها . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السُّكنى ، أي: لا يسكنها إلا المسافر ، ومارُّ الطريق يقضي فيها وطره ثم يرحل .﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾لتلك المساكن ، قال الشاعر [من الكامل] :

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ [1]

﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾ في القرية التي هي أمٌّ لما سواها .﴿ رَسُولًا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعاذير وقيل : المراد بأم القرى : مكة ؛ فإن الأرض دحيت من تحتها . ﴿لَٰقِيهِ﴾ أي : يلقاه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [2]﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [3] .

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ الذين أحضروا للنار ، ولا تكاد تجد في القرآن لفظ المحضر إلا ومعناه : المحضر للعذاب ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [4] ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [5] قيل : نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل[6]. وقيل : في علي وحمزة[7]. (١٧٣/ ب) وقيل : في عمار ابن ياسر والوليد بن المغيرة[8]. والفاء في قوله : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ معناها : أبعد هذا البيان

---

(١) البيت للمتنبي، ينظر في : الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٢٤) ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١/ ٧١٢) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني (٢٤٦) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٣٧) ، والبيت الذي قبله :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

(٢) سورة الإنسان ، الآية (١١).

(٣) سورة مريم ، الآية (٥٩).

(٤) سورة الصافات ، الآية (٥٧).

(٥) سورة الصافات ، الآية (١٢٧).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ٩٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٣١).

(٧) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ٩٧).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٢٥) .

البيان نسوِّي بين رتب المؤمنين والكافرين .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله : ﴿ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ ﴾ على زعمكم ، ومفعولا ﴿ تَزْعُمُونَ ﴾ محذوفان ، أي: الذين تزعمونهم شركاء . ﴿ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أي : الشياطين ، أو أئمة الكفر الداعون إلى النار. ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ مبتدأ ، و﴿ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ خبره . ومعنى الكلام : أنا لم نُكْرِه الذين أغويناهم ؛ فلا فرق حينئذٍ بين غيِّهم وغيِّنا ، فقال الله تعالى - حكاية عن إبليس في جهنم - : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (١).

وقوله : ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ من سوء عملهم وجحدوا عبادتهم لهم فقالوا : ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ . والخيرة : من التخير ، أي : هو المتخير . قيل : السبب في قوله : ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ قول الوليد بن المغيرة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٢). والتقدير : ما كان لهم فيه الخيرة ، والمعنى: أن تخيُّرَ الرسول ليس إليهم وإنما هو لله وحده . ﴿ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ من عداوة رسول الله ﷺ وحسده . ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من مطاعنهم فيه . ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ المستأثر بالإلهية المختص بها ، ومعنى الحمد في الآخرة قوله - تعالى - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ (٣) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ (٤). والتحميد هنالك على وجه اللذة والتفكه .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢).

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣١).

(٣) سورة فاطر ، الآية (٣٤).

(٤) سورة الزمر ، الآية (٧٤).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معناه : أخبروني من يقدر على هذا ؟ والسرمد : الدائم المتصل ، مأخوذ من السرد وهو المتابعة . كان قارون حسن الصورة ، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ، ولكنه نافق وقال : إذا كانت النبوة لموسى والحبورة لهارون فما لي ؟ ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ من البغي وهو الظلم . قيل : ملّكه فرعون على بني إسرائيل . وقيل : إنه خاطب موسى فقال له: إذا كانت النبوة لك والحبورة لأخيك فما لي ؟ فقال له موسى : هذا من أمر الله ، وليس لي فيه صنع . فقال : والله لا أصدقك حتى تأتي بآية . فجمع موسى عصيّ الصلحاء والأبرار وربطها وجعلها في قبة كان الوحي ينزل على موسى ، فيها فأصبحت عصا موسى وحدها عليها ورق أخضر ، وليس على عصيّ غيره شيء ، فقال قارون : ما هذا بأعجب مما تأتي به من السحر .﴿لَا تَفْرَحْ﴾ ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1] قال الشاعر(١٧٤/ أ) [من الوافر] :

أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ٱرْتِحَالا[2]

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى والثروة والسعادة . ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٣).

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي ، ينظر في : تفسير البيضاوي (٤ / ٣٠٣) ، روح المعاني للألوسي (١ / ٢٠٥) و (٢٠ / ١١٢) ، فيض القدير للمناوي (٣ / ١٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٣٠) .
ويروى : .... تيقن عنه صاحبه انتقالا

الخير من أصناف الواجب والمندوب . ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك .﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله .﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقيل : أحسن شكرك وطاعتك لله ، كما أحسن الله إليك . والفساد في الأرض : الظلم والبغي . قيل : القائل موسى عليه السلام . قوله : ﴿وَٱبْتَغِ﴾ قرئ ﴿وَٱبْتَغِ﴾ [1] قوله :﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: على بصر بالتجارة . وقيل : علم الله موسى علم الكيمياء ؛ فعلَّم يوشع بن نون ثلاثة ، وكالب بن يوفنا ثلاثة ، وقارون ثلاثة ، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبًا وفضة . قوله :﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يجوز أن يكون نفيًا لعلمه بذلك ، ويجوز أن يكون إثباتًا ؛ لأنه قد علم ذلك من التوراة ومن صحف إبراهيم وموسى ، وسمعه من نقلة الأخبار ، يعني : فمع علمه بذلك كيف يعصى الله ويخالف ، وعلى الأول يكون قد نفي عنه العلم بذلك لما تعظَّم بالعلم ، وزعم أن الذي هو فيه من العلم عنده ، فقيل له : لا علم عندك .﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا يحتاج في العلم إلى سؤال واستعلام .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (٨٢) ﴾

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان [2] وعليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف على زيّه . وقيل : في تسعين ألفًا عليهم المعصفرات . ومن الغبطة قوله تعالى :﴿ يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ ومن الحسد قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ

---

(١) ذكرها الأخفش كما في : تفسير الألوسي (٢٠ / ١١٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩١).

(٢) **الأرجوان** : الثياب الحمر . والأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة . قال أبو عبيد : الأرجوان : الشديد الحمرة لا يقال لغير الحمرة أرجوان ، وقال غيره : أرجوان معرب أصله أرغوان بالفارسية فأعرب قال: وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون وكل لون يشبهه فهو أرجوان . **ينظر** : لسان العرب (رجا).

بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[١]. والحظ : البخت والدّولة . قوله :﴿ وَيۡلَكُمۡ ﴾ أصله الدعاء بالويل ، ثم استعمل في الردع والزجر ، وإنما يكون ذلك للإفراط في الاعتماد على ما لا ينبغي . وقوله : ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير فيها يرجع إلى الكلمة التي قالها أهل العلم أو الحسنة أو للسيرة . ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعن المعاصي وعند الشدائد. ﴿مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى ، أو: من المتخلصين من عذاب الله .

قوله : ﴿بِٱلۡأَمۡسِ﴾ لا يراد به اليوم الذي قبل يومك ، وإنما (١٧٤/ب) المراد الإخبار عن مدة ماضية قريبة . ﴿مَكَانَهُۥ﴾ منزلته .

" وي " مفصولة عن " كأن " وهي كلمة تنبيه على الخطأ ، وهو مذهب الخليل وسيبويه، وعند الكوفيين أن (ويك) بمعنى (ويلك) ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى (وي) كقول عنترة [من الكامل] :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[٢]

و" أنه " بمعنى لأنه ، ومن الناس من يقف على " وي " ويبتدئ " كأنه " ، ومنهم من يقف على " ويك "[٣].

وقرئ (لولا مَنُّ اللهِ علينا)[٤]. وقرئ (لَخَسَفَ بنا)[٥] يعني : الله عز وجل .

وعن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يكرر هذه الآية حتى قبض[٦]. وعن علي ﷺ : " إن

---

(١) سورة النساء ، الآية (٣٢).

(٢) **ينظر البيت في** : الجنى الداني للمرادي (ص : ٣٥٣) ، خزانة الأدب للبغدادي (٦ / ٤٠٦) ، ديوان عنترة (ص : ٢١٩) ، شرح الأشموني (٢ / ٤٨٦) ، شرح شواهد المغني (ص : ٤٨١) ، شرح المفصل (٤ / ٧٧) ، المحتسب لابن جني (١ / ١٦) ، وبلا نسبة **في** مغني اللبيب (ص : ٣٦٩).

(٣) **ينظر تفصيل ذلك في** : البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (٢ / ٢٣٧) ، التبيان للعكبري (٢ / ١٨٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٥٤) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١٥٦).

(٤) قرأ بها الأعمش . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٣٥) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٣١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩٣).

(٥) قرأ بها حفص عن عاصم ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة " لَخُسِفَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٣٥) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٣١٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٥٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩٣).

(٦) رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد (١ / ٣٠٩ - ٣١٠) قال : " أخبرنا جرير بن حازم قال=

الرجل ليحب أن يكون شراك نعله حسنا فيدخل في هذه الآية" (١).

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

وزعم قوم أن قوله : ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ لما صنع فرعون في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢). وأن المراد بالفساد ما صنعه قارون لقول قومه له : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولا دليل على التخصيص ، واللفظ عام لكل من علا وأفسد .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

وضع ﴿الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ موضع المضمر. وهو بابٌ من أبواب البلاغة .

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ، يعني : إن الذي حملك صعوبة التكليف . ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ نكَّرَهُ للتعظيم ، أي : معاد وأيُّ معادٍ ؛ قيل: المراد به مكةُ ، أي : وعده بردِّه إليها يوم الفتح ظاهرا عليها منتصرا على أعدائه ، والسورة

= حدثني مغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة: "كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار. قالت: فقلت له يوما يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئا فإنك لم تنم. قالت: فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه. قالت: فجعلت اسمعه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يرددها مرارا ثم أطرق فلبث طويلا لا أسمع له صوتا فقلت لوصيف له كان يخدمه : ويحك انظر. فلما دخل صاح ، قالت : فدخلت عليه فوجدته ميتا قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينه " . ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥ / ٣٣٥) بهذا السياق .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٢٢) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٤٤) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ١٢٢) : في إسناده نظر .

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٤).

مكية ، وأصحاب النبي ﷺ مستضعفون ، فوعده وأتاهم بالنصر والغلبة[١] .

وقيل : نزلت عليه بالجحفة ، فنزل جبريل وقال : أتحب مكة ؟ قال : نعم ؛ فقال : إن الله سيعطيك إياها ، وتلاها عليه : ﴿ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية[٢] . ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ بعد وقت نزولها . و" إذ " يضاف إليه أسماء الزمان ؛ كقولك : حينئذٍ وساعتئذٍ .

﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إيَّاه ، والوجه يعبر به عن الذات .

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٢٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٤٥) لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٣٦) .

سورة العنكبوت [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

الحسبان : لا يجوز أن يتعلق بالمفردات لكن يتعلق بمضامين الجمل، والجملة ها هنا هي قوله : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ . وليس الأمر كما حسبوه (١٧٥/أ) بل لابد من الامتحان بالأمر والنهي والوعد والوعيد . قوله :﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الإيمان . ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه . فإن قلتَ : كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل ؟ قلتُ : لم يزل يعلمه معدومًا ولا يعلمه موجودًا إلا إذا وجد، والمعنى : وليتميزنَّ الصادق منهم من الكاذب . وقيل : ليرى . وقيل : ليعلم العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب ، وأنه تعالى لا يثيب ولا يعاقب إلا على ما وجد .

وقرئ﴿ فَلَيُعْلِمَنَّ ٱللَّهُ﴾ [(١)] أي : ليُطْلِعن المؤمنين على بواطنهم بعلامة يعرفون بها من بياض وجوه المؤمنين ، وسواد وجوه الكافرين ، وزرقة عيونهم . ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أن يفوتونا ، وهم لم يعتقدوا أنهم يعجزون الله ، لكن فعلهم فعل من يظن ذلك ، ومنه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [(٢)] ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وابتداء الشروع في المجازاة . ﴿يَرْجُواْ﴾ يؤمل أو يخاف .﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة .

---

(١) قرأ بها علي بن أبي طالب وجعفر ، وقراءة الجمهور " وليَعْلَمن " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٤٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩٦) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٢٧١) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٥٩) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٩) .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إما أن يكون في قوم من المسلمين سيئاتهم مُكفَّرة بالحسنات ، وإما قوم من المشركين آمنوا فمعاصيهم تكفر بالإسلام .

﴿وَوَصَّيۡنَا﴾ بمعنى عهدنا . ﴿حُسۡنٗا﴾ أي : أمرًا ذا حسن ، أو جعل الوصية الحسنى؛ مبالغة . ويجوز أن يكون حسنًا مفعولاً بفعل مضمر ، أي : أوصل إليهما حسنًا ؛ كما تقول : ضربًا . إذا أمرت شخصًا بالضرب . قيل : نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وامتناع أمّه أن يُظلها سقف حتى يكفر بمحمد [(١)] . وقيل : في عياش بن أبي ربيعة ، خدعه أخواه ، وقالا : ارجع إلى أمك ؛ فإنها في شدَّةٍ لفراقك ، فرجع معهما قاصدًا مكة ؛ فربطاه ، وضربه كلُّ واحدٍ منهما مائة سوط ، ورجعا به إلى أمه ؛ فقالت : لا يزال في عذاب حتى يرجع عن دينه [(٢)] .﴿فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في زمرتهم ، ووصف الصلاح من أتم الأوصاف ، قال في إبراهيم :﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [(٣)] .

وقال يوسف :﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [(٤)] أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ؛ كقوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم...﴾ الآية [(٥)] .

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ (١٧٥/ ب) فإذا آذاه المشركون أطاعهم برجوعه إلى الشرك وهو المراد بقوله :﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ ﴾

---

(١) رواه مسلم رقم (٤٤٣٢) ، والترمذي رقم (٣١١٣) ، و الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٣١).

(٢) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣ / ٤٢) للبزار في مسنده ولابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٠).

(٤) سورة يوسف ، الآية (١٠١).

(٥) سورة النساء ، الآية (٦٩).

سلقوكم بألسنة حداد وطلبوا الشركة في المغانم ؛ فأكذبهم الله - تعالى - بأنه هو العالم بما في صدور هؤلاء ، وبما في صدور جميع العالمين ثم هدد هؤلاء الكفار بقوله : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي : ليجازينهم . قوله : ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ أمروا أنفسهم بحمل خطاياهم، أي: تتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ونرى بعض [المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك ، فإذا رأى صاحبه مترددا](1) في الإقدام على أمر عظيم ، فيقول له صاحبه : افعل هذا وإثمك في عنقي. فربما اغتر به(2).

ويروى: أن أبا جعفر المنصور طلب منه رجل حوائج فلما قضاها له قال: يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى ، وهي الشفاعة لي في الآخرة . فقال له عمرو بن عبيد(3) : يا أمير المؤمنين لا تغتر بهؤلاء ؛ فإنهم قطاع الطريق في المأمن. وسماهم كاذبين ؛ إما لأنهم أشبهوا الكاذبين في مخالفة أقوالهم لأفعالهم، وإما لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين .

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا
عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في الأصل ، وأثبتناه من الكشاف (٣ / ٤٤٤).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٤٤).

(٣) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين له رسائل وخطب وكتب منها : التفسير والرد على القدرية . توفي سنة ١٤٤ هـ . تنظر ترجمته في : البداية والنهاية (١٠ / ٧٨) ، تاريخ بغداد (١٢ / ١٦٦) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٨٤).

قوله : ﴿ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا ﴾ هي الضلال الذي حملوا عليه أضدادهم فيجتمع عليهم إثم الضلال والإضلال .

﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ ﴾ سؤال تقريع ﴿ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي: يختلفون من الأكاذيب والأباطيل. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ... ﴾[1] . قيل : كان عمر نوح ألفًا وخمسين سنة ، أربعون قبل النبوة وستون بعد الطوفان ، وفي قومه تسعمائة وخمسون وقوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ﴾ ولم يقل: تسعمائة وخمسين ؛ لأنه لو قال مثل ما قلت لتطرق إليه المجاز، وأيضًا فذكر عقد الألف أهيب وأدل على الكثرة . فإن قلتَ : فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام ؟

قلتُ : لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد مما يمجُّه السمع . و﴿ الطُّوفَانُ ﴾ ما أحاط وأطاف بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما ، والضمير في ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ للسفينة أو للقصة ، ونصب ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ بإضمار اذكر ، وأبدل عنه " إذ " بدل الاشتمال . ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ هو تسميتهم الأصنام آلهة . ونكر الرزق الأول ، وعرف الرزق الثاني ؛ لأنه أراد: لا يقدرون على شيء ؛ فاطلبوا الرزق كله من الله الذي لا رزاق إلا هو .

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ ﴾ سبقكم غيركم بتكذيب الأنبياء ، فهلكوا .

وهذه الآيات (١٧٦/أ) إلى قوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ يجوز أن تكون من كلام إبراهيم صلوات الله عليه ، وأن تكون آيات معترضة في شأن رسول الله ﷺ وقريش ، بين أول قصة إبراهيم وآخرها ، وإذا كانت من كلام إبراهيم فوجه مجيئها معترضة أن المراد بها تسلية رسول الله ﷺ على ما كان يلقاه من الكفر .

وقوله : ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ليس بمعطوف على ﴿ يُبْدِئُ ﴾؛ لأنها ليست معلومة للمخاطب ، وصلة ﴿ الَّذِينَ ﴾ لابُد من العلم بها . قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ لو كنتم فيها . وقيل : ولا مَنْ في السماء بمعجزين ؛ كقول حسان [من الوافر] :

أَمَنْ يَهجُو رَسولَ اللهِ مِنكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ[2]

---

(١) انظر الكشاف (٣/ ٤٤٤) .

(٢) **ينظر في** : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص : ٧٠) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع لأحمد الأمين الشنقيطي (٥ / ١٨٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٥) ، ديوان حسان بن ثابت (ص :٧٦) ، مغني اللبيب لابن هشام (ص : ٦٢٥) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٨٨).

أو: لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم حكمه . وقيل : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾لو تغلغلتم في أعماق الأرض أو علوتم في القصور المشيدة .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائله على قدرته وصدق رسله وعلى البعث .﴿ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي : في الآخرة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [(١)].

لا يجوز للمسلم أن ييأس من رحمة الله وروحه . قرئ ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالنصب والرفع[(٢)]. وروي: أنه لم يُنتفع بالنار يوم ألقي إبراهيم فيها ؛ لذهاب حرِّها.

قرئ ﴿ مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصب المودة[(٣)]. ليكون ذلك سببا لتوادّكم ومحبتكم ، أو اتخذتموها مودة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[(٤)].

وقرئ بالرفع[(٥)] خبرًا لـ " إنَّ " على أن " ما " موصولة ، وقرئ بنصب﴿ بَيْنِكُمْ﴾ مع الإضافة[(٦)] كقوله :﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [(٧)]. بفتح ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وهو فاعل .﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تكون تلك المودة بغضا ولعنة .﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ كما زعمتم أنهم

---

(١) سورة الروم ، الآية (١٢).

(٢) تقدم تخريج القراءة عند تفسير سورة النمل ، الآية (٥٦).

(٣) قرأ بها عاصم في رواية حفص عنه ، وحمزة وروح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٤٨) ، الحجة لابن خالويه (ص :٢٧٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٦٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٠٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٣).

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٦٥).

(٥) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس . تنظر المراجع السابقة .

(٦) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٦٤) : نقلت عن عاصم .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

شفعاؤكم عند الله .

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

كان لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تؤثر في إحراقه ، وقال إبراهيم ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ ﴾ من لوثى وهي من ضياع الكوفة إلى حرَّان ثم منها إلى فلسطين . ﴿ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه ، وكان معه سارة زوجته ولوط ابن أخيه في هجرته . ﴿ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ الثناء الحسن ، والصلاة عليه إلى يوم القيامة .

فإن قلتَ : ولِمَ لم يذكر إسماعيل عليه السلام ؟ وذكر إسحاق وذريته ؟! قلتُ : ذكر إسماعيل في قوله : (١٧٦/ ب) ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ ﴾ والمراد بالكتاب جنس الكتاب فيدخل فيه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

﴿ وَلُوطًا ﴾ معطوف على ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أو على ما عطف عليه . والفاحشة : الفعلة البالغة القبح . وقطع السبيل : هو فعل قطاع الطريق . وقيل : هو الإتيان في غير المأتي ؛ فإنه ليس محل حرث ، ولا بذر . والمنكر : هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق . والدَّفعة بالأصابع ، ومضغ العلك والسواك بين الناس ، والسباب والفحش في المزاح .

وعن عائشة رضي الله عنها: "كانوا يتضارطون"[١] . وقيل : السخرية ممن يمر بهم . وقيل: المجاهرة في ناديهم بذلك العمل . وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ، وكانوا يحملون الناس على الفاحشة التي يعملونها طوعًا وكرهًا . أراد لوط عليه السلام أن يؤكد السؤال في هلاك قومه فوصفهم بالفساد ، والفساد تُستحَق العقوبة بسببه.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٤٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٦١) للبخاري في تاريخه ولابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾ بالولد، والنافلة وهما إسحاق ويعقوب، وأضاف ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾ إلى أهل القرية إضافة تخفيف لا تعريف، والقرية سدوم، وهي التي يقال فيها: أَجْوَرُ من قاضي سدوم[1].

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) سدوم: فعول من السدم وهو الندم مع غم. قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له: سدوم. وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد: إنما هو سذوم بالذال المعجمة. قال: والدال خطأ. قال الأزهري: وهو الصحيح وهو أعجمي. وقال الشاعر:

كذلك قوم لوط حين أضحوا   كعصف في سدومهم رميم

وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي إلا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٢٠٠)، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٧٢٩/٣).

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراض على الملائكة ، حيث قالوا : ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، أي: فيها من لا يستحق العقوبة ، فأجابته :﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ ووعدوه نجاة لوط وأهله، ثم جددت الملائكة استحقاق الوعيد على قوم لوط ؛ فقالوا :﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾أي : عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ . قوله عز وجل : ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾مثل مضروب بقصير اليد لو أمدها ليأخذ شيئًا لم تصل . ومثل القويّ بطويل إذا مدَّ يده إلى شيء وصل إليه . الرجز والرجس : العذاب ؛ من قوله : ارتجز وارتجس: إذا اضطرب . ﴿مِنْهَآ﴾ أي : من القرية . ﴿ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾آثار هلاكهم . قوله : ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يتعلق بـ ﴿تَّرَكْنَا﴾ أو بـ ﴿بَيِّنَةً﴾ ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ أي : افعلوا ما تستحقون به النجاة من العذاب . وقيل : هو من الرجاء ؛ بمعنى الخوف .

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ، وعن الضحاك : صيحة جبريل عليه السلام ؛ لأن القلوب رجفت لها[1] . ﴿فِى دَارِهِمْ﴾ في بلدهم (١٧٧/أ) وأرضهم . ﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب .

قوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ منصوب بإضمار: أهلكنا ؛ لأن قوله :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ يدل عليه . ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك من هلاك مساكنهم ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾الآية[2]. ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء قادرين على النظر في مصالح دينهم ؛ فأهملوا ذلك . وقيل : كانوا متثبتين أن العذاب نازل بهم ؛ لأن ذلك قد بين على ألسنة الرسل ، ولكنهم لجوا حتى هلكوا﴿ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين ، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه .

الحاصب لقوم لوط : وهو ريح عاصف فيها حصباء . وقيل : ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والخسف لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون . الغرض تشبيه ما اتخذوه مثلا ومعتمدًا في دينهم ، وتولوه من دينه بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ولذلك قال : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ . فإن قلت : كل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت ؟ قلتُ : معناه :﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أن

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره (٤ / ٣١٦) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٢٠٢).

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤٠).

هذا مثلهم إذا شابه دينهم نسج العنكبوت ثبت أن دينهم أوهن الأديان ، وهذا زائد على ضرب المثل بالعنكبوت ؛ لأنه لم يجعل ما اتخذوه من عبادة أوثانهم شيئًا.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فإن قلت : كم من مصل لم تنهه صلاته؟

قلتُ : الصلاة التي تنهى هي التي يدخل فيها خاشعًا مستحضرًا أنه بين يدي ربه سائلاً منه التوفيق والهداية . روي: أن رجلا كان يصلي مع النبي ﷺ ولا يدع شيئًا من المعاصي إلا ركبه ، فوصف حاله للنبي ﷺ فقال : ستنهاه صلاته ، فلم يمض إلا يسير حتى تاب وأصلح وترك ما كان يرتكبه من المعصية [١]. وأراد بـ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ الصلاة ؛ يريد أنها أفضل أعمال البر .

وعن ابن عباس : ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته[٢].

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن .﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ . وقيل : إلا الذين دعوا لله ولدًا وشريكًا. وعن قتادة : منسوخة بآية السيف[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٧) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٥٦٠) ، والبزار (٧٢٠ – كشف الأستار) عن ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٥٦) ، وأبو السعود في تفسيره (٧ / ٤٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٦٦) للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٢٨١) ونسبه لابن جرير وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

وعن النبي ﷺ : " ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية فإن كان باطلاً (١٧٧/ ب) لم تصدقوهم وإن كان حقًا لم تكذبوهم "(١). ومثل ذلك الإنزال﴿ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي : مصدقًا لسائر الكتب السالفة تحقيقا لقوله :﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه .﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة. ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾مع ظهورها﴿ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المتوغلون في الكفر . وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه .

﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (٤٨) بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩) وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥١) قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٥٢) وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٥٣) يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ (٥٤) يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٥٥) ﴾

قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ﴾ لأنه لو كان قارئًا لقالوا : وجد هذه القصص التي [يقصها] مذكورة في كتب الأولين فارتابوا أو شكوا .﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ كما جاء في بعض الآثار : " أناجيل أمتي في صدورهم "(٢).

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ﴾ نقترحها ؟ فأجابهم الله بقوله :﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا﴾ الآية . والقرآن معجزة باقية على وجه الدهر . ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ كلفت الإنذار ولست آتي من المعجزات إلا بما أنزل عليَّ ، ولست أقترح على الله آيات معيناتٍ ؛

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٣٦) ، وأبو داود رقم (٣٦٤٤) ، وابن حبان رقم (٦٢٥٧) ، والبغوي في شرح السنة (١ / ٢١٨) رقم (١٢٤ ، ١٢٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٩٣٩٦).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٢٨٣ – ٢٨٤) ونسبه للدارمي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

إنما أنا نذير أبلغ ما أمرت بإبلاغه . وروي أن ناسا أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتبوا فيه شيئًا منقولا عن اليهود في التوراة ؛ فقال عليه السلام : " كفى بقوم حماقة أن يتركوا ما جاء به نبيهم ويسألوا عمَّا لم يأت به نبيهم "[1]. ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أني قد بلغتكم ما أرسلت ﴿بِهِۦ﴾ إليكم ، وأنذرتكم ، وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب .

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي عاجلاً ، والمراد بالأجل : الآخرة ؛ لأن الله تعالى وعد نبيه ﷺ ألاَّ يعذب قومه ولا يستأصلهم ، وأن يؤخِّر عذابهم إلى يوم القيامة .

وقيل : الأجل : يوم بدر . وقيل : وقت فنائهم بآجالهم . ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾ أي : ستحيط بهم . ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ . وقيل : هي محيطة بهم في الدنيا ؛ لأن الأعمال التي توجبها محيطة بهم .﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاؤه . والمعنى : أن الإنسان إذا لم يتهيأ له في بلد إصلاح شأنه في دينه ولا من يعينه عليه فليرحل عنها إلى حيث يتيسر له . وقال الزمخشري: جربنا وجرب الأولون منا فلم نر ما هو أجمع للخاطر وأعون على التقوى من المجاورة بحرم الله[2].

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

وعن النبي ﷺ : " من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض ، وإن كان قدر شبر (١٧٨/أ) وجبت له الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد "[3]. وقيل: نزلت في المستضعفين من

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٧١) للدارمي وأبي داود في مراسيله وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة رضي الله عنه .

(٢) ينظر : الكشاف (٣ / ٤٦١).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (١ / ٣٥١) تفسير سورة النساء ، (٣ / ٥٠) تفسير سورة العنكبوت ، ونسبه للثعلبي في تفسيره . وقال : مرسل .

المؤمنين ؛ كانوا بمكة لا يتمكنون من إقامة شعائر دينهم فدلهم الله على الهجرة . والتقدير في الآية : وإياي اعبدوا فاعبدون . ومعنى الفاء في﴿ فَٱعْبُدُونِ﴾ جواب شرط مقدر ؛ المعنى : إن لم يتيسر لكم القيام بوظائف الدين في أرض فأخلصوا لله العبادة في غيرها. المعنى : أنها تحس بالموت إحساس الذائق . ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنهم ، وقرئ ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ [1] والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين ، وإلى العرف إجراؤه مجرى لننزلنهم ولنثوينهم ، وتقديم المجرور في قوله :﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يدل على الاختصاص . الدابة : اسم لكل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل .

قيل : كان المسلمون إذا أمروا بالهجرة قالوا : كيف نذهب إلى بلدٍ ليس لنا فيه رزق ولا معيشة ؟ فنزلت﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾لضعفها عن حمله .﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ .

وقيل : لا تحمل رزقها ، أي : لا تدخر شيئًا لغد . قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يريد : أهل مكة .

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن التوحيد . قدر الرزق وقتره : إذا ضيقه ، يحتمل أن يراد : ويقدر له : يجمع له بين التوسعة والتقتير ، وأن يكون المراد شخصين في وقتين .﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون .﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ﴾ الدائمة . والحيوان : مصدر وهذا الوزن الحركة والاضطراب ؛ كالنزوان والغليان والضربان ؛ فهو أبلغ من أن يقول : هي الحياة .

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون " لنبوئنهم " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٥٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٥٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٦٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٠٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢١٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٤).

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾ الفاء في قوله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ ﴾ أي : هم على ما هم عليه من دعوى الشرك فإذا دهمهم أمر عظيم التجأوا إلى الله وحده ، وسماهم ﴿مُخْلِصِينَ﴾ تهكمًا بهم .

اللام في ﴿ لِيَكْفُرُواْ ﴾ ، و﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ يجوز أن تكون لام كي ، وأن تكون لام الأمر للتهديد . وجاء قوله : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ إيذانا بفساد ذلك الإخلاص الذي أخلصوه في الشدة . كانت العرب حول مكة يغير بعضهم على بعض ، ويأكل القوي منهم الضعيف ، وكان أهل الحرم آمنين في رحلتي الشتاء والصيف ؛ فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

قوله : ﴿لَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي : كذبوا به لما جاءهم ، ولم يتثبتوا ؛ بل بادروا إلى التكذيب .

﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي : بالصبر على قتال الكفار وأذاهم . وقوله : ﴿فِينَا﴾ أي : في طاعتنا.

قوله : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير . وعن أبي سليمان الداراني [(١)]: والذين جاهدوا فيما عملوا لنهدينهم إلى ما لم يعملوا [(٢)]. وقيل : إن الذي (١٧٨/ ب) يُشاهَد فينا من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما عَلِمنَاه . ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لناصرهم ومعينهم .

* * *

(١) هو الإمام زاهد العصر عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني من أهل داريا وهي ضيعة إلى جنب دمشق كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد المتعبدين ، ورد بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل : سنة خمس ومائتين .
تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ٢٤٨) ، حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ١٨٢) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٦٥) .

تفسير سورة الروم [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢)﴾

كان المسلمون بمكة يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وأهل فارس مجوس يعبدون النار؛ فجاء الخبر أن الروم تواقعوا هم والكفار فغُلِبت الروم وانتصرت فارس ، فعيَّر الكفارُ المؤمنين ؛ هؤلاء الكفار من أهل الروم إخوانكم وقد ظهرنا عليهم ، وليظهرننا الله عليكم ، فقال أبو بكر للقائل : والله لتغلبن الروم فارس ؛ فقال له أُبيُّ بنُ خَلَفٍ : ناحِبْني[١] على ذلك - أي : راهنِّي - فناحبه على ذلك ، وأن على كل من غُلِب بعد ثلاث سنين عشر قِلاص[٢] فبلغ أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : " زِدْ فِي الرَّهْنِ وَزِدْ فِي الْمُدَّةِ ؛ فَإِنَّ الْبِضْعَ يَكُونُ تِسْعَ سِنِينَ "[٣] فراهنه على مائة قلوص وعلى مائة من الإبل ، يكون ذلك على من غُلِب منهما، فغَلبت الرومُ فارس يوم الحديبية . - وقيل : يوم بدر - وأخذ أبو بكر- رضي الله عنه - القلاص من تركة أبي بن خلف ، وجاء به إلى النبي ﷺ فقال : تصدَّق به ، وكان ذلك بعد تحريم القمار[٤].

والغَلْبُ والغَلَبُ مصدران ، والذي في الآية يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل وإلى المفعول ؛ بناء على القراءتين ؛ فمن قرأ : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ فهو مضاف إلى الفاعل ، ومن قرأ بضم الغين[٥] فهو مضاف إلى المفعول، وهذا الخلاف مثل الخلاف في قوله :

---

(١) ناحبني : من المناحبة وهي المخاطرة والمراهنة . ينظر : لسان العرب (نحب).

(٢) القلاص : جمع القلوص : وهي أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني فإذا أثنت فهي ناقة ، والقعود: أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن يثني فإذا أثنى فهو جمل ، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا ، وقد تسمى قلوصا ساعة توضع ، والجمع من كل ذلك : قلائص و قلاص و قلص و قلصان جمع الجمع وحالبها القلاص . ينظر : لسان العرب (قلص).

(٣) رواه الترمذي رقم (٣١٩١) ، والطبري في تفسيره (٢١ / ١٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩٠) لابن أبي حاتم والبيهقي . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٢٤).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٧٩) ونسبه لأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٥) قرأ جمهور القراء " غُلِبَت " بالبناء لما لم يسم فاعله وقرأ علي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري=

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [(١)]. واحتج أبو حنيفة ومحمد بقصة أبي بكر مع أُبي بن خلف على أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلم والكافر [(٢)].

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾

وقرئ ﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ على الجر [(٣)] من غير تقدير مضاف إليه ؛ كأنه قيل : قبلاً وبعداً ؛ بمعنى : أولاً وآخرًا .

ويوم تَغْلِب الرُّوم على فارس ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾. وقوله :﴿ لَا يَعۡلَمُونَ يَعۡلَمُونَ﴾ أبدل " يعلمون " من ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ليعلمك أن علمهم كلا علم .

= ومعاوية بن قرة وابن عمر وأهل الشام " غَلَبَت " بالبناء للمعلوم .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢١٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩٧) ، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٣٧) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩).

(١) سورة البقرة ، الآية (٨٥).

(٢) **ينظر**: المبسوط للسرخسي (١٤ / ٥٦ , ٥٧) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي (٧/ ٣٨ , ٣٩) ط . دار الفكر – بيروت .

(٣) حكاها الفراء وغلطه النحاس ، وحكى الكسائي " من قبلٍ ومن بعدٌ " ، وقراءة عامة القراء " من قبلُ ومن بعدُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٧١)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢١٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٤) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٠).

قوله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ يجوز أن تكون " في " ظرفية ، والتقدير: أو لم يُجَدِّدُوا أو يحدثوا التفكُّر في قلوبهم ؛ كما تقول : اجعل هذا في نفسك . وأن يكون محلاً للتفكر ، وهو ظاهر . و﴿مَّا خَلَقَ﴾ معمول للقول (١٧٩/أ) المقدر؛ تقديره : فيقول ما خلق ... الآية . وقيل : لا تحتاج إلى إضمار " فيقولوا " لأن السياق يدلُّ على القول .

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مصحوبة بالحكمة وبالتأجيل إلى أجل معلوم ، وهو النفخة الأولى .

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حرثوها ، ومنه قوله : ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ (١). ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ قريش كما عمرها من كان قبلهم ، وليس في أرض قريش موضع حرث إلا يسيرًا ؛ لأنها جبال وأودية . وقوله : ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ تهكم بهم وبحرثهم .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) ﴾

﴿السُّوأَىٰ﴾ تأنيث الأسوأ ، وهو الأفصح ؛ كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالتكذيب فدمروا و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ بمعنى : لأن كذبوا ؛ أي : دُمِّرُوا لأجل التكذيب ، ويجوز أن يكون " أن " بمعنى أي ؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول ؛ نحو : نادي وكتب وما أشبه ذلك . ويجوز أن يكون ﴿السُّوأَىٰ﴾ مصدر أساءوا ؛ أي : اقترفوا السيئات ، و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ عطف بيان ، وخبر كان محذوف ؛ كما يحذف جواب (لما) و (لو) ؛ إرادة الإبهام .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي : إلى دار جزائه . الإبلاس : أن تبقى ساكتا متحيرًا لا تهتدي إلى طريق الجواب بالحق ، ومنه : الناقة المبلاس : التي لا ترغو . وقيل : يبلس - بفتح اللام - من : أبلسه ، إذا أسكته ، وكانوا في الآخرة مبلسين ، وتنكر الأصنام عبادتهم لها ، ومنه قوله تعالى : ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (٢) فيبلس الكفار حينئذٍ . وقيل : كانوا في الدنيا مبلسين بشركهم والضمير في قوله :﴿ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ للمسلمين والكافرين

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧١).

(٢) سورة القصص ، الآية (٦٣).

معًا؛ بدليل السياق . وقيل : أراد بالتفرق : أن الأبرار في عليين ، والفجار أسفل السافلين . وعن قتادة : فرقة لا اجتماع بعدها(١) . ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ من رياض الجنة ، وتنكيرها للتعظيم . ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون ، يقال : حبره ، إذا سرَّه سرورا يظهر عليه أثره وتهلل له وجهه ، ثم اختلفت هذه الأقاويل لاختلاف وجوه المسرة . فقيل : يكرمون . وقيل : ينعمون . وقيل : التيجان على رؤوسهم . وعن وكيع : السماع في الجنة(٢) .

وفي الآثار: أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن في الجنة سماع ؟ قال : " نعم ؛ إن في الجنة أجراساً (١٧٩/ ب) من فضة ، فإذا أراد ولي الله السماع هبت ريح من تحت العرش فتصوت تلك الأجراس تصويتا لو سمعه أهل الدنيا لماتوا طرباً "(٣) .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مُحْضَرُونَ﴾ في العذاب لا يغيبون عنه ، وقلما يجيء لفظ المحضر في القرآن إلا لعقوبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (٤) . ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ (٥) . لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد ، وينجي من الوعيد فقال : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآيات، قيل : المراد بالتسبيح : ظاهره ، وهو قوله : سبحان الله وسائر الأذكار . وقيل : الصلاة . وسئل ابن عباس : هل تجد في القرآن الصلوات الخمس ؟ فقال: نعم ؛ وتلا هذه الآية : ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء و﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر (٦) .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٨٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٠ / ١٧٢).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧١) بهذا السياق ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٨٦) نحو ذلك .

(٤) سورة الروم ، الآية (١٦).

(٥) سورة الصافات ، الآية (٥٧).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٠٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٨٨) ونسبه =

وقوله : ﴿وَعَشِيًّا﴾ متصل بقوله : ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بينهما ، ومعناه إن على المميزين من أهل السماوات والأرض أن يحمدوه . وروي عن الحسن أنه قال : هذه الآية مدنية ؛ لأنه كان يقول : إن الصلوات الخمس فرضت بالمدينة ، وكان الواجب في مكة في كل صلاة أن تصلى ركعتين . والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة [(١)] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - : " فرضت الصلاة ركعتين ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أقرت صلاة السفر ، وزيد في الحضر " [(٢)]. وعن رسول الله ﷺ : " من سرَّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته من يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته من ليلته " [(٣)].

وقرئ ﴿حِينًا تُمْسُونَ وَحِينًا تُصْبِحُونَ﴾ [(٤)] والمعنى : تمسون فيه ، وتصبحون فيه ؛ كقوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [(٥)]. بمعنى : فيه .

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

= لعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن أبي رزين رضي الله عنه قال: جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس رضي الله عنهما ... فذكره .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٢) بهذا السياق ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١ / ٣٥٩) عن الحسن في باب أول فرض الصلاة بنحو ذلك .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٠ ، ١٠٩٠) ، ومسلم رقم (٦٨٥) ، وأبو داود رقم (١١٩٨) ، وأحمد في المسند (٦ / ٢٧٢ ، ٢٧٤) ، والنسائي (١ / ٢٢٥) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٧٣٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧) ، ونسبه للثعلبي في تفسيره عن أنس ، وفي سنده بشر بن الحسين وهو ساقط .

(٤) قرأ بها عكرمة ، **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٣) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٦) مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٢٩٧) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٦٣).

(٥) سورة البقرة ، الآية (٤٨).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة . ﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات فيها . وقيل : المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي : ومثل (١٨٠/أ) ذلك الإخراج تخرجون من القبور.

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ خلق أصلكم ، وهو أبوكم آدم ، وإذا للمفاجأة : ثم فاجأكم وقت كونكم بشرًا تنتشرون في الأرض وتتبثُّون فيها . ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي : من جنسكم؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم ؛ وذلك لما يحصل عند اتحاد الجنس من الأنس والمحبة ، وعند اختلاف الجنس بخلاف ذلك .

وعن الحسن : المودة كناية عن الجماع ، والرحمة عن الولد[1] ؛ لقوله : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾[2] ثم ذكر قصة الولد له . يقال : سكن إليه واطمأنَّ إليه . وقيل : إنَّ المودة والرحمة بين الزوجين من جهة الله عز وجل ، وأن التباغض من الشيطان ؛ لكن نسبته إلى الله حقيقة ، وإلى الشيطان مجازٌ خلافًا للزمخشري[3].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

الألسنة : اللغات أو أجناس النطق وصفاته . ومن بدائع آياته سبحانه وتعالى أن جعل هذه الصفات مختلفة ؛ فلا تكاد تسمع شخصين يتكلمان فيشبه صوت أحدهما صوت

---

(١) ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠ / ١٣٩) ، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٥ / ٢٥٣) ، والزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٤/ ٢١٩).

(٢) سورة مريم ، الآية (٢).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٣) : " وقيل : إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان " .

الآخر، أو شكله ، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ؛ ولاختلاف ذلك وقع التعارف ؛ فإنك لو رأيت توأمين متشابهين لا يتميز عندك أحدهما عن الآخر إلا بجهد ؛ فعند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف ، وفي ذلك آية بينة ؛ حيث ولدوا من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة ، وفرعوا من أصل فردٍ ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون ومتفاوتون .﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ قرئ بفتح اللام وكسرها[١] . ويشهد للكسر قوله تعالى :﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٢].﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ بالنهار، إلا أنه فصل بين الفريقين الأولين بالفريقين الآخرين لأنهما زمانان والزمان الواقع فيه كالشيء الواحد ، ويجوز أن يراد : منامكم في الزمانين ، وابتغاؤكم فيهما ، والأول هو الظاهر ؛ لتكرره في القرآن . قوله : ﴿يُرِيكُمُ ﴾ فيه وجهان : أحدهما : إضمار " أن " ، أي : ومن آياته أن يريكم . والثاني : إنزال الفعل منزلة المصدر ؛ كقولهم في المثل: تسمع بالمعيدي لا أن تراه[٣]. وقال الشاعر [من الوافر] :

وقالوا ما تشاء ؟ فقلت ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير[٤]

﴿خَوْفًا ﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف .﴿ وَطَمَعًا﴾ في الغيث . وقيل : خوفًا للمسافر (١٨٠/ب) وطمعًا للحاضر ، وهما منصوبان على المفعول له . وحق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ؟ وفيه وجهان : أحدهما : أن المفعولين فاعلان في المعنى ؛ لأنهم راؤون وطامعون ؛ فصار التقدير: لجعلكم رائين خوفًا وطمعًا. والثاني : أن يكون على تقدير حذف المضاف أي : إرادة خوف وإرادة طمع ؛

---

(١) قرأ عاصم في رواية حفص عنه ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ بالكسر وقرأ بقية القراء " للعالَمين " بالفتح . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٥٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٠٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٨) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٤) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٣).

(٣) **ينظر المثل في** : جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١ / ٢١٥) ، مجمع الأمثال للميداني (١ / ٨٦)، المستقصى من أمثال العرب للزمخشري (١ / ٣٧٠).

(٤) البيت لعروة بن الورد ، **ينظر في** : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص : ٥٣٦) ، الخصائص لابن جني (٢/٤٣٣) ، الدرر اللوامع (١/ ٧٥) ، ديوان عروة بن الورد (ص : ٥٧) ، شرح المفصل لابن يعيش (٢ / ٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٧٤) ، لسان العرب (سرر) ، معجم البلدان (٣ / ٢١٨).

فحذف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يكونا حالين ؛ أي : خائفين وطامعين ﴿أَن تَقُومَ﴾ تقديره : قيام السماء ، أي : بغير عمد .

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بقوله : كونا قائمتين . وقوله : ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بمنزلة قوله : ﴿يُرِيكُمُ﴾ في إيقاع الجملة موقع المفرد ؛ التقدير : ومن آياته أن تقوم السماء ثم تخرجون إذا دعاكم الملك: يا أهل القبور اخرجوا . والمراد سرعة وجود ذلك بلا توقف ؛ كما يجاب الداعي المطاع ، وعطف هذا بـ (ثم) دليل على عظمة هذا الخروج . وقوله : ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مكان المدعو لا الداعي ، هو متعلق بـ ﴿دَعَاكُمْ﴾ لا بقوله: ﴿دَعْوَةً﴾ . وفي المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[1] . و﴿إِذَآ﴾ الأولى للشرط والثانية للمفاجأة . وقرئ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء وفتحها[2] .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَٰنِتُونَ﴾ منقادون لوجود أفعاله فيهم . ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندكم ؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء كان أهون عليه من إنشائها .

الإعادة مؤنثة ، وعبر عنها بـ ﴿هُوَ﴾ ؛ لأن لها مصدرًا آخر مذكور ، وهو العود ، وقدم المعمول في قوله ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [3] ؛ لأن المراد اختصاص الله تعالى بذلك ، وههنا المراد : الإخبار بأن ذلك على الله هيِّن .

قوله :﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني الوصف العظيم الذي ليس لأحد مثله . وعن مجاهد : المثل الأعلى قول : لا إله إلا الله .

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن

---

(١) **ينظر المثل في** : روح المعاني للألوسي (٢١ / ٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٧٦) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان " تَخْرُجون " ، وقرأ الباقون " تُخْرَجون " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٠) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٢١) .

نَّصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

و﴿مِّن﴾ الأولى للابتداء ، والثانية للتبعيض ، والثالثة زائدة ، ومعنى الآية : هل ترضون أن مماليككم المساوين لكم في البشرية والعقل والتمييز أن يشاركوكم فيما وهبكم الله من الجاه والمال ، وتخافوهم كما تخافون من غيرهم ؛ كذلك كل من عبد من دون الله لا يساويكم أيها الأحرار الملاك ، ولا تخافونهم كخيفتكم من أمثالكم . ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ؛ كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [(١)] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمُه وكفَّه ، وأما الجاهل فإنه يخبط عشواء (١٨١/أ) لا يدري طريق الصواب . ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ فقوِّم وجهك له من غير انحراف ولا ميل ، و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور أو من الدين . ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ الزموا فطرة الله ، أو: عليكم فطرة الله . والفطرة : الخلقة ، والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد والاعتقادات الصحيحة ، لولا أن آباءهم لقَّنوهم الضلال ، حتى لو تُركوا لما اختاروا عليه دينًا آخر، ومن كفر منهم فبإغواء الشياطين، وفي الحديث الصحيح أيضًا : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه " [(٢)].

ووحَّد الخطاب في قوله : ﴿فَأَقِمْ﴾ وجمعه في قوله : ﴿مُنِيبِينَ﴾ لأن الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأمته ؛ كقوله - عز وجل - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [(٣)]. ﴿الدِّينُ﴾

---

(١) سورة لقمان ، الآية (١٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٣٥٨) ، ومسلم رقم (٢٦٥٨) ، وأبو داود رقم (٤٧١٤) ، والترمذي رقم (٢١٣٨) ، والنسائي (٤ / ٥٨) ، وابن حبان رقم (١٢٨ ، ١٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١) .

بدل من المشركين . ﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ تركوا دين الإسلام، وقرئ . ﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ [١]. أي : جعلوه أديانا مختلفة . ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ فرقًا ، كل فرقة تشايع إمامها الذي أضلها .﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور بباطله يحسبه حقًا ، ويجوز أن يقطع الكلام عند قوله : ﴿شِيَعًا ﴾ وتبتدئ من قوله : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾. الضر : الشدة ، والرحمة : الخلاص من الشدائد ، واللام في ﴿ لِيَكْفُرُواْ﴾ لام العاقبة﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظير قوله :﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [٢]﴿سُلْطَانًا﴾ أي : كتابًا .﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ويخبر بحقائق الأمور ؛ كقوله : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [٣]. يعني : فالقرآن شاهد بكذبهم و" ما " في قوله :﴿ بِمَا كَانُواْ﴾ مصدرية ؛ أي : بكونهم ، ويحتمل أن يكون قوله :﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أي : ذا سلطان ، وهو ملك معه برهان بذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩) ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ﴾

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة . ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ فرح أشر وبطر . ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ هؤلاء أن الله هو القابض والباسط والرازق ، فما لهم لا يرجعون إليه ويتوبوا ! حق ذي القربى : صلة الرحم ، وحق المسكين وابن السبيل : نصيبهما من الصدقة المسماة لهما ، وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على وجوب نفقة سائر المحارم[٤]. ولما ذكر الله تعالى أفعال المتقين أتبعهم بذكر ما (١٨١/ب) يتقرب به إليه ، والنهي عن الربا

---

(١) قرأ حمزة والكسائي " فارقوا " وقرأ الباقون " فرقوا " . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (ص: ٣٤٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٢) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣٠٤) ، النشر (٢ / ٢٦٦).

(٢) سورة فصلت ، الآية (٤٠).

(٣) سورة الجاثية ، الآية (٢٩).

(٤) ينظر : المبسوط للسرخسي (١٤ / ٥٦ , ٥٧) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد (٧ / ٣٨ ، ٣٩).

وكل ما يباعد من رحمته .

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ذاته، أو: رحمته وجانبه ، أو: يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى [١]. ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد ويُنمَّى .﴿ فَلَا يَرْبُوا۟﴾ فلا يزداد عند الله .

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذووا الإضعاف ، ونظير المضعِف : المقوي والموسر لذي القوة واليسار . وقيل : نزلت في ثقيف ، وكانوا يربون . وقيل : المراد : أن يهب الرجلُ الرجلَ ، أو يهدي إليه ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى .

وقوله : ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات حسن ، وهو أنه تعالى خاطب بقوله : ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ ثم عدل إلى أن أخبر ملائكته بفضل درجة هؤلاء المضعفين، أي : الكاملين في الإضعاف .

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ، وخبره :﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾. ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين اتخذتموهم آلهة هل ﴿مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ ثم نزه نفسه عن ذلك ؛ فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التقدير: عما يشركون به . قوله : ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ﴿مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ من الأولى والثالثة زائدتان ، وجعل الزمخشري الثانية كذلك والظاهر أنها للتبعيض[٢].

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالجدب والقحط ، ووقوع الموتان في الناس[٣] وقلة الريع

---

(١) هذه الآية من آيات الصفات التي سبق التعليق عليها غير مرة .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٨٣) : ومن الأولى والثانية والثالثة ؛ كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد ؛ لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم .

(٣) قال أهل اللغة : " الموتان بفتح الميم والواو هو الموات ؛ قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر : يقال للأرض التي ليس لها مالك ولا بها ماء ولا عمارة ولا ينتفع بها إلا أن يجري إليها ماء وتستنبط فيها عين أو تحفر فيها بئر: موات وميتة وموتان. بفتح الميم والواو وكل شيء من متاع الأرض لا روح فيه فهو=

من الزراعات وغير ذلك ، وقالوا: إذا انقطع عميت دواب البحر .

وعن عكرمة : العرب تسمي المدينة بحرًا[١]. وعن قتادة : كان ذلك قبل البعث ؛ فلما بعث رسول الله ﷺ رجع راجعون عن الضلال والظلم[٢]. ويجوز أن يراد ظهر الفساد بكثرة المعاصي . قوله :﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ كقوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[٣].

لما ذكر فساد البر والبحر عقّبه بأن الكفار يرون آثار المهلكين ولا يتعظون بهم .

قوله : ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يرجع إلى قوله :﴿أَن يَأْتِىَ﴾ أي : يأتي من الله عقوبة ما فعلوا ، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿لَّا مَرَدَّ﴾ أي : لا يرده أحد من الله ولا ينقذه منه .

﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون . ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ وباله مخصوص به .﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ كما يمهد للصبي موضع نومه في توطئة . و﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾ ؛ تعليل له .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا

= موتان ، ويقال : فلان يتبع الموتان . فأما ما كان ذا روح فهو الحيوان ، وأرض ميتة : إذا يبست ويبس نباتها ، فإذا سقاها الماء صارت حية بما يخرج من نباتها ، ورجل موتان الفؤاد : إذا كان غير ذكي ولا فهم يعني بإسكان الواو ، ووقع في المال موتان وموات يعني بضم الميم فيهما وهو الموت الذريع ". ينظر : تهذيب الأسماء للنووي (٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٤٩) ، والقرطبي في تفسيره (١٤ / ٤١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٤٩).

(٣) سورة الشورى ، الآية (٣٠).

فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من عطائه : ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ وهي الجنوب والشمال (١٨٢/أ) والصبا، وهي رياح الرحمة ، وأما الدبور فريح العذاب ، أرسل الله تعالى رياح الرحمة لأمور منها: البشارة بالغيث ، وإذاقة الرحمة ، وحصول الخصب ، وجريان الفلك في البحر.

قوله : ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يجوز أن يتعلق بقوله : ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ لأن البشارة نوع من إذاقة الرحمة، وأن يتعلق بمحذوف ، التقدير: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أرسلها .

قوله : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ رفع من شأن المؤمنين ، وأن الله تعالى ضمن لهم حصول النصر في العاقبة ، وتكرير ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ للدلالة على تعظيم ما منحهم به ، وهذا التكرير كقوله : ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [(١)].

﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ يعني: أن أصل ما بني عليه أصل نشأتكم الضعف . وقيل : من ضعف النطفة ؛ كقوله : ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [(٢)]. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تقع في آخر ساعات الدنيا ، أو لأنها تقع سريعًا ؛ لقوله : ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [(٣)]. وصارت الساعة علمًا للبعث ؛ كالنجم للثريا . ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ أي : في القبور ، أو في الدنيا ، أو ما بين النفختين . ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ ، أو في علم الله وقضائه ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يستعرضون ، وحقيقته : أعتبته ، أزلت عتبه .

---

(١) سورة الحشر ، الآية (١٧).

(٢) سورة السجدة ، الآية (٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٨٧).

قوله : ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ أي : ما هم ممن قُبل عذرهم وإعتابهم .﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل قصة غريبة الشأن كالمثل السائر . ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بنصرتك وإعلاء دينك حق لابد من حصوله .﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [1]﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالآخرة .

* * *

(١) سورة الزمر ، الآية (٢٠) .

سورة لقمان عليه السلام [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾

﴿ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ذي الحكمة ، أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي ، ويجوز أن يكون الحكيم قائله ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب المضمر المتصل منفصلا .

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ما في ﴿ تِلْكَ ﴾ من معنى الإشارة . وقرئ بالرفع (١) على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين يعملون الحسنات الآتي ذكرها من إقامة (١٨٢/ ب) الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإيقان بالآخرة . وحكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي ؟ فلم يزد على إنشاد البيت وهو [من المنسرح] :

الألمعي الذي يريك من الأمر ... كأن قد رأى وقد سمعا (٢)

والذين يعملون جميع الخصال الحسنة ، ثم خص منها هذه الثلاثة تشريفا لها على ما سواها . اللهو : كل باطل ألهى عن الخير ، وعما يعني .

---

(١) قرأ حمزة " ورحمة " بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ١٨٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٦) .

(٢) البيت لأوس بن حجر ، ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٦) ، العين للخليل (٢/ ١٥٦) ، غريب الحديث لابن قتيبة (١ ، ٣١٢) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٣٣١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٨٩) ، لسان العرب (لمع) .

وفي الجميع : الألمعي الذي يظن بك الظن ....

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾

و﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ باطله ؛ نحو السمر بالأساطير والتحدث بالمضاحيك وفضول الكلام وعلم الغناء والموسيقى[1]. وقيل : نزلت في النضر بن الحارث ، وكان يتجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول : أنا أحدثكم بهذه الأحاديث وهي أحسن مما جاء به محمد . وقيل : كان يشتري الجواري المغنيات ، وإذا أحس برجل يريد الدخول في الإسلام ذهب به إلى منزله ؛ فيطعمه ويسقيه ويسمعه غناء جاريته ، ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه محمد ؛ تقاتل حتى تموت[2]. ويجوز أن تكون الإضافة للبيان ؛ كقولك : علم نحو ، وثوب خز . ويجوز أن تكون للتبعيض ، أي: يتخذ من اللهو بعضه ، وهو لهو الحديث.

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١ / ٦٣) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى به كل ما كان من الحديث مُلهيًا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسولُه ؛ لأن الله تعالى عم بقوله : ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ولم يخصص بعضا دون بعض ، فذلكَ على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك " .

وقال ابن حزم في المحلى (٩ / ٥٥) : " ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى ، وما ذم قط - عز وجل - من اشترى لهو الحديث ليلتهي به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ، وكذلك من اشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن أو بحديث يتحدث به أو ينظر في ماله ، أو بغناء أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى ، ومن لم يضيع شيئا من الفرائض اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن " . ثم قال ابن حزم بعد كلام طويل وإيراده لكل ما ورد من الأحاديث والأقوال في الغناء ملخّصا رأيه فيه : " إن رسول الله - ﷺ - قال : " إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى " فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى؛ فهو فاسق ، كذلك كل شيء غير الغناء ، ومن نوى به ترويح نفسه؛ ليقوى بذلك على طاعة الله - عز وجل - وينشط نفسه بذلك على البر؛ فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه؛ كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا، وصباغة ثوبه ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله " .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤).

﴿يَشْتَرِى﴾ يجوز أن يكون حقيقة ؛ لأن النضر اشترى الجواري والكتب ، وأن يكون مجازًا ؛ كما في قوله :﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ (١).

وعن قتادة : اشتراؤه هو استحبابه وإيثاره على ما سواه (٢).﴿ وَسَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام أو القرآن . من قرأ ﴿لِيُضِلَّ﴾ (٣) كان معناه من أضل فهو ضال بإضلاله . وقوله: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنه بإيثاره الضلالة على الهدى من أجهل الناس .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
(٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ (٨) خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن
كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى
مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١١) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ
لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ
وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ
عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾

﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسًا ؛ يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمع وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي : ثقلا ، ولا وقر فيهما .﴿ كَأَنَّ﴾ الثانية : حال من الأولى، والضمير في﴿ كَأَنَّ﴾ ضمير الشأن .﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان ، الأول مؤكد لنفسه ، والثاني لغيره ؛ لأن قوله :﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾كالوعد . ﴿ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٧٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٦١) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ' لَيَضِل ' وقرأ الباقون ' ليُضِل ' . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٠) مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣١٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٩).

قوله عز وجل : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : هو وحده خلق هذه المخلوقات العظيمة ، فكيف بآلهتكم ؟ ثم أضرب عن ذلك إلى تبكيتهم بتورطهم في ضلال لا يقدرون على التخلص منه . ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾ هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب . وقيل : كان من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام (١٨٣/أ) وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوى ؛ فقيل له في ذلك . فقال : ألا أكتفي إذا كفيت ؟! وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما لا نبيًّا[1]. وقيل : كان أسود خياطًا . وقيل : كان نجارًا . وقيل : راعيًا . وقيل : كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة .

﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿حَمِيدٌ ﴾ يجب أن يحمد .﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي : حملته تهن وهنًا على وهن ؛ كقولك : رجع عودًا على بدء ، وهو منصوب على الحال . وقيل : ضعفًا متزايدًا ؛ لأن الحمل متى طالت مدته ازداد ثقله . ﴿فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالأدب والإحسان حسنا بخلق جميل ، وحلم وبرّ وصلة ، وما يقتضيه الكرم والمروءة .

﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ هم المؤمنون ، ولما ذكر الله تعالى الوالدين وما لقيا من التعب في التربية بدأ بالأم ؛ لأنها تلقى من المشاق ما لا يلقاه الأب أولاً، ثم ذكرت وحدها بعد ذلك . فإن قلتَ : ما معنى توقيت الفصال بعامين ؟ قلتُ : الأغلب على حال الولد أنه حينئذ يقوى على الفطام . وعن أبي حنيفة رحمه الله : أن مدة الرضاع ثلاثون شهرا ؛ فإن أرضعت بعد ذلك لم يفد تحريمًا[2].

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥١١ – ٥١٢) : " وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه قال : خير الله تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة ، فاختار الحكمة على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها ، فقيل له : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال : لو أنه أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي . وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه سُئل: أكان لقمان عليه السلام نبيًّا ؟ قال: لا، لم يوح إليه، وكان رجلا صالحا . وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث رضي الله تعالى عنه قال: كانت حكمة لقمان عليه السلام نبوة . وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله تعالى عنه قال: كان لقمان عليه السلام رجلا صالحا ولم يكن نبيًّا . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه قال : كان لقمان عليه السلام نبيا " .

(٢) ينظر: بداية المبتدي للمرغيناني (١ / ٦٦) , الدر المختار لابن عابدين (٣ / ٢١٠) ، لسان الحكام لإبراهيم بن أبي اليمن الحنفي (١ / ٣٢٣).

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾

قرئ﴿ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ بالنصب والرفع[1]. فمن نصب كان الضمير للحبة الواحدة ، ومن رفع فعلى اسم كان أو على أن كان تامة ، و﴿ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ اسمها . ﴿فَتَكُن فِي﴾ أقصى المخلوقات وأخفاها .﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ؛ إنه على كل شيء قدير . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ يتعلق علمه بكل معلوم وإن لطف ودق . وعن قتادة : ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجها﴿خَبِيرٞ ﴾ بمستقرها ومستودعها[2]. وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة ؛ كقوله [من الطويل] : .... كما شرقت صدر القناة من الدم [3].

وروي أن ابن لقمان قال له : أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ، أي: في مغاصه ، أيعلمها الله ؟ قال: إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة ؛ لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء . وقيل : هي الصخرة التي تحت الأرض ، وهي سجين يكتب فيها أعمال الكفار. وقرئ﴿ فَتَكِن ﴾ [4] بكسر الكاف من : وكن الطائر يكن : إذا استقر في وكنته ؛ قال امرؤ القيس [من الطويل] :

وقد أغتدي والطير في وكناتها .... [5]

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر " مثقالُ " بالرفع ، وقرأ الباقون " مثقالَ " بالفتح .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٥١٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٧٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور(٦ / ٥٢٢) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : وتشرق بالقول الذي أذعته ....
ينظر في : الأزهية في الحروف للهروي (ص : ٢٣٨) ، الأشباه والنظائر للسيوطي (٥ / ٢٥٥) ، خزانة الأدب للبغدادي (٥ / ١٠٦) ، ديوان الأعشى (ص : ١٧٣) ، الكتاب لسيبويه (١ / ٢٥) ، لسان العرب (شرق) ، والشاهد فيه : اكتساب المضاف " صدر " التأنيث من المضاف إليه " القناة " ولذلك أنث الفعل " شرقت " وذلك جائز إذا صح حذفه وكان بعضا أو كبعض .

(٤) قرأ بها عبد الكريم الجحدري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ /٢١٣).

(٥) هذا صدر بيت ، وعجزه : .... بمنجرد قيد الأوابد هيكل =

وهي مقره ليلا ، والأول أظهر ؛ أن المراد أي حبة كانت في أي صخرة كانت من السماوات والأرض .

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) ﴾

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ (١٨٣/ ب) مطلق في الأمر بكل صبر . وقيل : المراد واصبر على ما أصابك من إيذاء من نهيته عن المنكر .

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور ، أي : قطع به ، ومنه قوله- عليه السلام- : " لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل "[١]. وقوله - عليه السلام - : " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه "[٢]. وقوله : "عزمة من عزمات ربنا "[٣].

ومنه : عزمات الملوك ، وهو أن تقول للشخص : عزمت عليك لتفعلن وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر ، أي : من معزومات الأمور ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الفاعل؛ كقوله تعالى :﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [٤]. وصدق القتال ، وهذا تعظيم لما ذكر من هذه العبادات ، وأنها أمر مقطوع به لا محيد عنه . ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ ﴾ولا تصعر[٥] ؛ تقول : عالى

= ينظر في : خزانة الأدب (٣ / ١٥٦) ، ديوان امرئ القيس (ص : ١٩) ، شرح المفصل (٢ / ٦٦) .

(١) رواه أحمد (٦ / ٢٨٧) ، وأبو داود رقم (٢٤٥٤) ، والترمذي رقم (٧٣٠) ، والنسائي (١٩٧/٤)، وابن ماجه رقم (١٧٠٠) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (١٩٣٣) ، عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل رقم (٩١٤).

(٢) رواه أحمد (٢ / ١٠٨) ، وابن حبان رقم (٣٥٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ١٤٠) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وصححه الألباني في الإرواء رقم (٥٦٤) .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٣٤٤) ، والنسائي رقم (٢٤٠١) ، وأحمد رقم (١٩١٦٥) وذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٤ / ٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢٦٥).

(٤) سورة محمد ، الآية (٢١).

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم " ولا تصعر " بغير ألف ، وقرأ الباقون " ولا تصاعر " بألف .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٩٧).

البناء وأعلاه بمعنى ، والصعر والصيد : هو ميل العنق ، وأصله داء يصيب الإبل ، فتميل أعناقها ، والمعنى : أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ، ولا تولهم شق وجهك كما يفعل المتكبرون .

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أراد : ولا تمش تمرح مرحًا ، أي : أوقع المصدر موقع الحال يعني مارحًا ؛ كقولك : جاء زيد ركضًا ، أي : راكضًا ، ويجوز أن يريد المفعول من أجله ؛ أي : لا تمش في الأرض لأجل المرح ، ومنه قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا﴾ [(١)].

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي : ليكن مشيك متوسطًا بين الإسراع والوثوب ومشي المتماوتين. وقول عائشة في عمر : " كان إذا مشى أسرع "[(٢)] تعني : سرعة مرتفعة عن مشي المتماوتين .

يقال : شيء نكر تنكره النفوس ، ومنه : ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أي : أحقها بالإنكار . والحمار مثل لمن يرفع صوته فوق الحاجة ، ولفظ الحمار مستنكر حتى عدوا من جملة الآداب ألا يذكر لفظ الحمار في مجلس فيه أكابر الناس ، ويكنون عنه بطويل الأذنين . ومنه لفظ الكلب لما ضرب به المثل في الكفار قال﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [(٣)] وقال في التمثيل بالحمار : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [(٤)]. وقوله : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٤٧).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣ / ٧٦) وقال : غريب . وفي النهاية لابن الأثير عن عائشة قالت: " كان عمر إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع " .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٦).

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٥).

(٥) سورة المدثر ، الآية (٥٠).

وتمثيل رافعي الأصوات بالحمير وأمرهم بخفض الصوت ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ونقل الكلام عن التشبيه إلى الاستعارة إنكار بليغ عليهم . وأفرد الصوت ؛ لأن المراد أن كل واحد من هذا الجنس ، وصوته منكر وليس المراد أن أصواتها إذا اجتمعت تشبه بشيء مجتمع . ﴿ مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب (١٨٤/ أ) ﴿وغير ذلك وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ البحار والمعادن وما لا يخفى .

﴿وَأَسْبَغَ﴾ قرئ بالصاد [١] وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف ؛ تقول في سلخ : صلخ ، وفي سقر: صقر ، وفي سالغ : صالغ [٢]. فإن قلتَ : ما النعمة ؟

قلتُ : كل نفع قصد به الإحسان . والله تعالى خلق العالم كله نعمة ؛ لأنه إما حيوان وإما غير حيوان ، فأما الحيوان فالنعمة عليه بالإيجاد ، ونفخ الروح ، ولأنه لولا ذلك لما تهيأ منه الانتفاع بنعمة فهو نعمة ، وما ليس بحيوان نعمة على الحيوان وقد أكثر الناس في معنى الظاهرة والباطنة ؛ فقيل : الظاهرة : ما ترى العين ، والباطنة : ما تعلم بالاستدلال.

وقيل : الظاهرة : أعمال الجوارح ، والباطنة : أعمال القلوب . وعن الحسن : الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : الستر [٣]. وعن الضحاك : حسن الصورة ، وامتداد القامة ، وتسوية الأعضاء ، والباطنة : المعرفة [٤]. روي أن موسى عليه السلام قال : " إلهي دلني على أخفى نعمة أنعمت بها على عبادك ، فقال : أخفى نعمتي عليهم النفس " [٥]. وروي: أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس [٦] .

---

(١) قرأ جمهور القراء " وأسبغ " بالسين ، وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة " وأصبغ " بالصاد .
تنظر القراءات في : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٤١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٤) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣١٨) ، المحتسب لابن جني (١٦٨/٢).

(٢) يقال : سلغت الشاة والبقرة تسلغ سلوغا وهي سالغ : تم سمنها . وقال الأصمعي : هي بالصاد لا غير، وغنم سلغ كصلغ ، وسلغت البقرة والشاة تسلغ سلوغا إذا أسقطت السن التي خلف السديس فهي سالغ ، وصلغت فهي صالغ الأنثى بغير هاء وذلك في السنة السادسة . **ينظر** : لسان العرب (سلغ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٢٥).

(٤) رواه الطبري (٢١ / ٧٨) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٢٥).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٩٩).

(٦) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣ / ٧٧) وقال : غريب جدًا .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

أتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ، أي : في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب . وقرأ علي بن أبي طالب﴿ وَمَن يُسَلِّمْ ﴾ (١) بالتشديد ، يقال : سلم أمره إلى الله وأسلمه ، وقد عداه ها هنا بـ " إلى " وعداه باللام في قوله:﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ (٢) لأن المراد عندما تعدى باللام أنه جعل وجهه أي: ذاته خالصة لله ، وأما تعديته بـ " إلى " فكقولك : سلمت المال إلى زيد . ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ من باب التمثيل . جعل من أراد الدخول في أمر فهيأ له سببا قويًا شبيهًا بالعروة المستوثق منها ، فمن استمسك به سلم .﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ كقوله :﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (٣).

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ نُمَتِّعُهُمْ ﴾ زمانًا قليلا بدنياهم﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ الغلظ حقيقة في الأجسام ، مجاز في المعاني .﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله .﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ذلك إلزام لهم على إقرارهم . ﴿الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين﴿الْحَمِيدُ ﴾ الذي يجب حمده في السماوات والأرض .

---

(١) وقرأ بها أيضا السلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٩٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٥) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٣٢٩).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٠).

(٣) سورة هود ، الآية (١٢٣).

قرئ ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ بالنصب عطفا على اسم " إن " والرفع[1] عطفا على (١٨٤/ب) اسم " إن" ومعمولها . ﴿وَلَوْ﴾ ثبت أن الأشجار أقلام ، وثبت أن البحر ممدود بسبعة أبحر أو على الابتداء ، والواو واو الحال ، بمعنى : ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودًا ، والمعنى : ولو أن الشجر أقلام ، والبحر ممدود بسبعة أبحر ، وكتب بهن كلام الله لما نفدت الكلمات . فإن قيل : كيف جاز أن يكون قوله ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حالاً ولا ضمير فيه يعود إلى صاحب الحال ؟ قلتُ : هو كقوله [من الطويل] :

وقد أغتدي والطير في وكناتها[2]

وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ، ويجوز أن يكون المعنى : وبحرها والضمير للأرض ؛ فإن قلتَ : لم أفرد قوله :﴿شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل : من الشجر ؟

قلتُ : لأن المراد إذا استقريت شجرة بعد شجرة لم توجد إلا مبرية أقلاماً . فإن قلت : لم جمع الكلمات جمع قلة ، والمراد ها هنا الكثرة ؟ قلتُ : معناه : أن كلماته لا تفي بها كتبة ذلك ، فكيف بكلمة واحدة ؟!

وقيل : إن اليهود قالوا : أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. فأجيبوا بقوله :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية . وقيل : قال المشركون : إن هذا الذي يأتي به محمد كلام سينفد ، وأنه يتقوله فنزلت . وقيل : إن اليهود علَّموا المشركين أن يقولوا للمؤمنين : أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء[3] .

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

---

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب " والبحرَ " وقرأ الباقون " والبحرُ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٩١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٣٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٧) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ٨٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٢٦ – ٥٢٧).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي : إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، وهو يحاسب زيدًا في وقت محاسبته لعمرو ، ويبعث زيدًا في وقت بعثه لعمرو. ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ هو كقوله : ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [(١)]. وقيل : ما نقص من أحدهما زيد في الآخر. والأجل المسمى : يوم القيامة ؛ لأنه لا ينقطع جريهما إلى ضد ذلك . وقوله :﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ توقيت . وقوله : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ انتهاء للغاية .

﴿ ذَٰلِكَ﴾ الذي يوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان الله هو﴿ ٱلْحَقُّ﴾ وأن إلها غيره باطل.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ عن أن يشرك به شيئا . قرئ﴿ ٱلْفُلْكَ﴾ بضم اللام[(٢)] وكل فعل يجوز فيه فُعُل ؛ كما يجوز في كل فُعُل فعْل على مذهب التعويض ، وبنعمات الله – بسكون العين– ووزن فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ، والْبَحْرِ ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته . يكثر الموج ويتراكم فيصير كالظلل ، والظلة : كل ما أظلك من سحاب أو جبل أو غيرهما . ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد : المتوسط في الإخلاص ، يعني: (١٨٥/أ) أن ذلك الخوف حين كان في البحر لا يعود إلى الخائف . والمقتصد : قليل نادر . وقيل : مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر . والختر : أشد الغدر ، ومنه المثل : إنك لا تمد لنا شبرًا من غدر إلا مددنا لك باعًا من ختر[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (٥٤).

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٣٩١) قرأ بها موسى بن الزبير .

(٣) **ينظر المثل في** : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٠٣) ، لسان العرب (ختر) قال ابن منظور في اللسان : **الختر**: الغدر، ختر يختر فهو خاتر وختار للمبالغة . والختر : الفساد يكون ذلك في الغدر وغيره ، يقال : ختره الشراب إذا فسد بنفسه وتركه مسترخيا ، والختر كالخدر ، وهو ما يأخذ عند شرب دواء أو سم حتى يضعف ويسكر .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ (٣٤) ﴾

﴿لَّا يَجْزِي﴾ عنه ، لا يقضي عنه شيئًا ، ومنه قوله في جذعة ابن نيَّار: " تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك "[1]. والغرور : الشيطان . وقيل : الدنيا . وقيل : تمنيكم في المعصية المغفرة بغير توبة . وقيل : هو ذكرك لحسناتك ، ونسيانك لسيئاتك غرة . وقرئ بضم الغين[2] وهو مصدر غر غرورا ؛ فإنه جعل الغرور غارًا . قوله :﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ أكد نفي الإجزاء عن الوالد للولد ؛ لأن أكثر الصحابة أسلموا وآباؤهم على الكفر فأكد نفي الانتفاع بشفاعتهم في الآخرة . روي أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ عن هذه الخمس ؛ فأنزل الله هذه الآية[3]. وعن ابن عباس : " من ادعى معرفة هذه الخمس فقد كذب ، إياكم والكهانة؛ فإن الكهانة تدعو إلى الشرك ، والشرك أهله في النار "[4].

وروي أن المنصور أهمه معرفة ما بقي من عمره ، وكان يدعو أن يعلم بذلك عقب كل صلاة ، فرأى في المنام كفًا خرجت من البحر بخمسة أصابع ، فسأل العلماء عن تعبيرها فقال قوم : خمس سنين . وقيل : خمسة أشهر . وقيل : غير ذلك ، حتى قال أبو حنيفة : إن

---

(١) رواه البخاري رقم (٥١٣٠) ، وأبو داود رقم (٢٤١٩) ، الترمذي رقم (١٤٢٨) ، وابن ماجه رقم (٣١٤٥) ، وأحمد رقم (١٤٣٩٩) ، وابن نيار ، اسمه هانئ واسم جده عمرو بن عبيد ، من حلفاء الأنصار ، وشهد العقبة وبدرا والمشاهد وعاش حتى سنة ٤٢ وقيل : ٤٥ هـ . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري .

(٢) قرأ بها سماك بن حرب وأبو حيوة وابن السميقع . وقراءة الجمهور " الغَرور " بفتح الغين . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٩٤) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٨١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٤٥)، المحتسب لابن جني (٢ / ١٧٢).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٦) ونسبه لابن مردويه عن أبي أمامة وسلمة بن الأكوع . وروى أحمد في المسند (٢٢٠٤٦) نحوه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٠٥).

هذه الخمس استأثر الله بعلمها ؛ فليس لأحد سبيل إلى معرفتها[١] .

وفي الحديث : " خمس لا يعلمهن إلا الله ، وتلا الآية "[٢].

وجعل العلم والدراية للنفس ؛ لما في الدراية من معنى الحيل .

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٠٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٠٤) ، ومسلم رقم (١٠ – ١١) ، وهو جزء من حديث جبريل المشهور .

سورة السجدة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ على أنها اسم للسورة مبتدأ ، و﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبره ، وإن جعلته تعديدا للحروف ارتفع ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو: هو مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والوجه أن يرتفع ﴿الٓمٓ﴾ بالابتداء ، وخبره :﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملة معترضة ، والضمير في﴿فِيهِ﴾ راجع إلى مضمون الجملة ، أي : في كونه مُنزلا من ربِّ العالمين . أثبت أولا أنه منزل من رب العالمين ، وأنه لا ريب فيه ولا شك ، ثم انتقل إلى تقريعهم على ما يعتقدونه من أنه مفترى .

فإن قلتَ : نفى أن يكون مرتابا فيه ، وأثبت ما هو أشد من ذلك ؛ أن يكون مفترى ؟

قلتُ : إنما نفى الريب لأن القرآن معجزة الرسول ﷺ وإذا (١٨٥/ ب) انتفى الريب عن المعجزة صحَّ الإسلام ، ولا شيء أنفع من صحته ، وأما قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فهو إما قول متجاهل يعلم أن الأمر بخلاف ذلك ، أو معاند مكابر لا غيره يقوله ؛ فكان الأول أهم. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ ؛ كقوله : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [(١)].

فإن قلتَ : فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة ؟ قلتُ : أما معرفة الله تعالى ووحدانيته وعلمه وقدرته فهو ثابت بأدلة العقل ، وأما ما سوى ذلك فلا .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يكون على ترجية النبي ﷺ ؛ كما كان قوله : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [(٢)] على ترجية موسى وهارون . والثاني : أن يستعار الترجي للإرادة ؛ أي : إرادة أن تهتدوا ، وهو بعيد ؛ لأنه لو أراد أن يهتدوا لاهتدوا .

---

(١) سورة يس ، الآية (٦).

(٢) سورة طه ، الآية (٤٤).

قيل : إن " لا " في قوله :﴿ وَلَا شَفِيعٍ﴾ زائدة ، وليس كذلك ؛ فإنه لو قال : ما لكم من دونه من ولي وشفيع . انتفى مجموع الأمرين ، فإذا وجد الشفيع دون الولي أو بالعكس لم يناقض ذلك . أي : فبطل فكركم الصحيح فلا تتذكرون ، أي : من قدر على خلق الأعلى الأعظم وهو السماوات والأرض فهو على ما سواهما أقدر ؛﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (١). ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ الآيات (٢).

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ٱلْأَمْرَ﴾ المأمور به من الطاعات ، ينزله مدبرًا من السماء إلى الأرض ، ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة ؛ لقلة عمال الله المخلصين ، وقلة الأعمال الصاعدة ؛ لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ، دل عليه قوله على أثره : ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الدنيا وهو ألف سنة ؛ كما قال : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٣). ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يصير إليه ، ويثبت عنده ، ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ، ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر – أيضًا – ليوم آخر وهلمَّ جرًا إلى أن تقوم الساعة . وقيل : ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو ردِّه مع جبريل ، وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة ؛ لأن المسافة في الصعود والنزول مقدار ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل (١٨٦/أ) عليه السلام؛ لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد . وقيل : يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ، ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله ليحكم فيه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة ، وقال في موضع آخر﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤). فعن ابن عباس: " هذه سنون لا أدري ما هي " (٥). وقيل : ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تقدير عروج الملائكة من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب الجد في خمسين ألف سنة ،

(١) سورة غافر ، الآية (٥٧).

(٢) سورة النازعات ، الآية (٢٧).

(٣) سورة الحج ، الآية (٤٧).

(٤) سورة المعارج ، الآية (٤).

(٥) رواه الطبري في التفسير (٢٩ / ٧٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٣٧ – ٥٣٨) =

من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب المجد في خمسين ألف سنة ، وقوله - ها هنا - : ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو لمدة العروج من سماء الدنيا إلى الأرض أو عكسه . وقيل : اختلاف القول في ذلك اليوم يوجب ظنونا مختلفة ؛ فبعض من اشتد عليه الهول يقدره بخمسين ألف سنة ، وبعض من كان أنقص عذابًا يقدره بألف سنة .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي : حسنه ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن ؛ كقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) . وقيل : علم كيف يخلقه ؛ من قولهم : قيمة المرء ما يحسن وقرئ ﴿خَلْقَهُۥ﴾ (٢) على البدل من ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي : أحسن كل شيء وخلقه ؛ على الوصف لـ " شيء " . سميت الذرية نسلا ؛ لأنها تنسل من الإنسان ، أي : تخرج من صلبه ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ من مني مستقذر تكره أن تراه على ثوبك أو بدنك .

= لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة - رضي الله تعالى عنه - قال: "دخلت على ابن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه - قال فيروز : يا ابن عباس، قوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فكأن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - اتهمه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتخبرني . فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم . فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب - رضي الله عنه - فسأله عنها إنسان فلم يخبر ، ولم يدر ، فقلت : ألا أخبرك بما أحضرت من ابن عباس ؟ قال : بلى فأخبرته ، فقال للسائل : هذا ابن عباس - رضي الله عنهما - أبى أن يقول فيها وهو أعلم مني " .

(١) سورة التين ، الآية (٤).

(٢) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف " خَلَقَه " وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " خَلْقَه " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٩٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٧) .

﴿سَوَّىٰهُ﴾ قومه ؛ كقوله :﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [(١)]. ودل بإضافته الروح إلى ذاته الشريفة على أنه مخلوق عظيم لا يعلم قدره ؛ كقوله : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الآية [(٢)] . كأنه قال : ونفخ فيه من الشيء الذي اختص بمعرفته .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ وَقَالُوٓاْ﴾ أضاف القول إلى جميعهم ، والقائل أُبيْ بن خلف ؛ رضاهم بقوله .

﴿ضَلَلۡنَا﴾ صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه ؛ كما يضل الماء في اللبن ، أي : غبنا في الأرض بالدفن فيها ، وقرئ بكسر اللام ، وقرئ ﴿صَلَلۡنَا﴾ [(٣)] بالصاد المهملة ؛ أي : أنتنت أجسادنا تحت الأرض ، وانتصب الظرف في ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾ بما دل عليه ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾ وهو : نبعث ، أو : يجدد خلقنا.

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ هو الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وما بعده ، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أشد منه وهو كفرهم بالعاقبة لا بالإنشاء وحده ، ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى (١٨٦/ ب) الله عز وجل .﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ هو من استيفاء الحق ، يقال : وفيت فلانًا حقه. إذا أعطيته له كاملا . ﴿ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ بقبض أرواحكم . وقيل : إن الأرض بين يدي ملك الموت يقبض منها ما يشاء .

---

(١) سورة التين ، الآية (٤).

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٥).

(٣) قرأ بكسر اللام يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء ، وقرأ " صللنا " بالصاد علي بن أبي طالب والحسن والأعمش وأبان بن سعيد ومعناه : أنتنا . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٠٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٦) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٥٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٠) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣١).

معه أعوان من الملائكة ؛ لقوله تعالى :﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [١]. وقيل : ملك الموت تعرفه الأرواح فتجيبه ، ثم يأمر أعوانه بقبضها .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون تمنيًّا ، أي : وليتك تراهم . والثاني : أن تكون شرطية وجوابها محذوف ؛ تقديره : لرأيت أمرًا فظيعًا ، أو : لرأيت أسوأ حال ، ويجوز أن يخاطب غير معين ؛ كما تقول : فلان لئيم ؛ إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تريد به مخاطبًا معينًا ، وكأنك قلت : إن أكرم وإن أحسن إليه ، والمعنى في قوله عز وجل ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ الترك والإهمال ، أي : لم تعملوا للقاء هذا اليوم .﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم ، أي : جازيناكم على نسيانكم ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [٢] وقيل : هو بمعنى الترك .﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ العذاب المخلد بسبب أعمالكم القبيحة .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا ﴾بادروا بوضع جباههم على الأرض ؛ مسارعة إلى الطاعة ، وشكرًا على ما رزقوا من الإسلام .

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وسبحوا الله تعالى حامدين غير مستكبرين كما يفعل المنافقون من إظهار الطاعة . ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ترتفع وتتنحى عن المضاجع ، أي : عن الفرش ومواضع النوم ، وفي الحديث : " أن مناديا ينادي يوم القيامة يُسمع الخلائق كلهم : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع. فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في البأساء والضراء. فيقومون وهم قليل ، فيدخلون جميعًا إلى الجنة ، ثم يحاسب سائر الناس " [٣] .

وقيل : كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يُصلُّون من صلاة المغرب إلى صلاة

(١) سورة الأنعام ، الآية (٦٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٤).

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٣٨) للبيهقي في شعب الإيمان ، عن ربيعة الجرشي .

العشاء الآخرة ؛ فنزلت فيهم[١]. وقيل : هم الذين يصلون صلاة العشاء ولا ينامون عنها .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - يقول الله - تعالى- : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ "[٢]. وعن الحسن : أخفى القوم أعمالهم في الدنيا فادخر الله لهم ، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت[٣]. وقرئ﴿ مَّآ أُخْفِىَ ﴾ بسكون الياء ؛ على أنه فعل مضارع ، وبفتحها على البناء[٤] . وقرة العين: سكونها ؛ فلا تمتد لطلب ما ليس لها ، من قر بالمكان أي : استقر به . وقيل : من قرت العين : دمعت دمعًا باردًا ، وهو دمع السرور .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٢١ / ١٠٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٤٦).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٤٤ ، ٤٧٧٩) ، ومسلم رقم (٢٨٢٤) ، وأحمد في المسند (٢ / ٤٦٦) ، والترمذي رقم (٣١٩٧) ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١٠٦) عن الحسن بلفظ : " أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم " .

(٤) قرأ حمزة ويعقوب " ما أخفيْ" وقرأ الباقون " أُخْفيَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٠٢)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥١٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٧) .

ودمعة الحزن حارة ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾كلاهما على لفظ " من " ، وهو للإفراد ، و﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ حمل على المعنى في الجمع .﴿ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ مذكورة في سورة النجم[١] تأوي إليها أرواح الشهداء . النزل : دار الضيافة .﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ من القتل والأسر يوم بدر ، وما امتحنوا به من القحط سبع سنين . وعن مجاهد : عذاب القبر و ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ عذاب الآخرة[٢] . روي أنه وقع كلام بين علي والوليد بن عقبة بن أبي معيط ؛ فقال له الوليد : اسكت ؛ فإنك صبي ، وأنا أملأ منك حشوًا في الكتيبة ؛ فقال له علي رضي الله عنه : اسكت فإنك فاسق ؛ فنزلت : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾الآيات[٣] .

قوله : ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾أتى بـ " ثم " للاستبعاد ، والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وهدايتها إلى سواء السبيل الفوز بالسعادة بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك : وجدت مثل هذه الفرصة ثم لم تنتهزها .

﴿ٱلْكِتَٰبَ ﴾ للجنس ، والضمير في﴿لِّقَآئِهِۦ﴾ لموسى ؛ أي : من لقاء موسى التوراة ، ويجوز أن يكون من لقاء الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٤] وقد ذكر . ﴿يَفْصِلُ ﴾ يميز الحق من الباطل ، أو يحكم ، وأهل اليمن يسمون القاضي المفتصل . وربما سموه فصيلا ؛ فعيلا بمعنى فاعل .

﴿يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يبين لهم كثرة إهلاكنا ،﴿كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ في موضع المفعول ، ولا يكون فاعلاً؛ لا تقول : لقيني كم رجل .﴿ ٱلْجُرُزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها ، أي : قطع بحصاد أو رعي أو بآفة سماوية . وقيل : الغليظة .﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي : بالماء في كل من الزرع . ﴿أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ من عصفه و﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبه .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠) ﴾

---

(١) الآية (١٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١١٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١٠٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٥٣) لأبي الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر .

(٤) سورة يونس ، الآية (٩٤).

﴿ٱلْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة ؛ لقوله : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [(١)]. وكان المسلمون واثقين بما وعدهم الله تعالى به من النصر ويشيعونه بينهم ؛ فيقول الكفار: (١٨٧/ ب) ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ وهذا يدل على أنه يوم القيامة ، فإنه في يوم بدر لو آمن منهم أحد قُبل . ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل : نسخت بآية السيف . وقيل : الإعراض عن السفيه ليس بمنسوخ ؛ فهي محكمة[(٢)]. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي : هم بصدد أن تلقاهم الملائكة يوم القيامة ، فيغلون أعناقهم بالسلاسل ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [(٣)] أجارنا الله تعالى من عذابه ونقمته وأدرج خطايانا في سعة رحمته .

* * *

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (٨٩).

(٢) ينظر : جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (١ / ٣٠٨).

(٣) سورة غافر ، الآية (٧١ – ٧٢).

سورة الأحزاب [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
(١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى
تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ
ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي : دُم على التقوى . ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يدعونك إليه . روي أنهم قالوا له : إن العرب لا تحتمل القهر فاعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ؛ فنزلت [(١)]. كان رجل من العرب فصيح اللسان يقال له أبو عمرو ، وكان يقول : إن لي قلبين أعقل بكل منهما كما يعقل محمد ؛ فأنزل الله تعالى ذكره ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [(٢)]. ومثل ذلك بمثالين ؛ أن تكون المرأة أم الرجل وهي زوجته ، وجعل الدعي نسيبًا ؛ فكما لا يجتمع هذان الأمران لا يجتمع أن يكون للرجل قلبان .﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ وكل قول لا يعضده دليل يعبر الله تعالى عنه بأنه قول بالفم ، وإن كانت الأقوال كلها بالفم ، أي : لا يواطئ عليها القلب . وقوله :﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾ زيادة تصوير للأمر كأنك تشاهده ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [(٣)]. وقوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [(٤)].

وقد اشتق لفظ الظهار من قوله : أنتِ عليَّ كظهر أمي . وكذلك تأفف الرجل إذا قال : أفٌ. وإنما عدي " ظاهر " بـ " من " . وكان الظهار طلاقـا في الجاهلية تجتنب فيه المرأة المظاهر منها ؛ لأنه ضمن " تظاهر " معنى " تباعد " فعدي تعديته .

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٦٤ رقم ٦٨٨).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٢١ / ١١٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٦١) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٣٨).

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٦).

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾

وقيل: كانت العرب إذا رأوا من رجل جمالا وسيرة حسنة ضمه رجل منهم إلى نفسه وتبناه ، جعله ابنه وأعطاه ما يعطي أحدًا أولاده ، ثم نسخ ذلك بقصة زيد بن حارثة ، ونزل فيه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية[(١)].

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾لهم أبًا فهم إخوانكم في الدين ، نَصِفُه بالأخوة ، ولا نَصِفُه بالبنوة .

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ﴾في موضع خفض ، عطفا بلفظة " لكن " على " ما " في قوله : ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم﴾ ويجوز أن (١٨٨/أ) يكون محله الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف تقديره : ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح . وقوله : ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم﴾ يريد به تسميته الدعي ابنًا قبل التحريم أو بعده على سبيل الإكرام للشخص ، ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ به في مسألة الدعي وغيره . فإن قلتَ : ما حكم التبني ؟ قلتُ : إذا استلحق صبيًا في سن تحتمل أن يكون ولدًا له ثبت النسب والميراث ، وإن كان عبدًا عتق مع ثبوت النسب ، وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ، ولكنه يعتق عند أبي حنيفة ، ولا يعتق عند صاحبيه . وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني ، وإن كان عبدًا عتق[(٢)].

قوله : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ تجب طاعته عليهم في المنشط والمكره ، وتقديم أوامره على مصالح أنفسهم ، حتى قال بعض أصحاب الشافعي : يجوز له – عليه السلام – أن يأخذ الماء من العطشان ، وإن لم يكن الرسول ﷺ مضطرًا ، ويجب أن يبذلوا نفوسهم له [(٣)].

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٢١ / ١١٩).

(٢) ينظر: الهداية شرح البداية للمرغيناني (٢ / ٥١ ، ٥٢) ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين بن إبراهيم (٢ / ٢٥٠).

(٣) ينظر: روضة الطالبين للإمام النووي (٧ / ٨) ، وكذا مذهب الحنابلة ، ينظر : الإنصاف للمرداوي (٨ / ٤١ ، ٤٢) ، كشاف القناع للبهوتي (٥ / ٢٧).

ويجوز أن يكون المراد : النبي أولى بالمؤمنين بشفقته عليهم والسعي في مصالحهم ، وأرأف بهم وأرحم ؛ لقوله تعالى : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وعن النبي ﷺ أنه قال : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ؛ اقرؤوا ما شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ "[٢]. وفي قراءة ابن مسعود : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم "[٣]. وقال مجاهد : كل نبي أبو أمته[٤] صار المؤمنون إخوة بذلك ؛ لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم . واعلم أن هذه النسبة لا تتفرع تفرع الأنساب ؛ فلا يقال معاوية خال المؤمنين ، وما أشبه ذلك من الأنساب، واختلفوا في نساء النبي ﷺ هل هن أمهات لنساء المؤمنين ؟ على وجهين . ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في بعض الأحكام ؛ وهي تحريم نكاحهن بقوله تعالى : ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[٥]. واحترامهن ، وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات . وقول عائشة رضي الله عنها : " لسنا أمهات النساء "[٦] تريد به أن تحريم زوجات النبي ﷺ إنما يظهر في الرجال ؛ لأن المرأة بالنسبة إلى المرأة لا توصف بحل ولا حرمة . وقد تزوج عثمان ابنتي رسول الله ﷺ وتزوج علي فاطمة ، ولم يقل لأحد منهم إنه تزوج أخته من أبيه . وكان المسلمون في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف والنصرة والهجرة ، ثم نسخ ذلك بقوله : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (١٨٨/ ب).

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ عني : اللوح المحفوظ ، أو : فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية ، أو آية المواريث ، أو: فيما فرض ؛ كقوله : ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[٧]. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ يجوز أن يكون بيانًا لأولي الأرحام ، أي : الأقرباء من المؤمنين والمهاجرين ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٩٩) ، ومسلم رقم (١٦١٩) ، والترمذي رقم (١٠٧٠) ، والنسائي (٦٦/٤) ، وابن ماجه رقم (٢٤١٥) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تقدم تخريجها في تفسير سورة هود ، الآية (٧٨) .

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره (١ / ١٣١) ط . دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٣ م.

(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٥٣).

(٦) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٢٣) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٦٧) ونسبه لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عائشة: " أن امرأة قالت لها : يا أمي . فقالت : أنا أم رجالكم ، ولست أم نسائكم " .

(٧) سورة النساء ، الآية (٢٤).

أي : بعضهم أولى بأن يرث البعض من الأجانب ، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية ، أي : أولى بالميراث ، أي : أولى من المؤمنين بحق الولاية في الدين ، ومن المهاجرين بحق الهجرة .

فإن قلتَ : مم استثنى قوله : ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ ؟ قلت : من أعم العام في معنى النفع والإحسان ؛ كما تقول : القريب أولى من الأجنبي بالتركة إلا أن يوصى له ، والمراد بفعل المعروف الوصية ؛ لأنه " لا وصية للوارث "[١]. وعدي ﴿تَفۡعَلُوٓاْ﴾ بـ " إلى " لأنه في معنى تسدوا ، والمراد بالأولياء : المؤمنون والمهاجرون ، الولاية في الدين .

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الآيتين جميعًا ، وتفسير الكتاب ما مرَّ آنفًا ، والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكره من الأحكام .

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا (٧)﴾

واذكر حين أخذنا من النبيين جميعًا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء للدين القيم ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا ﴿وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عن الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ، ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[٢] بصدقهم في عهدهم وشهادتهم فتشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم ، وأنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه .

أو: ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم ؛ لأن من قال لصادق: صَدَقْ . كان صادقًا في قوله، أو : ليسأل الأنبياء : ما الذي أجابتهم به أممهم ؟ وفائدة سؤال الرسل تبكيت أممهم المكذبين . وقدم رسول الله ﷺ وذكر بعده مشايخ الأنبياء ؛ أما نوح فلأنه الأب الأصغر، والخلق كلهم أولاده ، وأما إبراهيم ؛ فلأنه أبو هذه الأمة ؛ قال الله تعالى :﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٣]. وأما موسى وعيسى ؛ فلأنهما صاحبا الكتابين والشريعتين ؛ لأن هذا الذكر

---

(١) هذا جزء من حديث أبي أمامة في خطبة الوداع ، رواه أحمد في المسند (٥ / ٢٦٧) ، وأبو داود رقم (٢٨٧٠) ، والترمذي رقم (٦٧٠) ، وابن ماجه رقم (٢٥٠٧) ، وحسنه الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء رقم (١٦٣٥ ، ١٦٥٥).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨).

إنما هو للتشريف ، وقدم الأشرف فالأشرف . فإن قلت : فقد جرى تقديم نوح مع أنه ليس بأفضل من محمد ﷺ في قوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾[١].

قلت : سياق تلك (١٨٩/ أ) الآية مخالف لهذا السياق ؛ لأنهم اتبعوا الدين الحق ؛ لقوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ ثم قال :﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢] فكأنه قال : شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوحًا في العهد القديم ، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث ، وبعث عليه من توسطهما من الأنبياء والمشاهير. قوله : ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ليس المراد منه أخذ ميثاقا آخر ؛ بل هوهو ، والتقدير: وأخذنا منهم بأخذ العهد ميثاقا غليظًا.

﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

قوله : ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ معطوف على قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾، والتقدير : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، وأعتدنا للكافرين عذابًا أليما.﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يوم الأحزاب وهو يوم الخندق .﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا ؛ قال ﷺ : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور "[٣].﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة ، وكانوا ألفًا فبعث الله عليهم ريحًا باردة في ليلة شاتية ، فاشتد عليهم البرد ، وسفت عليهم الريح التراب في وجوههم ، وأمر الملائكة فاقتلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب[٤] وأطفأت النيران، وأكفأت القدور ، وماجت[٥] الخيل بعضها في بعض ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ،

---

(١) سورة الشورى ، الآية (١٣).

(٢) سورة الشورى ، الآية (١٣).

(٣) رواه البخاري رقم (١٠٣٥ ، ٣٢٠٥٠، ٣٣٤٣) ، ومسلم رقم (٩٠٠) ، وأحمد في المسند (١/ ٣٢٤)، وابن حبان رقم (٦٤٢١) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) **الأطناب** : ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق (ابن سيده). **الطنب**: حبل طويل يشد به البيت والسرادق بين الأرض والطرائق، وقيل: هو الوتد والجمع أطناب و طنبة . **ينظر** : لسان العرب (طنب).

(٥) **ماج** البحر يموج موجا و موجانا و مؤوجا و تموج اضطربت أمواجه و موج كل شيء و موجانه اضطرابه وماج الناس دخل بعضهم في بعض . **ينظر** : لسان العرب (موج).

وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم ، فقال طليحة بن خويلد : أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا[١] فانهزموا من غير قتال ، وانهزم الأحزاب ، وحين سمع رسول الله ﷺ بقدومهم وإقبالهم حفر الخندق ، وأشار عليه بذلك سلمان الفارسي ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب معسكرهم والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء ، فرفعوا الآطام[٢] واشتد الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، ونجم[٣] النفاق من المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير[٤] : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ، وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش[٥] وهي كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد ، وقائدهم عيينة بن حصن (١٨٩/ب) وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا بالنبل والحجارة ، حتى أنزل الله النصر[٦].

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ

---

(١) **النجا** : السرعة في السير وقد نجا نجاء ممدود ، وهو ينجو في السرعة نجاء وهو ناج سريع و نجوت نجاء أي أسرعت وسبقت وقالوا: النجاء النجاء والنجا النجا فمدوا وقصروا . **ينظر** : لسان العرب (نجا).

(٢) **الأطم** : حصن مبني بحجارة وقيل: هو كل بيت مربع مسطح. وقيل: الأطم مثل الأجم يخفف ويثقل والجمع القليل آطام وآجام . **ينظر** : لسان العرب (أطم).

(٣) **نجم الشيء** : ظهر وطلع وبابه دخل يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلعت . **ينظر** : لسان العرب (نجم).

(٤) هو معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاري الأوسي ، ذكر فيمن شهد العقبة . وقيل إنه كان منافقا ، وإنه الذي قال يوم أحد : (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) وقيل : إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا . **تنظر ترجمته في** : الاستيعاب لابن عبد البر(٣ / ١٤٢٩) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦ / ١٧٥).

(٥) **الأحابيش** : أحياء انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ؛ سموا بذلك لاسودادهم ، فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قبل تجمعها صار التحبيش في الكلام كالتجميع . وحبشي : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشا وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار وما أرسى حبشي مكانه فسموا أحابيش قريش باسم الجبل . **ينظر** : لسان العرب (حبش).

(٦) رواه الطبري في التفسير(٢١ / ١٣٠ – ١٣١) ، ونسبه له الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣ / ٩٩) وزاد نسبته لابن هشام في السيرة النبوية .

وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل نجد وهم غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي قريش ؛ تحزبوا وقالوا : سنكون جملة واحدة ؛ حتى نستأصل محمدًا .

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة . وقيل : عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلى عدوِّها من شدة الخوف . الحنجرة : رأس الغلصمة [١] وهي منتهى الحلقوم . وإذا زاد الهم أو الخوف أو البلاء ارتفع القلب إلى الحنجرة ، ويجوز أن يكون تمثيلا للهول ، وإن لم يبلغ الحناجر حقيقة . ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ يشمل الظان المخلص والمشكك ، فيقول الظانون بالحق : الله يبتلي عباده بما يشاء ، ويقول الشاكون : لو تيقَّنا الحق لانتصرنا وما انهزمنا . والوعود التي سبقت من النبي ﷺ ما كانت إلا غرورا بالنصر .

﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾ قرئت بإلحاق ألف في الوصل ؛ إجراءًا له مجرى الوقف[٢] ؛ كقوله [من الوافر] :

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا وقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا[٣]

---

(١) **الغلصمة** : رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناتىء في الحلق والجمع : الغلاصم . وقيل : الغلصمة : اللحم الذي بين الرأس والعنق . وقيل : متصل الحلقوم بالحلق . **ينظر** : لسان العرب (غلصم).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر " الظنونا " بإثبات الألف وصلا ووقفا . وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب " الظنون " بحذف الألف وصلا ووقفا ، وأثبتها وقفا وحذفها وصلا عاصم في رواية حفص عنه والكسائي وابن كثير وخلف .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢١٧)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٧٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٠٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٧) .

(٣) البيت لجرير **ينظر في** : خزانة الأدب (١ / ٦٩) ، الخصائص لابن جني (٣ / ٦٩) ، الدرر اللوامع (٥/ ١٧٦) ، ديوان جرير (ص : ٨١٣) ، شرح أبيات سيبويه (٢ / ٣٤٩) ، شرح الأشموني (١/ ٢١) ، همع الهوامع (٢ / ٨٠) .

والمعنى : أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج .

﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ معتب بن قشير ، وأوس بن قبطي . وقيل : عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه ، و﴿يَثْرِبَ﴾ اسم المدينة . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا قرار لكم .﴿ فَٱرْجِعُواْ﴾ إلى بيوتكم ؛ أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ .

وقيل : المراد بـ " ارجعوا " أن يرجعوا إلى دينهم الأول ، ويسلموا محمدًا وإلا فليس هذا المكان مكان حرب﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي : ليست بمحصنة ، والعدو متمكن منها وهم كاذبون ، بل كانت بيوتهم محصنة ؛ كذبهم الله وبين أن ليس قصدهم بذلك إلا الفرار.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم ﴾المدينة . وقيل : بيوتهم ، تقول : دخلت على فلان داره ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها .﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ﴾ الرجوع إلى دينهم ، ومن قرأ﴿ لَأَتَوْهَا﴾ بالقصر، أي : لجاءوها ، ومن قرأ بالمد(١) فمعناه : لأعطوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾أي بإعطاء كلمة الكفر . قيل : ما تلبثوا بها ؛ أي : بالمدينة ، فإذا خالفوا (١٩٠/أ) الأمر وأعطوا الكفر غضب الله عليهم فابتلوا وأخرجوا من ديارهم ؛ وذلك لمقتهم الإسلام وبغضهم لأهله ، وكان رسول الله ﷺ قد عاهد الأنصار ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم . وقيل : هم قوم اتفقت غيبتهم عن بدر ؛ فقالوا : فاتنا مغنم بدر وثوابها، والله لئن أشهدنا الله موقفا مع الرسول ﷺ لنبلغن الجهد في القتال ؛ فلما جاءت وقعة أحد انهزموا ، وعتبهم الله بقوله :﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ﴾ الآية ﴿مَسْـُٔولًا﴾ مطلوبا حتى يوفَّى به.﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ مما لابد لكم من نزوله بكم ، وإن منعكم الفرار ومنعتم بالبقاء لم

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر " لأتوها " وقرأ الباقون " لآتوها " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢١٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٠٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٨).

يكن زمن تمتعكم إلا قليلا . وروي أن بعض بني مروان مر بحائط مائل فأسرع في الذهاب ؛ فقيل له : ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال: ذلك القليل أطلب .

فإن قيل : كيف ذكر العصمة وإذا حصلت العصمة انتفى السوء ؟! قلت : حمل الثاني على الأول ؛ لما في العصمة من معنى المنع . وقيل : المراد : أن يعصمكم من السوء إن أردتم رحمة .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ الذين كانوا يثبطون الناس عن القتال ، ويلقون في مسامع المسلمين : إن إخوانكم من الغزاة قتلوا ، فتعالوا نجتمع ونكن حزبا واحدًا .

و﴿هَلُمَّ﴾ بمعنى تعال ، وأهل الحجاز لا يثنونه ولا يجمعونه ؛ يقولون للرجل وللرجلين وللرجال : هلم وغيرهم يقول : هلمي وهلما وهلموا وهلممن .

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زمانا قليلا . ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقت الحرب بخلا بكم ، خشية أن يصيبكم مكروه . ﴿يَنظُرُونَ﴾ إليكم في تلك الحالة ؛ كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرة الموت وحذرًا وخورًا . ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ووقعت القسمة جاءوا يطلبون نصيبهم منها بألسنة حداد وقالوا : وفّروا قسمنا منها . قوله : ﴿أَشِحَّةً﴾ حال ، وإنما ذكر الإحباط في أعمال المنافقين مع أن أعمالهم محبطة من أصلها ؛ لدفع وهم من يظن أن المنافق لإظهار دين الإسلام قد يتخيل له نصيب من الأجر لما أظهر من إيمانه ؛ فقطع مطامعهم بذلك . فإن قيل : ما معنى قوله :﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكل شيء يسير عليه ؟ فجوابه أن الرجل الصالح (١٩٠/ ب) حقيق ألا يناله مكروه ؛ فإن وقع ذلك فهو على مخالفة الدليل . وجاء في الحديث عن الله تعالى أنه قال : " ما ترددت في شيء ترددي في قبض روح

عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " [(١)].

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ لم ينهزموا وقد انهزموا وانصرفوا عن الخندق راجعين إلى المدينة ؛ لما نزل بهم من الخوف الشديد . ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ كرة ثانية يتمنوا ؛ لخوفهم مما مُنوا به ﴿ لَوْ أَنَّهُم ﴾ خارجون إلى البدو . ﴿ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ من كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم . ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم ﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال :﴿ مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا بعلة رياء وسمعة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ في ثباته مع انهزامكم حتى كسرت رباعيته ، وشج وجهه وقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فيه وجهان : أحدهما: أن الرسول نفسه أسوة ، أي : يقتدى به ؛ كما تقول : في البيضة عشرون منًا ؛ أي: هي في نفسها هذا المبلغ . والثاني : أن فيه خصلة حقها أن يتأسى بها.

قوله : ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بدل من قول : " لكم " بإعادة الجار ؛ كقوله :﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ [(٢)].﴿ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ قيل : يخافه . وقيل : يأمله . وقيل: الأمران ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

وكان رسول الله ﷺ قد قال لأصحابه : " يأتيكم الأحزاب لتسع أو عشر ، يعني : لتسع ليال أو عشر ، فلما جاءوا في العدد الذي ذكره رسول الله ﷺ ﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [(٣)] ﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ رؤية ذلك ﴿ إِلَّآ إِيمَـٰنًا ﴾ بالله ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾

---

(١) هذا جزء من الحديث القدسي المشهور الذي أوله : " من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ... " الحديث .

رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٠٢) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٧) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٧٥) .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣ / ١٠٠) عن ابن عباس ، ولم يعلق عليه .

لقضائه . و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الخطب .

نذر جماعة من الصحابة أنهم إن حضروا مع رسول الله ﷺ أن يقاتلوا حتى يقتلوا منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وغيرهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني : حمزة ومصعبًا . ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يعني : عثمان وطلحة . وفي الحديث : "من أحب أن (١٩١/أ) ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة "[(١)]. وقضاء النحب : الموت فإنه إذا مات انقطع النذر ولم يبق وفاء بالشرط ؛ فعبر عن انقضاء حكم النذر بوفائه ، يقال : صدق وعده إذا صدق . وقولهم : صدقني أخوك وكذبني ، أي : قال لك الصدق والكذب ، وأما قولهم : صدقني سن بكره[(٢)] ؛ فالمراد : صدقني في سن بكره [بطرح الجار] [(٣)] وإيصال الفعل ، فلا يخلو قوله : ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إما أن يكون مثل " صدقني في سن بكره " أو يجعل المعاهد عليه مصدرًا ؛ كقولك : صدقني الحديث ؛ كأنهم قالوا للمعاهد عليه : سنفي بك وهم وافون به ، فقد صدقوه ، فلو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبًا .﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ، وما غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة .

ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ حتى شلت يده ؛ فقال ﷺ : " أوجب طلحة "[(٤)] أي: وجبت له الجنة ، وفيه تعريض بمن بدل من أهل النفاق ، ومرض القلوب ، وجعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء ، وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم ؛ لأن كلا الفريقين مسوق إلى ما قضى له من ثواب أو عقاب .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٣٩) ، وابن ماجه رقم (١٢٥) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٥) بمجموع طرقه .

(٢) هذا مثل يضرب للصادق في خبره ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضارا له وأصله : أن رجلا ساوم رجلا في بكر ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه ، فأخبره بالحق فقال المشتري : صدقني سن بكره .
ينظر : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢ / ٤١٣) .

(٣) زيادة من الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٣٢) وليست بالأصل وهي مناسبة للسياق .

(٤) رواه الترمذي في الجامع الصحيح (٤ / ٢٠١ ، ٥ / ٦٤٣) وقال : حسن صحيح غريب ، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٢٨) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)﴾

الباء في قوله : ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مثلها في قوله :﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [١] ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ وهما حالان مترادفان ، أو متداخلان ، ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى واستئنافا .﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من حصونهم . والصيصية : ما تُحُصِّنَ به ، يقال لقرن الثور والظبي : صيصية ، ولمخلب الديك صيصية . روي أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ، جاء جبريل على فرسه الحيزوم ، والغبار على وجه فرسه وعلى سرجها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : من متابعة قريش ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس وسرجه ، فقال : يا رسول الله ، إن الملائكة لم تضع السلاح ، وإن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وإن الله (١٩١/ ب) داقُّهم دقَّ البيض على الصفا وأنهم لك طعمة ، فأذّن في الناس أن من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء لقول رسول الله ﷺ ذلك "[٢] فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : " تنزلون على حكمي ؟ فأبوا ، فقال : على حكم سعد بن معاذ ؟ فرضوا به ، فقال سعد بن معاذ : حكمت بقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ؛ فكبر النبي ﷺ وقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة " أي : سبع سماوات، وخندق رسول الله ﷺ خندقًا وقدَّمهم فضرب أعناقهم وهم ثمانمائة إلى تسعمائة "[٣]. وقيل : كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير.

وقرئ﴿ الرُّعُبَ﴾ بسكون العين وضمها[٤]. وروي أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٤١١٩) ، ومسلم رقم (١٧٧٠).

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٢٢) ، ومسلم رقم (١٧٦٩).

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم ونافع وابن كثير : " الرعْب " ، وقرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب : " الرعُب " . **تنظر القراءات في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا (ص : ٣٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١٦).

للمهاجرين دون الأنصار ؛ فقال الأنصار في ذلك ، فقال : أسلم في منازلكم . فقالوا : ألا تخمس كما خمست يوم بدر. فقال: إنما جُعِلت هذه طعمة لي دون الناس . فقالوا: رضينا بما صنع الله ورسوله[١] .

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ قيل : فارس والروم[٢] . وقيل : مكة [٣]. وقيل : خيبر[٤] . وقيل : كل أرض لم تفتح إلى يوم القيامة[٥] ، ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم[٦] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

أراد نساء النبي ﷺ شيئًا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن، فغَمَّ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فنزلت ، فبدأ بعائشة وخيرها - وكانت أحبهن إليه - وقرأ عليها القرآن ، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ ، ثم اختار جميعهن اختيارها ، فشكر الله لهن ذلك ؛ فأنزل : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ ﴾الآية[٧] . وحكم التخيير في الطلاق إذا قال لها : اختاري . فقالت : اخترت نفسي . أو قال : اختاري نفسك.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩١٤) ، ومسلم رقم (١١٩٦) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١٥٥) عن الحسن .

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٩٢) لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١ / ١٥٥) عن يزيد بن رومان .

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٩٢) للفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة .

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٤) قال الطبري في تفسيره (٢١ / ١٥٥) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان وطئوه يومئذ ثم وطئوا ذلك بعد وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل في قوله : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ لأنه - تعالى ذكره - لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض" .

(٧) رواه البخاري رقم (٤٧٨٥) ، ومسلم رقم (١٤٧٥).

فقالت : اخترت. لابد من ذكر النفس في قول المخيِّر أو في قول المخيَّر أو المخيَّرة ، وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه ، واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض ، واعتبر الشافعي اختيارها على الفور ، وهي عنده طلقة (١٩٢/أ) رجعية، وهو مذهب عمر وابن مسعود . وعن الحسن وقتادة والزهري : أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره . وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار[(١)].

وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت : "خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ، فلم يعدَّ ذلك طلاقا " وفي رواية : " أفكان طلاقا ؟ "[(٢)]. وعن علي – رضي الله عنه – : إن اختارت نفسها فهي طلقة واحدة بائنة ، وإن اختارت زوجها فطلقة واحدة رجعية . وفي رواية عنه : إن اختارت زوجها فليس بشيء[(٣)].

أصل " تعال " أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستفل ، ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة . ومعنى ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن ؛ كما تقول : أقبل يخاصمني ، وأقبل يهددني .

﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن متعة الطلاق ، فإن قلتَ : ما حكم المتعة ؟ قلتُ : المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد فرض تستحقها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة[(٤)]. وعن الزهري : هما متعتان إحداهما : يقضي بها السلطان؛ وهي من طلق قبل ما يفرض ويدخل بها . والثانية : حق على المتقين ، من طلق بعد ما يفرض ويدخل بها. وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة ، فقال: متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره . وعن سعيد بن جبير: حق مفروض . وعن الحسن: لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة[(٥)]. والمتعة : درع وخمار وملحفة على حسب الطاقة والسعة والاقتدار ، إلا

---

(١) **ينظر** : بداية المبتدي للمرغيناني (١ / ٧٢) ، المبسوط للسرخسي (٦ / ١٠١) ، الأم للإمام الشافعي (٥ / ٢٥٥) ، المهذب للشيرازي (٢ / ٨٢).

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٦٢ ، ٥٢٦٣) ، ومسلم رقم (١٤٧٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٥).

(٤) **ينظر** : الاستذكار لابن عبد البر(٦ / ١٢٢) ، إعانة الطالبين لأبي بكر البكري (٣ / ٣٥٦) ، بداية المجتهد لابن رشد (٢ / ٧٣).

(٥) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٥).

أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك ؛ فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم عند أبي حنيفة ؛ لأن أقل المهر عنده عشرة ؛ فنصف المهر خمسة[١]. فإن قلتَ : ما وجه من قرأ : ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بالرفع [٢] ؟

قلتُ : وجهه الاستئناف. والسراح الجميل : طلاق السنة .

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

﴿مِنكُنَّ﴾ للتبيين لا للتبعيض .

﴿بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الظاهرة القبح ، وهي الكبيرة ، والمراد : كل ما اقترفن من الكبائر، وقيل : هو عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه . وقيل : الزنا. والله عاصم رسوله ﷺ من ذلك كما مرَّ في حديث الإفك ، وإنما ضوعف عذابهن ؛ لأن ما قبح من سائر النساء كان منهن أشد قبحًا (١٩٢/ ب) لأن زيادة قبح المعصية يتبع زيادة الفضل والمرتبة ، وليس لأحد من النساء من الفضل مثل فضل نساء النبي ﷺ ولا على واحدة منهن من نعم الله ما عليهن، وأَجلُّها تزويجهن النبي ﷺ ، وذم العاصي العالم أشد من ذم الجاهل ؛ ولذلك فضل حد الأحرار [على حد العبيد] [٣]حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يوجبون الرجم على الكافر[٤]. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ إعلام بأن

---

(١) ينظر : شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي (٣ / ٣٢٧) ، فتاوى السعدي (١ / ٢٩٥).

(٢) قرأ جمهور القراء " أمتعْكن وأسرحْكن " بالجزم ، وقرأ حميد الخزاز " أمتعُكن وأسرحُكن " بالرفع على الاستئناف . **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٢٧) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤١٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٤) .

(٣) زيادة من الكشاف (٣ / ٥٣٦).

(٤) **ينظر** : أحكام القرآن للجصاص (٥ / ٩٨) ، بدائع الصنائع للكاساني (٧ / ٣٨) قال الجصاص : "واختلف الفقهاء في الذميين هل يحدان إذا زنيا؛ فقال أصحابنا والشافعي: يحدان ، إلا أنهما لا يرجمان عندنا ، وعند الشافعي يرجمان إذا كانا محصنين . وقال مالك : لا يحد الذميان إذا زنيا . قال أبو بكر : =

تزويجهن ليس بمغنٍ عنهن من الله شيئًا، بل هو سبب في زيادة الحد ، فكان ذلك داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه . والقنوت : الطاعة ، وإنما ضُعِّف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وبوقرهن على عبادة الله عز وجل .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (٣٢) ﴾

﴿كَأَحَدٖ﴾ أصله : وحد ، وهو الواحد ، ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه . ومعنى قوله :﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي : ليست واحدة منكن كواحدة من النساء ، أي: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ، أي : إذا تقصيت أمة النساء جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تعادلكن في الفضل والسابقة ، ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (١) يريد : بين جماعة واحدة منهم تسوية منهم بينهم في أنهم على الحق المبين .

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ إن أردتن التقوى ، وإن كنتن متقيات . ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ فلا تجئن

= وظاهر قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾ يوجب الحد على الذميين ، ويدل عليه حديث زيد بن خالد وأبي هريرة عن النبي ﷺ : " إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها " وقوله ﷺ : " أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم " ولم يفرق بين الذمي والمسلم ، وأيضا فإن النبي ﷺ رجم اليهوديين . فلا يخلو ذلك من أن يكون بحكم التوراة أو حكما مبتدأ من النبي ﷺ، فإن كان رجمهما بحكم التوراة؛ فقد صار شريعة للنبي ﷺ لأن ما كان من شرائع الأنبياء المتقدمين مبقى إلى وقت النبي ﷺ فهو شريعة لنبينا ﷺ ما لم ينسخ ، وإن كان رجمهما على أنه حكم مبتدأ من النبي ﷺ ؛ فهو ثابت إذ لم يرد ما يوجب نسخه . والصحيح عندنا أنه رجمهما على أنه شريعة مبتدأة من النبي ﷺ لا على تبقية حكم التوراة ، والدليل عليه أن حد الزانيين في أول الإسلام كان الحبس والأذى، المحصن وغير المحصن فيه سواء، فدل ذلك على أن الرجم الذي أوجبه الله في التوراة قد كان منسوخا فإن قيل : فإن النبي ﷺ رجم اليهوديين ، وأنت لا ترجمهما فقد خالفت الخبر الذي احتججت له في إثبات حد الزنا على الذميين. قيل له : استدلالنا من خبر رجم اليهوديين على ما ذكرنا صحيح؛ وذلك لأنه لما ثبت أنه رجمهما صح أنهما في حكم المسلمين في إيجاب الحدود عليهما، وإنما رجمهما النبي ﷺ لأنه لم يكن من شرط الرجم الإحصان ، فلما شرط الإحصان فيه وقال النبي ﷺ : " من أشرك بالله فليس بمحصن " صار حدهما الجلد " . انتهى من أحكام القرآن .

(١) سورة النساء ، الآية (١٥٢).

بقولكن خاضعًا ؛ أي : مثل كلام المريبات والمومسات[1]. ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي : ريبة وفجور . ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بعيدًا من طمع المريب بجدة وخشونة من غير تخنيث أو قولا خشنا مع كونه خَنِثا .

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

وقرئ ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف[2] من وقر يقر وقارًا ومن قرَّ يقرُّ، حذفت الراء الأولى من رائي " اقررن " ونقلت حركتها إلى القاف ؛ كما قيل: ظلن.

و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ هي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجهلاء . وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم ، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقيل : ما بين آدم ونوح . وقيل : ما بين إدريس ونوح . وقيل : زمن داود وسليمان ، والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم .

ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر ، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق ، والمراد : لا تحدثن في الإسلام (١٩٣/أ) جاهلية تشبهن فيها بجاهلية الكفر . وأمرهن أمرًا خاصًا بالصلاة والزكاة ، ثم جاء به عامًّا في جميع الطاعات ؛ لأن هاتين الطاعتين - البدنية والمالية - هما أصل سائر الطاعات ، والصواب في قوله : جاء بالأمر عامًّا لجميع الطاعات. أنه مطلق ولا عموم في المطلقات ، والصلاة والزكاة أصلان لسائر الطاعات؛ من اعتنى بهما اعتنى بسائر العبادات ، وإنما خاطبهن بالأمر وحدهن ؛ ليكون احترازهن عن الوقوع في

---

(١) **المومسات** : جمع المومسة وهي الفاجرة ، وتجمع على ميامس أيضا وموامس . وامرأة مومس ومومسة : فاجرة زانية تميل لمريدها ، وربما سميت إماء الخدمة مومسات ، والمومسات : الفواجر مجاهرة .
ينظر : لسان العرب (ومس) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣ / ٣٧٣).

(٢) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر " وقَرن " بالفتح ، وقرأ الباقون " وقِرن " بالكسر .
تنظر القراءات في : البحر المحيط (٧ / ٢٣٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٧٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤١٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢١ - ٥٢٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٨).

المآثم أتمَّ ، وليتصونن عنها . واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر؛ لأن عرض المقترف للمعاصي يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس ، وأما الحسنات فالعرض منها نقي مصون ؛ كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة تنفير للعصاة من اقتراف الذنوب . و ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح ، وفيه دليل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته ، ثم ذكر أن بيوتهن مهابط الوحي ، وأمرهن ألا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع لأمرين : أحدهما : الإعجاز بفصاحته ، والثاني: تعليم علوم الشريعة .﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ علم ما يصلحكم في دينكم ، وأنزل عليكم كتابا يهديكم إلى سبيل الرشاد ، أو علم من يصلح لنبوته ممن لا يصلح ، واصطفى من اختاره لذلك .

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

وروي أن نساء النبي ﷺ قلن : " يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير، وما فينا خير نذكر به ؛ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ ونزل﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [(١)]. وروي: أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المسلمين كذلك ؛ فنزلت[(٢)]. والمسلم : الداخل في السلم بعد الحرب ؛ المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

والمؤمن : المصدق بالله ورسوله ، وبما يجب أن يصدق به . والقانت : القائم بالطاعة الدائم عليها . والصادق : الذي يصدق في نيته وقوله وعمله . والصابر : الذي يصبر على

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٩٥) وذكر ذلك الزيلعي في تخريج الكشاف (٣ / ١٠٧) والمناوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي (٣ / ٩٣٤) وقال : رواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس نحوه .

(٢) روى الترمذي رقم (٣٢١١) عن أم عطية الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٥٦٥).

الطاعات وعن المعاصي وعند الشدائد . والخاشع : المتواضع لله بقلبه وجوارحه . وقيل : الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله . والمتصدق : الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل . وقيل : من تصدق (١٩٣/ ب) في أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ، ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين .

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو بلسانه أو بهما ، وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر . وقال رسول الله ﷺ : " من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات " [١]. والمعنى : والحافظاته والذاكرته ، فحذف لأن السياق يدل عليه . فإن قلت : فأي فرق بين العطفين ؟ أعني: عطف الإناث على الذكور ، وعطف الزوجين على الزوجين ؟

قلت : الأول نحو قوله :﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [٢]. في أنهما جنسان مختلفان ، فإذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العاطف الثاني فهو من عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

ولما خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها ؛ فلما نزلت رضيا ؛ فأنكحها رسول الله ﷺ وساق إليها مهرها ستين درهما وخمارًا وملحفة ودرعًا وإزارًا وخمسين مدًّا من طعام وثلاثين

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٣٠٩ ، ١٤٥١) ، وابن ماجه رقم (١٣٣٥) ، وابن حبان رقم (٢٥٦٨) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٣١٦) ، وصححه ابن حبان والحاكم . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٣).

(٢) سورة التحريم ، الآية (٥).

صاعًا من تمر[١]. وقيل: هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي ممن هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال: "قد قبلت". وزوَّجها زيد بن حارثة فسخطت وأخوها، وقالت: ما أردت إلا رسول الله ﷺ فزوجني عبده[٢].

والمعنى: وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[٣] يعني: الاختيار، وحقهم أن يجعلوا إرادتهم واختيارهم تبعًا لرأيه واختياره، وجمع الضمير في قوله: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ حملا على المعنى في جريان ذكر المؤمن والمؤمنة. والخبر ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق هو زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني: زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد تزوج خديجة وذكر لها أنه رأى في السوق غلامًا حسنًا يباع، وهو زيد بن حارثة، فاشترته خديجة بمالها، ووهبته للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه وكان أبوه (١٩٤/أ) يطوف عليه البلاد حتى وجده عند عرب.

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ ... أَحَيٌّ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الأَجَلْ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ ... أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهلَ أَمْ غَالَكَ الجبل
فيا ليت شعري هَلْ إِلَى الدَّهرِ أَوْبَةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي أمل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيش في الأرض جاهدًا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي عليَّ منيتي ... فكلُّ امرئٍ فانٍ وإن غرَّه أمل

---

(١) رواه الطبري (٢٢ / ١١).

(٢) رواه الطبري (٢٢ / ١٢) و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٦١٠) ونسبه لابن أبي حاتم.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو "تكون" بالتاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي "يكون" بالياء. **تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤١٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٤٠).

فقام حارثة وهو أبو زيد فقال : يا نبي الله إني قد أنضيت[١] الرقاب في طلب هذا الغلام، ولو رأيتَ أمَّه وما صنعت بنفسها لأدركتك الرحمة؛ فمُنَّ علينا بهذا الولد ؛ فأنت أهل للمعروف . فقال النبي ﷺ : هذا الغلام واقف ، فإن اختار أن يذهب معك سلمته إليك ، وإن اختارني فلا يسعني أن أقصي شخصًا يحب قربي ؛ فدعا رسول الله ﷺ زيدًا ، فقال له : أتختارني أم تختار أباك وأمك ؟ فقال : والله لا أختار عليك يا رسول الله أحدًا أبدًا. فأخذ رسول الله ﷺ بيد زيد ووقف على ملأ قريش وقال : اشهدوا أن هذا ابني يرثني وأرثه. ولم يزل يُدْعَى زيد بن محمد حتى أنزل الله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية[٢] ، فحرم الله التبني . ثم إن زيدًا خطب زينب ، فأجيب فرأى رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب ، فزوجه إياها ، فغضبت هي وأخوها وقالا : زوجنا عبده ، ما أردنا إلا هو ! وزوج رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير، وستين درهمًا، وخمارًا، ومِلْحَفَة، ودرْعًا، وخمسين مُدًّا من طعام، وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريبًا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما][٣] فجاء زيد إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، إني أريد طلاق زينب. فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله . أي : اتق الله ولا تفارق زوجك من غير ذنب، وكان الله قد أوحى إلى نبيه أن زينب ستصير زوجة له ، فعتب الله عليه حيث (١٩٤/ ب) يقول له : أمسك عليك زوجك. وهو يعلم أنها ستصير زوجته، ولا يتأتى ذلك مع أمره بإمساكها ، ولكن جعل الله هذه الواقعة سببًا لثبوت حكم شرعي وهو أن زوجة الابن المتبنى لا تكون بمنزلة زوجة ابن الصلب ؛ بل هي حلال للمتبني، وقد صرح بذلك في هذه السورة بقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾. وقال في سورة النساء: ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ ﴾[٤] يحترز به من زوجة الابن الدعي. فإن قيل: هلاَّ ترك الأمر بالعتب على قوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهلا عوتب على أمر يكثر فيه القالة إذا فعله؟ وهلاَّ

---

(١) أنضى فلان بعيره أي : هزله و تنضاه أيضا . و النضو : الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. ينظر : لسان العرب (نضو) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٢٣٦) وفيه آخر بيت " فيأتي أو تأتي علي منيتي " ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٤٨ - ٣٤٩) لابن مردويه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ما بين المعكوفين من عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (٣/ ٤٦، ٤٧).

(٤) الآية (١٢٣).

صين مقام النبي ﷺ عن ذلك ؟ قلتُ: كم من شيء فيه هجنة لكن ليس فيه في الشرع ما يكره ، ومنه ما في هذه الآية ؛ فإن الله ألقى في قلب زيد بغض زينب حتى يقضي ما علمه من رجوعها إلى رسول الله ﷺ فعادت إليه بعقد صحيح موافق لقواعد الشرع .

وقيل في قوله : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ إنه محبته لزينب . وقيل : العلم بأنها ستصير زوجة له ، وإظهار هذا الأخير فيه هجنة ؛ وهو أن يقول لمن استشاره في أمر زوجته: طلقها ، فأنا أتزوجها لا سيما وقد اقترن بذلك جواز حل زوجة المتبنى ، وهي فائدة جليلة . وأيضًا فإن الصحابة كانوا إذا عرفوا من رجل صالح رغبة في الزوجية نزل له عن إحدى زوجتيه ، فزوجه بها ، وكذلك كان في أول الإسلام حتى ورد المنع من ذلك فإن قلتَ : الواو في قوله : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ ما هي ؟ قلتُ : واو الحال ، أي : تقول لزيد : أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة ألا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله ، والله أحق أن تخشاه . إذا بلغ الرجل حاجته على يسر بغير عسر- قيل قد قضى وطره ، والمعنى: فلما فارق زيد زوجته ، وقد قضى منها حاجته وطلقها وانقضت العدة زوجناكها.﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الذي يريد أن يفعله﴿ مَفْعُولًا﴾ لا محالة . ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ قسم وأوجب ؛ من قولك : فرض لفلان كذا .

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسم موضوع للمصدر ؛ كقولهم: [تربا وجندلا] (١) أكده بقوله : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١٩٥/أ) يعني: قد سن الله مثل ذلك في الأنبياء الماضيين، وقد كان لداود مائة زوجة وثلاثمائة سرية ، ولسليمان ثلاثمائة زوجة وألف سرية . ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ مضوا . ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مقضيًا وحكما مبتوتا.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بعد التصريح . في قوله : ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾. ﴿حَسِيبًا﴾ كافيا للمخلوق ، أو: محاسبا على الصغيرة والكبيرة فتجب خشيته .﴿ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكل نبي فهو أبو أمته ؛ في معنى التعظيم والاحترام لا في معنى الميراث

(١) بياض بالأصل ، والمثبت من الكشاف (٣ / ٥٤٣).

ووجوب النفقة . ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الرجال الذين يصلحون للنبوة ، وقد قال رسول الله ﷺ في ابنه إبراهيم : " لو عاش لكان نبيًا "[١] ولا يكون نبيًا ؛ لقوله : ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ .

فإن قلتَ : أولاده الذكور الذين ماتوا : الطاهر والطيب وإبراهيم عاشوا في حياته زمنًا، فهل كانوا أنبياء في ذلك الزمن ؟ قلتُ : خرجت نبوتهم بدليلين : أحدهما : قوله :﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يريد البالغين ، فإن أولاد النبي ﷺ لم يبلغ أحد منهم مبلغ الرجال . والثاني: إضافتهم بقوله : ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وهؤلاء لم يكونوا من رجال أحد غير النبي ﷺ .

فإن قيل : أما كان الحسن والحسين ابنين له ؟ قلتُ : بلى ، ولكن لم يكونا رجلين حينئذٍ، وهما – أيضًا – من رجاله لا من رجالهم ، وقرئ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ﴾ بالنصب عطفا على قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ﴾ ، ﴿ وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ وبالرفع على قوله : ولكن هو رسول الله[٢]. وقرئ﴿ وَخَاتَمَ﴾ بالفتح بمعنى الطابع ، وبالكسر[٣] بمعنى فاعل الطبع فإن قلتَ : فسينزل عيسى بعد النبي ﷺ . قلتُ : يبعث مقررًا لدين النبي ﷺ . وفي الحديث الصحيح : " كيف بكم إذا نزل عيسى ابن مريم وإمامكم منكم "[٤]

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٥١١) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١ / ٤٩٣) : وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن عثمان . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٢٠).

(٢) قرأ جمهور القراء " رسول " بالفتح ، وقرأ ابن أبي عبلة " رسول " بالرفع .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٣٦) ، الدر المصون للسمين (٥ / ٤١٩) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٨٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨١).

(٣) قرأ جمهور القراء " وخاتم " بالكسر ، وقرأ عاصم وحده " وخاتم " بالفتح .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٣٦) ، تفسير القرطبي (١٤ / ١٩٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤١٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٨٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨١).

(٤) رواه أحمد في المسند (٢ / ٢٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٩١) قال المناوي في فيض القدير : " أي الخليفة من قريش على ما وجب واطرد، أو وإمامكم في الصلاة رجل منكم كما في صحيح مسلم " يقال له: صل بنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء ؛ تكرمة لهذه الأمة " . وقال الطيبي : معنى الحديث : أي يؤمكم عيسى حال كونكم في دينكم وصحح المولى التفتازاني أنه يؤمهم ويقتدي به المهدي، لأنه أفضل، فإمامته أولى، وفي رواية بدل "إمامكم منك" و"يؤمكم منكم" ومعناه يحكم بشريعة الإسلام، وهذا استفهام عن حال من يكونون أحياء عند نزول عيسى كيف يكون سرورهم بلقاء هذا النبي الكريم وكيف يكون فخر هذه الأمة=

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أثنوا عليه بأنواع الثناء من تسبيح وتقديس وتحميد وتمجيد، وغير ذلك مما هو أهله، وأكثروا من ذلك. قال النبي ﷺ: " ذكر الله على فم كل مسلم "[١]. وعن قتادة: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢]. وقوله: ﴿اذْكُرُوا﴾ و﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ كلاهما موجه إلى قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهذه كلمات يقولهن البر والفاجر والجنب والحائض، والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه بإعادة ذكره لتشريفه؛ كما في قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[٣] لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يليق بجلاله (١٩٥/ ب) ويدل على تعظيم التسبيح ما هو دال على تنزُّهِ الباري عن جميع ما لا يليق بجلاله، ومثاله أن تصف عبدك باجتناب الفواحش وترك الخيانة، وتقدم هذا الوصف على صومه وصلاته.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)﴾

فإن قلت: ﴿الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ إن فسرته بالرحمة لم يحسن في حق الملائكة؟

= وعيسى روح الله يصلي وراء إمامهم، وذلك لا يلزم انفصال عيسى من الرسالة؛ لأن جميع الرسل بعثوا بالدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل والنهي عما خالف ذلك من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب به، فإذا نزل المتقدم في أيام المتأخر، نزل به على وقفه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا اتباعي" تنبيهاً على أن اتباعه لا ينافي الإيمان به بل يوجبه.

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١١٥) وقال: غريب بهذا اللفظ، وروى البيهقي والدارقطني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: "الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي. قال: اسم الله على فم كل مسلم". وقال الزيلعي (٣/ ١١٦) ورواه ابن عدي في الكامل وأعله بمروان بن سالم الغفاري، وكذلك ابن القطان في كتابه وقال: إنه ضعيف جدًّا. وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٧٧٤): موضوع.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤٥).

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٨).

قلتُ : لما كانت الملائكة دعوتهم مستجابة ؛ فإذا سألوا الرحمة فكأنهم فعلوها ونظيره حياك الله ، أي : أحياك ، وحييتك بمعنى : دعوت لك بأن يحييك الله ، وكذلك قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ بمعنى: سلوا الله له الرحمة .

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فيه دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ، وروي أنه لما نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله ، ما خصك الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه : فنزلت[1] .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول ، أي : تحيتهم الملائكة حين يلقونهم سلام . وقيل : هو سلام ملك الموت وأعوانه عند قبض الروح . وقيل : سلام الملائكة عند الخروج من القبور . وقيل : هو عند دخول الجنة ؛ لقوله : ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[2] . والأجر الكريم : الجنة . ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا﴾ أي : شاهدًا على من بعث إليهم ، وعلى تصديقهم وتكذيبهم بمعنى أنه مقبول عند الله قولك عليهم ولهم . فإن قيل : الشاهد إنما يسمى شاهدًا عند تحمل الشهادة أو أدائها ، ووقت الإرسال ليس وقتًا للتحمُّل ولا للأداء ؟ قلتُ : تسميته شاهدًا حال مقدرة ؛ كقولك : جاءني زيد وعلى يده صقر صائدًا به غدًا . فإن قيل : قد فهم من إرساله أنه مأذون له في الدعوة فما فائدة قوله : ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ؟ قلتُ : الإذن المراد به تيسير الأمر وتسهيله ، ومن ذلك قولهم في البخيل : إنه غير مأذون له في الإنفاق . أي : لا يتيسر عليه ذلك ولا يسهل .

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ جلا الله به ظلمات الشرك ، ونوَّر به قلوب المؤمنين . وقيل : ذا سراج. أي: وصاحب سراج منير ، وهو القرآن ، ويجوز أن يراد : وأعد له فضلا على سائر الأمم ، وذلك الفضل من جهة الله ؛ فإنه آتاهم ما فضلوا به .

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٨٩) لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) سورة الرعد ، الآية (٢٣).

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي : دم على امتناعك من قبول رأيهم . ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ يحتمل إضافة المصدر للفاعل وللمفعول ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ مفوضا إليه الأمور .

النكاح : الوطء ، واستعمل في العقد ؛ لأنه سبب موصل إليه ؛ كما سمُّوا الخمر إثمًا ؛ لأنه موصل (١٩٦/أ) إلى الإثم ، وقال الراجز:

يا عارضًا يختال في أثوابه أسنمة الآبال في سحابه[(١)]

ولم يرد النكاح في كتاب الله تعالى إلا بمعنى العقد ؛ لأنه تصريح ، ومن آداب القرآن الكناية عن الوطء بالمسيس والدخول والغشيان والمباشرة والإتيان والقربان .

فإن قيل : قوله :﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴾ الآية ، وحكم الزوجة الكتابية حكم المسلمة ؛ فما وجه تخصيص المؤمنات بالذكر ؟ قلنا : فائدة ذكر المؤمنات الإشعار بأن حق المسلم أن يترفع عن نكاح الكافرة ، ولا يجتمع ولي الله وعدو الله تحت لحاف واحد ، والذي في سورة المائدة ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [(٢)] لبيان الجواز ، وهذه لبيان الأفضل . فإن قلت : ما فائدة " ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ ؟

قلتُ : ذكر ذلك دفعًا لوهم من يتوهم أن من طالت مدة فراقها من الزوج لا عدة عليها بخلاف من قصرت مدتها ، فإن قلتَ : ما حكم الخلوة ؟ قلتُ : الخلوة موجبة لجميع المهر عند أبي حنيفة وأصحابه والشافعي لا يرى ذلك [(٣)] .

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها ، وعند الشافعي لا عدة على من لم يدخل بها[(٤)] وقرئ ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ [(٥)] بالتخفيف ، أي : تعتدون فيها ، كقوله [من الطويل] :

---

(١) ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٤١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٦) ، غريب الحديث للخطابي (١ / ٧١٤) ، الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢ / ٢٧٩) ، الكشاف له (٣/ ٥٤٨) ويروى الشطر الأول : أقبل في المستن من ربابه .... في وصف غيث

(٢) الآية (٤) .

(٣) ينظر : البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٣ / ١٦٦) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٢٩٤) ، فتاوى السغدي (١ / ٣٠١) ، مغني المحتاج للخطيب الشربيني (٣ / ٢٢٥) ، المغني لابن قدامة (٦/ ٧٢٤) .

(٤) ينظر : مغني المحتاج للخطيب الشربيني (٣ / ٣٨٤) .

(٥) قرأ بها ابن كثير في رواية ابن أبي بزَّة عنه ، وقراءة الجمهور " تعتدُّونها " بالتشديد .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٢٠) ، السبعة=

ويوما شهدناه سليما وعامرا .... [(١)]

المراد بالاعتداء مثله في قوله :﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [(٢)] والمتعة مر شرحها في أثناء السورة [(٣)]. ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب .﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، وإيتاؤها : إما تسليمها عاجلاً ، أو ذكرها في العقد . فإن قلت : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ؟ قلت : واللاتي هاجرن معك ، قد اختار الله له شرط الأفضل كغيرهما مما خُصَّ به ، فإن تسمية المهر في العقد أولى من تركها ، وسوق المهر إليها عاجلا خير من تركه وتأجيله ، وكان التعجيل عادة السلف ، ومما لا يعرف بينهم سواه ، وكذلك الجارية إذا حيزت من المغانم كانت أحل مما يُشترى من الأسواق وكذلك المرأة المهاجرة أفضل من التي لم تهاجر مع النبي ﷺ .

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : " خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت : فلم أحل له ؛ لأني لم أهاجر "[(٤)].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ

= لابن مجاهد (ص : ٥٢٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٩٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤١) قال ابن مجاهد: " وقال لي قنبل : كان ابن أبي بزة قد وهم في " تعتدونها " فكان يخففها فقال لي القواس : صِرْ إلى أبي الحسن فقل له : ما هذه القراءة التي قرأتها ، لا نعرفها ؟! فصرت إليه فقال : رجعت عنها . قال: وقد غلط أيضا في ثلاثة مواضع ؛ هذه أحدها ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير].

(١) هذا صدر بيت لرجل من بني عامر ، وعجزه : .... قليل سوى الطعن النهال نوافله .
ينظر في : الدرر اللوامع (٣ / ٩٦) ، شرح المفصل (٢ / ٤٦) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر (١/ ٣٨) ، خزانة الأدب (٧ / ١٨١) ، مغني اللبيب (٢ / ٥٠٣) ، المقتضب للمبرد (٣ / ١٠٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣١).

(٣) في تفسير الآية (٢٨).

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٢١٤) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٢٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٥٤) ، وحسنه الترمذي ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٣٠).

عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله : ﴿وَٱمْرَأَةً﴾ أي : وأحللنا لك امرأة ﴿مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ قرئ بفتح " أن" (١٩٦/ ب) وكسرها[١] فالكسر على الشرطية ، والفتح على أنه مصدر إن أراد هو، قيد في اعتبار الشرط الأول . وفي الكتاب العزيز مواضع أخر اعترض فيها بدخول الشرط على الشرط ؛ كقوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [٢] وعند إمام الحرمين[٣] : إذا اجتمع الشرطان وقع المشروط . وعند صاحب المهذب[٤] : إن قدم الشرط الأول على الثاني لم يقع شيء ، وإن قدم الثاني على الأول وقع . وقوله : ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ شرطٌ في حل الموهوبة أن يريد أن يستنكحها ، فلا تعمل الهبة إلا بعد تحقق شرطها وهو إرادة أن يستنكحها ، فإن قلتَ : لم عدل عن الخطاب في قوله : ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى الغيبة في قوله:﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ولم يقل : لك، ثم رجع إلى الخطاب ؟ قلتُ : للإيذان بأن ذلك من خواص النبي ﷺ وقد خُصَّ رسول الله ﷺ بمعنى الهبة . وقال الماوردي : اختلف العلماء فيما خص به رسول الله ﷺ على ثلاثة مذاهب : أحدها : أن الذي خص به انعقاد نكاحه بلفظ الهبة . والثاني: أن الخاصية أنه لا يجب المهر في هذا العقد . والثالث : إذا وقع مفوَّضًا لم يجب فيه المهر لا في العقد ولا في الدخول [٥].﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد على وزن الفاعلة ؟ كالعاقبة والعافية

---

(١) قرأ جمهور القراء " إن وهبت " بالكسر ، وقرأ أبي والحسن وعيسى بن عمر " أن " بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٤٢) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٠٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٩٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤٢) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨٢) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣٦٣).

(٢) سورة هود ، الآية (٣٤).

(٣) تقدمت ترجمته في سورة الأعراف ، الآية (١٠٦).

(٤) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي الفيروزآبادي منسوب إلى فيروزآباد بفتح الفاء ، وهي بليدة من بلاد فارس وهو الإمام المحقق المتقن المدقق ذو الفنون من العلوم ، الزاهد العابد الورع . وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلاميذه وأصحابه وصنف في الأصول والفروع والخلاف والجدل . توفي ببغداد سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .
ينظر : تهذيب الأسماء للنووي (٢ / ٤٦٥).

(٥) **ينظر** : تفسير النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٣٣) ونسب هذه الأقوال لأنس بن مالك – رضي الله عنه – وقتادة وسعيد بن المسيب وللإمام الشافعي رحمهم الله تعالى .

والكاذبة والخائنة ؛ خالصًا بمعنى خلوصًا . ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ جملة معترضة ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ .

واعلم أن رسول الله ﷺ لما أمر بتخيير نسائه فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فشكر الله لهن ذلك وجازاهن بأن حرم على النبي ﷺ خلافهن وحرم عليه أن يستبدل بهن غيرهن ، فقال : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ (١) ثم اختلف في أن هذا التحريم هل زال أو بقي ؟ فعن الشافعي رضي الله عنه : " ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النسوة التي حرمن عليه " واحتج بقوله – تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾الآية . وقال أبو حنيفة رحمه الله : كن محرمات عليه إلى حين وفاته ، واحتج (١٩٧/أ) بأن ذلك كان مكافأة لهن على اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة(٢).

﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ وذلك أنهن إذا رأين رسول الله ﷺ يعدل في القسمة مع أنه مباح له ألا يقسم علم من ذلك محبته لجميعهن ، وأنه لا يؤثر واحدة على أخرى فرفع النزاع والشقاق . و"من " في قوله :﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ مزيدة في النفي . وتحريم جميع الأزواج أن يبدل بهن غيرهن . وقيل في قوله :﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ هو كون الرجل ينزل عن زوجته لصديقه أو صاحبه ، ثم نسخ ذلك . وقيل : المراد بقوله :﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ هي أسماء بنت عميس (٣).

(١) رواه أحمد غي المسند (٦ / ٤١ ، ٢٠١) ، والترمذي رقم (٣٢١٦) ، والنسائي (٦ / ٥٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٣٦٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٣٧) ، عن عائشة رضي الله عنها . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٥٦٨).

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٥ / ١٤٠) ، بدائع الصنائع للكاساني (٦ / ١٢٨) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٥٤).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾

﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ وما بعدها في معنى الظرف ، أي: لا تدخلوا إلا في وقت الإذن ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾ أي : إلا في معنى الإذن أو حال الإذن . وقيل : ﴿إِنَىٰهُ﴾ أكله ؛ لأن المراد : غير ناظرين الأكل ولا وقته . روي: أن رسول الله ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة فلما استوى الطعام بعث يطلب الناس فكانوا يأتون أفواجا ، يذهب قوم ويأتي قوم ، ورسول الله ﷺ يقول : ادعوا الناس . فقال : يا رسول الله : لقد دعوت حتى لا أجد من أدعوه ، فقال رسول الله ﷺ : ارفعوا طعامكم ، وخرج وخرج معه الناس ، ثم رجع النبي ﷺ إلى بيته فوجد ثلاثة يتحدثون في منزله ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج فلما رآه النفر الثلاثة خارجًا استحيوا وخرجوا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية[١] .

﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ أي : من إخراجكم . ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ لا يمتنع من قوله وفعله ، وقرئ ﴿يَسۡتَحِي﴾ بياء واحدة[٢] .

الضمير في قوله : ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ﴾ عائد على نساء النبي ﷺ ولم يجر لهن ذكر، لكن السياق يدل عليهن . روي: أن عمر كان حريصًا على الحجاب وكان يود أن ينزل فيه[٣] . وروي: أن رسول الله ﷺ كان يأكل تمرًا مع جماعة ، فوقعت يد رجل منهم على يد عائشة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٤٢٨) ، وأحمد في المسند (٣ / ١٦٣) ، والترمذي رقم (٣٢١٨) ، والنسائي (٦ / ١٣٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤١٧) ، عن أنس رضي الله عنه .

(٢) قرأ جمهور القراء " يستحيي " بيائين ، وقرأ ابن كثير في رواية عنه " يستحي " بياء واحدة ، وهي لغة تميم . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٣٨٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (١ / ١٢١) ، تفسير القرطبي (١ / ٢٤٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ١٦٢) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٥٥) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص ١٢) ، معاني القرن للأخفش (١/ ٢١٤) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٠٢) ، ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس .

فكره ذلك رسول الله ﷺ فنزلت آية الحجاب[١].

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ (١٩٧/ب) أي: ولا يتأتى لكم إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعده ، وفيه تطييب لقلب رسول الله ﷺ فإنه إذا قيل للإنسان: قاتل ومعك هذا العبد ، فإنك إذا مت لا يملكه أحد بعدك - طابت نفسه بالزوجة المحترمة المصونة إذا قيل له : إنها لا تستبدل بعدك كان أطيب لنفسه وأقر لعينه .

ولما نزلت ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ الآباء والأبناء أو نحن نمنع من أقاربنا ؟ فنزلت ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ [٢] أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من الآباء والأبناء ، وترك ذكر العم والخال ؛ لأن العم أب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [٣] وإسحاق عم ، والخالة بمنزلة الأم في الحضانة ، وقوله : ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ انتقال من الغيبة إلى التكلم ، وفيه دليل على اهتمام واعتناء بهذه الإباحة .

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله : ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ معناه : إن الله يأمركم ويأمر ملائكته أن تسألوا للنبي ﷺ الرحمة ، وتجب الصلاة على رسول الله ﷺ ؛ لقوله : ﴿صَلُّوا۟﴾ وهو أمر ، والأمر يقتضي الوجوب واختلف في وقت الوجوب ؛ فقيل : تجب كلما ذكر ، وفي الحديث : " من ذكرت عنده ولم يصل عليَّ فدخل النار فأبعده الله "[٤].

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٠٢) لابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٥٧) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٣) .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٤٠٩) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب رقم (٢٤٩٩) ونسبه لابن خزيمة وابن حبان . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥) وهو جزء من حديث أوله : " أتاني جبريل فقال : يا محمد ، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين . فقلت : آمين . قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله، =

ومنهم من قال : في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره ؛ كما قيل في آية السجدة ، وأنه متى أعاد قراءة الآية التي فيها سجدة سجد ثانيا ، وكذلك تشميت العاطس يتكرر بتكرر العطاس ، وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ، ومنهم من أوجبها في العمر مرة واحدة ، وكذلك في إظهار الشهادتين ، والأحسن وجوبها عند ذكره ؛ للأخبار . والصلاة بمعنى الرحمة ، والقياس أن تجوز الصلاة على كل مسلم ؛ لقوله : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾(١) . وقوله ﷺ : " اللهم صل على آل أبي أوفى "(٢) .

ولكن للعلماء تفصيل في ذلك ، وهو أن ذلك يجوز تبعًا ولا يجوز استقلالا ، وهو أن تقول : اللهم صل على آل محمد ، فلا يجوز ذلك ؛ لأن هذه الألفاظ صارت شعارًا مخصوصة بجهات ؛ فيقال : الله عز وجل ، ولا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان محمد عزيزًا جليلا ، ولا يقال : عمر بن الخطاب صلى الله عليه ، ومعناه : رحمه الله ، ولو دعا له بالرحمة لم يمتنع ؛ ولأن إفراده للصلاة يوهم الرفض إذا صلى على علي وحده(٣) .

= قل: آمين. فقلت : آمين . قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل : آمين ، فقلت : آمين " .

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٤٩٧) ، ومسلم رقم (١٠٧٨) ، وأبو داود رقم (١٥٩٠) ، والنسائي (٥/ ٣١) ، وابن ماجه رقم (١٧٩٦) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٣٤٥) عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٣) قيل في سبب تسمية الشيعة بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر . وقيل : لأنهم طالبوا زيد بن علي بالتبرؤ ممن خالف عليًا في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة .

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه " تلبيس إبليس " (١ / ٣١) : " انقسمت الرافضة اثنتي عشرة فرقة ؛ العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ . والأمرية قالوا : إن عليًا شريك محمد في أمره . والشيعة قالوا : إن عليًا رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره . والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي . والناووسية قالوا : إن عليًا أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر . والإمامية قالوا : لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله . واليزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم . والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسنا خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه . والرجعية زعموا أن عليًا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم . واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم .=

وفي الحديث : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم "(١).

= والمتربصة تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلا آخر" . ثم قال في (١ / ١١٩) : " وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين وقال بعضهم : ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ . ومنهم من يقول بالتبرئ من غير علي .

ونقل عن ابن عقيل قوله : الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا ، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل : إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفَّى فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهليهم وذريتهم، فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده. خابت آمالنا في الشرع ؛ لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم ، فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول وزالت ثقتنا فيما عوَّلنا عليه من اتباع ذوي العقول ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله، فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

ثم قال ابن الجوزي : " وغلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماما معصوما وابتلوا بسب الصحابة " .

وقد وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم حيث قال (ص : ٣٩١) : " إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا؛ فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه؛ فيعطلونها عن الجمعة والجماعات، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها" . كما قال في (ص : ٤٣٩) : " الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح " .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين (١ / ١٦) : " وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوفيق، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام. وأبطلوا جميعا الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن عليًّا رضوان الله عليه كان مصيبا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا : ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته " .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣٦) وقال : غريب .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (١٩٨/أ) أي: يخالفن ما أمرا به، ويعبر عن المخالفة بالإيذاء، ويجوز أن يكون التقدير: يؤذون أولياء الله ورسوله، ولو قال قائل: جعل الإيذاء لله مجاز؛ لأنه لا يتصور أن يستطيعه أحد، وجعله للرسول ﷺ حقيقة لإمكانه، فجمع في اللفظ الواحد بين الحقيقة والمجاز وأنه لا يجوز.

وقيل: هو قول اليهود: يد الله مغلولة غلت أيديهم، وقولهم ثالث ثلاثة، وقولهم: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤهم. وقيل: قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته. وفي الحديث عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: " سبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، وآذاني ولم يكن له ذلك؛ فأما شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولدًا. وأنا أحد صمد، وأما أذاه لي فقوله: إن الله لن يعيدني كما بدأني "(١).

وقيل: قولهم في النبي ﷺ: كاهن وساحر ومجنون. وقيل: كسر رباعيته، وشج جبينه يوم أحد. وقيل: طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي بن أخطب. و[أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات](٢) لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ومعنى ﴿ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ بغير جناية واستحقاق. وقيل: نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليًا رضي الله عنه ويسمعونه. وقيل: في الذين أفكوا على عائشة.

وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات. وعن الفضيل: لا يحل لك أن تؤذي كلبا ولا خنزيرا بغير حق، فكيف بالمؤمنين؟(٣). وكان ابن عون لا يكري حوانيته لأهل الذمة؛ لما فيه من الروعة عند استحقاق الأجرة(٤).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤١٣)، ونسبه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) بدل ما بين المعقوفين في الأصل: وقيل: إيذاء الله: ورسوله المؤمنين والمؤمنات. والمثبت من الكشاف (٣ / ٥٥٩) وهو الأنسب للسياق.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٥٩).

(٤) ينظر السابق.

الجلباب : ثوب فوق الخمار ودون الرداء ، تديره المرأة على رأسها ، ويبقى منه ما ترسله على صدرها . وعن ابن عباس : الرداء الذي يستر من أعلى البدن إلى أسفله ، وقيل : الملحفة وكل ما يؤتزر به من كساء وغيره ؛ قال أبو زبيد : [من الوافر] :

مجلببٌ من سواد الليل جلبابا[1]

ومعنى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ يرخين ويغطين وجوهن وأعطافهن ، يقال إذا تقلص الإزار عن وجه المرأة : أدني ثوبك على وجهك ؛ وذلك أن النساء كن على عادتهن في الجاهلية مبتذلات ؛ تبرز المرأة في درع وخمار ولا فصل بين الحرة والأمة ، وكان الفتيان وأهل (١٩٨/ ب) الشطارة يتبعون النساء إذا خرجن بالليل ، وإذا قضين حوائجهن في النخيل والغيطان والخربات يتبعون الإماء ، وربما يتبعون الحرائر بعلة الأمة ؛ يقولون : حسبناها أمة؛ فأمر الحرائر أن يتميزن عن هيئة الإماء بما يعرفن به . ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرضن لهن ولا يلقين ما يكرهن . فإن قلت : ما معنى " من " في قوله : ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾؟ قلنا : المراد أن تستر ببعض الجلباب ما يخرجها عند حد ملابس الإماء . وقيل: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع ؛ حتى تتميز عن الأمة . وقال الكسائي : يتقنعن بملاحفهن مضمومة إليهن ، أراد بالانضمام معنى الإدناء[2]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط قبل النهي .

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات . وقيل : هم الزناة وأهل الفجور ؛ من قوله عز وجل : ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[3].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾ قوم كانوا يقولون عن سرايا رسول الله ﷺ أنهم قتلوا وأسروا ؛ فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين ، يقال : أرجف بكذا إذا أخبر به من غير تحقيق ، والمعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن فجورهم ، والمرجفون عما يقولون

---

(١) ينظر في : العين للخليل (٦ / ١٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٦٠) ، لسان العرب (جلب) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٦٠) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٣٢) .

من أخبار السوء - لنأمرنك أن تفعل بهم ما يسوؤهم ، ثم نضطرهم إلى الخروج من المدينة؛ لأن بقاءهم فيها ضرر على أهلها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زمنا قليلا بقدر ما يتهيأ لهم التجهز والخروج .﴿ مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال معًا ؛ كما مرَّ في قوله :﴿ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ولا يجوز أن يكون معمولاً لقوله : ﴿أُخِذُوٓاْ﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وقيل : ﴿قَلِيلًا﴾ هو منصوب على الحال بمعنى : لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء .

وقوله :﴿ لَا يُجَاوِرُونَكَ ﴾ معطوف على قوله :﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لأنه يجوز أن يجاب به القسم . ألا ترى إلى صحة قوله : لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ؟ فإن قلتَ : لو كانت الفاء مكان " ثم " لحصل مراد التعقيب والتسبيب (١٩٩/أ) قلت : لم يجعل الثاني مسببًا عن الأول ، بل عطف عليه ، وليس التعقيب والتسبب ههنا مرادين وإنما عطف بـ " ثم " للتراخي المعنوي ، وقد سبق ذكره مرارًا ؛ لأن الجلاء عن الأوطان أعظم عليهم وأطم ؛ قال الله — تعالى :

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ (١) فاكتفى لهم بالجلاء عن القتل .

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ أي : سنَّ الله ذلك سنة في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا

---

(١) سورة الحشر، الآية (٣) .

حيثما ثقفوا . وعن مقاتل : يعني كما قتل أهل بدر(١) . وكان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استهزاءً ، واليهود يسألونه امتحانًا ؛ لأن الله تعالى عمَّى ذكرها في الكتب المنزلة ؛ فلا أحد يطلع عليها ، ثم بين أنها قريبة الوقوع ؛ تهديدًا للمستعجلين ، وإسكاتًا للممتحنين . قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ أي : شيئًا قريبًا أو زمانًا قريبًا ، أو يعبر عن أحوالها وهيآتها ، وطرحهم في النار منكوسين مقلوبين وخصت الوجوه بالذكر لأنها أكرم شيء على الإنسان ، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة .

﴿كَالَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ قيل : نزلت في الذين تكلموا في تزويج رسول الله - ﷺ - بزينب بنت جحش (٢). ﴿ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ ما رتبه قارون مع المومسة أنها تقذفه بنفسها. وقيل : اتهامهم إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هارون هناك، فحملته الملائكة وطافت به عليهم حتى رأوه غير مقتول . وقيل : أحيا الله هارون فأخبرهم ببراءة موسى(٣). وقيل : قذفوه بعيب في جسده وأُدرة(٤) فأطلعهم الله عز وجل على أنه بريء منه (٥) ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة عنده ؛ فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع عنه الأذى . وقوله: ﴿مِمَّا قَالُواْ﴾ إما أن تكون " ما " مصدرية أو موصولة ، وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه ؟ فنقول : المراد بالقول مؤداه ومضمونه هو الأمر المغيب ، ألا ترى أنهم سموا السببية بالقالة ، والقالة بمعنى القول .﴿ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي : يقصد فيه الحق والعدل؛ يقال : سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد ، والمعنى: راقبوا الله عز وجل في حفظ ألسنتكم ، وسداد قولكم ، فإذا فعلتم ذلك حصل لكم الفوز العظيم ، وهو صلاح الأعمال ، ومغفرة الذنوب ونهاهم عن التعريض للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين (١٩٩/ب) وعن إيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين ، ثم أمر بحفظ اللسان

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٦١) .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٤١) ونسبه للنقاش ، والزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٦٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٥١) .

(٤) **الأدرة** : بالضم نفخة في الخصية يقال : رجل آدر بين الأدر – بفتح الهمزة والدال – الذي يصيبه فتق في إحدى الخصيتين . وقيل : الأدرة الخصية والخصية الأدراء : العظيمة من غير فتق . ولا يقال امرأة أدراء إما لأنه لم يسمع ، وإما أن يكون لاختلاف الخلقة . **ينظر** : لسان العرب (أدر) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٥٢) .

وتحرير القول قبل أن يبلغ من الفم .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ وهي التكاليف من الأمر والنهي ، وفيه وجهان : أحدهما : أن هذه الأجرام العظيمة ، وهي السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله -عز وعلا- انقياد مثلها ، وهو مما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التي يراد من مثلها ؛ حيث لم تمتنع عن مشيئته وإرادته إيجادًا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة ؛ كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[(١)] وأما الطاعة فإنها لازمة الوجود ، وعرضها على الجبال وإباؤها وإشفاقها مجاز، وإنما حمل على المجاز ؛ لاستحالة قبول هذه الأجرام لما تخاطب به وعدم فهمها له ، ولا يخاطب ما لا يعقل ، والمعنى بحمل الأمانة : أنه من استودع شيئًا فأبقاه في يده ، ولم يؤده إلى صاحبه يبقى حاملا لها محاسباً عليها ، ولو أداها سقط عنه حملها ولم يبق حاملا لها ، فالإنسان احتمل الأمانة ، ولم يقم بها فبقي حاملا لها ، ولو أداها لم يبق حاملا لها، ومن أمثالهم : تقلدها طوق الحمامة ، أي : بقيت في عنقه كما يبقى طوق الحمامة لا يفارقها. والثاني : حملها على ظاهرها وأنها حلت محل من لو خوطب بذلك لأجاب بهذا الجواب ؛ كما قال :

امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتَ بَطْنِي[(٢)]

والقرآن قد نزل بلسان العرب وهذه أساليبهم . وأما قولهم : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ﴾ فهي لام العاقبة والصيرورة ؛ كقوله تعالى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[(٣)]. ولم يلتقطوه لذلك ؛ بل صارت العاقبة إليه ، والله أعلم .

---

(١) سورة فصلت ، الآية (١١) .

(٢) ينظر البيت في : التوقيف على مهمات التعريف للمناوي (ص : ٥٩٤) ، الصحاح للجوهري (قطن)، العين للخليل (باب القاف مع الطاء) ، لسان العرب (قول) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨) .

تفسير سبأ [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ
(٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ
نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ
جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)﴾

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كله من الله ، فيجب شكر ذلك علينا . تقول : الحمد لله الذي كساني زيد وحملني عمرو ، أي : لله الحمد على ذلك . ﴿يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من النبات والقطر ؛ لقوله : ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١) ومن الكنوز والدفائن والأموات .

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والثلج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات . ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد ، وهو مع ذلك المستمر الرحمة لعباده ، الغافر لمقصرهم (٢٠٠/ أ) عن شكر هذه النعم . قولهم : ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ إنكار واستهزاء ؛ كقولهم : ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ (٢) . قوله عز وجل : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ أكَّد تحقق الساعة بالقسم بالرب ، ثم وصف نفسه بالإحاطة بجميع المخلوقات ، ومتى كان المقسم عظيما كان المقسم عليه كذلك . قوله عز وجل : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: إلا مكتوبًا ، والرزق الكريم : الجنة .

فإن قيل : المنكرون للبعث معتقدون أنه لا يكون ، فقسمه لا يرجع بهم إلى الحق ؟

---

(١) سورة الزمر، الآية (٢١) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٤٨) .

قلنا : إنما يتوجه السؤال إذا لم يقرن به ما تقوم به الحجة عليه ؛ لقوله تعالى :﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإن الجزاء من جملة العدل ، وإيصال كل ذي حق إلى حقه. ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ مقدار أصغر نملة ، وقرئ ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ ﴾ بالرفع فيهما على الابتداء ، وبالنصب على نفي الجنس[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَيَرَى﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا مستأنفًا ، أو منصوبًا على العطف لـ " يجزي " . قال بعض كفار قريش لبعض :﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون النبي ﷺ يخبركم أنكم إذا مزقتم كل تمزيق ، وصرتم رفاتا تنشأون خلقا جديدًا ، ثم قسَّم الأمر في ذلك بين أن يكون مفتريا على الله ، أو به جنون يغشاه فيداوى منه ، والعامل في﴿إِذَا ﴾ما دل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي : تبعثون ، ولا يعمل فيه ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ لأن ما بعد "إن " لا يعمل فيما قبلها ، وقد سبق نظيره في سورة النمل .

فإن قلت : ﴿جَدِيدٍ ﴾ بمعنى فاعل أو مفعول ؟ قلت : هو عند البصريين بمعنى فاعل(جد) فهو مجدود ، ومنه جداد النخل ، وهو قطع ثمرها ، وسقطت همزة الوصل في قوله : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولم تسقط في قوله :

﴿ءَآلسِّحْرُ﴾ [٢] و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ [٣] لأن مسألة السحر لو سقطت المدة لالتبس الاستفهام بالخبر ، بخلاف ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ؛ فإن الهمزة لو ظهرت لكانت مكسورة . قوله : ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ مجاز ؛ لأن البعد حقيقة في الأماكن ، وقد نسب البعد –ها هنا– إلى الضلال ، وإنما البعيد هو الضال ؛ قد أبعد عن الطريق فعوده إليها مبطئ مع بُعدِها .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ

---

(١) قرأ الجمهور " ولا أصغر من ذلك ولا أكبر " بالرفع ، وقرأ قتادة والأعمش بالنصب .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٥٨) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٦٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٩) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٨١) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٥٩) .

وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إن في النظر في آيات (٢٠٠/ب) السماوات والأرض. ﴿لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ وهو الراجع إلى ربه سبحانه وتعالى المطيع له. قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ إما أن يكون بدلا من ﴿فَضۡلٗاۖ﴾ وإما من ﴿ءَاتَيۡنَا﴾ وقوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ [بتقدير: قولنا يا جبال. أو: قلنا: يا جبال. وقرئ: (أوبي) وأوبي من التأويب، والأوب أي: رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه][(١)] ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يخلق فيها تسبيحًا كما خلق الكلام في الشجرة.

فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ تسبيح الجبال؟ قلت: الفرق بينهما أن الذي في الآية دال على عظمة الله وكبريائه؛ حيث جعلت الجبال مُنَزَّلة مَنْزِلَة العقلاء الذين يُنَادَوْن ويُخَاطَبون. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ جعلناه ليِّنا كالطين والعجين يصرفه بيده كيف يشاء. وقيل: إن داود عليه السلام كان قويًّا، فكان الحديد في يده كالعجين في يد غيره ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ أي: لا تجعل الحلق ضيقة فتفصم، ولا واسعة فتفلق، والسرد: نسج الدروع ﴿وَٱعۡمَلُواْ﴾ الضمير لداود ولأهله.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ منصوب بـ ﴿سَخَّرۡنَا﴾ المضمر؛ فمن قرأ "الرياح" بالرفع أو "الريح" فهو مبتدأ خبره ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ﴾ ومن نصب فهو مفعول بـ "سخرنا"[(٢)].

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي مثل ذلك. ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ النحاس وكان قد أذيب له ينبع من تحت الأرض كما ينبع الماء. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ بتسخيره. ﴿وَمَن يَزِغۡ﴾ يمل عن أمرنا له بطاعة سليمان. ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ هو عذاب الآخرة. وقيل: كان معه

---

(١) الكشاف (١٠١٦/١).

(٢) قرأ جمهور القراء "الريح" بالنصب، وقرأ شعبة عن عاصم "الريح" بالرفع، وقرأ أبو جعفر "الرياح" بالنصب. **تنظر القراءات في**: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٦٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٩٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٣٤)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٢)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٩).

ملك بيده سوط من نار إذا عصى الجني ضربه به من حيث لا يراه الجني .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

المحاريب : المساكن والمنازل الشريفة . وقيل : هي المساجد . والتماثيل : الصور من الملائكة والنبيين والصالحين ؛ كان يعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوها ، وإنما أمر سليمان عليه السلام بعمل الصور وهي حرام في شرعنا ؛ لأنه كان مباحًا في شرعهم ، ويجوز أن يراد أنهم كانوا يعملون تماثيل الأشجار وما لا روح فيه . وروي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلاه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما ، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما.

والجوابي : الحياض الكبار، قال [من الطويل] :

تَرُوحُ عَلَى آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشيخِ العِراقِي تفهق(1)

لأن الماء يُجبى (٢٠١/ أ) إليها ، أي : يجمع ، جعل الفعل إليها مجازا وهي من الصفات الغالبة ؛ كالدابة ، وقيل : كانت الجفنة يجلس عليها ألف رجل .

﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات . ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ فيه دليل على أن الشكر يكون قولا وفعلا. ﴿ شُكْرًا﴾ مفعول لقوله : ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ أو حال، أو مصدر ؛ كأنه قال : اشكروا شكرا.

﴿ٱلشَّكُورُ ﴾ المتوفر على الشكر ، الباذل وسعه فيه . وقيل : يشكر على الشكر ، أو يرى أنه عجز عن الشكر ، والعجز عن درك الإدراك إدراك ، وعن داود أنه جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي .

وسمع عمر رجلاً يقول : " اللهم اجعلني من ذلك القليل ، فقال عمر: كل الناس أفقه

---

(١) البيت للأعشى ، ينظر في : غريب الحديث لابن سلام (١ / ١٠٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٢)، لسان العرب لابن منظور (حلق ، جبى) وقال ابن منظور في لسان العرب (جبى) : " خص العراقي لجهله بالمياه ؛ لأنه حضري فإذا وجدها ملأ جابيته وأعدها ولم يدر متى يجد المياه وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يبالي ألا يجدها ، ويروى : كجابية السيح ، وهو الماء الجاري " . وتفهق : تمتلئ حتى تكاد تتدفق .

منك يا عمر "(١) .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ الدويبة التي تكون في الكبت . والمنسأة : العصاة ؛ لأنه بها يطرد ويؤخر ، وقرئ بفتح الميم(٢) . ومنسأة على مفعلة ، ومنسأته من طرف عصاه .

﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر ، و" أن "مع صلتها بدل اشتمال من ﴿الْجِنُّ﴾ كقولك : تبين زيد جهله . والظهور له ، أي : ظهر أن الجن﴿ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾أو علم الجن كلهم علما بيِّنا بعد التباس الأمر على عامتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب ، أو علم من ادعى علم الغيب من جهتهم ، وأنهم لا يعلمون الغيب , وإن كانوا عالمين بتخيل ذلك بحالهم . وقرئ ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ على البناء للمفعول(٣) .

روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في بيت المقدس المدد الطوال ، فلما دنا أجله لم يصبح يومًا إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله ، فيسألها : لأي شيء نبتِّ ؟ فتقول: لكذا ، حتى أصبح ذات يوم ورأى الخرُّوبة(٤) فسألها ، فقالت : نبتُّ لخراب هذا المسجد ، فقال : ما كان الله ليخربه وأنا حيٌّ ، أنت التي على وجهك هلاكي . فنزعها وغرسها في حائط له ، وقال : اللهم عَمِّ على الجن موتي ، حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب ؛ لأنهم كانوا يسترقون السمع ، ويوهمون الإنس أنهم يعلمون الغيب ، وقال لملك الموت :

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٣١) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي عن رجل عن عمر رضي الله عنه .

(٢) قرأ الجمهور من القراء " منسأته " وقرأ ابن ذكوان " منسأْته " بهمزة ساكنة ، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر " منساته " بألف محضة بدون همزة . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٦٧) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٧٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٣٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٩) .

(٣) قرأ بها ابن عباس ورويس ويعقوب . **تنظر في** : تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٣٧) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣١٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٤) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣٨٠) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨٦) .

(٤) **الخروبة** : شجرة الخروب شجر مثمر من الفصيلة القرنية، ثمارُهُ قرونٌ تؤكل وتعلفها الماشية. المعجم الوسيط: مادة (خرب).

إذا أمرت بي فأعلمني . فقال : أمرت بك ، وقد بقي من عمرك ساعة . فدعا الشياطين، فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي (٢٠١/ب) متكئًا على عصاه ، فقبض روحه وهو متكئ عليها ، وكانت الشياطين تجتمع على محرابه أينما صلى، فلم يكن الشيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق ، فمرَّ به شيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع ، فإذا سليمان خرَّ ميتًا ففتحوا عليه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة[(١)] فأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقدارًا منها، فحسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيًّا، فأيقن الناس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب سنة .

وروي: أن داود عليه السلام أسَّس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمَّه فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه ، فلما بقي من عمره سنة سأل الله أن يعمي عليهم موته؛ حتى يفرغوا، وليبطل دعواهم علم الغيب[(٢)] .

وروي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها، فلم يجسر أحد أن يدنو منه ، وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه[(٣)] .

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إما حكاية لما قال لهم الأنبياء ، وإما قيل بلسان الحال ، أو هم أحقاء بأني قائل لهم ذلك ، ولما قال : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ؛ ذكر سبب اقتضاء الشكر ، وهو قوله : ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ وعن ابن عباس ﷺ: كانت من أخصب البلاد وأطيبها ؛ لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية[(٤)] .

---

(١) **الأرضة** - بالتحريك - : دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع ، قال أبو حنيفة : الأرضة ضربان ضرب صغار مثل كبار الذر وهي آفة الخشب خاصة ، وضرب مثل كبار النمل ذوات أجنحة ، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذات قوائم والجمع أرض . **ينظر** : لسان العرب (أرض) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٧٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٦٨٢) لابن أبي حاتم .

(٣) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٤) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٧٥) عن ابن عباس ، ورواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٧٨) ،=

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ وَأَثۡلٍ وَشَيۡءٍ مِّن سِدۡرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ٱلۡعَرِمِ﴾ الجرد الذي نقب عليهم السَّكَر ، ضربت عليهم بلقيس بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فخفيت به ماء العيون والأمطار ، وتركت فيه ثلاثة أبواب على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم ، فلما طغوا قيل : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا يدعونهم إلى الله ، فكذبوهم وقالوا : ما نعرف لله علينا نعمة ، فسلط الله على سدِّهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم .

وقيل : ﴿ٱلۡعَرِمِ﴾ جمع عرمة ، وهي الحجارة المركومة . ويقال للكدس من الطعام: عرمة. وقيل : العرم اسم الوادي . وقيل : العرم : المطر الشديد . وقيل : كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ . والخمط : شجر الأراك . وعن أبي عبيدة : هو كل شجر ذي شوك[١]. وقال الزجاج : كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا (٢٠٢/ ب) يمكن أكله[٢]. والأثل : شيء يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودًا . والأثل والسدر معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمۡطٍ﴾ لأن الأثل لا أكل له . وقرئ ﴿وَشَيۡءٍ﴾ بالنصب[٣] عطفا على ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾ لأجل المشاكلة . وعن الحسن قال : السدر ؛ لأنه أجود ما بدلوه[٤].

وقرئ ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [٥] وهل يجازي هذا الجزاء إلا الله ؟ ولا يعذب به إلا

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٦٨٧) ونسبه لابن أبي حاتم عن ابن زيد .

(١) **ينظر** : مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢ / ١٤٧) .

(٢) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٤٩) .

(٣) حكاها الفضل بن إبراهيم . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٧١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٠) روح المعاني للألوسي (٢٢ / ١٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٦)، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٢١) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٧٦) .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر " وهل يجازَى " ، وقرأ الباقون " وهل نجازي " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٧١) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٨)، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٨٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٠) .

الكافر أو المؤمن . وقيل : يجازي به المؤمن؛ تُكفَّر سيئاته حسناته ، والكافر يُحبِط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي قرى الشام وكانت متواصلة يُرَى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين . أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لا تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم .

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ قيل : كان الحادي منهم يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًّا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء .

وقلنا لهم: ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا ﴾ ولا قول ، ولكنهم لما مُكّنوا من السير، وهُيئَتْ لهم أسبابه ، فكأنهم أمروا بذلك ، قيل : ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا وَأَيَّامًا ﴾ متطاولة﴿ لَيَالِيَ ﴾ قيل : ﴿ءَامِنِينَ ﴾ في ليلكم ونهاركم ؛ فإنكم في كل حين وزمان لا تُلْقَوْن فيها إلا الأمن .

فبطروا النعمة وملُّوا العافية ، وطلبوا الكد والتعب ، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم عوضًا عن المن والسلوى ، وقالوا : لو كان جنى جناتنا أبعد كان أقرب أن نشتاق إلى السفر ونركب الرواحل فيها ، ونتزود الأزواد فعجل الله لهم الإجابة[١] .

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾ فرقناهم في البلاد ، فإنه لما غرقت بلدهم تفرقوا ذاهبين كل فرقة إلى إقليم ؛ فذهبوا إلى الشام واليمن وغيرهما من الأقاليم ، و﴿مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى المصدر، أي : مزقناهم كل تمزيق .

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل مؤمن ؛ قال النبي ﷺ : " الإيمان نصفان ، نصف شكر ونصف صبر "[٢]. ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ بقوله :

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٨٥).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٣٩) للبيهقي في شعب الإيمان ولابن جرير وابن أبي الدنيا ،=

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1] فصدقه الله بقوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[2] فكان ظنه لاتباعهم صادقًا، ولم يكرههم إبليس على اتباعه.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ لنرى أو لنميز، أو نعلم العلم الذي يتعلق به الجزاء. وقوله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ إما لأولاد سبأ، أو لبني آدم كلهم، ثم استثنى نفرًا قليلاً بقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠٢/ب) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. إلا بحكمة بينة وهي تمييز الحق من الباطل والمستيقن من الشاك. ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ مفعولا " زعمتم " محذوفان والتقدير: زعمتموهم. والثاني: آلهة. ثم أجاب الله عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ ﴾ مقدار ذرة، وهي النملة الحمراء[3]. والهباء: الذي يظهر في الكوة عند دخول الشمس فيها، وما لشركائهم شركة في خلق السماوات والأرض؛ كقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[4] ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ وما لله تعالى من هؤلاء الشركاء من معين يعينه على ما يريده. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ يجوز أن يراد بالإذن للشافع أن يشفع، أو للمشفوع له أن يشفع فيه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كشف.

حكي أن بعض أهل اللغة سقط عن دابته فغشي عليه، ثم أفاق فرأى الناس مجتمعين عليه؛ فقال: ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة؟ افرنقعوا عني. فقال رجل من

=وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي وهو متروك كما قال النسائي وغيره، **وتنظر ترجمته في**: ميزان الاعتدال للذهبي (٧ / ٢٢٢) ولذلك قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٣١٠) ضعيف جدًا.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٠٢).

(٣) وقد أثبت العلم الحديث أن الذرَّة أصغر من ذلك بكثير.

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٤).

الواقفين عليه : هذه الجنية التي على رأسه تتكلم بالهندي [١].

فإن قلتَ : ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لماذا ؟ قلتُ : لما دل عليه الكلام من شفاعة من يشفع ، وانتظار الإذن وتوقع الشفاعة أن ينزل عليه الإذن ، وإذا نزل زال الهم والوجل عن قلوبهم . وقرئ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ برفع " الحق " [٢]. أي : قوله الحق .﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء فليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه . أمره بأن يقررهم بقوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقولهم : يرزقكم ﴿ٱللَّهُ﴾ وذلك إشعارٌ بأنهم مقرون بأن الله رازقهم ، فكيف يعبدون من لا يخلق ولا يرزق ؟ لأن في قلوبهم من العناد ما أخرسها عن النطق بالكذب .﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ هذا تقسيم يسمى تجاهل العارف ، وهو ها هنا في قوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾وهو يعلم أنه على هدى ، وأن الكافر في ضلال مبين ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ [٣]

وقول حسان [من الوافر] :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ [٤]

---

(١) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٥) ، وذكر ابن منظور في لسان العرب (كأكأ) أن صاحب هذه القصة هو عيسى بن عمر وهذا من كلامه .

(٢) قرأ بها ابن أبي عبلة وقراءة الجمهور بالفتح .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٧٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٨) ، معاني القرآن للأخفش (٢ / ٤٤٥) .

(٣) البيت لذي الرمة، **ينظر في** : أدب الكاتب لابن قتيبة (ص : ٢٢٤) ، الأزهية في الحروف للهروي (ص: ٣٦) ، الأغاني للأصفهاني (١٧ / ٣٠٩) ، الخصائص لابن جني (٢ / ٤٥٨) ، الدرر اللوامع (٣ / ١٧) ، ديوان ذي الرمة (ص : ٧٥٠) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢ / ٢٥٧)، شرح المفصل لابن يعيش (١ / ٩٤) ، الكتاب لسيبويه (٣ / ٥٥١) ، لسان العرب (جلل) ، المقتضب للمبرد (١ / ١٦٣) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٢٧).

(٤) **ينظر في** : تذكرة النحاة (ص : ٧٠) ، الدرر اللوامع (١ / ٢٩٦) ، ديوان حسان (ص : ٧٦) ، مغني اللبيب لابن هشام (ص : ٦٢٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٨٢) ، المقتضب للمبرد (٢ / ١٣٧) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٢٨٩) .

وإنما جعل حرف الجر المعدي لفعل الضلال جره بـ " في " ، وجعل المتعدي إلى الهدى جره بـ " على " لأن (٢٠٣/أ) صاحب الحق كالراكب على جواد مستعليا عليه وصاحب الباطل على شك وتردد .

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

وقوله :﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا ﴾ كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [1] حتى زعم زاعمون أن هذه الآية منسوخة وليس ذلك بصحيح ؛ لأن النسخ على خلاف الأصل ، ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره ؛ فهو أولى من الحمل عليه بالنسخ ، والمذكور في هذه الآية وهو قوله : ﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا ﴾ باقٍ على حكمه لم ينسخ فإنَّ أحدًا لا يسأل عن أحد ، وكذلك قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ فإن لكل أحد دينه لا لغيره .

﴿ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ يحكم الله بيننا ، وإنما قال :﴿ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم ﴾ مع أن النبي ﷺ كان يراهم ويشاهدهم ؛ لأنه أراد أن يبين لهم خطأهم في دعواهم الشركة لهم .

﴿ كَلَّا ﴾ رد وردع لهم عن اعتقادهم الفاسد بعد ما أوضح بطلانه .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ الرسالة عامة . وقال الزجاج[2] : المعنى كافًا للناس ، والهاء للمبالغة كما تقول : علامة ونسابة ، وحماد الراوية ، ومن جعله حالاً من المجرور فقد أخطأ ؛

(١) سورة الكافرون ، الآية (٦) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٥٤) .

لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه ، وهو كتقديم المجرور على الجار[١].

قرئ ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ و﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ [٢] والميعاد : ظرف الوعد من مكان أو زمان ، وهو ها هنا الزمان ، والدليل عليه قراءة ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ فأبدل اليوم من الميعاد ، وجعله هو نفسه وأما من نصب " يومًا " فعلى الظرف ، والعامل فيه محذوف أي : أعني يومًا ، أو خفوا يومًا ، ثم يجوز على هذا أن يرتفع " يوم " بإضمار " هو " . ومن جرَّه فبالإضافة ، وإنما صلح قوله :﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ﴾ جوابا والسؤال عن تعيين الزمان بقوله: ﴿مَتَىٰ﴾ لأنه لم يقصد به الجواب عن تعيين الزمان ، وهم إنما سألوا بـ " متى " استهزاء وتكذيبًا ، فأجيبوا بأن هذا الأمر لم يطلع عليه أحد ، ولا يستطيعون تأخُّرًا ولا تقدُّمًا.

﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ما نزل من الأخبار السماوية قبل نزول القرآن ، وأن كفار قريش سألوا أهل الكتاب الذين بجوارهم ، فأخبروهم أنهم يجدون نعت رسول الله ﷺ في كتابهم فأغضبهم ذلك ، وكفروا بما أنزل على موسى وعلى جميع الأنبياء . وقيل : ﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ القيامة ، والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن مُنزَّلا من عند الله وأنكروا الإعادة .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ ولكل سامع ، والجواب محذوف تقديره : لرأيت أمرًا عظيمًا (٢٠٣/ ب) والمستضعفون هم الأتباع ، والمستكبرون هم الرؤساء والمقدمون، أجاب المستكبرون بإنكار أن يكونوا هم الذين صدوا .

---

(١) قال العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب (١ / ٢٩٢) : " ولا يجوز تقديم حال المجرور عليه ؛ لأن العامل في الحال هو العامل في صاحب الحال ، والعامل في صاحبها هو الحرف المعلق بالفعل فصار كالشيء الواحد فتقديمها على الجار يفصل بين الفعل والحرف ؛ ولأن حرف الجر لا تصرُّف له، وهو العامل في صاحب الحال، وليس له معنى يعمل به، فامتنع قولك : مررت قائما بزيد ، وقائما مررت بزيد والقيام لزيد . وقال بعض النحويين : يجوز تقديمها عليه ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ والجواب : أما كافة فحال من الكاف لا من " الناس " والهاء فيها للمبالغة، والتقدير : ما أرسلناك إلا كافة للناس كفرهم " .

(٢) قرأ الجمهور " ميعادُ يومٍ " ، وقرأ ابن أبي عبلة " ميعادٌ يوماً " وقرئ أيضا " ميعادٌ يومٌ " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٧ – ٤٤٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ /٣٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٥ / ٢٥٨) .

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وأدخلوا حرف الاستفهام على الشخص ، ولو كان الفعل منكرًا لقال : أصددتم ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ و"إذ" ظرف لا يتصرف ، ولا يخرج عن الظرفية ، فكيف أضيفت إليه " بعد "؟ لكن قد اتسع في ظرف الزمان ؛ كما أضيف إلى الجمل ؛ كقوله : جئتك أيام الحَجَّاج أمير.

لما أنكر المستكبرون أنهم تسببوا في ضلال المستضعفين ، ونسبوا ذلك إلى اختيار المستضعفين كرر عليهم المستضعفون بالرد وقالوا :﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي : كنتم تامروننا بالكفر الليل والنهار ، ولولا ذلك ما حصل الضلال ، وقوله : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تقديره : بل مكركم في الليل والنهار ؛ كقول الشاعر [من الرجز] :

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ[١]

وقيل : جعلوا الليل والنهار ماكرين مجازًا ؛ كما جعلوهما مهلكين في قوله :﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[٢] فإن قلتَ : لم حذف حرف العطف من قوله : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ﴾؟ قلتُ : لأنها مقاولة جرت ، والمقاولة لا يدخل فيها حرف العطف ؛ كقوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر المقاولة[٣] وفي سورة الحجر : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى آخر

---

(١) **ينظر البيت بلا نسبة في** : الأمالي لابن الشجري (٢ / ٥٧٧) ، خزانة الأدب (٣ / ١٠٨) ، شرح المفصل (٢ / ٤٥) ، الكتاب لسيبويه (١ / ١٧٥) ، المحتسب (٢ / ٤٩٥) ، همع الهوامع (١/ ٢٠٣) . والشاهد فيه : أن الظرف إذا توسع فيه يجوز حينئذٍ إضافته على طريق الفاعلية ، وهنا الظرف " الليلة " متصرف ، قد أضيف إليه " سارق " وهو وصف . قال سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٦) : " فإن نونت فقل : يا سارقاً الليلة أهل الدار . كان حد الكلام أن يكون " أهل الدار " على " سارق " منصوبا ، ويكون " الليلة " ظرفا ؛ لأن هذا موضع انفصال ، وإن شئت أجريته على الفعل على سعة الكلام " . ثم قال : " ولا يجوز " يا سارق الليلة أهل الدار " إلا في شعر ؛ كراهية أن يفصل بين الجار والمجرور " .

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٤) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٢٣) .

المقاولة[١] وأما قول المستضعفين فلا جواب له .

والواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ تعود إلى الجنس المشتمل على نوعي المستضعفين والمستكبرين . تندم المضلون على ضلالهم وإضلالهم ، وتندم الضالون على ضلالهم . قيل : ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ أظهروا . وقيل : أخفوا ؛ مشترك بين الشيء وضده .

﴿فِىٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فجاء بالصريح مبالغة .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّى يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِى ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّى يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَىۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها وكبراؤها الذين أترفتهم النعمة . هذه تسلية لرسول الله ﷺ أي : إن الأنبياء قبلك كذبوهم قومهم كما كذبوك وأبطرتهم النعمة وقالوا : كثر الله أموالنا وأولادنا ، ولو أراد بنا السوء لما فعل بنا ذلك . ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أرادوا أنهم أكرم على الله عز وجل من أن يعذبهم ؛ نظرا إلى أحوالهم في الدنيا ، وقد أبطل الله عز وجل حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء على حسب ما يراه من المصالح . ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ (٢٠٤/أ) وقدر الرزق : تضييقه .

﴿رَبِّى يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ تارة ويقبضه أخرى ؛ لما يعلمه من المصالح التي هو أعلم بها. والأظهر أن﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ في موضع رفع ؛ إلا إيمان من آمن . و" من " : إما شرطية ، وإما موصولة ، ودخلت الفاء ؛ لأن صلتها فعل ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا ، ويكون الضمير في ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ لجميع المؤمنين والكفار.

والزلفى : مصدر ، ومعناه تقربكم قربى . ﴿وَهُمۡ فِى ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ أن يكون حالاً ، والعامل فيه ﴿ءَامَنَ﴾ وكذلك قوله :﴿فِى ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴾ فيه الوجهان، والمعنى : أن

---

(١) الآية (٥٧) .

الأموال لا تقرّب أحدًا إلا من أنفقها في سبيل الله عز وجل ، وكذلك الأولاد إلا لمن علمهم الجدَّ في طاعة الله عز وجل . ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول ، كأنه قال : يجازون الجزاء المضاعف . ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ لا يعوضه سواه ، إما عاجلا بالمال ، وإما بالقناعة التي هي كنز لا ينفد ، وإما آجلا بالثواب الذي كل خَلَفٍ دونه .

﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأعلاهم رب العزة ، فإن كل من رزق غير الله من سلطان يرزق جنده ، أو سيدٍ يرزق عبده ، أو رجل يرزق عياله؛ فإن الله عز وجل الذي أجراه على أيديهم ، وهو رزق من الله عز وجل . وعن بعضهم : كان يقول : الحمد لله الذي أوجدني، وجعلني ممن يشتهي ؛ فكم من مشتهٍ لا يجد ، وكم من واجد لا يشتهي !

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ هذا الخطاب للملائكة ، وفيه تعيير للكفار ، وقد علم الله أن الملائكة وعيسى لم يؤثروا عبادة غير الله عز وجل ، وهو قوله عز وجل لعيسى : ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾(١) مع علمه تعالى بأن عيسى لم يقل . والموالاة : مفاعلة من الوَلْي ، وهي القرب كما أن العداوة مأخوذة من العَدْو ، وهو البعد ، والولي يطلق على المتولِّي والمتولَّى ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢). ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(٣). بينوا بموالاتهم لله عز وجل وعداوتهم

(١) سورة المائدة ، الآية (١١٦) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٩٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٦) .

لأعدائه أنهم برءاء مما نسب إليهم . وقيل : كانوا يعبدون الجن ؛ يطيعونهم فيما يغضب الله عز وجل . ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معطوف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ والإشارة الأولى إلى رسول الله ﷺ والثانية إلى القرآن ، والثالثة إلى الحق ، والحق هو أمر النبوة كله، ودين الإسلام . وقوله : ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (٢٠٤/ ب) دليل على مبادرتهم إلى الإنكار قبل أن يتأملوا الكلام وصحته ؛ فبادروا بجعله سحرًا بيِّنًا لا يخفى . ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها برهان على صحة الشرك وما جاءهم بذلك رسولٌ ؛ كما قال عز وجل : ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [١] . أو وصفهم بأنهم ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ لا يعلمون من العلم شيئًا . وما بلغ هؤلاء المتأخرون ﴿مِعْشَارَ﴾ ما أوتي أولئك المتقدمون ويجوز أن يراد : ما أوتي المتقدمون معشار ما أوتي المتأخرون من العلم بالشرائع وصفات الله تعالى . والمعشار : كالمرباع ، وهما العشر والربع .

فإن قلتَ : فما معنى ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ ؟ وهو مستغني عنه بقوله :﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ؟ قلتُ : لما كان معنى قوله عز وجل : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ؛ جعل تكذيب الرسل مسببًا عنه .

﴿بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا﴾ بدل من قوله عز وجل ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أو خبر ابتداء محذوف ، أو منصوب بإضمار أعني ، وأراد بالقيام ؛ إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عنه وإما القيام [الذي لا يُراد] [٢] به المثول على القدمين ، بل المراد الاهتمام به والانتصاب لقضائه ، والمعنى : أن تقوموا جماعات ومتفرقين ، وإنما اقتصر على ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ دون غيرهما من الأعداد ؛ لأن الإنسان إذا انفرد وحده بالفكر وعرض ما أدّاه إليه ذهنه على قواعد صحيحة إذا لم يكن متعسفًا متقيدًا بأشياء يحفظها من قديم الزمان ؛ فربما ظهر له - على الأغلب - الصواب وكذلك الاثنان إذا اجتمعا وتناصفا من غير غرض لهما في البحث مع وجود الفكرة والروية ، فالظاهر أنهما يصلان إلى الحق ، فأما إذا كان العدد أكثر من ذاك ثار العجاج ، واختلفت الآراء ، ويجري كثير من ذلك في المجالس والمحافل ويبعد ظهور الصواب . وأراهم بقوله عز وجل : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أن هذا الأمر العظيم

---

(١) سورة الروم ، الآية (٣٥) .

(٢) في الأصل : فلا يراد ، والمثبت كما في الكشاف (٣ / ٥٨٩) وهو أنسب لسياق الكلام .

الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعًا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان ؛ إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طلب بالبرهان فعجز ، بل لا يدري ما الافتضاح وما (٢٠٥/أ) رقبة العواقب ؟ وإما عاقل راجح العقل ، مرشح النبوة ، مختار من أهل الدنيا ، لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه ، وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة عليه ، وقد علمتم أن محمدًا ما به من جنة ، بل علمتموه أرجح قريش عقلا ، وأرزنهم حلمًا ، وأثقبهم ذهنًا ، وأصلبهم رأيًا ، وأصدقهم قولاً ، وأشرفهم نفسًا ، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويُمدحون به ؛ فكان مظنة لأن تظنوا فيه الخير ، وتُرجِّحوا فيه جانب الصدق ، وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية ؛ فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين .

فإن قلت: بم يتعلق : ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾؟ قلتُ : يجوز أن يكون كلاما مستأنفًا تنبيهًا من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ ، ويجوز أن المعنى : ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم . وقد جوز بعضهم أن تكون " ما " في قوله : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ استفهامية . ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه السلام : " بعثت في أنفاس الساعة "[1].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

قوله : ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب لقوله :﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ كقوله : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾الآية[2]. وفيه معنيان : أحدهما : نفي مسألة الأجر رأسًا ؛ كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئًا فخذه مني ، وهو يعلم أنه لم يعط شيئًا . والثاني : أن يريد بالأجر ما أراد في قوله : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3] لأن دعاءهم لتسبيح الله عز وجل ، وتعظيمه نفعه عائد إليهم لا إليه ، وكذلك المودة في القرابة لأنها قد انتظمته وإياهم .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢١٣) وقال : غريب ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٨٨) وذكره في السلسلة الضعيفة رقم (٦٢٥) ونسبه للخرائطي في كتاب " فضيلة الشكر " وللديلمي ، وقال : ضعيف جدا .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٢) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (٢٣) .

القذف والرمي : توجيه السهم[١] إلى المرمى مع تحامل [ويستعاران من حقيقتهما لمعنى][٢] للإلقاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[٣]. ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾[٤]. ومعنى قوله تعالى : ﴿رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه صلوات الله عليهم ، أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه . ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ رفع على " إن " واسمها أو المستكن في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف . وقرئ بالنصب[٥] صفة لربي ، أو على المدح . الحي لا يخلو في حال حياته أن يبدئ أمرًا أو يعيده ؛ فإذا مات انقطع ذلك ؛ فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد ؛ كناية عن الموت ؛ قال [من الرجز] :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ ... فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ[٦]

وعن ابن مسعود أنه قال : " دخل النبي ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة (٢٠٥/ ب) وستون صنمًا فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول : ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٧] .

"جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد "[٨].

---

(١) في الكشاف : تزجية السهم ، والتزجية : الدفع برفق . **ينظر** : لسان العرب (زجى) .

(٢) بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩١) .

(٣) سورة الحشر ، الآية (٢) .

(٤) سورة طه ، الآية (٣٩) .

(٥) قرأ عامة القراء بالرفع " علامُ " وقرأ زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق بالنصب "علام". **تنظر في** : البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (٢ / ٢٨٣) ، التبيان للعكبري (٢ / ١٩٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٥٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٦) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٥٧) .

(٦) البيت لعبيد بن الأبرص ، **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٥٣) ، ديوان عبيد (ص : ٤٥) ، العين للخليل (٢ / ٢١٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩١) ، لسان العرب (قفر) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ١٩٨) .

(٧) سورة الإسراء ، الآية (٨١) .

(٨) رواه البخاري رقم (٤٢٨٧) ، ومسلم رقم (١٧٨١) ، والترمذي رقم (٣١٣٨) ، وأحمد في المسند (١ / ٣٧٧) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٨٦٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

والحق: القرآن . وقيل : الإسلام . وقيل : الباطل هو إبليس ، ولا يبدئ إبليس خلقًا ولا يعيده . وقيل : لا يبدئ ولا يعيد ، أي: لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة .

وقال الزجاج : " ما " في قوله : ﴿وَمَا يُبْدِئُ﴾ استفهامية ، وكذلك ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ [1] .

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ضَلَلْتُ﴾ وعدي الضلال بـ " على " بقوله :﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ وجعل قرينه ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ﴾ والقياس : وإن اهتديت فلها ، كقوله : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [2] لأن الهدى من الله ، وإنما يتيسر بأسباب يسهل بها وقوع الطاعة ، والضلال ؛ كالراكب على الحيوان ، الضابط لنفسه .

وجواب ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ محذوف ، أي : لرأيت أمرًا عظيمًا ، والأفعال التي هي ﴿فَزِعُوا۟﴾ ﴿وَأُخِذُوا۟ ﴾ ﴿ وَحِيلَ ﴾ المراد المستقبل وهي ماضية في اللفظ ؛ لأن أخبار القيامة تأتي على صيغة الماضي ؛ لتحققها عند الله كتحقق ما مضى وثبت . ﴿فَزِعُوا۟﴾ وقت الموت .

وقيل : البعث . وقيل : يوم بدر. وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : " إن جيشًا يغزون الكعبة يريدون هدمها فيخسف بهم "[3]. فجاءت الآية دالة على ذلك ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ فلا يفوتون الله ، والأخذ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من صحراء بدر إلى القليب ، أو تحت أقدامهم إذا خسف بهم ، وفيما عطف عليه قوله﴿وَأُخِذُوا۟﴾ وجهان : أحدهما : على ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ أي : فلا يفوتون وأخذوا . والثاني : على ﴿فَزِعُوا۟﴾ والتقدير : ولو ترى إذا فزعوا وأخذوا .

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي : بمحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله :﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٥٨) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٤٦) .

(٣) رواه البخاري رقم (٢١١٨) ، ومسلم رقم (٢٨٧٣) ، وأحمد في المسند (٦ / ١٠٥) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٧٥٥) ، عن عائشة ﵂ .

والتناوش : التناول ، إلا أن التناول يقع على ما فيه رفق وما لا رفق فيه ، والتناوش يقع على ما لا رفق فيه أصلا ، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يتأتى ، وهو قبول الإيمان عند نزول العذاب ؛ كما أن المؤمنين نفعهم إيمانهم قبل مجيء القيامة .

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ حكاية حال ماضية كقوله :﴿بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [1]﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾هو قبول الإيمان يوم القيامة ؛ لقوله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾الآية[2].

﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾ من كان على مثل عقيدتهم (٢٠٦/ أ) ومذهبهم .

﴿مُّرِيبٍ﴾ إما أن يكون من أرابه : إذا حصل فيه الريب ، أو من أراب الرجل : إذا صار ذا ريب .

* * *

(١) سورة الكهف ، الآية (١٨) .

(٢) سورة غافر ، الآية (٨٥) .

تفسير سورة فاطر [مكية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتديها ومبتدعها ، وعن ابن عباس : ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم رجلان في بئر ؛ فقال أحدهما : هي بئري وأنا فطرتها ، أي : ابتدأتها[١].

﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفة للأجنحة ، وإنما لم ينصرف لتكرر العدل فيها ، والتقدير: أولي أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة . وزعم الزمخشري[٢] أنه لا يفترق الحال في مثنى وثلاث بين المكررة ، وغير المكررة وفيه نظر ؛ لأن غير المكررة حقيقة بأن تنصرف ؛ لأن مثنى وثلاث المكرر إنما نقل إلى هذا الوزن ليدل على التكرر؛ فالتكرر هو موجب منع صرفها ؛ فلا تستوي المكررة وغيرها .

﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل : في عدد الأجنحة . وقيل : في الجناح الثالث والرابع تقوية واستظهار ، والجناحان الأولان هما الأصل .

فإن قلتَ : قياس قسمة الأجنحة أن يكون في كل شق نصفها ، فأين موضع الثالث إذا كانت ثلاثة ؟ قلتُ : يجوز أن يكون الجناح الثاني في الوسط يعطي الجناحين قوة ، ويجوز أن يكون الجناح الثاني لغير الطيران ، قال الزمخشري : " رأيت في بعض الكتب أن بعض الملائكة لهم ستة أجنحة : جناحان يلفون بهما أجسادهم ، وجناحان يطيرون بهما ، وجناحان مرخيان على وجوههم ؛ حياء من الله "[٣]. وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح[٤]. وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل مرة أخرى فغشي عليه،

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٥٨) ونسبه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩٥) .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩٥) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٩٩٣) ، ومسلم رقم (٢٥٣) ، والترمذي رقم (٣١٩٩) .

ثم أفاق وجبريل يسنده ، فقال النبي ﷺ : " سبحان الله ، ما كنت أظن أن خلقًا يكون كذا ، فقال له جبريل : لو رأيت إسرافيل !! فإن أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب والعرش على كاهله وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كالوصع ؛ وهو العصفور الصغير "(١).

وقيل في قوله : ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ إنه الصوت الحسن والوجه الحسن والشعر الحسن. وقيل : الخط الحسن ، والآية أعمُّ ؛ فإنها تتناول كل زيادة من اعتدال وطول وتمام أعضاء وقوة بطش وحصانة العقل وجزالة الرأي وسماحة النفس وذلاقة اللسان ولباقة المتكلم .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٥) إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) ﴾

وحسن بأن استعير الفتح للإطلاق والإرسال ، والمعنى : فلا فاتح له ، أي: ما يفتح الله من رحمة (٢٠٦/ ب) أي : من نعمة أو رزق أو مطر أو غير ذلك من أصناف أنعامه لا يقدر على حصرها إلا هو ، وتنكير ﴿رَّحْمَةٍ﴾ للإشاعة والإبهام ؛ كأنه قال: من أي رحمة كانت من سماوية أو أرضية فلا يقدر أحد على حبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه . فإن قلتَ : فلم أنّث الضمير أولا فقال : ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكَّره ثانيا فقال : ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ ؟ قلتُ : هما لغتان : الحمل على لفظ "ما" لأنه مذكر ، والحمل على معناها ؛ لأنه بمعنى الرحمة . وقيل : لما فسر الرحمة كان الرجوع إلى معناها أقرب من لفظها ، ولما لم يسمها في الثانية ناسب أن يحمل على لفظها.

---

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (١ / ٧٤ رقم ٢٢١) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٢٨) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣ / ١٤٦) : وهو مرسل جيد . قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٥ / ١٩٠) : **الوصع** : يُروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من العصفور، والجمع وصعان .

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد إمساكه . ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ، لكن باللسان وبالقلب ، وحفظها من الكفران ، وشكرها : الاعتراف بإنعام مهديها . والخطاب عام في الأمر بالتذكر ، وعن ابن عباس : " يريد : يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم ؛ حيث أسكنكم حرمه ، ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم " . وعنه : نعمة الله : العافية[1].﴿يَرۡزُقُكُم﴾ يجوز أن يكون لا موضع له من الإعراب ؛ لأنه ابتداء كلام ، وأن يكون له موضع إذا كان صفة لخالق . فإن قلت: هل فيه أن (الخالق) لا يطلق على غير الله عز وجل ؟ قلت : نعم إذا جعلت﴿يَرۡزُقُكُم﴾ كلامًا مستأنفًا ، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، ولو وصلتها بـ "يرزقكم " لم يصح ؛ لأنه يصير التقدير: لا خالق يرزق إلا الله فمفهومه : أن من كان خالقًا ولم يكن رازقًا يمكن وجوده وليس كذلك . ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ تقلبون من الحق إلى الباطل ، ومنه تسمية المؤتفكات قرى لوط ؛ لأن الأرض خسفت بهم فقلبت ؛ وسمي الباطل إفكًا لأنه يقلب الحق عن صورته . وقوله :﴿ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ونعي على قريش سوء اعتمادهم مع الأنبياء ؛ كانوا رسلا عددهم كثير وعقولهم تامة فصبروا على ما كذبوا وأوذوا فتأسَّ بهم .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ كمن لم يزين له ذلك ، وهو كقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[2]. أي : كمن لم يشرح ؟ فإن قلت : لم جاء قوله :﴿ فَتُثِيرُ﴾ فعلا مضارعًا دون ما قبله وما بعده ؟

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٩٧) .

(٢) سورة الزمر، الآية (٢٢) .

قلت : ليحكي الحال في إثارة الريح السحاب ، ويستحضر تلك الحالة العجيبة الدالة على القدرة الربانية ، ومنه قول تأبط شرًا (٢٠٧/أ) [من الوافر] :

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَسْعَى ... بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ[١]

كأنه يريهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدة ، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة ، قيل :﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ و﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ معدولاً بهما عن لفظة الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه . والكاف في " كذلك " في محل الرفع أي : مثل ذلك إحياء الموتى ونشورهم . وروي: "أن رجلا سأل النبي ﷺ : كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال : هل مررت بوادٍ أهلك محيلا ، ثم مررت به يهتز خضرًا ؟ فقال : نعم . فقال : كذلك يحيي الله عز وجل الموتى "[٢]. وقيل : يحييهم الله عز وجل بماء ينزله من تحت العرش كمني الرجال حتى تنبت منه أجسادهم وتنشق الأرض عن نفوسهم .

كان الكافرون يتعززون بالأصنام ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾[٣]. والمنافقون يتعززون بالمشركين﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٤]. فلم يجعل لأحد نصيبًا في العزة ؛ فوضع قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضع قوله : فليطلبها منه . كما تقول : من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، والمراد:

---

(١) ينظر البيتان في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٠١) ويروى البيت الثاني : فاضربها فاقتلها .... والسهب : الفضاء المستوي بعيد الأطراف . والصحيفة : الكتاب . والصحصحان : المستوي من الأرض . والجران: مقدم عظم العنق . والمعنى : يا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخبارا يقينيا بأني قد لقيتها في مكان متسع مستو ، فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٦١) ونسبه لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) سورة مريم ، الآية (٨١) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٣٦) .

فليطلبها منهم . ثم عرف أن طريق طالب العزة إنما هو الإيمان والعمل الصالح بقوله :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ والكلم الطيب: لا إله إلا الله ؛ فإذا اقترنت بالأعمال الصالحة كان أجدر لقبولها . وقيل : الرافع الكلم والمرفوع العمل ؛ فإنه لا يقبل عمل إلا مع التوحيد لله عز وجل . وقيل : الرافع الله ، والمرفوع العمل . وقيل :﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ كل ذكر من تسبيح وتهليل وتكبير وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك . وعن النبي ﷺ : " هو قولك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل "[١]. (٢٠٧/ ب) وعن ابن المقفع[٢]: " قول بلا عمل كزبد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ". وقرئ ﴿وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣] والرافع الله أو الكلم .

و﴿وَمَكْرُ﴾ لا يتعدى وإنما نصب﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لأنه نعت مصدر محذوف ، أي: مكروا المكرات السيئات ؛ لقوله :﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [٤] وعنى بالمكر مكر قريش بالنبي ﷺ في دار الندوة . ﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الماكرين في دار الندوة حقيق بالدمار والهلاك . قال ابن الزبعري[٥] لما أسلم [من الخفيف] :

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٦٢) ونسبه لابن جرير الطبري وعبد بن حميد والطبراني والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن ابن مسعود .

(٢) **هو عبد الله بن المقفع** أحد البلغاء والفصحاء ورأس الكتّاب وأولي الإنشاء ، وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به . وكان ابن المقفع مع سعة فضله وفرط ذكائه فيه طيش ، وروي عن المهدي قال : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع . قال الأصمعي: صنف ابن المقفع الدرة اليتيمة التي ما صُنِّفَ مثلها . مات سنة خمس وأربعين ومائة .
تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٢٠٨) وينظر قوله في الكشاف (٣ / ٦٠٣) .

(٣) قرأ " والعملَ " بالنصب ابن أبي عبلة وعيسى بن عمر ، وقراءة الجمهور " والعملُ " بالرفع .
تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٦١) ، فتح القدير (٤ / ٣٤١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٠).

(٤) سورة فاطر، الآية (٤٣) .

(٥) هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي الشاعر ، كان من أشد الناس على رسول ﷺ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان من أشعر الناس وأبلغهم، يقولون: إنه أشعر قريش قاطبة . قال محمد بن سلام: كان بمكة شعراء، فأبدعهم شعرا عبد الله بن الزبعري . قال الزبير : كذلك يقول رواة قريش: إنه كان أشعرهم في الجاهلية . قال أبو عمر بن عبد البر – رحمه الله – : كان =

يَـــا رَسُـــولَ المَلِيـــكِ إِنَّ لِـــسَانِي رَاتِـــقٌ مَـــا فَتَقْـــتُ إِذْ أَنَـــا بُـــورُ[1]

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ، أو ذكرانًا وإناثا .﴿ بِعِلْمِهِۦ﴾ في موضع الحال ، أي : لا معلومة لـه . فإن قلتَ : ما معنى قوله :﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾؟ قلتُ : معناه : وما يعمر من أحـد ، سمـاه معمّرًا بما هو صائر إليه . فإن قلتَ : الإنسان إما يعمر طويل العمر أو منقوص العمر ، أي : قصيره ، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال ، فما معنى الآية ؟

قلتُ : هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة بصحة فهم السامعين ، وعليه كلام الناس: أطـال الله بقاءك ، ومدَّ في عمرك . وقيل : الستون حد المعمر ؛ فمن بلغهـا فمعمـر ومـن لم يبلغهـا فمنقوص العمر . والكتاب : اللـوح ، ويجـوز أن يـراد بكتـاب الله تعـالى علمـه أو صـحيفة الإنسان . ضرب البحرين الحلو والملح مثلين للمؤمن والكافر، ثم استطرد بذكر ما أنعـم بـه في أحدهما أو فيهما من أكل السمك واستخراج اللؤلؤ والمرجان .

= يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك، ثم أسلم عبد الله الزبعري عـام الفـتح بعـد أن هـرب يـوم الفتح إلى نجران، فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد فمـا زاده عليـه : لا تعـدمـن رجـلا أحلـك بغـضه نجران في عيش أجد أثيم ، فلما بلغ ذلك ابن الزبعري قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسـلامه واعتذر إلى رسول الله ﷺ ، فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد ، ومن قوله بعد إسلامه للنبي عليه السلام معتذرا :

يـــا رســـول المليـــك إن لـــساني راتـــق مـــا فتقـــت إذ أنـــا بـــور
إذ أجـاري الـشيطان في سـنن الغـي أنـــا في ذاك خاســـر مثبـــور
يـشهد الـسمع والفـؤاد بـما قلـت ونفـــسي الـــشهيد وهـــي الخـــبير
إن مـــا جئتنـــا بـــه حـــقّ صـــدق ســـاطع نـــوره مـــضيء مـــنير
جئتنـــا بـــاليقين والـــصدق والـــبر وفي الـــصدق والـــيقين الـــسرور
أذهـــب الله ضـــلة الجهـــل عنـــا وأتانـــا الـــرخاء والميـــسور

في أبيات له ، **والبور** : الضال الهالك وهو لفظ للواحد والجمع ، توفي سنة (١٥ هـ) .
تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ٩٠١ – ٩٠٣) .

(١) **ينظر البيت في** : الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ٩٠٢) ، تفسير ابـن جريـر الطـبري (١٣ / ٢١٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ١٦١) ، غريب الحديث للخطابي (١ / ٢٠٠) .

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ شواق الماء بجريها ؛ يقال : مخرت السفينة الماء . ويقال للسحاب: بنات مخر ؛ لأنها تمخر الهواء ، والسفن الذي اشتقت منه السفينة من المخر؛ لأنها تسفن الماء كأنها تقشره .﴿ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الضمير عائد إلى الله تعالى ولم يسبق له ذكر، وإنما أعاد الضمير لما دل عليه الكلام من سياقه . وحرف الرجاء مستعار ، أي: عاملنا معاملة الراجي . و﴿فُرَاتٌ﴾ الذي يكسر العطش . والسائغ : السريع الانحدار إلى المعدة (٢٠٨/أ) حلاوته . و﴿مِلْحٌ﴾ على فعل ، والأجاج : الذي يحرق بملوحته ، هذه طريقة الاستطراد وذكر البحرين ، وجر ذكرهما ما فيهما من المنافع ، وتحتمل وجهًا غير الاستطراد : وهو أن الله ضرب البحر الملح للكافر ثم فضل البحر على الكافر بما يستخرج من البحر من اللؤلؤ والسمك ، والكافر خلو من المنفعة بالكلية ؛ فهو كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(1) . ضرب مثلا للقلوب بالحجارة ثم فضل الحجارة على القلوب بما خلق الله فيها من المياه والمنافع ؛ فقال : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى آخر الكلام .﴿ ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر ﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر بعد خبر.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ خبر آخر ، ويجوز أن يكون اسم الله عز وجل عطف بيان لـ" ذلكم " ويجوز أن يكون صفة لـ " ذلكم " . والقطمير : لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها. إن تدعوا الأوثان﴿ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾على سبيل الفرض والتمثيل ؛ لأنهم لا يدعون ما يثبتون لهم من الإلهية .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٤) .

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي : بإشراككم إياهم ؛ يقولون : ﴿مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [(١)] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر وهو مثل خبير ، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي ينبئك بالحقيقة دون سائر المخبرين به ، والمعنى أن هذا الذي أحدثكم به من حديث الأوثان هو الحق ؛ لأني خبير بما أحدث به . وإنما جاء باسم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ مع أن لفظ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾كاف في مقابلة ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ لأن الحميد يدل على أنه فعل ما يحمد عليه وإنما يفعل ذلك من تم غناه فلم يفتقر إلى أحد غيره وهو الله عز وجل .﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بممتنع . ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يطيعونه ولا يعصونه .

الوزر والوقر أخوان ، أي : لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى . ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ بالحمل ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ تخفيف ﴿حِمْلِهَا﴾ أو حمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ذا قرابة للداعي . فإن قلتَ : كيف نوفق بين هذا ، وبين قوله : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[(٢)] ؟ قلتُ : آية العنكبوت جاءت في الضالين المضلين ؛ يحملون أوزار ضلالهم وأوزار إضلالهم ، والضالون يحملون أوزار ضلالهم خاصة ؛ لأنهم لم يضلوا أحدًا . (٢٠٨/ب) ألا ترى كيف كذّب الله المضلين فقال: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾الآيتين[(٣)] ؟ فقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾أي: ولا تزر حاملة ، أخص من المثقلة بالحمل فهو أبلغ ، والمثقلة أخص من الحاملة ؛ لأن الحاملة تكون مثقلة وغير مثقلة . إنما ينفع إنذارك ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ بفعل الطاعات وترك المعاصي . وقوله : ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ يؤكد قوله :﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ لأن خشية الله تعالى باعثة على الطاعة واجتناب المعصية فإن قلت : كيف اتصل قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله ؟ قلت : لما غضب عليهم بقوله : ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾أتبع ذلك بالإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد كرر الإنذار فلم يؤثر فيهم ؛ فنزل ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[(٤)] .

---

(١) سورة يونس ، الآية (٢٨) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (١٣) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (١٢) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٩٠٧) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ
﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ مثل الكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلاً لهما ، والنور والظلمة والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب ، والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام ، وللذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر.

و﴿الْحَرُورُ﴾ السموم ، إلا أن السموم يكون بالنهار ، والحرور يكون بالليل والنهار. وقيل: بالليل . فإن قلتَ : ما هذه الواوات ؟ [قلتُ][1] : بعضها ضمت وترًا إلى وتر ، وبعضها ضمت شفعًا إلى شفع ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني : أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل . قوله :﴿ بِالْحَقِّ ﴾ حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين ، أو صفة للمصدر؛ أي : إرسالا مصحوبا بالحق ، أو: صلة لـ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي : بشيرا بالوعد الحق ، ونذيرا بالوعيد الحق . والأمة : الجماعة الكبيرة . فإن قلتَ : كم بين عيسى ومحمد -صلى الله عليهما- من أمة ولم يخل فيها نذير ؟ قلتُ : إنما بقاء دين النبي يعمل به بعده بمنزلة بقائه ، وجميع من اتبعه أمة واحدة . ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات .

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ التوراة والإنجيل .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) زيادة من الكشاف يقتضيها السياق ، وليست بالأصل .

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ كالمشمش والتفاح وغيرهما، وقيل: ﴿أَلْوَانُهَا﴾ الصفرة والحمرة والخضرة وغيرها. والجدد: الخطط والطرائق، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (٢٠٩/أ).

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ قيل: هي الجبال الطوال السود. فإن قلتَ: يقال: أخضر ناضر، وأصفر فاقع، وأسود حالك وغربيب، وأحمر قاني، فنرى التابع المؤكد متأخرًا، وهاهنا وجد المؤكد متقدمًا؟ قلتُ: الوجه أن تجعل المؤكد متأخرًا وتضمر قبل المؤكد ذكر اللون، ولابد من تقدير مضاف تقديره: ومن الجبال ذوو جدد من بيض وحمر وسود؛ حتى يطابق قوله: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: بعض مختلف ألوانه. والمراد ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ الذين يعلمون صفاته، وما يجب له وما يستحيل عليه، وفي الحديث: " أعلمكم بالله أشدكم له خشية "[(١)].

وفي زيادة العلم بالله سبحانه زيادة الخوف من انتقامه. وقد أثَّرت فيه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلتَ: هل يختلف المعنى بين تقديم المفعول على الفاعل وبين تأخيره؟

قلتَ: نعم، فإنك إذا قدّمت اسم الله وأخرت العلماء؛ كان المعنى: أن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى وصار تقديره: إنما يخاف الله العلماء. ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما سبق قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فذكر ما يستدل به على عظيم قدرته أتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وعن النبي ﷺ: " إني أرجو أن أكون أتقاكم لله وأشدكم له خشية "[(٢)]. ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته. وقيل: يتبعون ما فيه ويعملون به. وقيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر " إن ". والتجارة: طلب الثواب بالطاعة. وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿لَّن تَبُورَ﴾ وتقديره: تجارة تبقى وتنمى ليوفيهم بها، وإن شئت جعلت ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال، أي: راجين أن يوفيهم وخبر " إن " ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لهم شكور لعملهم.

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٦٩) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن صالح أبي الخليل.

(٢) رواه مسلم رقم (١١١٠)، وأحمد في المسند (٦ / ٦٧، ١٥٦، ٢٤٥)، وأبو داود رقم (٢٣٨٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٩٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ
(٣١) ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ
سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ (٣٢) جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ (٣٣) وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا
فِيهَا لُغُوبٞ (٣٥)﴾

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، " ومن " للتبيين أو للجنس. ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال مؤكدة؛ لأن الصدق لا ينفك عنه. ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا﴾ يعني: أورثناك الكتاب ثم أعلمناك أنا نورثه بعدك للعلماء بالقرآن. ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم ثم قسمهم إلى ﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ وهو المرجأ لأمر الله، و﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو الذي خلط (٢٠٩/ب) عملا صالحًا وآخر سيئا، و﴿سَابِقُۢ﴾ من السابقين، وإنما قدم الظالم على بقية الأصناف؛ لأنهم أكثر الخلق. ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ معطوف على محل ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ و" من " للتبعيض، أي: يحلون بعض أساور من ذهب.

وقيل: إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ. ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ هو مثل قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [(١)]. وقيل: هو حزن الأعراض والآفات. وقيل: حزن الموت. وقيل: حزن إبليس ووسوسته. وقيل: هَمُّ المعاش. وقيل: حزن زوال النعم، وقد أكثروا حتى قالوا: كراء البيت. وتأويله: لا يحزنهم شيء وإن قل حتى كراء البيت. وفي الحديث: " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في محشرهم، ويؤتى بأهل لا إله إلا الله فيخرجون من قبورهم، وينفضون التراب عن وجوههم، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن "[(٢)].

﴿لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ دليل على كثرة حسناتهم. ﴿ٱلۡمُقَامَةِ﴾ الإقامة؛ يقال: أقمت إقامة ومقامًا ومقامة. ﴿لُغُوبٞ﴾ تعب وإعياء. وقرئ: ﴿لَغُوبٞ﴾ بالفتح[(٣)] إما مصدر كالقبول

---

(١) سورة الطور، الآية (٢٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٩٤٤٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٥ – ٨٦)، ونسبه للطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر. وقال الهيثمي: وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٨٩٨).

(٣) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وسعيد بن جبير. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان =

والفرق بين اللغوب والنصب أن النصب : التعب ، واللغوب : ما يحصل بسبب النصب ، والنصب : نفس المشقة ، واللغوب : نتيجته .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾

وقرئ ﴿ فَيَمُوتُوا ﴾ [١] عطفا على قوله: ﴿ لَا يُقْضَىٰ ﴾ كقوله: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [٢] ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ﴾ أي : مثل ذلك الجزاء نجزي . ﴿ يَصْطَرِخُونَ ﴾ من الصراخ ، وهو الصياح بجهد . فإن قلتَ : لم حذف الموصوف في قوله : ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ وأقام الصفة مقامه ؟ وما فائدة قوله : ﴿ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ على أنه يوهم أنهم كانوا يعملون صالحًا غير هذا العمل ؟

قلتُ : لزيادة التحسر على ما فاتهم من العمل الصالح ، وأما الوهم فزائل بسياق الكلام ، ودليل الغضب في قوله : ﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ . ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ أي: فيقال لهم : أو لم نعمركم ؟ ﴿ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ وهو يشمل كل من أدرك من عمره وقتًا يمكنه فيه العمل ، إلا أن التوبيخ على صاحب العمر الأطول أولى . وروي أن العمر الذي أعذر الله فيه لمن أدركه ولم يتذكر ستون سنة . وقيل : ما بين العشرين إلى الستين . وقيل : ثماني عشرة سنة . و﴿ النَّذِيرُ ﴾ الرسول . وقيل : الشيب . وعطف قوله (٢١٠/أ)

= (٧/ ٣١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٦) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٢٤) .

(١) قرأ بها الحسن وعيسى بن عمر . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣١٦) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٥٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٧) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٠١) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية (٣٦) .

﴿تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ على معنى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ فكأنه قال : قد عمرناكم وجاءكم النذير. ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بمعنى مضمراتها .

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) ﴾

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ إن نافية أي : ما يمسكهما من أحد من بعده ؛ كما في قوله تعالى : ﴿بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١) وروي: "أن ابن عباس لقي رجلا، أخبره ذلك الرجل أنه لقي كعبًا فسأله : ما سمعت منه ؟ فقال : سمعته يقول : إن السماوات على كاهل ملك . فقال ابن عباس : كذب ، ثم تلا ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية "(٢). روي: "أنه بلغ قريشًا أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم ، فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى ، أتتهم رسل فكذبوهم ، والله لئن أتانا رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ فلما بعث رسول الله ﷺ كذبوه . وقوله : ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي : من واحدة منها . وقيل: المعنى لنكونن أهدى من الأمة التي يقال فيها أنها أهدى الأمم ، ومنه قوله ﷺ للمقداد : إحدى سوءاتك يا مقداد " (٣) .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٦٥) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٦١٧ – ٦١٨) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣ / ١٥٧) : رواه الطبري في تفسيره قال : حدثنا محمد بن بشار، ثنا عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: "جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال من لقيت؟ قال : لقيت كعبا ، قال ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك . قال : لقد كذب كعب ؛ إن الله يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ الآية . وهذا سند صحيح وهو كما تراه عن ابن مسعود لا عن ابن عباس، ولعله اشتبه على المصنف عبد الله بعبد الله . قلت : وتبع السخاوي هنا الزمخشري في هذا الوهم والاشتباه .

(٣) رواه مسلم رقم (٣٨٣١) في حديث طويل عن المقداد بن الأسود ﷺ قال : "أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي ﷺ : احتلبوا هذا اللبن بيننا. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه، قال : فيجيء من الليل فيُسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان، قال : ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب ،=

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ (١).

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ إما حال أو مفعول من أجله أو مصدر. ﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنزال العذاب على من كذب منهم، وجعل استقبالهم لذلك انتظارًا له. ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: بشؤم

= فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي، فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني، وعلمت أنه ليس إليها سبيل؛ قال: ندمني الشيطان، فقال: ويحك، ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده، فيدعو عليك؛ فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك، وعلي شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ، فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو علي فأهلك، فقال: اللهم أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني. قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها علي وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن؛ فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة، وإذا هن حفل كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشربتم شرابكم الليلة؟ قال: قلت: يا رسول الله اشرب. فشرب، ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب، ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد رُوي، وأصبتُ دعوته، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، قال: فقال النبي ﷺ: إحدى سوآتك يا مقداد. فقلت: يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا. فقال النبي ﷺ: ما هذه إلا رحمة من الله، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس".

(١) سورة المدثر، الآية (٣٥).

ذنوبهم . وقيل: بحبس المطر فتهلك الحيوانات . ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ، أو جزاء أعمالهم .

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ وعيد بالجزاء .

* * *

تفسير يس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ يسٓ ﴾بالفتح كـ " أين " وبالنصب بمعنى: اتل يس ، وبالضم كـ " منذ " ، وبالرفع على هذه يس ، وبالجر على حذف حرف القسم وإدغام النون في السين وإظهارها وإمالة (يا) وتفخيمها[1] . وقيل : معناها : يا إنسان في لغة طيئ ، وشك بعضهم في صحة الرواية بذلك عن لغة طيئ ، ووجهه إن صح : أنه كان الأصل : يا أنيسين ، فكثر دورانه على الألسنة، وحذف شطره وبقي يا سين .

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ، أو لأنه تنزيل من حكيم . ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبر بعد خبر ، أو صلة للمرسلين . فإن قلتَ : قوله ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبرًا كان أو صلة أي حاجة إليه والمرسلون لا يكونون إلا كذلك ؟

قلت : ليس الغرض تميز من هو على صراط مستقيم من الرسل عمن ليس كذلك ؛ بل القصد الإعلام بأنه سالك طريقا لا يقدر قدرها ، ولا يعرف مقدار عظمتها (٢١٠/ب) والتنكير دال عليه .

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

وقرئ ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وبالنصب على أعني ،

---

(١) قرأ جمهور القراء بسكون النون والإظهار مع الواو ، وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه ، وقرأ بالفتح ابن إسحاق بخلاف عنه وعيسى بن عمر عن الغنوي ، وقرأ الكلبي بالضم ، وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو السمال بالكسر ، وأمال " يا " حمزة والكسائي وأبو بكر . **تنظر في** : الإملاء للعكبري (٢/ ٢٠١) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٣)، تفسير القرطبي (١٥ / ٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٤ – ٤٧٥) ، السبعة (ص : ٥٣٨)، المحتسب (٢ / ٢٠٣) ، المحرر الوجيز (١٣ / ١٨٦) .

وبالجر على البدل من القرآن[١] .

﴿قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ما : نافية ، أي : لتنذر قومًا لم ينذر آباؤهم ؛ على الوصف ، ويجوز أن تكون " ما " مصدرية ، أي : لتنذر قومًا إنذارًا مثل ما أنذر آباؤهم .

فإن قلتَ : فالمعنيان يتعارضان ؛ لأن الأول ينفي إنذار الآباء والثاني يثبته ؟ قلتُ: لا تعارض ؛ لأن الأول في نفي إنذار الآباء ، والثاني في إثبات إنذارهم أنفسهم .

فإن قلتَ : ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ بم يتعلق ؟ قلتُ : على الأول يكون متعلقا بـ﴿ مَّآ أُنذِرَ ﴾ أي: ترك الإنذار سبب غفلتهم . وعلى الثاني : متعلقة بـ ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ كما تقول : أرسلتك إلى فلان لتنذره فهو غافل . و﴿إِلَى﴾ في قوله ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ على بابها من انتهاء الغاية متعلقة بمحذوف ، التقدير: فهي واصلة إلى الأذقان ؛ لأن ملتقى الغل من أمام الوجه تكون فيه حلقة تمنع مطاطأة الرأس ، فلا يزال رافعًا رأسه مقمحًا ، يقال : أقمح البعير: إذا رفع رأسه من الشرب لبرد الماء ، وهما شهرا قماح وهما كانون الأول وكانون الثاني؛ لأن الماء فيهما يبرد فيحتاج شاربه إلى أن يرفع رأسه قليلا قليلا .

وقد قال قائل : إن الضمير في قوله : ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ راجع إلى الأيدي مضمومة إلى الأعناق وهو بعيد ؛ لأن ذلك لا يكون سببًا في الإقماح المذكور[٢] .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ

---

(١) قرأ بالرفع نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ، وقرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بالجر أبو حيوة واليزيدي وأبو جعفر وشيبة . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٥) ، السبعة (ص : ٥٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٠) .

(٢) قال ذلك الطبري في تفسيره (٢٢ / ١٥٠) وعبارته : " وقوله إلى الأذقان يعني فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم فكني عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان " .

ورد ذلك الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦) فقال : " ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه " .

بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾

وقرئ " إنا جعلنا في أيديهم " ، " وفي أيمانهم "[1] وهو ضعيف ؛ لما سبق من كون الغل سببًا في الإقماح . وقرئ ﴿سَدًّا﴾ بالفتح والضم[2]. وقيل : ما كان من فعل الناس فبالفتح ، وما كان من فعل الله فبالضم .

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فألبسنا أبصارهم غشاوة ، أي : غطيناهم . وقرئ (فأعشيناهم) بالعين[3] من العشاء ، وهو تعذر الإبصار بالليل . وقيل : نزلت في بني مخزوم ، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه ، فجاء النبي ﷺ فصلى فأخذ أبو جهل حجرًا ليرضخ به رأسه كما زعم ، فيبست يده ولصق الحجر بجلده ، فلم يقدر على فكه إلا بجهدٍ ، فقال مخزومي آخر: أنا أرضخه بهذا الحجر فقام ليفعل فأعمى الله بصره[4].

قوله عز وجل : ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ متعلق بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية، أي : لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم ؛ لأجل السد المانع من ذلك ؛ لأنهم متعامون على النظر في الآيات . فإن قلتَ : قوله : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ (٢١١/أ) إنما يتوجه إذا كان الإنذار حاصلاً ، وقد تقدم قوله : ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ؟

---

(١) قرأ " في أيديهم " ابن عباس ب ، وقرأ ابن مسعود ﷺ " في أيمانهم " . تنظر في : تفسير القرطبي (١٥ / ٧) ، فتح القدير (٤ / ٣٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧٣) .

(٢) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف " سدا " بفتح السين ، وقرأ الباقون " سدا " بضم السين . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٩٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٥) .

(٣) قرأ بها ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن ويحيى بن يعمر وأبو رجاء وعكرمة .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٥) ، تفسير القرطبي (١٥ / ١٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٤١٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٠٤) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧٣) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٢ / ١٥٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٤٣) للبيهقي في الدلائل .

قلتُ : لما كان المقصود بالإنذار الانكفاف والانزجار فإذا لم يحصل فكأنه لا إنذار ، وإنما ينفع إنذارك من كان غير مطبوع على قلبه ، وخاشيا ربه بالغيب ومنتفعًا بـ ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: بالقرآن أو بالموعظة .

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

﴿نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ حمل على الحقيقة . وقيل : يخرجهم من الكفر إلى الإيمان ؛ فجعل المجاز في الإحياء والإماتة .﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ ما أسلفوا من أعمال صالحة ، وما علموه من علم أو صنفوه من كتب أو حبسوه من حبس أو سيئة ؛ كالظلامات التي أحدثها الظلمة، وتعليم الفاحشة والخنا ، وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1] أي: قدم من أعمال ، وأخر من آثاره . وقيل: هي أثر المشي إلى المساجد ، وأراد بعض الصحابة أن ينتقل إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ فقال له : " ابق على مسكنك ؛ فإن خطواتكم إلى المساجد من آثاركم ، وتلا: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ الآية [2].﴿فِيٓ إِمَامٖ﴾ أي : في كتاب ، وأراد بالكتاب : اللوح المحفوظ .

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي : واجعل أصحاب القرية مثلاً لهم ، وهو كقولك : عندي ضرب من هذا المتاع ، وضربت القصة خاتمًا ، وضربت الطين لبنًا.

و﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ، و﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ رسل عيسى عليه السلام ، وبعثهم عيسى دعاة إلى الحق . ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا﴾ فقوينا﴿بِثَالِثٖ﴾ وهو شمعون الصّفا وكان عيسى قد بعث

---

(١) سورة القيامة ، الآية (١٣) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٨) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : " خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم " .

اثنين إلى أنطاكية ، فلما بلَّغا الرسالة إلى الملك لم يقبلهما وحبسهما ، ثم بعث عيسى رجلاً ثالثًا وهو شمعون فتحيل حتى اتصل بحاشية الملك وكان يحضر في مجلس الملك فقال يومًا للملك : إنه بلغني أنك حبست رجلين جاءاك برسالة ؟ فقال : نعم ، أحضروهما فأحضروهما ، فسألهما شمعون : فقالا : ربنا الذي يحيي ويميت ، فنحن نبرئ الأكمه والأبرص فأحضر الملك غلامًا أعمى ، فدعوا الله عز وجل فانشق موضع البصر ، ثم أخذا بندقتين من طين فوضعاهما في موضع شق العين ، فصارا مقلتين صحيحتين ؛ فقال شمعون للملك : إن قدر إلههما أن يحيي ميتًا آمنا به ، والملك يحسب أن شمعون من أصحابه ، وكان شمعون يدخل معهم إلى الأصنام فيسجد معهم في سجودهم (٢١١/ب) ويتضرع إلى الله تعالى ، فقال شمعون للملك : إن أحيا هذان ميتًا قويت حجتهما ، فأحضر الملك غلاما له مات من سبعة أيام ، فأحياه الله تعالى بدعائهم ، وقال : إني أدخلت في سبعة توابيت من نار ، فآمنوا بالله ورسله ؛ فإني رأيت السماء قد انشقت ورأيت شخصًا يشفع لهؤلاء الثلاثة ، فانكشف حال شمعون ، وعرفوا أنه على دين عيسى عليه السلام ، ودعا شمعون الملك إلى الله عز وجل فأجابه وكذبه الآخرون ؛ فأهلك الله تلك القرية كلها ؛ نزل جبريل وأخذ بعضادتي باب المدينة ، وصاح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين[(١)].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ
طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ
قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ
لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا
تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ تشاءمنا ؛ كما قالوا لصالح وللمؤمنين الذين معه : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [(٢)]. ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ قيل : بالحجارة . وقيل : لنقتلنكم . قالت لهم الرسل جوابًا :

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤ / ٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٤٧) .

﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ يعني أن هذا الشؤم الذي أصابكم إنما هو شؤم معاصيكم .﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أعرضتم وتطيرتم بنا . وجاء حبيب النجار من آخر المدينة لما سمع باجتماع الناس لقتل الرسل ، وكان قد آمن من قبل ذلك بالحواريين .﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ على دعائه ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أتم الناس عقلا وذلك أن التهمة تحصل لمن دعا إلى أمر ينشئه إما بأن له في ذلك غرضًا ، وإما أن يكون في عقله نقص ، فنفى الله هذين المانعين عن الرسل ؛ وقال : ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ ثم تلطف حبيب النجار في تخليص الرسل بأن فرض الكلام في غلط نفسه وشرع يلومها فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ولم يقل : ما لكم ؟ ونظيره في التلطف قول مؤمن آل فرعون : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ ثم قال : ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ فقد قسم الكذب مع علمه بأن الرسول لا يكذب ؛ لأن الملوك لا يخاطبون بما يكرهون . ثم قال : ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [1] وإذا كان صادقًا أصابهم كل ما وعدهم به ، ثم صرح حبيب النجار بموافقته لدين عيسى فقال : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ فقتلوه ، فلما وقف بين يدي الله - تعالى - ورأى ما أعده له من الكرامة أدركته الشفقة على قومه فقال :﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ يجوز أن تكون " ما " في ﴿ بِمَا غَفَرَ﴾استفهامية ، أي : بأي شيء جعل لي الغفران ، وأن تكون موصولة (٢١٢/ أ) والتقدير: يعلمون أي شيء غفر لي من الذنوب ، وأن تكون مصدرية ؛ أي : بمغفرة ربي ، إلا أنها إذا كانت استفهامية فالغالب حذف ألف الاستفهام ؛ ونحوه : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[2]﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [3] ولم يقل: عما،﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[4] ولم يقل: فبما ، ويجوز ثبوت الألف مع الاستفهام ؛ كما قال حسان بن ثابت الأنصاري [من الوافر]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمُ   كخنْزِيرٍ تَمَرَّغَ في رَمَادِ[5]

---

(١) سورة غافر، الآية (٢٨) .

(٢) سورة الطارق ، الآية (٥) .

(٣) سورة النبأ ، الآية (١) .

(٤) سورة الحجر ، الآية (٥٤) .

(٥) **ينظر في :** تفسير الطبري (١٩ / ١٥٦) ، تهذيب الأسماء للنووي (٣ / ٣١٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٠) ، لسان العرب (قوم) .

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه إلى أن نبعث جندًا . ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ وما كان هذا من شأننا وعادتنا . ﴿إِن كَانَتْ﴾ إهلاكتهم إلا بصيحة واحدة صاحها جبريل ، فهلكوا أجمعين ، يعني : إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة ، وقرئ بالرفع على التامة وهي بعيدة [(١)] لأن التقدير يصير : وما وجد إلا صيحة .﴿ خَٰمِدُونَ﴾ كالنار إذا طفئت وبقيت رمادًا .

﴿يَٰحَسْرَةً﴾ نادى الحسرة كأنه قال : يا حسرة هذا وقتك فتعالي . وقيل : هم أحقاء بأن يقال عليهم يا حسرة على هؤلاء العباد . ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ ليس معمولا لقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[(٢)] ، سواء كانت للاستفهام أو للخبر ، إلا أن الفعل عامل في﴿كَمْ﴾ من جهة المعنى ، والتقدير: ألم يروا كثرة إهلاكنا ؛ كما تقول : ألم تر أن أباك المنطلق ، فعملت في المعنى لا في اللفظ . وقوله : ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يبطل قول أهل الرجعة [(٣)]. وروي أن رجلا قال لابن عباس : إن عليا مبعوث فقال : " بئس القوم نحن ، نكحنا نساءه ، وقسمنا ميراثه "[(٤)].

---

(١) قرأ بها أبو جعفر وشيبة والأعرج ومعاذ القارئ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٢) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٦٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٠) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٠٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٩) .

(٢) وذلك لأن الاستفهام له صدر الكلام ، ولكن يعمل فيه ما بعده ؛ لأنه لا يخرجه عن المصدر في اللفظ . **ينظر** : التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١ / ١١٠ ، ٢٢٣) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (١ / ١٦٢) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٨٩ ، ٥٤٥) .

(٣) **أهل الرجعة** ويسمون الرجعية فرقة من فرق الرافضة زعموا أن عليا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم " . ينظر عنهم : تلبيس إبليس لابن الجوزي (١ / ٣٢) ، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٥) .

(٤) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣ / ١٦٤) للحاكم في مستدركه في فضائل الصحابة عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن الأصم قال: قلت: للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن عليا=

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قرئ ﴿لَمَّا﴾ بتخفيف الميم [1] على أن ﴿وَمَا﴾ زائدة ، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة والمعنى : أنهم محضرون للحساب والجزاء كما مضى في عدة مواضع . فإن قلتَ : لم أخبر عن ﴿ كُلٌّ ﴾ بـ ﴿جَمِيعٌ﴾ ولغتاهما سواء ؟ قلتُ : هما مختلفتان ؛ لأن ﴿ كُلٌّ ﴾ يفيد معنى الإحاطة والشمول ، و﴿جَمِيعٌ﴾ يفيد الاجتماع ، والجميع : فعيل ، بمعنى مفعول ، وتقدم ﴿فَمِنْهُ﴾ على ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ لأن الحب فيه قوام الآدميين والحيوانات ، فإذا قل جاء القحط وغلا السعر. ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ هو سقي النبات والأشجار، واستنباط العيون والآبار . وذكر النخيل والأعناب ثم أفرد الثمر في قوله : ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ لأنه إذا علم حكم النخل في الثمر عرف مثله في الكرم . وقيل : أراد : ليأكلوا من ثمر ذلك ، قال رؤبة في حمر الوحش [من الرجز] :

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقْ كأنهُ في الوجهِ توليعُ البَهَقْ [2]

(٢١٢/ ب) فقيل له في ذلك ، فقال : أردت : كأن ذلك .

= عليه السلام مبعوث قبل يوم القيامة فقال كذبوا ما أولئك شيعة لو كان مبعوثا ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله انتهى وسكت عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٥٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي إسحق قال قيل لابن عباس إن ناسا يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، فسكت ساعة ثم قال : بئس القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه أما تقرأون ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز " لَمّا " بالتشديد ، وقرأ الباقون " لَمَا " بالتخفيف .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٩٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢١) ، مجمع البيان (٨ / ٤٢٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩١) .

(٢) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٤) ، غريب الحديث للحربي (٣ / ١٠٣١) ، الكشاف للزمخشري (١ / ١٤٩ ، ٤ / ١٥) لسان العرب (بهق) ، ويروى : كأنه في الجسم توليع البهق . وكأنه في الجلد توليع البهق .

ولك أن تجعل " ما " في قوله : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ نافية ، أي : ولم تعمله أيديهم .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾

﴿الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها . وفي الحديث : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "(١). ونحوه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(٢) ﴿ مُظْلِمُونَ ﴾ داخلون في الظلام ، يقال : أظلمنا ؛ كما يقال : أعتمنا .

﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد مؤقت . قيل : المستقر : هو مجراها من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق ؛ فهو مجراها الذي لا تفارقه . وقرئ (تجري إلى مستقر لها) وقرأ ابن مسعود : " تجري لا مستقر لها " (٣) ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ﴾ أي : ترتيب الشمس والقمر في البروج وسيرهما على حساب لا يختل نظمه أي تقدير ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمِ﴾ بالمصالح . قرئ "والقمرُ" (٤) رفعًا على الابتداء ، أو عطفًا على الليل ، ولابد من تقدير مضاف ؛ أي : قدرناه ذا منازل ؛ لأن القمر نفسه لم يصر منازل . ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ هو العذق وشبه به ؛ لأنه يصفر عند يبسه صفرة ليست بنيِّرة كصفرة القمر إذا عاد هلالا وقال

---

(١) تقدم تخريجه في سورة السجدة .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٧) .

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق بن الباقر " لا مستقر لها " وأما القراءة الثانية فلم أقف على من قرأ بها . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٦) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٤٢٣) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٢١٢) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح " والقمر " بالرفع ، وقرأ الباقون " والقمر " بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٦) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٢٩) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٩٨) الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٩٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٥) ، السبعة (ص : ٥٤٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٢) ، النشر (٢ / ٣٥٣) .

الزجاج: العرجون : فعلون من عرج ، إذا انعطف ، ثم سير هذين الكوكبين على طريقة لا تنخرم[(١)] وهو معنى قوله : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ .

وأقل مدة تتصف بالقدم سنة ، فلو حلف : لا يبقي عنده عبدًا قديمًا . وكان عنده عبد له سنة في ملكه حنث . هكذا قال الزمخشري[(٢)] وليس ذلك بمذهب الشافعي[(٣)].

وإنما جعل للشمس معنى الإدراك وللقمرنفي السبق ؛ لأن القمر يقطع الفلك في كل شهر فهو حقيق بأن يوصف بسرعة السير، والشمس لا تقطعه إلا في سنة كاملة فهي حقيقة بعدم الإدراك لبطء سيرها . ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يطلق على النساء ؛ تقول : سبا ذريته ، أي : نساءه " ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان "[(٤)].

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ (٤١) وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ (٤٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٤٧)﴾

وذريتهم أيضًا اسم للآباء والأجداد في قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ أي : حملنا آباءهم في سفينة نوح ، وهم في أصلاب آبائهم . ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي : من مثل الفلك . ﴿مَا يَرۡكَبُونَ﴾ من السفن والزوارق . الصريخ : المغيث أو الإغاثة نفسها . ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى أجل يموتون فيه ، قال الشاعر (٢١٣/أ) [من الوافر] :

وَلَمْ أَسْلَمْ لكَيْ أَبْقَى وَلكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمامِ إلَى الحِمَامِ[(٥)]

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٨٨) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤ / ١٧) .

(٣) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٧ / ٦١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٠١٥) ، ومسلم رقم (١٧٤٤) ، وأبو داود رقم (٢٦٦٨) ، والترمذي رقم (١٥٦٩) ، وابن ماجه رقم (١٨٤١) ، وأحمد في المسند (٢ / ٢٢ ، ٢٣) ، وابن حبان في صحيحه رقم (١٣٥) عن ابن عمر ب.

(٥) البيت للمتنبي، ينظر البيت في : تفسير أبي السعود (٧ / ١٦٩) ، روح المعاني للألوسي (٢٣ / ٢٨)، الكشاف للزمخشري (٤ / ١٨) .

﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية[١] . وقيل : المراد : انظروا في أخبار الأولين ، وما جرى على المكذبين، وما خلفكم من أمر الساعة .﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة ، وجواب ﴿ وَإِذَا﴾ محذوف مدلول عليه بقوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾أي : أعرضوا . كان المشركون معطلين ، لا يعتقدون البعث ، وكانوا يسمعون المؤمنين يقولون : أفعالنا بمشيئة الله ، ويقولون : لو شاء الله لأغنى فلانا أو لأفقره ، فجرى ذكر الإطعام على هذا النمط ؛ فقال المشركون :﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ استهزاء ، والمؤمنون يقولون ذلك حقيقة ، وقد شارك الزمخشري الكفار في اعتقادهم في هذه المسألة[٢] . وهي عندنا حق ، ولكن وجه إنكارها أنهم قالوها على وجه الاستهزاء ؛ كانوا يقولون إذا قيل لهم أنفقوا : ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ .

وعن ابن عباس : " كان بالمدينة زنادقة إذا قيل لهم : أطعموا الفقراء ، قالوا : لا والله لا نطعم من لو أراد أطعمه ، وكانوا يقولون : الله قادر على إطعام هذا الفقير ، ولو شاء لفعل: فنحن نقتدي بما فعله الله معه "[٣].

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ قاله الله لهم ، أو قاله المؤمنون ، أو من جوابهم للمؤمنين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قيام الساعة وهم في أسواقهم وخصامهم . وفي الحديث : " لتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها "[٤]. وقيل : يختصمون في أن الساعة هل تكون أو لا تكون . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ بل يموتون عند سماع الصيحة ، ثم بعد ذلك

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٩) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤ / ١٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ١٩) ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٩٤) لقتادة .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٥٠٦ ، ٧١٢١) ، ومسلم رقم (٢٩٥٤) عن أبي هريرة ﷺ .

يذهبون مهطعين إلى الداعي وهو إسرافيل و﴿ٱلصُّورِ﴾ القرن الذي ينفخ فيه .

وقيل: جمع صورة . وقرئ ﴿ٱلصُّورِ﴾ بفتح الواو[١]. و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ، وقرئ بالفاء[٢]. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون بكسر السين وضمها[٣] وهي النفخة الثانية . قرئ (من أهبنا) بمعنى : من أيقظنا ، وقرئ " مِنْ بعثِنا " [٤]على الجار والمجرور ، و" ما " خبر وهي موصولة أو مصدرية . ويجوز أن يكون﴿ هَٰذَا﴾ صفة للمرقد ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أو ﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ وخبره محذوف . قيل : إن الكفار يجدون بين النفختين هجعة يُرفَعُ (٢١٣/ب) عنهم العذاب فيها، فإذا صيح بهم قالوا:﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقوله :﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾من كلام الملائكة ، أو كلام المتقين . وقيل: من كلام الكفار ؛ يتذكرون ما سمعوه من الرسل ، فيجيب بعضهم بعضًا به .

وإذا كانت ﴿مَا ﴾مصدرية كان التقدير : هذا ما وعد الرحمن ، ولا يمكن أن يقال : وهذا صدق المرسلين ، فلنرجع إلى القول بأنها موصولة ، والتقدير: هذا الذي وعد الرحمن والذي صدق فيه المرسلون ، من قولك : صدقني سن بَكْرِه[٥] .

وقوله : ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ سؤال عن الباعث ، وجوابه بتعيينه ، لكن طابقه ما بعده ؛ لأن المعنى : بعثكم الرحمن الذي صدق الوعد وأنبأكم به الرسل ؛ كأنه قيل : الأهم بكم السؤال

---

(١) قرأ بها قتادة . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٧٨) ، تفسير للقرطبي (١١ / ٢٤٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٥٣) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٥٩) ، المحرر الوجيز لابن عطية (١١ / ١٠٥) .

(٢) **تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٨) وقال السمين : وهي لغة في الأجداث .

(٣) قرأ " ينسُلون " بضم السين ابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية عنه . وقراءة العامة " ينسِلون" بالكسر.

تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٨) .

(٤) قرأ أبي بن كعب ﷺ " من أهبَّنا " وقرأ ابن عباس ب وأبو نهيك " مِنْ بعثِنا " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٧٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٩) ، مجمع البيان للطبرسي (٨/ ٤٢٨)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢١٤) .

(٥) تقدم تخريج المثل في تفسير سورة الأحزاب ، الآية (٢٣) .

عن البعث ؛ فليس هذا هو البعث الذي يراد به النوم في الدنيا ؛ بل المراد به البعث الأكبر والحشر الأعظم .

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً ﴾ قرئ برفعها وبنصبها[١] .

﴿فِي شُغُلٍ﴾ وأي شغل ؟! وقيل : في شغل افتضاض الأبكار . وقيل : في سماع ضرب الأوتار . وقيل : في التزاور . وقيل : في ضيافة الله . وقيل : شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه . وقيل : هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم .

والفاكه والفكه : المتنعم ، وسمي المزاح فكاهة ؛ للتلذذ به ، كما يتلذذ بالفاكهة . وقرئ ﴿فَاكِهُونَ﴾ و﴿فَكِهُونَ﴾ وقرئ ﴿فَاكِهِينَ﴾ [٢]على أنه حال ، والظرف مستقر .

﴿هُمْ﴾ يجوز أن يكون مبتدأ ، وأن يكون مؤكد للضمير في ﴿شُغُلٍ﴾ على أن أزواجهم يشاركون في ذلك الشغل ، وفي التفكه والجلوس تحت الظلال .

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

والأريكة : هي السرير في الحجلة .﴿ يَدَّعُونَ ﴾ يفتعلون من الدعاء ؛ أي : يدعون لأنفسهم ؛ كقولك : اشتوى واحتمل : إذا شوى وحمل لنفسه . وقيل : ﴿ يَدَّعُونَ ﴾ يتمنون؛

---

(١) قرأ جمهور القراء " صيحةً واحدةً " بالنصب ، وقرأ أبو جعفر " صيحةٌ واحدةٌ " بالرفع .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٣) .

(٢) قرأ جمهور القراء " فاكهون " وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو حيوة وأبو رجاء وشيبة وقتادة ومجاهد " فكهون " وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف " فاكهين " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٢) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٤٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٩) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٧) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٣٨٠)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٤) .

تقول لمن تكرمه : ادَّعِ ما شئت . وقال الزجاج : هو من الدعاء ، أي: ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم[١]. ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بدل من ﴿ مَّا يَدَّعُونَ ﴾ ﴿ مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ تحية من الله لهم أي : سلام خالص من الشوب والكدر . ﴿ قَوْلًا ﴾ مصدر مؤكد ؛ لقوله : ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ والأحسن أن يكون نصبًا على الاختصاص .

﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ﴾ أي : وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يساق المؤمنون إلى الجنة ، ونحوه قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآيتين[٢].

يقال : مازه فانماز وامتاز . وقيل : اعتزلوا عن كل خير . وقيل : لكل كافر بيت في النار (٢١٤/أ) لا يرى أحدًا ولا يُرى . العهد : الوصية ، وعهد الله إليهم : ما ركزه فيهم من أدلة العقل ، وأنزل عليهم من دلالة السمع . وعبادة الشيطان : طاعته .

قرئ : " إعهد " بكسر الهمزة . وباب " فَعِلَ " يجوز في جميع حروف مضارعته الكسر إلا الياء ، وقرئ " أحهد " و " أحَّد " [٣] ومنه قولهم : دحا محا.

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى ترك طاعة الشيطان ، ولا صراط أقوم من اجتناب الشيطان ، ومنه

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٩٢) .

(٢) سورة الروم ، الآية (١٤) .

(٣) قراءة العامة " أعهد " بالفتح ، وقرأ طلحة بن مصرف والهذيل بن شرحبيل الكوفي " إعهد " بكسر همزة المضارعة وهي لغة في حرف المضارعة ، وقرأ ابن وثاب " أحَّد " وهي لغة تميم وحكى الزمخشري " أحهد " وهي لغة هذيل . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٩١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٧) .

قول كثير [من الطويل]:

لَـئِن كـانَ يُهـدَى بَـردُ أَنيابِهـا العُـلا لأفقـرَ منّـي إنّنـي لَفَقيـرُ[١]

ويجوز أن يـراد : هـذا هـو الـصراط المستقيم ومـا سـواه معـوج . ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ ﴾ الشيطان ﴿جِبِلًّا ﴾ و " جُبُلاً " و "جُبْلاً " و"جُبُلاً " [٢] وهـي لغـات في معنـى الخلـق ، جِبِلا جمع جِبْلة كفطرة وفطر . ويروى أن الكفار إذا شهدت عليهم الحفظة أنكروا وكـذبوا ، فيختم على أفواههم وتتكلم الجوارح بما عملوا . وفي الحديث : " إن الكـافر يقـول: إنـي لا أجيز إلا شاهدًا من نفسي فيختم على فيه ، ويقال لأركانه : انطقـي ، فتنطـق بأعمالـه ، ثـم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعدًا لكُنَّ وتعْسًا ؛ فعنكُنَّ كنتُ أناضل " [٣].

الطمس : تعفية شق العين حتى تبقى ممسوحة . ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ أي: فاسـتبقوا إلى الصراط ؛ فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو تضمن معنى ابتدروا ، ويجعل الـصراط مـسبوقًا لا مسبوقًا إليه ، والمعنـى : أنـا لـو طمـسنا علـى أعيـنهم فتـسابقوا إلى الطريـق المسلوك في حوائجهم على عادتهم القديمة - لم يستطيعوا . والمكان والمكانـة واحـد ؛ كالمقـام والمقامـة ، أي : لمسخناهم وغيّرْنا خلقهم فلا يستطيعون مضيًا ولا استقرارًا . وقيـل : لمـسخناهم قـردة وخنازير . أو : لمسخناهم حجارة . ﴿نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ نخلقـه علـى خـلاف مـا خلقنـاه ؛

---

(١) البيت لابن الدمينة ، **ينظر في** : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١ / ٧٨١) ، شـرح ديـوان الحماسـة للمرزوقي (٢٢٢٣) ، عيون الأخبـار لابـن قتيبـة (٢٦٢٦) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٢٣) قـال المرزوقي في شرح الحماسة : " قوله : يهدي يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف ، ويجوز أن يكـون مـن اهداء الزفاف . أنيابها العلى ، يراد به الشريفة العالية الشأن. ويجوز أن يراد بالعلى الأعالي من الأسنان، لأنها موضع القبل . ويعني ببرد الأسنان : عذوبة الرضاب عند المذاق . وقوله : إنـي لفقـير، فعيـل بنـاء المبالغة ، ولا سيما إذا أطلق إطلاقاً ، فلا يقال فقير إلى كذا وكذا فيخـصص. والمعنـى: إن كـان يتربـص بمتسق مضحكها، وواضح مقبلها، وطيب رضابها، وبراد أسنانها، لمن هو أفقر مـني إليهـا ، فـإنني الفقـير مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقري " .

(٢) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر " جِبِلاًّ " وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ورويس وخلف " جُبُلاً " وقـرأ أبو عمرو وابن عامر " جُبْلا " وقرأ روح " جُبُلاًّ " . **تنظر القراءات في** : البحـر المحـيط لأبـي حيـان (٧/ ٣٤٤) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٤٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٩) الحجـة لأبـي زرعـة (ص : ٦٠٢) ، الـدر المـصون للـسمين الحلـبي (٥ / ٤٩١) ، الـسبعة لابـن مجاهـد (ص : ٥٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٨) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٥)

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٦٩) ، والنسائي في السنن الكبرى رقم (١١٦٥٣) عن أنس ﷺ .

أي: لا يزال يتزايد في القوى إلى أن ينتهي إلى الكهولة ، فيعود من القوة إلى الضعف حتى ينتهي، وفي ذلك دليل على أن من قدر على الطمس والمسخ والنقل من حال إلى حال قادر على أن يخلقه كيف يشاء .

كان عقبة بن أبي معيط يقول : إن الذي يأتي به محمد شعر ، وقد أخطأ عقبة ؛ فليس القرآن على أوزان الشعر ، ولا على قوافيه ، والذي جاء به محمد ليس بشعر، إلا أن القرآن لفظه عربي ؛ كما أن الشعر كذلك . ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي : وما يتأتى له ، وأما قوله :

أنـــــا الـــــنبي لا كـــــذب أنـــــا ابـــــن عبـــــد المطلـــــب[1]

(٢١٤/ ب) وقوله:

هـــــل أنـــــت إلا إصـــــبع دميـــــت وفي ســـــبيل الله مـــــا لقيـــــت[2]

فليس بشعر مقصود ، وقد يتفق في كلام الإنسان كلام متزن لا يقصد به شعرًا[3] .

(١) قاله الرسول ﷺ في غزوة حنين ، رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧١٣) ، ومسلم رقم (٣٣٢٥) .

(٢) قاله ﷺ في إحدى الغزوات ، رواه البخاري رقم (٢٥٩٢) ، ومسلم رقم (٣٣٥٣) .

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٢ / ١١٨) : " قال القاضي عياض : قال المازري : أنكر بعض الناس كون الرجز شعرا لوقوعه من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وهذا مذهب الأخفش، واحتج به على فساد مذهب الخليل في أنه شعر. وأجابوا عن هذا بأن الشعر هو ما قصد إليه واعتمد الإنسان أن يوقعه موزونا مقفى يقصده إلى القافية، ويقع في ألفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحد إنها شعر ولا صاحبها شاعر، وهكذا الجواب عما في القرآن من الموزون كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وقوله تعالى: ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ﴾ ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعرا لأنه لم تقصد تقفيته وجعله شعرا قال: وقد غفل بعض الناس عن هذا القول فأوقعه ذلك في أن قال الرواية أنا النبي لا كذب بفتح الباء. حرصا منه على أن يفسد الرواية فيستغني عن الاعتذار، وإنما الرواية بإسكان الباء. هذا كلام القاضي عن المازري . قلتُ (أي النووي): وقد قال الإمام أبو القاسم علي بن أبي جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع في كتابه الشافي في علم القوافي: قد رأي قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر كقول النبي ﷺ : " الله مولانا ولا مولى لكم " وقوله ﷺ : "هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت" ، وقوله ﷺ : " أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب " وأشباه هذا. قال ابن القطاع: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بين، وذلك لأن الشاعر إنما سُمي شاعرا لوجوه، منها: أنه شَعَر القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى، =

ولما قال : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أتبعه قوله :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي : شرف ورفعة . وقيل : تذكير وموعظة .

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿ لِّيُنذِرَ﴾ والمنذر القرآن أو الرسول . ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي : عاقلا أو معلومًا أنه يؤمن فيحيا بالإيمان . ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ تولينا إحداثه ، ولم يقدر على توليه غيرنا . ﴿أَنْعَٰمًا﴾ وهي الإبل والبقر والغنم .﴿ فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ ضابطون ؛ أي: فملكناها لهم ، قال [من المنسرح] :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفرا[(١)]

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ أي : سخرناها ، ولهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة بقوله :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [(٢)]. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من الألبان ، ذكرها مجملة ، والمشارب جمع مشرب ، وهو موضع الشرب والشرب نفسه .

= فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرا، ولا يكون قائله شاعرا، بدليل أنه لو قال كلاما موزونا على طريقة العرب وقصد الشعر أو أراده ولم يقفه لم يسم ذلك الكلام شعرا ولا قائله شاعرا بإجماع العلماء والشعراء، وكذا لو قفاه وقصد به الشعر ولكن لم يأت به موزونا لم يكن شعرا، وكذا لو أتى به موزونا مقفى لكن لم يقصد به الشعر لا يكون شعرا، ويدل عليه أن كثيرا من الناس يأتون بكلام موزون مقفى غير أنهم ما قصدوه ولا أرادوه ولا يسمى شعرا، وإذا تفقد ذلك وجد كثيرا في كلام الناس. كما قال بعض السؤال: اختموا صلاتكم بالدعاء والصدقة. وأمثال هذا كثيرة فدل على أن الكلام الموزون لا يكون شعرا إلا بالشروط المذكورة، وهي القصد وغيره مما سبق، والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يعد شعرا وإن كان موزونا، والله أعلم " .

(١) البيت للربيع بن منبع الفزاري ، ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤ / ٢٨) ، لسان العرب (ضمن) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٣) .

اتخذوا الآلهة ليكونوا لهم عزًا ؛ فكان الأمر على عكس ذلك . ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ " إنا " بالكسر: استئناف ، ومن فتح الهمزة وقصد المعنى كفر؛ لأن " أن " وما بعدها بتأويل المصدر، تقول : يسرني أنك حاضر، أي حضورك، فيكون المعنى : فلا يحزنك يا رسول الله قول الكفار عنا: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وهذا كلام حق لا يحزن منه الرسول ولا المؤمنون ، ومن أراد حذف لام الجر وقصد فلا يحزنك قولهم ؛ لأنا نعلم فلا يكفر ، ومثله قولهم في التلبية: لبيك إن الحمد ، كسرها الشافعي وفتحها أبو حنيفة[١].

قبح الله اعتقاد الكفار عدم البعث والنشور بأن هذا النطفة الحقيرة المستقذرة يخلق منها رجل هو أشد الخصام ؛ كقوله : ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٢] ينكر قدرة القادر على ما يشاء من إحداث الأجسام والأعراض . ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي : منطيق قادر على الخصام. والرميم : اسم من بلي من العظام ، وهو اسم ليس بصفة ؛ فلا يقال : لم لا يؤنث ، وقد وقع خبرًا لمؤنث ؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ، وقد استشهد بهذه الآية من زعم أن الحياة تحل في العظام ، وفيه خلاف بين العلماء [٣].

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

---

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢ / ١٥٥ ، ١٥٦) ، المجموع للنووي (٧ / ٢١٩ ، ٢٢٠) ، الدر المختار لابن عابدين (٢ / ٢٨٣) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ١٤٥) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٥٤) .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣١) : " ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول : إن عظام الميتة نجسة ؛ لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها . وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة ، وكذلك الشعب والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون : المراد بإحياء العظام في الآية : ردُّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس " .

﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا﴾ أو أراد بالشجر الأخضر العيدان التي تقدح الأعراب بها النار، وقالوا : " في كل شجرة نار ، واستمجد (٢١٥/أ) المرخ والعفار "(١) يعني أن هاتين يسهل اقتداح النار منهما . وقيل : إن العناب لا يقدح من شجره نار(٢).

﴿ٱلۡأَخۡضَرِ﴾ وقياسه : الشجر الخضر ؛ كقوله تعالى : ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤﴾ (٣) فذكر الضمير وأنثه .

من قدر على خلق السماوات والأرض مع عظم أجرامهما ، وتباعد أقطارهم﴾ ، فهو على خلق الأناسي أقدر منه ؛ ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾(٤). ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ (٥).

﴿أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾ في الحقارة ؛ لأن من قدر على الأعلى قدر على الأدنى من باب الأولى . ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الكثير الخلق والعلم . ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ﴾ شأنه .

* * *

(١) **ينظر المثل في :** غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٣١) ، لسان العرب (مرخ ، عفر) واستمجد أي استكثر. و المرخ والعفار : من شجر النار ، كثير الوري سريعه . وقيل العفار : الزند وهو الأعلى ، والمرخ : الزندة وهو الأسفل . واستمجد المرخ والعفار أي : كثرت فيهما على ما في سائر الشجر وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وزنادهما أسرع الزناد .

(٢) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣١) لابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٥٢، ٥٣) .

(٤) سورة غافر ، الآية (٥٧) .

(٥) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

تفسير سورة الصافات [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)﴾

أقسم سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ أقدامها في الصلاة ؛ من قوله : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١) أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله . ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ السحاب سوقًا . ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ لكتب الله المنزلة وغيرها . وقيل : ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ الطير؛ لقوله : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ (٢) والزاجرات : كل شيء نهى عن معصية الله . والتاليات : كل من تلا كتاب الله ، ويجوز أن يراد طوائف العلماء الصافات أقدامهم في قيام الليل وأفعال الخير ، وسائر الصلوات وصفوف الجماعات ؛ فالزاجرات بالمواعظ والنصائح ، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه ، أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف ، وتزجر الخيل للجهاد ، وتتلو الذكر ، لا يشغلها عنه شغل . والفاء الواقعة بين أنواع المقسم به إما للترتيب في الوجود ؛ كقول الشاعر [من السريع] :

يا ويح زَيَّابةَ للحارث الصـــالح فالغانم فالآيب(٣)

فإن هذه الأمور جاءت على ترتيب الوجود، وإما لترتيبها في الفضيلة ؛ كقولك : اصحب الأفضل فالأفضل ، وافعل الأجمل فالأجمل . وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك ؛ كقوله : " رحم الله المحلقين فالمقصرين "(٤). رتب التقصير على الحلق ؛ فإن الحلق أفضل ؛ فإذا وحدت الصفات كانت على ترتيب الصفات ، وإن ثنيت أو جمعت كانت على ترتيب الموصوفات .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٥) .

(٢) سورة النور ، الآية (٤١) .

(٣) البيت لابن زيابة ، **ينظر في** : خزانة الأدب (٥/ ١٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٤) ، الدرر اللوامع (٦/ ١٦) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص : ١٤٧) ، شرح شواهد المغني (ص : ٤٦٥) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٤١) ، معجم الشعراء (ص : ٢٠٨) ، مغني اللبيب (ص : ١٦٣) .

(٤) أورده بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤) ، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٦٣) ، والمرادي في الجنى الداني (ص : ٦٥) . وأصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ﷺ بلفظ : " اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، قال : اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، وفي الثالثة قال : والمقصرين " . [رواه البخاري رقم (١٧٢٧) ، ومسلم رقم (١٣٠١)].

إذا أجريت الصافات على الملائكة وجعلتهم جامعين - أفادت الفاء ترتيبها في الفضل؛ فيكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، وإما على العكس (٢١٥/ ب) وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة . وإن أردت بالصافات الملائكة وأعدت الثانية والثالثة على طوائف أخر ، فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل ؛ أعني أن الصافات ذا فضل ، والزاجرات ذات فضل ، والتاليات ، أو على العكس ، وكذلك إن أردت بالصافات : الطير، وبالزاجرات : كل ما يزجر عن معصية الله ، وبالتاليات : كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة .

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف . والمشارق : ثلاثمائة وستون مشرقًا ، والمغارب مثل عددها ، تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها ، وتغرب في مغرب حتى تنتهي إلى آخر المشارق والمغارب .

فإن قلتَ : ثنى المشارق والمغارب في سورة الرحمن ؛ قال : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾[1]. وجمع ها هنا فقال :﴿ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ ؟ قلتُ : أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما. ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : القريبة منكم ، والزينة مصدر ؛ كالمِشْية ، أو اسم لما يزان به الشيء ؛ كالليقة[2] اسم لما تلاق به الدواة ؛ تقول : ألق دواتك ، أي: أصلحها ، وهما محتملان ها هنا ؛ فإن كان مصدرًا فمضاف إلى الفاعل ، أي : بأن زانتها الكواكب ، والمراد : زانتها الكواكب وحسنتها. وإن جعلتها اسمًا غير مصدر - وذلك بأن تتبع الكواكب - بيانًا للزينة ؛ لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها ، وأن يراد مما زُيِّنت به الكواكب ، وروي بالإضافة ، وخفض الكواكب ؛ أي : وضوء الكواكب ، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة ؛ كالثريا وبنات نعش ، ومسايرها، وقرئ : ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بتنوين " زينة " وجر " الكواكب " على الإبدال[3] .

---

(١) الآية (١٧) .

(٢) **ليقة الدواة** : هي ما اجتمع في وقبتها من سوادها بمائها ، ودواة ملوقة أي : مليقة إذا أصلحت مدادها . **ينظر** : لسان العرب (ليق) .

(٣) قرأ عاصم في رواية شعبة عنه " بزينةٍ الكواكبَ " وقرأ في رواية حفص عنه وكذلك قرأ حمزة " بزينةٍ الكواكبِ " وقرأ الباقون " بزينةِ الكواكبِ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَحِفْظًا ﴾ محمول على المعنى ، أي : إنا زينا السماء الدنيا ، وحفظناها . والمارد : الخارج من الطاعة ، والضمير في ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ لجميع الشياطين ؛ لأنه في معنى شيطان ، يقال : تسمع فسمع ، وتسمع فلم يسمع . وعن ابن عباس : " إنهم يتسمعون ولا يسمعون "[1] . وقوله : ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ ليس بصفة ؛ لأن نفي السمع من شيطان لا يسمع لا فائدة فيه، و﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ مستأنف ، التقدير : أن سائلا قال : فما شأنهم عند التسمع ؟ قلتُ : لا يسمعون ، وهم مطرودون عن التسمع . ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ﴾ خطفة فاسترق فعندها (٢١٦/أ) تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب .

فإن قيل : هل يجوز أن يكون أصله : لئلا يسمعوا ؛ فحذفت اللام كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني ، فبقي أن يسمعوا ، فحذفت أن وأقر عملها ؟ قلنا : الحذف في هذين الحرفين معًا منكر ، أما حذف أحدهما فجائز ، ولا يحمل الكتاب العزيز على الشذوذ المنكر؛ تقول : سمعت الحديث بمعنى : أدركته ، وسمعت إلى الحديث بمعنى : أصغيت وأدركت . و﴿ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ الملائكة ؛ لأنهم سكنوا السماوات ، والملأ الأسفل هم الجن والإنس ؛ لأنهم سكنوا الأرض . وقيل : هم الحفظة من كل جانب من السماء من أي جهة صعدوا للاستراق . الدحور : الطرد ، أي : يرمون بالشهب طردًا ، أو ﴿ دُحُورًا ﴾ حال والواصب : الدائم ؛ بمعنى أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب مع أنهم أعد لهم نوع من العذاب دائم لا ينقطع .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

الهمزة تنقل الكلام من الاستفهام إلى التقرير ، ولذلك قيل : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ والضمير

= (٧/ ٣٥٢) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٦٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٦٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦) .

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٩) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

لمشركي مكة . وقيل : نزلت في أبي الأشد بن كلدة(١) وكان قويًا . ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يريد ما ذكر من خلائقه من السماوات والملائكة والأرض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب والشياطين ، وغلب العقلاء على غيرهم فقال : ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ .

﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إما شهادة عليهم بالضعف ؛ لأن ما يصنع من الطين لا يوصف بالقوة وقيل : أمن خلقنا من الأمم السالفة والقرون الخالية وهو بعيد .

﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ، وهم ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ يستهزئون بأمر البعث . وقرئ "عجبتُ" (٢) بضم التاء ، أي : عجبت من كثرة مخلوقاتي ومن إنكار هؤلاء البعث ، وجاء العجب في صفات الله تعالى ، وهي الروعة التي تحدث للإنسان عند رؤية ما يستغربه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، ومعناه : أنهم حلوا محل من يتعجب منه ويسخر ، وفي الحديث : " عجبَ ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم إياكم "(٣). وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول : " إن الله لا يعجب من شيء "(٤).

---

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧) وهو أبو الأشد بن كلدة بن أسد بن خلف الجمحي قتل كافرا كنيته أبو الأعور . **ينظر :** نزهة الألباب في الألقاب للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٥١).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرا الباقون " عجبتَ " بالفتح . **تنظر القراءة في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٤) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٦٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠١) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٧٥) وقال : غريب . قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ٧٢) ، الإل : أن يرفع الرجل صوته بالدعاء ، وبعض المحدثين يرويه : " من أزلكم " والأزل : الشدة ، ثم قال : وأراه المحفوظ .

(٤) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله – تعالى – بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ : إمرار هذه الصفات كما أتت من غير تكييف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله – تعالى – ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٤٨) ، وأبو داود رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " . وروى أحمد في المسند (٤/ ١٥٨) ، وأبو داود رقم (١٢٠٣) ، وابن حبان رقم (١٦٦٠) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " يعجب ربك من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة ، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة" . كما روى أحمد أيضا في مسنده (١/ ٤١٦)، وأبو داود رقم (٢٥٣٦) ، وابن حبان رقم (٢٥٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٢) عن ابن مسعود ﷺ =

وهم قوم إذا وعظوا لا يتذكرون.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً ﴾ كانشقاق القمر وغيره يستدعون السخرية من غيرهم و﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ﴾ معطوف على محل " إن " واسمها ، أو على الضمير في ﴿ لَمَبْعُوثُونَ ﴾ والذي جوز العطف على المضمر المرفوع بغير (٢١٦/ ب) تأكيد - الفصل بهمزة الاستفهام وقرئ بسكون الواو[1] والمعنى : نعم تبعثون . ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون ، وفي الكلام محذوف تقديره : فإذا كان ذلك فما هي إلا نفخة واحدة يميت الله بها كل حي ، ثم نفخة أخرى يحيي بها كل ميت . الزجرة : الصيحة ؛ من قولك : زجر الراعي الغنم . إذا صاح عليها ؛ قال الشاعر [من المنسرح] :

زجرَ أبي عروةَ السباعَ إذا أشفقَ أنْ يختلطنَ بالغنمِ[2]

﴿فَإِذَا هُمْ ﴾ أحياء ﴿يَنظُرُونَ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ

= عن النبي ﷺ قال : " عجب ربنا من رجلين ؛ رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله – جل وعلا – : انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب – وهو مذهب السلف الصالح وما عليه جمهور المسلمين– : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله تعالى على مراد الله تعالى ، ونسأل الله تعالى أن يهدينا والمسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة النقية الصافية .

(١) قرأ قالون وأبو جعفر وابن عامر " أوْ آباؤنا " وقرأ الباقون " أوَ آباؤنا " . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٥) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٧١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٧) ، مجمع البيان للطبرسي (٨/ ٤٣٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧) .

(٢) البيت للنابغة الجعدي ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٤) ، ديوان النابغة الجعدي (ص : ١٥٨) ، القاموس المحيط لأبي حيان (عرا) ، الكامل للمبرد (٢/ ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨) ، لسان العرب (عرا) ، القاموس المحيط لأبي حيان (عرا) .

﴿٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

ومن قوله : ﴿يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ إلى قوله : ﴿احْشُرُوا﴾ من كلام الله للملائكة .

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أصنافهم : ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أصنامهم ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ فعرفوهم طريق النار ، وأمر الله الملائكة أن يقفوهم ويبكتوهم ، فخاطب الملائكة بقوله : ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ ثم خاطبهم بقوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أي : لا ينصر بعضكم بعضًا .

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [1] بل قد استسلموا لأن يعذبوا . لما كانت اليمين أشرف العضوين فبها يتحالفون ويتعاقدون ؛ سموها اليمنى ، ومقابلتها الشؤمي ؛ فقيل : ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي : عن الجهة المحمودة فتنهوننا عن النفقة في سبيل الله وما أشبهها من جهات الخير.

﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي : أعرضتم من قبل أنفسكم . ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن﴾ تسلط (بل كنتم مختارين للطغيان) ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ العذاب ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ فحببنا إليكم الغي على الفساد . ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ لتكونوا أمثالنا في الغي . ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الأتباع والمتبوعين ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا﴾ سمعوا بكلمة التوحيد اشمأزوا . ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ كقوله : ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [2].

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

---

(١) سورة يس ، الآية (٧٤).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣) .

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ لكن عباد الله ، وفسر الرزق المعلوم بالفواكه ، والفاكهة : كل ما يتلذذ به يريد : مستغنون عن الأقوات بما أوتوا من التركيب المحكم ، ويجوز أن يراد بالرزق المعلوم أنه منعوت بأوصاف عظيمة من طعم ولون ورائحة (٢١٧/أ) . وقيل : معلوم الوقت ؛ كقوله : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(١) .

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ أي : يقال لهم : إنكم حقيقون بالفاكهة السنية ، ودخول الملائكة عليهم بالتحية . التقابل أتم للسرور والأنس . وقيل : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس ، وتقول : شربت خمرها . وقيل : كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر . ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من كأس مشروبها معين . ﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس . ﴿لَذَّةٍ﴾ إما مبالغة ، وكأنها عين اللذة أو مضافًا محذوفًا ؛ كأنه قال : ذات لذة .

الغول : من غاله يغوله ، إذا أهلكه ، ومنه الغول الذي في أكاذيب العرب (٢).

و﴿يُنزَفُونَ﴾ على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ، ونزحت الركية حتى نزفتها ، أي : لم أترك فيها ماءً ، وقرئ "يُنزِفون" بضم الياء وكسر الزاي (٣) يقال : أنزف الشارب : إذا ذهب عقله . ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرت أبصارهن على أزواجهن ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء ، أي : واسعات العيون ؛ شبههن ببيض النعام المكنونة في الأداحي(٤) وبها تشبه العرب النساء ، وتسميهن بيضات الخدور .

---

(١) سورة مريم ، الآية (٦٢) .

(٢) **قال ابن الأثير** في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٦) : " الغول : أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا ، أي : تتلون تلونا في صور شتى وتغولهم : أي : تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله بقوله : " لا غول ولا صفر " . وقيل : قوله : " لا غول " ليس نفيا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله ، فيكون المعنى بقوله : " لا غول " أنها لا تستطيع أن تضل أحدا " .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف " ينزِفون " بكسر الزاي ، وقرأ الباقون " ينزَفون " بالفتح . تنظر القراءة في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٦٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٢) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٠١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧) .

(٤) **الأدحي** والإدحي والأدحية والإدحية والأدحوة : مبيض النعام في الرمل ؛ لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش . ومدحى النعام : موضع بيضها . **ينظر** : لسان العرب (دحا).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾

وإنما عطف بالفاء في قوله : ﴿فَأَقْبَلَ﴾ في هذه الآية ؛ لأنه لما وصفهم بأنهم مكرمون في جنات النعيم أتبع ذلك حالة المتحدثين على الشراب ؛ يتحدثون بما يسر جلساءهم .

قرئ "لمن المُصَّدِقِينَ" بالتشديد ، أي : يتصدقون على المحتاجين ، وبالتخفيف في الصاد من التصديق[١] . وقيل : نزلت في رجلين تصدق أحدهما بجميع ماله فافتقر ؛ فسأل صاحبه أن يعينه بشيء ، فقال له : وأين مالك ؟ فقال : تصدقت به كله ؛ أرجو به ثواب الله ؛ فقال : ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ الآية ، والله لا أعطيك شيئًا[٢] .

﴿لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون ، من الدين وهو الجزاء ، قال ذلك القائل وهو في الجنة لأصحابه الذين معه : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي ، فينظرون ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي : في وسط الجحيم، فقال له : تالله لقد كدت أن ترديني وتهلكني . وقيل : القائل الله سبحانه .

﴿إِن﴾ هي المخففة من الثقيلة ، وهي تدخل على نواسخ الابتداء ، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة .﴿وَلَوْلَا﴾ عصمة ربي (٢١٧/ ب) ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ كما زعمت ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يعني : إن هذا التخلص مما عذب به الكفار ، ومن تبكيت المؤمن للكافر - لهو الفوز العظيم .

﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ خير حاصلا ، وحاصل الرزق المعلوم التلذذ والسرور ، و﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الحزن والغم. ويجوز أن يكون حالاً ؛ كقولك : هذا رطبًا خير منه بسرًا . والنزل : ما يقام من الطعام والشراب وغيرهما . وقوله : ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ تبكيت على اختيارهم الباطل .

---

(١) قرأ بها حمزة في رواية علي بن كيسة عن سليم عنه . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٦٠) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١) ، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥١) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤) ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٩٠).

﴿فِتۡنَةً﴾ محنة ؛ وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، ودأب النار أن تحرق الشجر فكذبوا ؟! وقيل : إن منبتها في أصل الجحيم ، وفروعها تأتي على جميع دركاتها ، وشبه الطلع برؤوس الشياطين ، ولم يرها ؛ لأن المركوز في النفوس أن الشياطين في غاية القبح ؛ وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول .

وقيل : الشيطان حية عرفاء لها عرف .

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ
مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ
لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ بطونهم ؛ لما غلبهم من الجوع أو يكرهون على أكلها ، وهو نوع من العذاب . يشربون عليها من ماء شديد الحرارة ، إذا صب عليهم أذاب شحم بطونهم ، وجاء بـ " ثم " ليدل على أن بشاعة الشراب أشد من بشاعة الطعام ، ثم إن مصيرهم ﴿لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾ لأنهم قلدوا في عقائدهم الفاسدة آباءهم .

﴿أَلۡفَوۡاْ﴾ وجدوا آباءهم ﴿ضَآلِّينَ﴾﴿يُهۡرَعُونَ﴾ أي : يذهب بهم ذهابًا شديدًا .﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ﴾ قبل قومك ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وهم أمم الرسل ﴿مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء بعثوا إلى قومهم ؛ فكذبوا فأهلكوا . لما ذكر سبحانه ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ وهم الكفار المكذبون ، شرع في قصة نوح ومن بعده من الرسل كإبراهيم وإسحاق وإدريس ولوط ويونس فقال : ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ أي : استغاث بنا﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ نحن ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ﴾ من الغرق . ﴿هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ يعني أنه لم يبق ممن حمله نوح في السفينة ممن له نسل . روي أنه لم يبق ممن جعل في السفينة مع نوح أحد من المؤمنين به [(١)] .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨) ، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٢٤) بنحو هذا .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ثناء حسنًا ، وفي المأثور من رقية العقرب أن يقال في آخرها : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [1] ، وقوله في العالمين : يعني أن هذا الثناء عليه والتسليم تتعلمه أمم الأنبياء كلهم ؛ فعلل ما أكرمه ، وكونه موصوفًا بهذه الأوصاف بقوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (٢١٨/ أ) يعني : من سوى نوح وأولاده ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ نوح ، أي : شايعه في أصول الدين أو فروعه ، أو شايعه على التصلب في دين الله . وقيل : ما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان : هود وصالح ، وبين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

فإن قلتَ : وبم يتعلق الظرف في قوله : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ ﴾ ؟ قلت : بما في الشيعة من معنى المتابعة ، أو بمحذوف تقديره : اذكر مجيئه ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي : سليم من آفات القلوب . وقيل : من الشرك ، ولا معنى للتخصيص ؛ لأن الأفعال المذمومة ليس بعضها أولى من بعض بالنهي ، ومعنى المجيء بقلبه أنه أخلص قلبه للطاعة فكأنه جاء بها .

﴿ أَئِفْكًا ﴾ مفعول له ، أي : أتريدون آلهة غير الله ، وإنما قدم المفعول على الفعل للاعتناء وقدم المفعول له على المفعول به ؛ لأنه كان الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على ضلال وإفك ، ويجوز أن يكون ﴿ أَئِفْكًا ﴾ مفعولا به تقديره : أتريدون أفكًا ، ثم فسر الإفك بقوله : ﴿ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ ﴾ ويجوز أن يكون حالا ، أي : تريدون آلهة دون الله آفكين .

﴿ فَمَا ظَنُّكُم ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة ؛ لأن من كان ربًا للعالمين استحق أن يعبد ﴿ فَمَا ظَنُّكُم ﴾ أي : بأي سبب من الأسباب ادعيتم مشاركته في الإلهية ، وأي ظن ذهب بكم إلى ذلك . ويجوز أن يكون المعنى : فما ظنكم برب العالمين أنه يفعل بكم : أيعاقبكم أشد العقوبة أم لا ؟ ﴿ فِي النُّجُومِ ﴾ أي : في علومها أو في أحكامها .

سئل بعض الملوك عن مشتهاه ؟ فقال : حبيب أنظر إليه ، ومحتاج أنظر له ، وكتاب أنظر فيه . كان القوم نجَّامين فأوهمهم أنه استدل بشيء من أحكام النجوم على أنه سقيم .

---

(١) ذكر ابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٤١) عن سعيد بن المسيب قال : "وبلغني أنه من قال حين يمسي : (سلام على نوح في العالمين) لم تلدغه عقرب" .

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي : مشارف للسقم ، والسقم : الطاعون ، وكان أغلب الأسقام عليهم ، وكانوا يخافون العدوى ؛ فهربوا عنه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل ، وإنما أخبر بأنه سقيم ، ولم يكن كذلك . قالوا : إن الكذب جائز في إصلاح ذات البين ، وإرضاء الزوج ، وفي المكيدة في الحرب[١].

وعند المعتزلة : الكذب حرامٌ ويخلص منه بالتعريض ، وقد عرض بما يخالف الكذب ؛ لأن من في عنقه الموت فهو سقيم[٢]. وفي المثل (٢١٨/ ب) كفى السلامة داء[٣]. وروي أن رجلاً مات فجأة فكثر الناس عنده ، فقال قائل : مات وهو صحيح ، فقال له أعرابي : أصحيح مَن الموت في عنقه[٤]. وقيل : أراد : إني سقيم النفس لكفركم .

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ فذهب إليها في خفية ، من روغان الثعلب ، ﴿ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ إلى أصنامهم بزعمهم ؛ كقوله : ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾[٥]. ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ﴾ فأقبل عليهم مستخفيًا، أو فراغ عليهم يضربهم ، أو جعل ﴿ضَرْبًا﴾ بمعنى ضاربًا ، على الحال . ﴿بِالْيَمِينِ﴾ يريد ضربًا قويًا ؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين . وقيل : بالقوة . وقيل : بسبب الحلف ، وهو قوله ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ .

﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون ، ويجوز أن يقال : أزفوا ، أي : دخلوا في الزفيف ، أو حملوا على الزف وهو الإسراع . فإن قلتَ : ذكر القصة ها هنا يدل على أنهم أبصروه حالة الزف ،

---

(١) روى الترمذي رقم (١٨٦٢) عن النبي ﷺ قال : " لا يحل الكذب إلا في ثلاث : يحدث الرجل امرأته ليرضيها ، والكذب في الحرب ، والكذب ليصلح بين الناس " . وحسنه الترمذي . وروى البخاري - رقم (٢٤٩٥) ، ومسلم رقم (٤٧١٧) - عن النبي ﷺ قال : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا أو يقول خيرا " .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩) .

(٣) روي هذا من كلام النبي ﷺ ؛ رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٠٢) رقم (١٤٠٩) ، والديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٢٩٠) رقم (٤٨٧١) عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كفى بالسلامة داء " . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٠٩٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩) .

(٥) سورة النحل ، الآية (٢٧) .

والذي في سورة الأنبياء : أنهم تشوفوا إلى أن علموا ؛ فقالوا : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [(١)] .

فجوابه : أن الذين طلبوا معرفة كاسرها كانوا فرقة قليلة ، وبعضهم رأى وشاهد فلم ينم عليه ؛ بل عرضوا بقولهم : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ وقيل : جوابه : أنه كان يكسرها ويذهب ولا يشعر به أحد ، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر، وقولهم: ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ .

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾أي : خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام ؛ كقوله : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[(٢)] أي : فطر الأصنام . فإن قلتَ : كيف يكون الشيء مخلوقًا لله معمولا لهم ؛ حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعًا ؟!

قلتُ : الأصنام جواهر ، فأوقع خلق الجواهر لنفسه - سبحانه - وأوقع الصنعة والتشكيل والتخطيط على الصنعة ؛ كما تقول : صنع الصانع السوار ، وصنع النجار الباب .

فإن قلتَ : فهلا جعلت " ما " في قوله ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مصدرية ، أي : وعملكم ؛ كما تقول المجبرة ؟ قلتُ : أقرب ما يبطل به المذهب أنه يصير التقدير : والله خلقكم وخلق أعمالكم ، فكيف ينكر عليهم شيئًا صنعه الله ؟ [(٣)]

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٦٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٥٦) .

(٣) المجبرة أوالجبرية هم الذين يقولون : إن للعبد قدرة غير أنه لا أثر لها البتة وأفعاله مخلوقة لله وحده ولم يثبتوا كسبا للعبد ولا مقدورا بين قادرين . وهذه مسألة يكثر فيها الخوض ويتحير فيها العقل ويتخبط فيها الفهم وتحتاج إلى كلام كثير، وقد اختلفت أقوال الطوائف في مثل هذا، فمذهب أهل الحق: أن الرب - سبحانه - منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فإنه محدثه . وقالت المعتزلة: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله ، ثم اختلفوا فقالت طائفة : خلقها الذين فعلوها دون الله . وقال آخرون : ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لا خالق لها . وقال آخرون : هي فعل الطبيعة . وقال الذين زعموا أن العباد خلقوها : إن وقوع الأفعال من العبد على وفق قصده وداعيته إقداما وإحجاما دليل على أنه موجدها ومخترعها ، قالوا : ولولا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة وتكليفها بالمحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف . ونقل عن الإمامية: هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق لله على قولين. ونقل الأشعري عن الزيدية: أنهم فرقتان، فرقة تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها ، وفرقة تزعم أنها مخلوقة لله وأنها كسب للعباد أحدثوها واخترعوها=

فإن قلتَ : هلا زعمت أن " ما " في قوله : ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ موصولة ويكون المعنى: وخلق العمل الذي تعملونه ؟ قلتُ : يأبى ذلك أن الأولى موصولة قولاً واحدًا ؛ فوجب جعل الثانية كذلك(٢١٩/أ) حتى لا يتفاوت المراد .

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾

(الجحيم) النار الشديدة الوقود . وقيل : كل نار على نار ، وجمر على جمر فهي جحيم. أرادوا أن يغلبوه بالحجة ؛ فلقنه الله جوابهم ، ثم أرادوا أن يقهروه ويحرقوه فنجاه الله من النار. أراد بذهابه إلى ربه هجرته ، أراد : مهاجرته إلى أرض الشام .﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ سيرشدني في ديني ؛ كما قال موسى : ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [١] وجزم بحصول الهداية بقوله : ﴿سَيَهْدِينِ﴾ وموسى رجا الهداية بقوله :﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٢] .

﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يريد الولد ؛ لأن لفظ الهبة غلب في الولد ، وقد جاء في الأخ ؛ كقوله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [٣] وهناء علي بن أبي طالب لابن عباس حين هنأه بولده علي أبي الأملاك [٤]: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب[٥] .

= وفعلوها . ومذهب الجمهور أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفسوق واقعة بقضاء الله وقدره ثم اختلفوا فقالت طائفة : إن العبد لا قدرة له البتة وهم الجبرية ومنهم من بالغ فزعم أن حركة العبد بمنزلة حركة الأشجار مع الرياح . وقالت طائفة : العبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها " . وينظر في ذلك : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن الوزير(١/ ٣٧٧ – ٣٧٨) ط . دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٧م ، الكشاف للزمخشري (٤ /٥١ – ٥٢).

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٢) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٥٣) .

(٤) هكذا في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣) ولعلها الإملاك وهو التزويج ، ويقال للرجل إذا تزوج : قد ملك فلان ، وشهدنا إملاك فلان وملاكه وملاكه ، أي : عقده مع امرأته . **ينظر** : لسان العرب (ملك) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣) بهذا السياق ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٦٥) بسنده عن علي بن الجعد أخبرني الهيثم بن جماز قال : قال رجل عند الحسن لآخر : ليهنك الفارس ، فقال الحسن : لعله لا يكون فارسا ، لعله يكون بقالا أو جمالا ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، بلغ أشده ورزقت بره " والهيثم بن جماز ضعيف ؛ كما في الكامل لابن عدي (٧/ ١٠١) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٧/ ١٠٥) .

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

وتضمنت بشراه ثلاثة أمور: أحدها : أن بشر بولد ذكر، وأن الولد يعيش إلى أن يبلغ معه السعي ، وأنه يكون حليمًا ، وأي حلم أعظم من الصبر على الذبح ؛ حيث قال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(1) . وقيل : ما أثني على نبي بالحلم كما أثني على إبراهيم ؛ لأن الحلم في الناس قليل .﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ في الأشغال والحوائج . وقوله : ﴿مَعَهُ﴾ لا يجوز أن يتعلق بـ " بلغ " ؛ لأنه يقتضي بلوغهما معًا ، ولا بالسعي ؛ لأنه من صلة المصدر ، وصلة المصدر لا تتقدم عليه ؛ فبقي أن يكون معمولاً لفعلٍ دل عليه المذكور ؛ كأن قائلاً يقول : فما السعي الذي بلغه معه ؟ فقيل : أن يسعى في مهماته ومقاصد أبيه . وقيل : كان عمر الذبيح وقت الأمر بذبحه ثلاث عشرة سنة ، وقد حصل منه هذا الحلم العظيم الذي تأباه الطفولية .

أتي في المنام فقيل له : اذبح ابنك ، ورؤيا الأنبياء وحي ، ولهذا قال الذبيح :﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ فجعل ما رآه في المنام أمرًا ، فأصبح إبراهيم يتروى في هذه الرؤيا أهي حق ، أم أضغاث أحلام ؟ فسمي يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية . وقيل : سمي يوم التروية ؛ لأن الناس يتروون من الماء ، ويذهبون إلى عرفات ، ولا ماء في عرفات ، فلما أصبح إبراهيم في اليوم الثاني رأى ما عرف به أن المنام صحيح فسمي ذلك اليوم يوم عرفة ، ثم رأى في الليلة الثالثة مثل ذلك فهم بنحره (٢١٩/ ب) فسمي يوم النحر.

وقيل : إن الملائكة بشرته بغلام ، فقال : هو إذن ذبيح لله ، فلما وضعته امرأته قالت له الملائكة : أوف بنذرك .

فإن قلتَ : لم شاور إبراهيم ولده في الذبح وهو أمر حتم من الله ؟ قلتُ : لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، وإنما شاوره ؛ لينظر ما عنده من القلق أو التثبت .﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾ أسلم هذا ابنه ، وأسلم هذا نفسه . ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ ألقاه بقوة على الأرض . وروي أن ذلك عند الصخرة التي بمنى . وقيل : في الموضع المشرف على مسجد منى . وقيل : في المنحر الذي

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٠٢).

ينحر فيه اليوم . وجواب﴿فَلَمَّآ﴾ محذوف تقديره : فلما أسلما وتله وناديناه جرى ما لا يحيط به الوصف من [الخطب] وحيازة ما لا يقدر قدره من الأجر . ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ الاختبار الذي يضيق فيه العطن ، ويقل فيه الصبر ، أو المحنة الصعبة التي لا شيء أصعب منها . الذِّبح : اسم لما يذبح . وعن ابن عباس : " هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فدي به الذبيح "[١] . وعن الحسن : فدي بوعل أهبط عليه من ثبير[٢] . فإن قلتَ : من الذبيح ؟ قلتُ : فيه قولان : أحدهما : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين محتجين بأن الكبش والذبيح كانا بمكة ، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبنى هو وأبوه البيت . والقول الثاني : أنه إسحاق ، وبه قال علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة ، وأن المذبوح هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾[٣] وقد قال تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾[٤] وقد ثبت أن المذبوح هو المبشر به ، ولأن الله تعالى ما ذكر نبيا في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله : ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾الآية، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولدًا ، ولم يرزق بعد ولدًا وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق[٥] . فإن قلتَ : الله سبحانه أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يذبحه ؟ قلنا : قد بذل وسعه ، وما وصلت قدرته إليه ، إلا أن الله سبحانه أباح له الفداء ، وسمي من فعل ذلك مطيعًا ، ولا يسمى عاصيًا . فإن قلتَ : فالله تعالى هو الفادي ، وإبراهيم فادٍ أيضًا ! قلتُ : الله تعالى أوجب الذبح ، ووهب الكبش (٢٢٠/أ) فيطلق على الله أنه فاد ، وعلى إبراهيم .

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/٨٦) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/١١٣) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٥)، **والوعل** : تيس الجبل ، **وثبير** : جبل معروف بمكة .

(٣) سورة الصافات ، الآية (١١٢) .

(٤) سورة هود ، الآية (٧١) .

(٥) تقدم الكلام على ذلك في تفسيرة سورة هود ، الآية (٧١) .

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

قال الله تعالى : ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ وقال : ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ فإن قلتَ : إبراهيم قد قضى ما كلف به ، فما وجه الفداء ؟ قلت : أن يوجد الصورة المأمور بها ، وهي الذبح ، وقال في ذكر الأنبياء : ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قصة إبراهيم كذلك ، والمعنى أنه قد سبق ذكر ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ فأغنى ذكره عن إعادته .

﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة ؛ كقوله : ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (١) فإن قلتَ : المبشر به ها هنا مفقود لم يوجد بعد ، وقوله : ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾ المأمور بدخوله موجود ؛ فيبعد تقدير ذكر الحال ؛ لأن الحال حلية ، وصاحب الحلية غير موجود ؟

فجوابه : أنه لابد من تقدير مضاف محذوف ، والتقدير : وبشرناه بوجود إسحاق مقدرًا له النبوة ؛ فيصير مثل قوله : ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال ثانية ، وهو على سبيل الثناء ؛ لأن كل نبي يكون من الصالحين .

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ يعني : شملتهما نعمنا في الدنيا والآخرة .

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الغرق أو من فرعون وظلمه لبني إسرائيل . ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ المستنير ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (٢) ومن جوز أن يكون لفظ التوراة عربيًا يقول: إنها مشتقة من وري الزند : إذا اقتدح نارًا .

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٧٣) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٤٤) .

﴿إِلْيَاسَ﴾ قيل : هو إدريس النبي ، وفي قراءة ابن مسعود (وإن إدريس) [(١)]. وقيل : هو إلياس بن ياسين ، من ولد هارون أخي موسى .

﴿بَعْلًا﴾ صنم كان لهم ، يعني : أتدعونه إلهًا ؟ وقيل : كان صنم ففتنوا به وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن ، وجعلوا الأربعمائة أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضلال ، والسدنة يحفظونه ويعلمونه الناس ، وهم أهل بعلبك .

وقيل : البعل : الرب .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

وقرئ "الياسين" [(٢)] ولعل الياء والنون معنى في لغة السريان ، أو لعله جمع إلياس ؛ كما قال : الخبيبيُّون وهو ولد عبد الله بن الزبير ، والمهلبيُّون في جمع المهلب ؛ وليس ذلك بجمع إلياس ؛ لأنه لو كانت الألف واللام للجمع لعرف بالألف واللام ، ولم يعرف .﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يعني : أسلبتم العقول فلا تعقلون ؟

﴿ إِذْ أَبَقَ﴾ سمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقًا على المجاز. والمساهمة : القرعة ، والمدحض : المغلوب . روي أن يونس لما ركب السفينة فقال البحار : إن الله أجرى العادة

---

(١) وقرأ بها أيضا الأعمش ويحيى بن وثاب وقتادة . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٧٢)، تفسير القرطبي (١٥/ ١١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١١) ، فتح القدير (٤/ ٣٠٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٣) .

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وخلف " إلياسين " ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب " آل ياسين " . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٧٣) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١١٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٣) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٠).

أنه إذا كان في هذا المركب عبد آبق لا تسير ؛ فقال يونس : أنا العبد الآبق ، وزج نفسه في الماء .

﴿مُلِيمٌ﴾ وهو داخل في الملامة (٢٢٠/ب) ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح . وقيل : قوله :﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [(١)] .

وعن ابن عباس : " كل تسبيح في القرآن فهو صلاة " [(٢)] وهذا دليل على أن الله طلب من العبد أن يكثر من ذكره في وقت المهلة ، ويتخذ ذلك عدة للشدائد .﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ الظاهر لبثه فيه حيًا إلى يوم القيامة . وقال قتادة : ولولا ذلك لكان قبرًا [(٣)]. وروي أن الله تعالى أوحى إلى الحوت حين ابتلعه : إني جعلت بطنك له سجنًا، ولم أجعله لك طعامًا [(٤)].

قيل في مدة لبثه : أربعون يومًا . وقيل : عشرون . وقيل : سبعة أيام . وعن الحسن: لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه . وروي أنه لبث يسيرًا والحوت يلاحق السفينة ، ويونس يسبح حتى وصل إلى قريب البر فألقاه سالمًا لم ينخدش منه شيء[(٥)]. وروي أن الحوت قذفه من الموصل يقال لها : نينوى[(٦)].

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

والعراء : المكان الخالي من الشجر . ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل مما حل به . وروي أن بدنه صار كبدن الصغير حين يولد . واليقطين : كل ما سرح على وجه الأرض وليس له ساق .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٤٣) ونسبه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير وأحمد في الزهد . وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٨٠) وزاد نسبته لابن مردويه .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٠١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة ﷺ .

(٤) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٧) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير عن شهر بن حوشب ﷺ قال : " انطلق يونس عليه السلام مغضبا فركب مع قوم في سفينة فوقفت السفينة لم تسر فساهمهم فتدلى في البحر فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت : إنا لم نجعل يونس لك رزقا ، إنما جعلناك له حرزا ومسجدا " .

(٥) ذكر السيوطي هذه الأقوال في الدر المنثور (٧/ ١٢٧ – ١٢٨) .

(٦) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢) .

وقيل : هو الدباء[١] . وقيل : فائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عليه .

وقيل : التين . وقيل : الموز ، تغطى بورقه وأكل ثمره . وروي أنه مر [زمان] [٢] على الشجرة فيبست . قيل : فقيل له : بكيت على شجرة ولم تبك على مائة ألف في يد الكافر[٣]. ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ أي: أنبتناها عالية عليه حتى يستظل بها . ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ ﴾ ليس المعنى أنا جددنا له نبوة ورسالة ، بل هذا تتمة رسالته الأولى . وقيل : هو إرسال ثان إلى قومه الأولين وإلى غيرهم . وقيل : أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى ؛ لأن الأنبياء إذا هاجروا من أرض لبعدهم من المعاصي لا يرجعون إليها . ﴿ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ المراد به وصفهم بالكثرة ، أي : ومتى وقع نظر ناظر إليهم قال : هم مائة ألف أو يزيدون .

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ معطوف على مثله في أول السورة ، أمر الله رسوله ﷺ باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً ، ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ، ثم أمره بسؤال عن القسمة الضيزى[٤] وهي جعلهم الملائكة بنات الله ، وآيات القرآن مترادفة على إنكار جعل الملائكة إناثًا ، وإنما خص علم المشاهدة بقوله: (٢٢١/أ) لأنه تهكم بهم ، وقد قال تعالى : ﴿أشهدوا خلقهم ﴾ والولد يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ ﴾ أي: حجة ، وهذه الآيات دليل على إنكار بليغ وغضب شديد لما ذكروه ، وعن الملائكة وجعلهم بنات الله ، وقد نوع الكلام أنواعًا وبالغ فيه بالوعيد الشديد ؛ فعليك أن تشمر عن ساق للاجتهاد ، وتوقر جلال الله وعظمته عما لا يليق به .

---

(١) الدباء : القرع . **ينظر** : لسان العرب (دبى) .

(٢) بياض في الأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٣٨) رقم (٣١٨٦٦) ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦٢).

(٤) **قسمة ضيزى** : جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة ، والعرب تقول: ضزته حقه - بكسر الضاد - وضزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه. وذلك إذا نقصته حقه ومنعته . وضاز في الحكم أي : جار و ضازه حقه يضيزه ضيزا : نقصه وبخسه ومنعه. **ينظر** : لسان العرب (ضيز) .

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ وأراد بالجنة الملائكة ، والملائكة يسمون جنًا ؛ لاستتارهم عن العيون ، وإنما جاء ها هنا بلفظ الجن ؛ لأنه أنقص أسمائهم رتبة ، والمراد في هذا المقام تنقيص قدرهم من أن يبلغوا رتبة ما ادعته قريش من نسبتهم إلى الولادة وأن يخطر ذلك ببال. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ يعني الشياطين منهم ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين ، والمعنى : لكن المخلصون ناجون ويجوز أن يقع الاستثناء من الضمير في قوله :﴿يَصِفُونَ﴾ أي : سبحان الله عما وصفه الملحدون به ؛ لكن ما وصفه به عباد الله المخلصون فإنه حق .

الضمير في قوله : ﴿عَلَيْهِ﴾ لله – تعالى – والتقدير: فإنكم ومعبوديكم ﴿مَا أَنتُمْ﴾ جميعًا ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ على الله ، إلا أصحاب النار ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ﴾ مثلكم ، أو هو كما قال الشاعر [من الوافر] :

فَإِنَّكَ وَالكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ(١)

وقرئ ﴿صَالُ الْجَحِيمِ﴾ (٢) وفيه وجهان : أن يكون مرفوعًا وسقطت الواو ؛ لالتقاء الساكنين ، وأن يكون أصله صايل ، فقلبت إلى صال ؛ كقولهم : شاك السلاح ؛ أي : شايك.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾

---

(١) البيت للوليد بن عقبة بن أبي عقبة قاله ضمن أبيات يحرض فيها معاوية بن أبي سفيان ﷺ على قتال علي بن أبي طالب ﷺ . ينظر في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ٦١٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥) ، لسان العرب (حلم) قال ابن منظور : " والحَلَم بالتحريك : أن يفسد الإهاب ، ويقع فيه دود فيثقب ، تقول منه : حلِم بالكسر . والحلمة : دودة تكون بين جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل . وقيل : الحلمة دودة تقع في الجلد فتأكله فإذا دبغ وَهَى موضع الأكل فبقي رقيقا " وقال في معنى البيت : " يقول له : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به " .

(٢) قرأ جمهور القراء " صالِ" وصلا ووقفا ، وقرأ يعقوب وقفا " صالي " ، وقرأ الحسن وابن أبي عبلة " صالُ" بالضم . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٧٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١٦) ، فتح القدير (٤/ ٤١٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٦)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٨) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٤).

﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في العبادة والانتهاء إلى أمر الله ؛ كما قيل في صفتهم: منهم راكعٌ لا يقيم صلبه ، وساجد لا يرفع رأسه .﴿ لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴾ نصف أقدامنا في الهواء وأجنحتنا في السماء والأرض ننتظر ما نؤمر به . وقيل : إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة من حين نزلت هذه الآية ، وليس أحد من الملل يصطفون في الصلاة إلا المسلمون والمسبحون : المنزهون أو المصلون . ﴿كَانُوا﴾ [(١)] مشركو قريش يقولون : ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٢١/ ب)، أي: كتابًا من كتب الأولين لأخلصنا العبادة لله ، ونظيره : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ [(٢)] .﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة تكذيبهم ، و﴿ وَإِن﴾ من الثقيلة ، واللام هي الفارقة . وفيه دليل على توكيد الأمر ، وأنهم لا ينفكون عن طاعة الرسول إذا جاءهم .﴿ كَلِمَتُنَا ﴾ هي قوله :﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ . وسماها كلمة وهي كلمات ؛ لأنها في نصرة بعضها بعضًا كالشيء الواحد ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾ في العاقبة وغالب الأمر.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض وأغمض على أذاهم . ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وهي مدة الكف عن القتال .

وقيل إلى الموت . وقيل : إلى يوم بدر . ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وستشاهد ما يحل بهم من النكال وعقوبة الآخرة . ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يقضى لك من النصرة ، والمراد بالأمر بالإبصار كأنه يشاهد الأمر على صورته وأنه كائن لا محالة .﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ سمي صباحًا ؛ لأنها أكثر ما تكون في وقت الصبح . وقيل : لما جاء النبي ﷺ إلى خيبر وخرجت اليهود بمساحيهم [(٣)] ومكاتلهم [(٤)] فرأوا رسول الله ﷺ وأجناده فقالوا : محمد والخميس معه ،

---

(١) هكذا في المخطوط وهي لغة مشهورة في تعرف بلغة " يتعاقبون فيكم ملائكة " وقد مرت أول سورة الأنبياء .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٤٢) .

(٣) **المساحي** : جمع مسحاة وهي الجرفة من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو: الكشف والإزالة . **ينظر** : لسان العرب (سحا).

(٤) **المكاتل** : جمع مكتل بكسر الميم وهو الزبيل الكبير ، قيل : إنه يسع خمسة عشر صاعا كأن فيه كتلا من التمر ، أي : قطعا مجتمعة . **ينظر** : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ١٥٠).

ورجعوا إلى حصونهم ، فقال رسول الله ﷺ : " الله أكبر : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين "[١]. وقيل : أريد بأحد الإبصارين عقوبة الدنيا ، وبالآخرة عقوبة الآخرة . أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها . وقيل : المراد أنه المتصرف في العزة ، وهو مالكها يؤتيها من يشاء ؛ لقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٢] وقوله : ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ ﴾ خبر ، والمراد : تعليم العباد كيف يسبحون الله وينزهونه . وعن علي بن أبي طالب : "من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر كلامه إذا قام من المجلس : ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ إلى آخرها "[٣].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠ ، ٩٤٧ ، ٢٩٤٤) ، ومسلم رقم (١٣٦٥) ، وأحمد في المسند (٣/ ٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٧٤٥) عن أنس رضي الله عنه .

(٢) سورة فاطر ، الآية (١٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٤) ونسبه لحميد بن زنجويه في ترغيبه وابن أبي حاتم ، وزاد نسبته الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٨٢) لعبد الرزاق والثعلبي .

تفسير سورة ص [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿صٓ﴾ على الوقف، وهو المشهور، وقرئ بالكسر والفتح[1] كأمس، وأين، ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم واتصال فعله (٢٢٢/أ) كقولهم: الله لأفعلن. وامتنع صرف ﴿صٓ﴾ لأن فيها سببين: العلمية والتأنيث. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾؟ قلت: إذا أريد بالحروف التي في أوائل السور أنها لبيان الإعجاز، وأن القرآن مركب من الحروف التي تنظمون منها كلامكم وعجزتم عن الإتيان بمثله، ويجوز أن يكون المراد: وحق ﴿صٓ﴾ إن القرآن لمعجز لا يمكن أن يقابل بالتكذيب والشقاق. ثم القرآن يجوز أن يراد به هذه السورة، ويجوز أن يراد به جميع ما نزل.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يكذبون عنادًا وتكبرًا، وقد أهلك الله تعالى أممًا كذبوا رسلهم كما فعل قومك، وسيحل بقومك ما حل بهم في الدنيا والآخرة؛ كما تقول: مررت بزيد والنسمة المباركة، ولا تريد غير زيد. والذكر: الشرف أو الموعظة أو الشهرة؛ من قولك: فلان مذكور، أي: مشهور، والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدلالة على عظمتها وبلوغها الغاية القصوى. وقرئ "في غرة" بالغين والراء[2] أي: في غفلة. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد شديد لأهل مكة. ﴿فَنَادَوا۟﴾ فاستغاثوا. وقرئ (نادوا بالتوبة)[3] وليس الحين حين مناص، وتغير بذلك حكمها؛ حيث صارت لا تدخل إلا على الأزمنة، ولا يجوز ذكر اسمها وخبرها مع

---

(١) قرأ أبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم وابن أبي عبلة وأبو السمال "صادِ" بكسر الصاد، وقرأ عيسى بن عمر "صادَ" بالفتح.
تنظر القراءة في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٣)، تفسير القرطبي (١٥/١٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٥١٩)، فتح القدير (٤/٤١٩)، الكشاف للزمخشري (٣/٣٥٨)، المحتسب لابن جني (٢/٢٣٠)، معاني القرآن للفراء (٢/٣٩٦).

(٢) قرأ بها الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزبرقان وأبو جعفر والجحدري والعقيلي وغيرهم.
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٣)، الكشاف للزمخشري (٣/٣٥٩).

(٣) نسبها الزمخشري في الكشاف (٤/٧١) للحسن من قوله، وليست قراءة.

وخبرها مع دخول التاء عند الخليل وسيبويه[١] وإنما يظهر أحدهما . وقيل : ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : ولا أرى حين مناص ، ويجوز رفع الحين بالابتداء ، أي : ولا حين مناص كائن لهم ، وأنشد أبو زبيد الطائي [من الخفيف] :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لاَتَ حِينُ بقَاء[٢]

والكسر في (أوان) مثله في قوله [من الوافر] :

نَهيْتُكَ عَنْ طِلاَبِكَ أَمَّ عَمْرٍو بِعَافيَةٍ وَأَنْتَ إِذٍ صَحِيحُ[٣]

في أنه ظرف زمان قطع منه المضاف إليه ، وعوض التنوين ؛ لأن الأصل : ولات أوان صلح . وإذا وقفت على ﴿وَلَاتَ﴾ فالمختار أنك تقف عليها بالتاء ؛ كما تقف على قامت وخرجت . وقال الكسائي : يوقف عليها بالهاء كما تقف على التاء في عائشة وفاطمة[٤]. وأما قول أبي عبيد : إن التاء داخلة على حين فلا وجه له[٥]. والمناص : المنجى .

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم . ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (٢٢٢/ ب) ولم يقل : " وقالوا " ؛ إظهارًا للغضب والتعجب من تكذيبهم الرسول ﷺ الذي دلت المعجزة على صدقه ، ويتعجبون من التوحيد ، وهو الحق الذي لا محيد عنه .

وروي أن أكابر قريش من الكفار اجتمعوا عند أبي طالب ، وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا

---

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه (١/ ٢٩) .

(٢) ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٢/ ١٥٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧١) ، معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥٦) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٩٨) .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٥٣٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٣) ، شرح شواهد المغني (ص : ٢٦٠) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٣١) ، لسان العرب (أذذ) .

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٢) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٨) .

(٥) عبارة أبي عبيد في غريب الحديث (٤/ ٢٥٠) : " وهي لغة معروفة يزيدون التاء في الآن وفي حين فيقولون: تلآن وتحين. قال: ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال : إنما هي ولا حين مناص .

وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا في دين الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ؛ فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي : هؤلاء قومك يسألونك السواء ؛ فلا تمل كل الميل على قومك فقال ﷺ : ماذا يسألونني ؟ قالوا : ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك ؛ فقال عليه السلام : أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم ، أمعطيَّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا : نعم وعشرًا ؛ أي : نعطيكم وعشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا ، وقالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾أي : بليغ في العجب[(١)] .

وقرئ "عُجّاب" بالتشديد[(٢)] كقوله :﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [(٣)]. وهو أبلغ من الخفيف ، وقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ مثل قوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [(٤)] في كون الجعل بمعنى التصيير .

﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ أشراف قريش ؛ يريد : وانطلق الملأ عن مجلس أبي طالب قائلين:﴿ٱمْشُوا۟﴾ واصبروا على عبادة آلهتكم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ يريد الله عز وجل إحكامه وإمضاءه ، وما أراد الله عز وجل كونه فلا مرد له ، ولا ينفع فيه إلا الصبر ، أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر لا مرد له ، أو أن دينكم شيء يراد ، أي : يطلب لتغلبوا عليه ويؤخذ منكم . و﴿إِنَّ﴾ بمعنى أي ؛ لأن المنتقلين عن مجلس المقاولة لا ينفكون عن المجاوزة ببعض ما جرى غالبًا .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ ﴾ملة النصارى ؛ لأنها آخر الملل ، وهم يعتقدون التثليث . ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟

(١) رواه أحمد رقم (١٩٠٤) ، والترمذي رقم (٣١٥٦) وقال : حسن صحيح .

(٢) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وعيسى بن عمر وابن مقسم .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٨٥) ، فتح القدير (٤/ ٤٢٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٧) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٠) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٨).

(٣) سورة نوح ، الآية (٢٢).

(٤) سورة الزخرف ، الآية (١٩).

عَذَابِ﴾ بعد ، ولو ذاقوه لما قالوا ذلك . ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ يعني : ليس عندهم تلك الخزائن ، ثم أتى بأبلغ من ذلك فقال : ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى يتصرفوا في اختيار الرسل ، وفي الأمور العظيمة ، أي : إذا كان كذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ إلى السماوات (٢٢٣/أ) ويدبروا أمرها ، ثم انتقصهم فقال : ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي : ما هم إلا جند من جملة المتحزبين على الرسل وهم منهزمون ؛ كقوله : ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (١) أي: عما قريب فلا تبال بما يقولون ، ولا تكترث بما يهذون ، و" ما " مزيدة في قوله : ﴿جُندٌ مَّا﴾ و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى المكان الذي وضعوا فيه أنفسهم من الهجوم على مثل ذلك العظيم . قوله :﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ مأخوذ من ثبات الخيمة بأوتادها ، قيل : ثابت الأوتاد ؛ استعير ذلك لثبات الملك وقوته ؛ كما قال الشاعر [من الكامل] :

في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ (٢)

وقيل: كان يشبح المعذب بين أربعة سوار ؛ كل طرف من طرفه إلى وتد ، ثم يعاقبه فلا يستطيع عن نفسه دفعًا ، ويتركه حتى يموت مشبوحًا(٣) . وقيل : يتركه بين أربعة أوتاد ويسلط عليه الحيات والعقارب . وقيل : كانت له أوتاد وحبال وملاعب يلعب بها بين يديه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ إشارة إلى الأمم الذين كذبوا أنبياءهم فهلكوا ؛ فذكرهم أولاً بالعموم ثم خصهم واحدًا واحدًا فقال : نوح وعاد وفرعون وأصحاب الأيكة وغيرهم ، وذلك دليل على الاعتبار بذكر تكذيبهم وعذابهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة أو هو إشارة إلى جميع الملل المكذبة . ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ما لها من

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٥) .

(٢) هذا عجز بيت للأسود بن يعفر وصدره : ولقد غنوا فيها بأفضل عيشة .
ينظر في : غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٠١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٦) ، معجم البلدان (١/ ٢٧٢) .

(٣) المشبوح : البعيد ما بين المنكبين . والشبح : مدك الشيء بين أوتاد أو الرجل بين شيئين ، والمضروب يشبح : إذا مد للجلد . وشبحه يشبحه : مده ليجلده ، وشبحه : مده كالمصلوب .
ينظر : لسان العرب (شبح) .

رجوع ، وقرئ بضم الفاء[١] أي : بمقدار حلب ناقة ، ورضعتي الراضع ، يعني : إذا حلّ وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان ؛ كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾[٢] وعن ابن عباس : ما لها من رجوع وترداد ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة[٣] . القط : القسط من الشيء ؛ لأنه قطعة منه ؛ تقول : قط الشيء ، بمعنى : قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة : قط ؛ لأنها قطعة من القرطاس ، وقد فسر ذلك قوله عز وجل : ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي : نصيبنا من العذاب الذي وعدت به ؛ كقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[٤] ووجه مطابقة قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لقوله : ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ أنه عبد عظيم أنعم الله عليه وزل زلة وقع فيها في أمر عظيم حتى ضرب له المثل بالنعاج وسجد يبكي حتى (٢٢٣/ب) نبت العشب من دموعه ؛ أي : واذكر عبدنا داود ابتلي فصبر . والأيد : القوة ، ويقال للقوى : أيد .﴿أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله تعالى ؛ من آب يئوب ؛ إذا رجع ، ثم شرع يذكر ما أنعم به عليه فقال :﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ قوة الشمس وذلك بعد ارتفاعها قيد رمحين وقيل : هي صلاة الضحى ، صلاة الإشراق ، يقال : شرقت الشمس : إذا طلعت ، وأشرقت : إذا أضاءت وصفت تشرق إشراقًا .

وروت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب:

" أن النبي ﷺ صلى في بيتها صلاة الإشراق "[٥].

ويجوز أن يريد بأشرق أنه دخل في وقت الشروق ؛ كقوله : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾[٦].

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾[٧] وكانت العرب تقول : أشرق ثبير كيما

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " فُواق " وقرأ الباقون " فَواق " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٨٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٣٤) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٣٢) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٧) .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) ونسبه لابن مردويه .

(٦) سورة الشعراء ، الآية (٦٠) .

(٧) سورة الحجر ، الآية (٧٣) .

نغير[١]. و﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في معنى مسبحات ؛ على الحال . والفرق بين " يسبحن " و" مسبحات " أن الفعل المضارع يدل على التكرار ، والتسبيح كان يتكرر من داود من الجبال وأما اسم الفاعل في قولك : مسبحات ، فلا يدل على ذلك ؛ لأن التسبيح صفة ثابتة تقول في الصغير ابن سبع سنين : هذا يطول ، وتقول لابن أربعين سنة : هذا طويل ، فـ "يسبحن " يدل على التكرار .

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ، وقوله تعالى : ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ يجوز أن يرجع الضمير إلى داود ؛ أي : كل يسبح تسبيحه . وقيل : إلى الله تعالى ، أي : كل يسبح الله تعالى . ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قويناه ، وكان يثبت حول محرابه أربعون ألفًا عليهم الزرد[٢]. وقيل : إنما شد ملكه لأن رجلاً ادعى على رجل أنه غصبه بقرة فأنكره ، فسأل داود ربه بماذا يحكم ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن اقتل المدعى عليه ؛ فأخبره داود أن الله تعالى أمر بقتله فقال : إني لم أوخذ بهذا الذنب ، ولكني قتلت أبا هذا المدعي ، فقتله داود ، فاشتد ملكه ، وقال الناس : من أذنب ذنبًا أعلم الله تعالى به داود ؛ فعظم ملكه بذلك .﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ الزبور والشرائع . وقيل : كل كلام وافق الحق فهو حكمة . الفصل : التمييز بين الشيئين . ويقال : الكلام البين فصل ؛ بمعنى مفصول ، ويجوز أن يراد بالفصل : الفاصل ؛ تسمية لاسم الفاعل بالمصدر . وقيل : قولك : " البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه " [٣] وهو من الفصل بين الحق والباطل (٢٢٤/أ) ويدخل فيه قول بعضهم : فصل الخطاب قوله : أما

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٣٥٦) : " قولهم أشرق ثبير : هو من شروق الشمس وشروقها طلوعها يقال شرقت الشمس شروقا إذا هي طلعت وأشرقت إذا أضاءت وإنما يريدون ادخل أيها الجبل في الشروق كما تقول أشمل القوم إذا دخلوا في ريح الشمال وأجنبوا إذا دخلوا في الجنوب وأراحوا إذا دخلوا في الريح وأربعوا إذا دخلوا في الربيع فإذا أردت شيئا من هذا أصابهم قلتَ: شمل القوم وجنبوا وريحوا وربعوا وشرقوا وكذلك غيثوا إذا أصابهم الغيث " .

(٢) **الزرد** : حلق المغفر والدرع، والزردة : حلقة الدرع ، والسرد ثقبها ، والجمع : زرود ، والزراد : صانعها . وقيل : الزاي في ذلك كله بدل من السين في السرد والسراد والزرد مثل السرد ، وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض . **ينظر** : لسان العرب (زرد) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٤٠) عن شريح ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٤) لابن جرير والبيهقي عن قتادة ﷺ .

بعد[1] ؛ لأنها فصلت ما بعدها عما قبلها . ويجوز أن يراد بـ ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ الذي ليس بطويل ممل ، ولا قصير مخل . كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل عن امرأته ليتزوجها إذا أعجبته ، وكان لهم عادة في المواساة بذلك ؛ فوقعت عين داود على امرأة رجل يقال له أوريا ؛ فسأله النزول عنها ، فاستحيا أن يرده ، ففعل ذلك ؛ فتزوجها وهي أم سليمان ؛ فضرب له المثل بما في الكتاب العزيز . وقيل : خطبها أوريا فأجابوه ، ثم خطبها داود فاستحيا وليها فزوجها من داود عليه السلام ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه[2] . وقيل : إن داود كان يغلق عليه قصره ويتعبد المدد ؛ فأغلق بابه عليه مرة فتسلق شخصان يريدان قتل داود عليه السلام فأحس بهما ، وكان شديد القوة يقدر عليهما فتمحلا كذبة ، وقالا : نحن خصمان بغى بعضنا على بعض ؛ فعلم أنهما تحيلا بدعوى المحاكمة ؛ فأراد قتلهما ، ثم قال : لا أقتلهما بالظن ؛ فاستغفر ربه مما هم به من ذلك . وإذا تأملت القرآن العظيم وجدته يدل على هذا القول الأخير من وجوه كثيرة تقارب ثلاثين دليلا : أولها : قوله : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ﴾ ولا يقال : اصبر واذكر داود الذي أحب امرأة فسعى حتى حصلت له ، بل معناه : اصبر كما صبر داود على الشلحين[3] ولم يأمر بقتلهما ، وكذلك قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ، أي : القوة ، والقوة تعم قوة الدين ، وقوة البدن ، ومن عنده مسكة من دين لا يفعل مثل ذلك ، ومنها قوله : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ومثل هذا المذكور في صفاته وما وهبه الله عز وجل من الكرامات أمر عظيم لا يقرن بالذم ؛ فإنك لو قلت : زيد عالم خيِّرٌ مخصوص بالكرامات العظيمة أحب امرأة فسعى في فراقها من زوجها حتى تزوجها لم يكن كلامًا متناسبًا .

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٤٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٤ – ١٥٥) لابن أبي حاتم والديلمي عن أبي موسى الأشعري ﷺ ، ولسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعبي ﷺ أنه سمع زياد بن أبي سفيان ﷺ .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٠ – ٨١)

(٣) قال ابن الأعرابي : الشلح السيوف الحداد . قال الأزهري : ما أرى الشلحاء والشلح عربية صحيحة وكذلك التشليح الذي يتكلم به أهل السواد سمعتهم يقولون شلح فلان إذا خرج عليه قطاع الطريق فسلبوه ثيابه وعروه . **ينظر** : لسان العرب (شلح) .

أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله : ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ﴾ يدل على ذلك ؛ فإن الملك لا يحتاج إلى التسلق ، وأيضًا قوله : ﴿خَصۡمَانِ﴾ لا يليق بالملائكة أن يكذبوا ، ويجعلوا أنفسهم خصومًا ، وكذلك لا يبغي بعضهم على بعض وكذلك قوله : ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ والملائكة لا تكفل غنمًا . ﴿وَعَزَّنِي﴾ (٢٢٤/ ب) غلبني تقول العرب : من عز بز[(١)] أي : من غلب سلب ، والملائكة لا يغالب بعضهم بعضًا ، وإنما استغفر داود من همه بقتل الرجلين بغير بينة . ﴿وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ عن الساجد بالراكع ؛ لأنه ينحني كالساجد ، واحتج به أبو حنيفة وأصحابه على قولهم : إن الركوع في سجود التلاوة يقوم مقام السجود[(٢)]. ويجوز أن يكون أحرم بركعتين ليستغفر عقيبهما ما جرى ، والصلاة تسمى ركوعًا وسجودًا . وقيل : إنه أقام ساجدًا أربعين ليلة وكان لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة ، أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمعه ، وجهد نفسه واشتغل بالبكاء والتوبة عن مملكته حتى وثب ابن له يقال له [إيشا][(٣)] على ملكه ، ودعا إلى نفسه ؛ فلما غفر لداود حارب ابنه وهزمه[(٤)]. وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها[(٥)].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ

---

(١) ينظر في : تهذيب الأسماء للنووي (٣/ ٢٠٤) ، غريب الحديث للخطابي (١/ ١٤٥) ، لسان العرب (بزز) والبز : السلب ، ومعناه : من غلب سلب .

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٥٦) .

(٣) بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٨) .

(٤) رواه الطبري في التفسير (٢٣/ ١٤٧ - ١٤٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٨) .

(٥) رواه الطبري في التفسير (٢٣/ ١٤٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٤) .

عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ .

﴿خَلِيفَةً﴾ في تنفيذ أحكام الله تعالى . وقيل : خليفة عمن كان ملكًا ، وفيه دليل على أن حاله عادت بعد التوبة إلى ما كانت عليه لم تتغير . وعن عمر بن عبد العزيز : قيل له : إن الخليفة لا يجري عليه القلم . فقال : أيهما أعظم : الخليفة أم النبي ؟ فقيل له : النبي . فتلا عليهم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾[1]. قوله :﴿ بَٰطِلًا ﴾ أي : لا لغرض صحيح ولا حكمة ظاهرة ، وهي معاقبة المسيء وإثابة المحسن ، وإلا فنحن نرى رجلاً صالحًا من المسلمين يُظلم ويؤخذ ماله ويبقى فقيرًا إلى أن يموت، ويبقى الظالم غنيًا بما أخذ من المال، فلو لم يكن ثم آخرة يستوفي فيها للمظلوم حقه لكان خلق السماوات والأرض باطلا مخالفًا للحكمة: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي : مظنوهم ، وكانت الكفار معترفين بأن الله جل جلاله خلق السماوات والأرض ، فكيف يزعمون أنه خلقها باطلاً ؟ وإنما كان كذلك لأن من جحد الحكمة في خلق العالم والثواب والعقاب ؛ فقد جعل التصرف باطلا ، ولولا الثواب والعقاب لاستوى حال المؤمن والكافر . والصفون[3] لا يكاد يوجد إلا في الخيل العراب ، ولا يوجد (٢٢٥/ أ) في الهجن التي ليس لها أصل في عراقة الخيل . ووصفها بالتمام إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها ، وإذا جرت كانت سراعًا في جريها . وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وروي أنه ورثها من أبيه ، وأصابها أبوه من العمالقة . وقيل : خرجت من البحر ولها أجنحة فقعد يومًا بعدما صلى الأولى على سريره ، واستعرضها فلم يزل يعرض عليه حتى غربت الشمس ، وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشاء وتهيبوه فلم يُعلِموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها ؛ تقربًا إلى الله تعالى ، وبقي مائة فما في أيدي الناس من الخيل الجياد من نسلها . وقيل : لما عقرها أبدله الله عز وجل خيرًا منها وهي الريح تجري بأمره[4].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٩) .

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٢) .

(٣) **يقال** : صفنت الدابة تصفن صفونا : قامت على ثلاث وثنت سنبك يدها الرابع ، وصفن الفرس : إذا قام على طرف الرابعة ، وصفن يصفن صفونا : صف قدميه . **ينظر** : لسان العرب (صفن) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٧٣) .

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ معناها : أنبت ، أي : أنبت فعل الخير ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أو جعلت حب الخير مجزئا أو مغنيًا ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ وقيل : إن ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ بمعنى لزمت . مثل بعير السوء إذ أحبًا[1].

و﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ المال ؛ لقوله : ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[2] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾[3] والمال : الخيل التي شغلته عن الصلاة ، أو: سمي الخيل خيرًا ؛ كأنها نفس الخير؛ لتعلق الخير بها قال ﷺ : " الخيل معقود في نواصيها الخير "[4]. وسأل رجل بلالاً عن أناس يستبقون من السابق ؟ فقال : "رسول الله ﷺ . فقال له الرجل : أردت الخيل ؛ فقال بلال : وأنا أردت الخير ﷺ "[5]. والتواري بالحجاب : مجاز في غروب الشمس ، والضمير في الشمس ولم يجر لها ذكر . وقيل : الضمير للصافنات ، أي : توارت بظلمة الليل ، ومن بدع التفاسير أن الحجاب : جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه[6]. ﴿فَطَفِقَ﴾ فشرع يضرب أعناقها بالسيف ، ويقال: كسف عراقيبها بالسيف[7] ، وضرب أعناقها وهي كسف بالسين المهملة ، ومن رواه بالشين فقد وهم . وقيل : مسحها بيده ؛ استحسانًا لها وإعجابًا بها . وقرئ " بالساق "[8] لأمن اللبس .

---

(١) هذا رجز من شعر أبي محمد الفقعسي وقبله : حلت عليه بالقفيل ضربا ضرب بعير السوء إذ أحبا
ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٢) ، لسان العرب (حبب)، والقفيل : السوط . وأحب البعير برك . وقيل : الإحباب في الإبل كالحران في الخيل ، وهو أن يبرك فلا يثور .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٣) .

(٣) سورة العاديات ، الآية (٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٨٥٢) ، ومسلم رقم (١٨٧٢) .

(٥) أورده الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٧٤) ، ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٩١) لإبراهيم الحربي في كتابه .

(٦) رواه أبو الشيخ في كتاب " العظمة " (٤/ ١٣٩٥) عن كعب رحمه الله تعالى قال : الحجاب جبل أخضر من ياقوت يحيط بالخلائق فمنه خضرة السماء التي يقال لها الخضراء وخضرة البحر من السماء فمن ثم يقال: البحر الأخضر " ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٣) .

(٧) كسف الشيء يكسفه كسفا : قطعه ، وخص بعضهم به الثوب والأديم والكسف والكسفة والكسيفة : القطعة مما قطعت . ينظر : لسان العرب (كسف) .

(٨) قرأ بها زيد بن علي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٩٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨) .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قيل : فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة ، وملك بعد الفتنة عشرين سنة ، ورزق سليمان ابنًا فقالت الجن : إن عاش هذا الولد دامت السخرة علينا فنقتله أو نخبله ، فعلم ذلك ؛ فصار يغذوه في السحاب ، فما راعه إلا وقد ألقي على كرسيه ميتًا فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب إليه . وروي عن النبي ﷺ قال : " قال سليمان عليه السلام (٢٢٥/ ب): " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله . ولم يقل : إن شاء الله تعالى . فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة فجاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله لقاتلوا في سبيل الله عز وجل فرسانًا أجمعون "[١] حكي من أخذ الشيطان خاتم سليمان وجلوسه على كرسي سليمان واجتماعه بنسائه فالله أعلم بصحته[٢].

وروي أن سليمان بلغه أن ملك صيدون ، وهي من مدن جزائر البحر وأن لها ملكًا عظيمًا لا يقدر عليه ؛ لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الرياح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى بنتًا له يقال لها جرادة ، كانت من أحسن الناس وجهًا؛ فاصطفاها لنفسه ، وأسلمت وأحبها ، وكانت لا يرقأ دمعها ؛ حزنًا على أبيها فمثلوا لها صورة أبيها فكانت إذا خرج سليمان تغدو هي وجواريها فيسجدون له فأخبر آصف سليمان عليه السلام بذلك ، فكسر الصورة ، وعاتب المرأة ، ثم خرج وحده إلى فلاة ففرش له الرماد ، وجلس عليه يبكي ويتضرع ، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة ، وكان يضع خاتمه عندها إذا أراد جماع غيرها ، أو دخول الخلاء ، وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا ، وأتاها شيطان في صورة سليمان فأعطته الخاتم ، فأخذه وجلس على كرسي سليمان ، وعكفت عليه الجن والطير والوحش ، وكان قد غيرت هيئته فأتى أمينة يطلب الخاتم فأنكرته وطردته ؛ فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف ، وإذا قال : أنا

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١٧١) ، ومسلم رقم (٣١٢٤) ، والترمذي رقم (١٤٥٢) .

(٢) ذكر الحكاية الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٤) ثم قال : " ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح " .

سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ، ثم عمد إلى السماكين فأعطوه في كل يوم سمكة ، فمكث على ذلك أربعين صباحًا عدد ما عبد الوثن في بيته ، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان ، وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة . وقيل : بل نفذ حكمه في كل شيء إلا في النساء ، ثم طار الشيطان ، وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ، ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدًا ورجع عليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها ومد عليه أخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص . وروي أنه لما أراد الله فتنته كان الخاتم يسقط من يده فيلبسه ، ثم يعود ويسقط ، فقال له آصف : إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يستقر في يدك فتب إلى الله تعالى . ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله ، وقالوا : كيف يتصور (٢٢٦/أ) تسليط كافر جني على نساء سليمان ؟ ويتمكن من وطئهن ؟ وما روي من الاستغفار من سليمان فهو من تقصيره في عدم كشف أحوال بيته حتى يعبد الشيطان فيها ، وهو لا يشعر ، وأما اتخاذ التماثيل في منزله فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ؛ فيجوز في شريعة دون أخرى ، ومنه قوله : ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [(١)] وأما السجود لغير الله تعالى فلا نظن أن نبيًا يأذن فيه ، وإذا كان بغير علمه فلا لوم عليه ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ ناب عن معنى إنابة الشيطان منابه نبوًا ظاهرًا . قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريًا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمر دنياهم ، ولا يتسهّلون في أمر آخرتهم .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله : ﴿مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي : من سواي ، فإن قلت : أما يشبه الحسد والحرص ؟ قلت : كان سليمان ناشئًا في بيت النبوة والمملكة وارثًا لهما ؛ فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكًا زائدًا على الممالك المعتادة من كونه خارقًا للعادة بالغًا حد الإعجاز ؛ ليكون ذلك دليلا على نبوته . وقيل : كان ملكًا عظيمًا ؛ فخاف أن يليه بعده من لا يحفظ حدوده ؛ كما قالت الملائكة : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ الآية[(٢)]. وقيل : ملكًا لا أسلبه

(١) سورة سبأ ، الآية (١٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

ولا يقوم غيري مقامي فيه ، ويجوز أن يكون أُطلع على أن هذه المملكة اشتملت على مصالح عديدة لا يقدر عليها كل أحد . ومن جرأة الحجاج(١) أنه قيل له : إنك لحسود . فقال : أحسد مني من قال : ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾(٢) .

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة لا تتزعزع . وقيل : رخاء طائعة له . حكى الأصمعي عن العرب :

---

(١) **هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر** ، أبو محمد الثقفي ، نشأ شابا لبيبا فصيحا بليغا حافظا للقرآن . قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . ولي الحجاز والعراق وفتح فتوحات كثيرة هائلة منتشرة حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ووصلت خيوله أيضا إلى قريب من بلاد الصين . قال ابن كثير في البداية والنهاية : وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر ، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها وإلا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدًّا ، وربما حرفوا عليه بعض الكلم وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات . وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج وإن كان متسرعا في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها وخفيات الصدور وضمائرها . وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وعن الأصمعي قال لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا ... بأنني رجل من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويحهم ... ما علمهم بعظيم العفو غفار

قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك :

إن الموالي إذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خالقي أولى بذا كرما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ . **تنظر ترجمته في** : البداية والنهاية لابن كثير(٩/ ١١٧) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ١٠٦) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٩) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٥) ، والمناوي في فيض القدير (٢/ ٤١٩).

أصاب الصواب فأخطأ الجواب[(١)]. وعن رؤبة : أن رجلين من أهل اللغة قصدا له ليسألاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ، ورجعا[(٢)]. ويقال : أصابك الله بخير . ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على الريح . و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من "الشياطين" ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ معطوف على﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ داخل في حكم البدل ، وهو بدل الكل في الكل . كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ، ويغوصون له يستخرجون الدر ، وهو أول من استخرج الدر من البحر الملح ، وكان يقرن كل شيطانين ماردين في القيود . والصفد : القيد . وقيل : يجمع أيديهم إلى أعناقهم في السلاسل ، ومنه [من الطويل] :

ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا[(٣)] (٢٢٦/ ب)

وتقول : صفده : قيده ، وأصفده : أعطاه ؛ أي : هذا الذي أعطيناك أنواع من العطاء لا تحصى ولا تحصر﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ متعلق بـ ﴿عَطَآؤُنَا﴾ . ﴿فَٱمۡنُنۡ﴾ أي : فأعط من شئت . ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾عمن شئت ، لا تسأل عن ذلك ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ عليك في الآخرة .

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان ، و﴿إِذۡ﴾ بدل اشتمال منه ﴿مَسَّنِيَ﴾ انتقل فيه من الغيبة إلى التكلم والنصب : قرئ بضم النون والصاد وبفتحهما وبضم النون وسكون الصاد[(٤)]

---

(١) **ينظر** : التدوين في أخبار قزوين للقزويني (١/ ٥٨) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٦) ، وأورده الخطابي في غريب الحديث (٣/ ٢٩) قال : " وأخبرني أحمد بن أبي ذر أخبرنا ابن دريد أنبأنا أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس قال تناظرنا في قول الله تعالى ﴿رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ فقيل : ما له إلا رؤبة بن العجاج ، فخرجنا نريده ، فلقيناه يتوكأ على ابنه عبد الله ، فقال : أين تصيبان ؟ فقلنا : كفانا السؤال " .

(٣) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره : وقيدت نفسي في ذراك محبة ....

ينظر في : فيض القدير للمناوي (٤/ ٣٠٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٦) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني (ص : ١٧١) ، نهاية الأرب للنويري (١٧١٣) .

(٤) قرأ أبو جعفر " بنُصُب " وقرأ يعقوب " بنَصَب " وقرأ الباقون " بنُصْب " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٠٠) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١) .

فالنصب والنصب ؛ كالرشد والرشد ، والمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة والعذاب الأليم من المرض . وقيل : النصب في البدن ، والعذاب : ذهاب الأهل والمال ، ونسب المس بالنصب مع أنه ليس له قدرة إلا على الوسوسة ؛ قال في موقف القيامة : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ﴾ الآية[1] ؛ لأن وسوسته كانت سببًا في إغوائهم . وقيل : كان الشيطان يوسوس له ويغويه بالضجر ، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك . وقيل في سبب بلائه: إنه كان له غنم في سلطنة ملك كافر ؛ فداهنه ولم يغزه . وقيل: إن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه . وقيل : أعجب بكثرة ماله .

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ يعني : اركض الأرض برجلك . ﴿مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ يعني : ماء تلك العين التي نبعت فيه منفعتان ؛ الغسل فيه ، والشرب منه . وقيل : نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما ، فذهب ما على ظاهر جسده ، وشرب من الأخرى فزال ما في باطنه منه . ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مفعول من أجلهما ؛ لأنهما رحمة عليه ، وتذكير لمن عرف حاله ليصبر كما صبر .

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٤٤) وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧) وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٨) هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩)﴾

﴿وَخُذْ﴾ معطوف على ﴿ٱرْكُضْ﴾ . والضغث : الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان ، أو غير ذلك . وكان قد حلف ليضربن امرأته مائة إذا برئ ؛ فأفتاه الله تعالى بأن يضرب بالضغث امرأته ؛ لأجل خدمتها لأيوب في مرضه ، ورضاه عنها ، وهذه الرخصة باقية في شرعنا . وعن النبي ﷺ : " أنه أتي برجل كان يعبث ببعض إمائهم ، فأمر النبي ﷺ أن يأخذ عثكالا[2] فيه شمراخ "[3]. وكان سبب حلف أيوب أنه بعثها في حاجة فأبطأت .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

(٢) **العثكال :** هو الذي يسميه الناس الكباسة ، وفيه لغتان عثكال وعثكول ، وأهل المدينة يسمونه العذق بكسر العين ، وأما العذق بالفتحة فالنخلة نفسها . **ينظر :** غريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٩١) .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢٢) ، وابن ماجه رقم (٢٥٧٤) وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه ، وبه ضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٣) .

وقيل : باعت ذوائبها برغيفين ، وكان أيوب إذا أراد أن يجلس تعلق بالذؤابتين ، فلما أخبرته أنها باعتهما حلف . وقيل : قال لها الشيطان : اسجدي لي سجدة واحدة ، وأنا أرد عليكم أموالكم (٢٢٧/أ) فهمت أن تفعل فأدركتها العصمة ، فذكرت ذلك له فحلف . وقيل : أوهمها الشيطان أنه إذا شرب الخمر برئ ، فعرضت له بذلك فحلف . وقيل : قالت له : تقرب للشيطان بعناق[١] . ﴿وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ علمناه صابرًا ، وسماه صابرًا مع قوله :﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾لأن هذا ليس بتسخط ، ولكنه شكوى إلى الله والتجاء إليه ، وذلك لا ينافي الصبر . ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لـ ﴿عِبَادَنَا﴾ . ومن قرأ "عبدنا"[٢] جعل إبراهيم وحده عطف بيان ، وعطف الباقي عليه . لما كانت الأعمال يزاول بعضها بالأيدي جعل الأعمال كلها بالأيدي ؛ كقوله :﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ الآية[٣] وكذلك ها هنا .﴿أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أي : أولي الأعمال الصالحة . ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ﴾ أي : بخصلة خالصة ؛ أبهمها ، ثم فسرها بقوله :﴿ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾أو أخلصناهم بسبب هذه الخصلة ، أو بأنهم أهل لها دون غيرهم .﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير ، أو جمع " خير " على التخفيف ؛ كأموات في جمع ميت وميت . و﴿وَكُلٌّ﴾ أي : وكلهم من الأخيار . ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي : هذا نوع من الذكر ، وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من التنزيل ، ونوع من أنواعه ، وأراد أن يذكر عقيبه بابًا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها – قال : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ كما يقول الجاحظ في كتابه : " هذا باب " ثم يشرع في غيره والدليل عليه أنه لما أتم ذكر الجنة وأراد أن يشرع في ذكر أهل النار قال : ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ﴾ وقيل : معناه : هذا ذكر جميل وشرف يتميزون به على سائر الملل . وقيل : هذا ذكر من مضى من الأنبياء ، ومن هو في وقت بعثتي .

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ
﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

(١) ذكر كل ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٨) وروى الطبري بعضه في تفسيره (٢٣/ ١٦٧ – ١٦٩).
(٢) قرأ ابن كثير " عبدنا " وقرأ الباقون " عبادنا " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٠١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١).
(٣) سورة يس ، الآية (٧١).

وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾

و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال ، والعامل فيها معنى الفعل في قوله : ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفي " مفتحة " ضمير الجنات ؛ أي : مفتحة هي ، و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ بدل من الضمير . وقيل: الألف واللام في " الأبواب " بدل من الإضافة ، أي : مفتحة لهم أبوابها ؛ كقوله :﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[(١)].

الأتراب : اللاتي ولدن في زمن واحد . وقيل : هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهن.

والغساق : ما يغسق من صديد أهل النار . وقيل : الحميم ما يحرق بحره . والغساق : ما يحرق ببرده . وعن الحسن : أن القوم عملوا أعمال (٢٢٧/ب) خير وأخفوها ؛ فأخفى الله جزاءهم ، وعمل العصاة أعمالا فأخفوها ؛ فأخفى الله عنهم جزاءها[(٢)].

﴿وَءَاخَرُ﴾ [(٣)] من مثله في الشدة . ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أنواع وأصناف ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ [(٤)] من شكل المذوق ، أو العذاب ، ولو قرئ من شكلهما لكان حسنًا ؛ لأن المذكور قبله حميم وغساق وآخر. ﴿ هَٰذَا﴾ تخاصم الأتباع والسادة ، فيقول الأتباع للسادة: ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ فيقولون : إنما تعذبون بضلالكم وبإضلالكم الغير، وتقول لمن تحبه وتتلقاه : مرحبًا ؛ أي: صادفت منزلا رحبًا واسعًا ، وتقول لمن تدعو عليه : لا مرحبًا ، أي : لم تصادف منزلا رحبًا. وقيل : هذا كلام الزبانية للقادة والسادة معًا . وقيل : هذا من كلام الخزنة يحتجون على أهل النار ، وأما قولهم :﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ ﴾فهذا يقوله الأتباع للسادة ثم يقول الجميع : ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾ .

---

(١) سورة مريم ، الآية (٤) .
(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/١٠٦) عن الحسن بلفظ : " أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم ".
(٣) قرأ " أُخَر " بالجمع أبو عمرو البصري ، وقرأ الباقون " وآخر " بالإفراد . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠١).
(٤) قرأ جمهور القراء " شَكله " بفتح الشين ، وقرأ مجاهد " شِكله " بكسر الشين .
تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠١).

﴿رِجَالًا﴾ فقراء المؤمنين ؛ كخباب وبلال وابن مسعود وغيرهم ؛ كانوا إذا مروا بنا نضحك عليهم ، ونقول : هؤلاء من الأشرار ؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل المنازل الرفيعة وكنا نعدهم جهلة . ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل ؛ فسقطت في الدرج ، وإذا ابتدأتَ قلتَ : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ ومثله : ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ [1] وكذلك : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ [2] وقوله : ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ له وجهان : أحدهما : أن المراد أهم في النار ولم نرهم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرى . والثاني : أن يكونوا معترفين بأنهم في النار ، ولكن لا يعرفون مكانهم ، ويجوز أن تحذف همزة الاستفهام ، والتقدير : أتخذناهم سخريًا أم زاغت عنهم الأبصار ؟ فتكون " أم " معادلة للهمزة المقدرة ؛ كقول الشاعر [من الكامل]

كذبتْكَ عينُك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الربابِ خيالا[3] .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أي : الذي أنبأتكم به من وحدانية الله ، ونبوة الرسل بالإعجاز نبأ عظيم أنتم معرضون عن التصديق به والعمل بمقتضاه . ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي : ما استفدته من كتب العلم ، ولا من مشايخ العلماء ، وإنما استفدته من الوحي ، وما كان لي من علم بالملأ الأعلى واختصامهم . ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ إلا الإنذار ، والأصل : إلا للإنذار فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو التقدير : إن يوحى إلي إلا الإنذار .

وقيل : النبأ العظيم : القرآن . وقيل : قيام الساعة (٢٢٨/أ) ومعنى ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقت اختصامهم ، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ والمراد بـ ﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ أصحاب القصة ؛ آدم والملائكة وإبليس ، والمقاولة ظاهرًا كانت بين يدي الله وبين المذكورين ؛ كلمهم فأجابوه ولكن بواسطة ملك ؛ فلذلك صحت نسبة المقاولة إلى الله وإلى الجماعة المذكورين .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٢٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٨) .

(٣) البيت للأخطل ، **ينظر في** : تفسير الطبري (١/ ٤٨٤) ، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٠٣) ، لسان العرب (كذب ، غلس) ، معجم البلدان (٥/ ٣٤٨) .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَقَعُوا۟﴾ فخروا . و﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع . وقول الزمخشري[(١)] : إن ﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع في وقت السجود فيه نظر ، وقد أنكره المبرد ، وقال : التوكيد يفيد أمرًا زائدًا على ما أكد به [(٢)] . وسجودهم لآدم على وجه الكرامة لا على وجه العبادة ، وإنما استثنى إبليس ولم يكن من الملائكة ؛ لأنه أمر بالسجود معهم لآدم ، فصار مأمورًا كأمر الملائكة ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وصار بما جرى من الكافرين . و﴿وَكَانَ﴾ تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي ، وليس في ذلك تعرض لانقطاع ذلك المضي أو لدوامه ، وقد تقدم وجه المجاز في قوله :﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(٣)] .

وقيل : قوله : ﴿بِيَدَيَّ﴾ أي : بغير واسطة ، وهو بعيد وقد أجاب إبليس بأنه من العالين بقوله عن آدم : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [(٤)] . ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماوات أو من الخلقة التي أنت فيها فافتخر بخلقته ؛ فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض ، وقبح وجهه بعد ما كان حسنًا ، وأظلم بعد ما كان نورًا . والرجيم : المرجوم ، وهو المطرود . وقيل : الرجيم : المقتول . وقوله :﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾يوهم أنه إذا جاء يوم الدين انقطعت اللعنة عنه ، وليس كذلك ؛ فإنه إذا كان يوم الدين موعده وما فيه من الأهوال والعقوبات ؛ فينضاف إلى اللعنة أمور أخر كثيرة ، فينقطع انفراد الجزاء باللعنة . فإن قلتَ : ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم ؟ قلتُ : الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ، وذلك الوقت جزء من اليوم .

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٥) .

(٢) ينظر : همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٤٣) وقد نقل السخاوي اعتراضه هنا في كتابه المفضل شرح المفصل (٢/ ١٩٥) وجعلنا ذلك من أدلة نسبة التفسير كله له .

(٣) سورة ص ، الآية (٧٥) .

(٤) سورة ص ، الآية (٧٦) .

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ
أَقُولُ ﴿٨٣﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾﴾

وقرئ ﴿فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ﴾ بنصبهما[1] والأول منصوب على حذف حرف القسم ؛ كقول الشاعر [من الرجز] :

إن عليك الله أن تبايعا [2]

وجوابه : ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ و﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ معترض بين القسم والمقسم عليه ، وبرفعهما على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر ؛ كما في : لعمرك . وبجرهما على أن الأول مقسم به محذوف منه حرف القسم ؛ كقولك : الله لأفعلن ، والثاني حكاية قول المقسم . وقرئ برفع الأول وجره مع نصب الثاني[3]. ﴿مِنكَ﴾ ومن جنسك من الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ (٢٢٨/ب) من ذرية آدم . فإن قلت : ﴿أَجْمَعِينَ﴾ توكيد لماذا ؟ قلت : يجوز أن يكون توكيدًا للضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ وللكاف في ﴿مِنكَ﴾ وما عطف عليه ، أي : لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين ، لا أترك منهم أحدًا . ﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن والوحي .

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون وينتحلون ما ليسوا من أهله ، وما عرفتموني قط متصنعًا ولا متكلفًا. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وروي أن رسول الله ﷺ قال : " علامات المتكلف ثلاث : ينازع من فوقه ، ويتعاطى ما لا يناله ، ويقول ما لا يعلمه "[4]. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ أي : في يوم القيامة ، أو عند الموت ، أو عند ظهور الإسلام وفشوه .

---

(١) قرأ العشرة إلا عاصم وحمزة وخلف " فالحقَّ والحقَّ أقول " بنصبهما .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) .

(٢) ينظر في : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري (٢/ ١١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٧١) ، الكتاب لسيبويه (١/ ١٥٦) ، المقتضب للمبرد (٢/ ٦٢) ويروى : إن عليَّ الله أن تبايعا .

(٣) قرأ عاصم وحمزة وخلف " فالحقُّ والحقَّ أقول " برفع الأول ونصب الثاني ، وقرأ الحسن وعيسى بجرهما وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش برفعهما .
تنظر: المراجع السابقة والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٧) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠١) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر .

سورة الزمر [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾

قرئ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، والجار صلة لـ " تنزيل " كما تقول : نزل من عند الله ، أو غير صلة ؛ كقولك : هذا الكتاب من فلان إلى فلان ، وهو - على هذا - خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذا تنزيل الكتاب ، هذا من الله . أو حال من التنزيل ؛ عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل ؛ نحو: اقرأ أو الزم [1]. والمراد بالكتاب - على الأول - القرآن ، وعلى الثاني : السور . ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مخلصًا من الشرك والرياء ، وبصفته السرد ، وقرئ: "الدينُ" بالرفع [2] وحق من قرأه أن يفتح اللام من "مخلَصًا" ؛ كقوله : ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [3]. والخالص والمخلص بمعنى واحد ، إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه .

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ يجوز أن يكون للمتخذين بكسر الخاء ، وهم الكفرة ، وللمتخذين - بفتح الخاء - وهم الملائكة وعيسى وعزير ، والضمير في " اتخذوا " على الأول راجع إلى " الذين " تقديره : والذين اتخذهم المشركون أولياء ، و﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ مرفوع على الابتداء ، وأما الخبر - فعلى الثاني- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ﴾ وعلى الأول يجوز أن يكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) قرأ بالنصب ابن أبي عبلة وزيد بن علي وعيسى بن عمر ، وقراءة العامة بالرفع .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٤) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٥) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٣١) .

(٢) قرأ جمهور القراء " الدينَ " بالفتح ، وقرا ابن أبي عبلة " الدينُ " بالرفع .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٤٣/ ٣٨٥) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٤٦) .

﴿يَحْكُمُ﴾ أو ما أضمر من القول قبل هذه الجملة " يقولون " ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ الآية .

فإن قلتَ : فإذا كان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ﴾ خبرًا ، فما موضع ﴿يَقُولُونَ﴾ المضمر ؟

قلتُ: يجوز أن يكون حالا ؟ أي : قائلين ذلك ، وأن يكون بدلا من الصلة ؛ فلا يكون له محل ؛ كما أن المبدل منه كذلك ، والضمير في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ هم ولأوليائهم والمعنى : أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويرجون شفاعتها ، وأنها تقربهم إلى الله وتلك الآلهة تسحب في نار جهنم وتعذب بالنار؛ إرغامًا لمن عبدها ، وأنهم أيضًا مختلفون في (٢٢٩/أ) الإعادة ؛ فقوم يقولون : إنها روحانية وجسمانية ، وقوم يقولون : إنها روحانية لا غير . وقيل : يحكم بينهم وبين المؤمنين والكافرين ويجرى على كل واحد ما صح جراية القلم عليه.

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ لم يتصور ذلك لاستحالته في نفسه ، وليس إلى ذلك طريق إلا أن يصطفي من مخلوقاته ما يشاء ، وقد فعل ذلك بالملائكة فأقسم به ، وغركم ذلك فادعيتموهن بنات له سبحانه . ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كل موجود فهو مخلوق له . ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) لو كان له صاحبة لكانت من جنسه ، وهكذا التناسل في الحيوانات كلها ؛ الذكر والأنثى من جنس واحد .﴿ ٱلْقَهَّارُ﴾ الغالب لكل شيء ؛ فيقهر آلهتهم ، والمقهور لا يكون إلهًا . ثم دل بخلق السماوات والأرض ، وتكوير كل واحد من المكورين على الآخر، وتسخير النيرين ، وجريهما لأجل مسمى ، وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة ، وخلق الأنعام ، وكل هذه المخلوقات دليل على أنه لا يشارك في خلق شيء منها قهار لا يغالب . والتكوير : اللف واللي ؛ يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، وفيه وجوه : أحدها: أن الليل والنهار

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠١) .

يخلف بعضهم بعضًا ؛ يذهب هذا ويجيء هذا ، وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ، ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ؛ قال الشاعر [من البسيط] :

.... ليَّ المُلاء بأبوابِ التَّفاريجِ [1]

ومنها : أن كل واحد منها يغيب الآخر إذا طرأ عليه ؛ فيشبه بالشيء الذي يلف عليه شيء آخر . ومنها : أن كل واحد منهما يكور على الآخر تكويرًا دائمًا ، فأشبه تكوير العمامة على الرأس . أو لأنه يؤخر عذابهم ؛ فسمي تأخير العذاب مغفرة مجازًا ، وهو يوم القيامة أو إلى قضاء أجل كل واحد . فإن قلت : ما وجه دخول " ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ ؟ قلت : هما آيتان عظيمتان دالتا على قدرته ووحدانيته ، وشعب هذا الخلق الكثير الذي لا يحصر من رجل واحد ، ثم خلق الزوجة من الرجل ، وجعلها من جنسه ليكون الأنس أتم ، وخلق حواء من قصيراه[2] إلا أن الأول منهما أجرى الله عز وجل فيهما العادة والتوالد بالتناسل . وأما خلق الأنثى من ضلع الرجل فلم تتكرر به عادة ، فكانت أتم وأقوى في كونها آية ؛ فعظمها بـ " ثم " للدلالة على أنها أتم في كونها آية ؛ فهو من التراخي في الرتب . وقيل : التقدير: خلقكم من نفس وجدت ثم شفعها الله تعالى بزوج . وقيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ، ثم خلق بعد ذلك حواء .

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾(٢٢٩/ ب) أي : قضى لكم وقدر ؛ لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء ، وحيث كتب في اللوح المحفوظ كل كائن إلى يوم القيامة . وقيل : لا يعيش الحيوان إلا بالنبات ، والنبات إلا بالماء ؛ فأنزل ما به قوام الحيوان ، وقيل : خلقها في الجنة ثم أنزلها .﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ أصناف ، ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز . والزوج : اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو وتر ؛ قال الله تعالى : ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [3]﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ حيوانًا سويا ، من بعد عظام مكسوة لحمًا ، من بعد عظام عارية ، من بعد مضغ ، من بعد علق ، من بعد نطف .

---

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة يصف السراب ، وصدره : تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه ....

ينظر في : العين للخليل (٣/ ٢٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٢) ، لسان العرب (حقا) وحواشيه : جوانبه . **والملاء** : جمع ملاءة وهي الجلباب ، **والتفاريج** : جمع التفراج : الباب الصغير والثوب من الديباج .

(٢) **قصيراه** : آخر الأضلاع . **ينظر** : غريب الحديث للحربي (٢/ ٤٠٨) .

(٣) سورة الليل ، الآية (٣) .

الظلمات الثلاث : البطن والرحم والمشيمة . وقيل : الصلب والرحم والبطن .

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي نقل النطفة من طور إلى طور. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة مخلوقاته .

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ عن إيمانكم وأنتم المحتاجون إليه لاستبشاركم بالكفر واشمئزازكم من الإيمان .

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لأنه يوقع في الهلكة . ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنه يؤدي إلى النجاة ، فإذن ما رضي شكركم ولا كره كفركم إلا لمصلحتكم لا لمصلحة تتعلق به ؛ لأنه الغني مطلقًا الذي لا تجوز عليه الحاجة . وقال أصحابنا أهل السنة : ولا يرضى لعباده الذي يصلح أن تنسب أفعالهم إليه وهم الصالحون ؛ فهو من العام الذي أريد به الخاص ، وعني بهم المذكورين في قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[1] يريد المعصومين ؛ كقوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [2] يريد الصالحين منهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾

قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾ يقال : فلان خايل المال إذا كان يتعاهده ويثمره ، وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة . ويجوز أن يكون المراد جعله مختالاً فخورا بالمال ؛ قال الشاعر [من البسيط] :

.... إن الغنيَّ طويلُ الذيلِ مياسُ [3]

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٤٢) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٦) .

(٣) ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٧٦) على أنه مثل ، والزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٦) على أنه من قول العرب .

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي : نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى إلى كشفه .

وقيل : نسي ربه الذي كان يدعو إليه ويبتهل ، و﴿مَا﴾ بمعنى ﴿مَن﴾ كقوله : ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾[٢]. ﴿لِّيُضِلَّ﴾ قرئ بفتح الياء وضمها[٣] يعني أن نتيجة جعله لله شريكًا أو ندًا حصول الضلال له أو إضلاله ، والنتيجة قد تكون غرضًا في الفعل ، وقد تكون غير غرض . وقوله : (٢٣٠/أ) ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أمر تهديد ؛ كقوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[٤] وبالغ في خذلان هذا الكافر في قوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ فأتاه بأمر لا يريد حدوثه منه . قرئ: "أمَن هو قانت " بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على "من " وبالتشديد[٥]على إدخالها على " أم ".

و"من " مبتدأ وخبره محذوف ؛ أي : أمن هو قانت كغيره ؟ وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله . وقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقيل : معناه : فأنت أفضل أمن هو كافر ، أو أهذا أفضل أمن هو قانت ؟

والقانت : القائم بما يجب عليه من الطاعة ، ومنه قوله عليه السلام : " أفضل الصلاة طول القنوت "[٦] وهو القيام فيها ، ومنه القنوت في الوتر ؛ لأنه دعاء المصلي .

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ حالان . وقرئ: "ساجدٌ وقائمٌ " برفعهما[٧] على أنه خبر بعد خبر، والواو للجمع بين الصفتين ، وأن من لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، ويجوز أن يكون تشبيهًا

---

(١) سورة الليل ، الآية (٣) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس " لَيَضِل " وقرأ الباقون " لِيُضِل " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤١٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/٣٨٩) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٩٩) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٣٠) .

(٥) قرأ بها نافع وابن كثير وحمزة وقراء الباقين بالتشديد " أمَّن " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤١٨) ، تفسير القرطبي (١٥/٢٣٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣/٣٩٠) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٦٢) .

(٦) رواه مسلم رقم (٧٥٦) ، وأحمد (٣/٣٩١) ، والترمذي رقم (٣٨٧) ، وابن ماجه رقم (١٤٢١) ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٧) قرأ بها الضحاك . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤١٩) ، تفسير الرازي (٢٦/٢٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/٣٩٠) .

أي : كما لا يستوي العالم والجاهل لا يستوي القانتون والعاصون . وقيل : نزلت في عمار ابن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي[١] . وعن الحسن : أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو ، فقال : هذا تمني ، وإنما الرجاء قوله ، وتلا هذه الآية[٢] .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ﴾ متعلق بـ ﴿أَحْسَنُوا۟﴾ لا بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ معناه : للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة ، وهي دخول الجنة ، أي حسنة نكرة تدل على عظمة ما يثابون به وأنه شيء لا يقدر قدره ، وقد علقه السدي بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ ففسر الحسنة بالصحة والعافية[٣] ومعنى تعلقه بـ " حسنة " أنه لو تأخر لكان صفة ؛ فإذا تقدم دل على موضع الصفة فلم يخل التقديم بالتعلق[٤] . ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ لا عذر للمفرطين في الإحسان ، ومن ضاقت يده في بلد عن أن تمتد إلى الإحسان فليهاجر؛ فإن أرض الله واسعة . وقيل : هي للذين كانوا مسلمين ، وهم في بلاد المشركين فأمروا بالمهاجرة . ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ الآية . وقيل : هي أرض الجنة .

﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا على فراق أوطانهم وعشائرهم . ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يحاسبون عليه . وقيل : بغير مكيال ولا ميزان يحثى لهم حثيًا (٢٣٠/ب) ويغرف لهم الجنة غرفًا . وعن ابن عباس : لا يهتدي إليه حساب الحُسَّاب[٥] .

وفي الحديث : " يؤتى بأهل الصلاة والزكاة والحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر صبًا حتى يود أهل العافية أن أجسادهم لو كانت في الدنيا قرضت بالمقاريض لما يرون من أجر الصابرين "[٦] .

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢١٤) لجويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٧) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٠٣) .

(٤) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٧) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٨) .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٥ – ٦٠٦) ونسبه لابن مردويه ، وزاد نسبته الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٠٠ – ٢٠١) للطبراني والثعلبي وأبي نعيم والأصبهاني في الترغيب والترهيب .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ بإخلاص الدين . ﴿أُمِرْتُ﴾ بذلك لأجل أن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي : مقدمهم وسابقهم إلى الجنة ، ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت ؛ لـ " أن " أفعل ، ولا تزاد إلا مع " أن " خاصة دون الاسم الصريح ﴿أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي : في زماني ، وأن أكون أول المدعوين إلى الإسلام السابقين إليه ، وأمرت أن أكون أول من سبق قومي إلى الإسلام ، ولا أكون ممن يؤمر بشيء ويفعل خلافه .

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ أي : أخصه بالعبادة .﴿ قُلْ إِنَّ﴾ الكاملين في الخسران﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فأوقعوها في الهلكة ، وخسروا أهليهم ؛ لأنهم إن كانوا كفارًا فقد خسروا كخسرانهم ، وإن كانوا مؤمنين فيفرق بينهم تفريقًا لا يجتمعون بعده أبدًا ، ولقد بالغ في خسرانهم حتى جعل جملة مستأنفة ، وصدرها بحرف التنبيه ، ووسط قوله : ﴿هُوَ﴾ وأدخل الألف واللام في ﴿ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ووصفه بكونه مبينًا . ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ هي تحتهم ، وهي ظلل لآخرين معذبين . ﴿ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت ؛ يطلق على الجمع وعلى المفرد وعلى المذكر والمؤنث .

﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ وقال في تذكيرها :﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ (١) وعلى المفرد والجمع : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ (٢). ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل اشتمال من ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾ ، ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تبشرهم الملائكة وهم داخلون عليهم من كل باب ، وعند حضور الموت بقولهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (٣) .

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٠) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٧) .
(٣) سورة فصلت ، الآية (٣١) .

فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ فإذا اتفق واجب وندب اختاروا الواجب ، وإن اتفق مباح ومندوب اختاروا المندوب ، ويدخل تحته العقائد واختاروا أثبتها على السبك وكقول الشاعر [من البسيط] :

.... ولا تكنْ مثلَ عيرٍ قِيدَ فانْقادا (١)

يريد المقلد . وقيل : يستمعون القرآن وغيره فيختارون القرآن . والهمزة التي في قوله : ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ هي الهمزة التي في قوله (٢٣١/أ) ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ كررت توكيدًا ، تقديره : أفأنت مخصوص بإنقاذهم لا يقدر عليه أحد غيرك . ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي : من تحت الغرف ؛ كما تجري في السهل من الأرض من غير تفاوت في ذلك . ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ لأن قوله : ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ وعد .

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل : كل ما في الأرض فهو من السماء ؛ لقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ نظمه ﴿يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عيونًا . والسلك : الخيط الذي يدخل فيه الخرز . ﴿يَهِيجُ﴾ يتم جفافه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ أي : دريسًا وهو إذا تم إدراكه ، وأريد نقل حبه وتخليصه من بينه .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ نظير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ في حذف الخبر . ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي : من أجل ذكره ، معناه : اشمأزت من ذكر الله . وقوله : ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: غلظت وجفت عن الانقياد إليه والطاعة له ،

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ

---

(١) هذا عجز بيت وصدره : شمر وكن في أمور الدين مجتهدا ....
ينظر في : فيض القدير (٥/ ٤٤٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٠) .

تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وقوله : ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي : ثنيت فيه القصص والأمثال والثناء على الله . وقيل : ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي : مشتملة على الثناء على الله بما هو أهله ، ويجوز أن يكون نصبًا على التمييز تقديره : متشابهًا مثاني ؛ كقولك : رأيت رجلاً حسنًا شمائل ، وإنما كررت القصص والمواعظ ؛ لأنها إذا كررت كانت أوقع لها في النفس وأجدر بالقبول ، وعدي ﴿تَلِينُ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله : ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي : تنقاد إليه ؛ ضمنها فعلا يتعدى بـ ﴿إِلَىٰ﴾ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ أَفَمَن يَتَّقِى﴾ محذوف الخبر ؛ كما في نظائره . والخائف من الضرب إذا استقبل بالسيف مسلولا اتقاه بيده ، وأما في الآخرة فالمعذبون مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، فيتقي بوجهه بعد أن كان يتقي عن وجهه . وقيل : المراد بالوجه الجملة . وقالت لهم الخزنة : ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ .

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ؛ كقولك : جاءني رجلاً صالحًا ، ويجوز أن ينتصب على المدح . ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ بريئًا من التناقض والاختلاف ، أي : ليس فيه اعوجاج قط . وقال الشاعر [من البسيط] :

وقد أتاكَ يقينٌ غيرُ ذي عوجٍ من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبِ(١)

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ (٢) لجماعة شتى أحوالهم ، ومقاصدهم مختلفة كل واحد (٢٣١/ ب) منهم يريد من ذلك العبد خدمة تامة ، ومتى تأخر بعض

---

(١) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٥) .

(٢) في الأصل بدل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وهي الآية (٧٥) من سورة النحل والمثبت هي الآية المقصودة هنا في سورة الزمر .

خدمته شق عليه ؛ فمواليه ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ و﴿رَجُلًا﴾ آخر له سيد واحد قد عرف مقاصده فهمه مجتمع . فأي الرجلين أحسن حالا ؟ وقوله : ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ متعلق بـ" متشاكسون " والتشاكس : الاختلاف وجعله رجلاً ؛ لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن مقاصد سيدهما .

قوله : ﴿إِنَّكُمْ﴾ غلب فيه ضمير المخاطب على الغيبة . واختصامهم : يقول الأتباع للسادة : إنا أطعناكم ، ويقول السادة : إنا أطعنا الشياطين . وقيل : اختصام جميع أهل الموقف .

وقد قال عبد الله بن عمر : " لقد مر علينا زمن ونحن نتلوا هذه الآية ونقول : كيف نختصم ونبينا واحد ، وديننا واحد ؟! حتى رأينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ؛ فعرفنا أنها نزلت فينا "[(١)]. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فاجأه بالتكذيب . ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يشير به إلى الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق . قوله :﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يعود إلى النبي ﷺ ومن تابعه ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[(٢)] ويجوز أن يراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وبالذي﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أتباعه[(٣)]. وقرأ ابن مسعود ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾[(٤)].

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
(٣٥) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ
هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ
هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ
يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٢٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٣) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٢٠٤) : رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأهوال من حديث زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف البكري قال: سمعت ابن عمر. وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤٩) .

(٣) رواه الطبري (٢٤/ ٣) .

(٤) تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٨) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨) .

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ لأن إقدامهم على عصيان الله يجعل فعلهم شيئًا قبيحًا ، وكذلك الحسنة ؛ إذا أخلصها العبد تكون عند الله عظيمة الثواب . وأما تفصيلهم قسمين ؛ فلأن الشيء بالتفصيل أبين وأوضح .

﴿بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ يريد النبي ﷺ ، ومن قرأ ﴿عَبْدَهُ﴾ [(١)] أراد الأنبياء أو المؤمنين .

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ من الأصنام . وقد بعث رسول الله ﷺ خالدًا إلى العزى ليكسرها ، فقال له سادنها : إني أحذركها يا خالد ؛ إن لها شدة لا يقاومها شيء ، فكسرها خالد ، وهو يقول [من الرجز] :

يا عُزَّى كفرانَكِ لا سُبْحانَكِ إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ[(٢)]

أو ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ من سواه . وقوله : ﴿بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم . قرئ ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ بالتنوين على الأصل (٢٣٢/أ) وبالإضافة على التخفيف[(٣)].

وقوله : ﴿هَلْ هُنَّ﴾ والأنوثة محل العجز ؛ فدل وصفهم بالأنوثة على العجز عن كشف الضر وجلب النفع .

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠) إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف " بكاف عباده " وقرأ بقية العشرة " عبده " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٢٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) .

(٢) ذكر القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥) ، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٢) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٦) ونسبه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل . ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٣) لابن مردويه في تفسير .

(٣) قرأ أبو عمرو ويعقوب " كاشفاتٌ ضره " ، و" ممسكاتٌ رحمته " ، وقرأ بقية العشرة " كاشفاتُ ضره " و" ممسكاتُ رحمته " بالإضافة . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٣٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٣) .

ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على تمكنكم. فإن قيل: هلا قيل: إني عامل على مكانتي؟ قلتُ: فعل ذلك توكيدًا، أو إيذانًا بأن مكانة رسول الله ﷺ تزداد كل وقت وحين، ولن يزال راقيا في الدرجات العلى.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبقي عليها ما هي به دراكة حساسة، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في المنام، فإذا جاء وقت اليقظة أمسك النفس التي قضى عليها الموت، وأرسل الأخرى ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء آجالها المكتوبة لها. وعن ابن عباس: إن في بدن الإنسان روحًا ونفسًا؛ فعند النوم تتوفى الأنفس، وعند الموت تتوفى الأرواح[(١)]. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ إنما يعطي الشفاعة بوصفين: أحدهما الإذن من الرحمن عز وجل ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[(٢)] والثاني: أن يكون المشفوع فيه مرتضى؛ لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(٣)].

أتثبتون هم الشفاعة؟ ولو كان الذين أثبتوها هم ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لا يملكها ولا يعطيها إلا هو. ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزت، أي: نفرت وكرهت. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فاجأهم السرور، وامتلأت قلوبهم فرحًا؛ فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يلتجيء إليه؛ فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: شاقق، ويقال: فطر ناب البعير إذا شق اللحم وخرج. وعن ابن عباس: " ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٠٥) وقال: غريب جدا.

(٢) سورة سبأ، الآية (٢٣).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٨).

اختصم إليَّ رجلان في بئر ؛ فقال : أحدهما : هي بئري وأنا فطرتها . أي : أبدأت حفرها"[1]. فإن قلتَ : ما العامل في قوله :﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ ؟ قلتُ : المفاجأة ؛ كقوله : ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ رسول الله ﷺ وشق عليه خلافهم ؛ فأمره الله أن يلتجئ إليه . ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ هذا في الوعيد (٢٣٢/ ب) كقوله في الوعد : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله :﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ ﴾ أي : حل ونزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ به من العذاب .﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ التخويل مخصوص بالتفضل ؛ تقول : خولني فلان مالا ، أي : أعطاني بغير جزاء . ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي : على علم من الله سبحانه باستحقاقي له ؛ كقول قارون :﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[3]

وقيل : علم من الله عز وجل بأني أهل لذلك ، والضمير في ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ للنعمة المؤنثة ، و﴿نِعْمَةً مِّنَّا ﴾شيء من النعمة وجزء من أجزائها ، يعني : ليس عطاؤنا إياك تخويلا .

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي : هذا الإعطاء إنما هو فتنة ، والفرق بين الواو في قوله في أول السورة : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ وبين الفاء في هذه الآية : أن الفاء ها هنا وقعت مسببة عن

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٥٩) .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٧) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٧٨) .

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ الآيات ، يعني : فرتبوا على خلاف ما يقتضيه ، فاشمأزوا من ذكر الله الذي ينفعهم ولم يشمئزوا من ذكر من ضره أقرب من نفعه . قوله : ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فلم يغن عنهم كسبهم شيئًا ، وأصيبوا بالقتل يوم بدر، والقحط سبع سنين ، ثم سبع سنين خصب ورخاء فقيل : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ جنوا عليها بالإسراف في المعاصي . وقرأ ابن مسعود : " ٱللَّهُ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا " [١] وهذه الآية مطلقة في العفو كما تراه ليس فيها شرط توبة . ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [٢] كراهة ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ فإن قلتَ : لم نكر النفس ؟ قلت : المراد بها بعض الأنفس ، وهي إما المتعالية في الكفر ، وإما الفاعلة للخير؛ فللأولى العذاب العظيم ، وللثانية رحمة الكريم الرحيم .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

وقوله : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ليس المراد به نفس واحدة ؛ بل المراد به أنفس ذوات عدد ، ومنه قول الشاعر [من البسيط] :

قد أتركُ القرنَ مصفرًا أناملُهُ .... [٣]

والجنب : الجانب ؛ يقال : لين الجنب ولين الجانب ، قالوا : فرط في جنبه وفي جانبه ؛

---

(١) وقرأ بها أيضا ابن عباس رضي الله عنهما . **تنظر في** : تفسير الطبري (٢٤/ ١١) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢١) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (١٨) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .

قال الشاعر [من الطويل] :

أمـــا تـــتقين الله في جنـــبِ وامـــقٍ   لـــه كبـــدٌ حـــري عليـــكِ تقطّـــعُ(١)

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ لم يكفه أن يضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها(٢٣٣/أ) وموضعه نصب على الحال ؛ تقديره : إني فرطت وأنا ساخر .

قيل : كان في بني إسرائيل رجل له مال سول إليه الشيطان العمل بالمعاصي ، وعزم أن يتوب إذا جاءه ، فلما جاءه الموت تاب فلم تنفعه توبته ، وأنزل الله خبره في القرآن .

فإن قيل : لم فصل بين قوله : ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ وبين قوله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي ﴾؟

قلت : حكى أماني النفس على ترتيبها ؛ فحكى التحسر أولا ، ثم تمني الهداية حيث لا ينفع التمني ، ثم سؤال الرجعة حيث لا يجاب ، وقوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾جواب لغير منفي ؛ لكنه في معنى المنفي ؛ فقوله : ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ دال على انتفاء الهدى . قوله :﴿ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾وصفوه بما لا يليق بجلاله من الشريك والولد . ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ في موضع الحال إن كانت رؤية عين ، ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب .﴿ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفوزهم بما طلبوا ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ قيل : لا محل لهذه الجملة ؛ لأنها مستأنفة .

وقيل : هي منصوبة على الحال . ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾ من باب الكناية ؛ كقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا ﴾(٢) قيل : ليس للمقاليد مفرد . وقيل: واحدها مقليد ، وهي المفاتيح . قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تتمة ؛ نحو قوله : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾روي أن عثمان بن عفان ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال : " هي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير "(٣) .

---

(١) البيت لجميل بثينة أو لكثير عزة ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٣٥) ، التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري (١/ ٣٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠) ، ديوان جميل بثينة (ص :٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٠٣). ويروى : أما تتقين الله في قلب عاشق ....

(٢) سورة الحجر ، الآية (٢١) .

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٥) لأبي يعلى وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قال المشركون للنبي ﷺ : اعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ، فنزلت : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[1] وقوله : ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ ﴾ أصله : أن أعبد ؛ فحذفت " أن " كما في قوله [من الطويل] :

ألا أيها الزاجري أحضرَ الوغَى ....[2]

فإن قلتَ : لم أفرد ، ثم جمع ، ثم عاد إلى الإفراد بقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ ؟

قلتُ : هو كقولك : كسانا الأمير حلة ؛ أي : كسا كل واحد منا حلة ، ويجوز أن يراد : ولقد أوحي إلى كل واحد واحد من الأنبياء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ الآية .

قوله : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم ؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضًا منه .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

روي أن يهوديًا قال بحضرة النبي ﷺ : إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٥٤) لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس ﷺ .

(٢) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد وعجزه :

.... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

ينظر في : الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٢/ ٩١) ، خزانة الأدب (١/ ١١٩ ، ٨/ ٥٧٩) ، الدرر اللوامع (١/ ٧٤) ديوان طرفة (ص : ٣٢) ، سر صناعة الإعراب (١/ ٢٨٥) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص : ٨٤) ، الكتاب (٣/ ٩٩ ، ١٠٠) ، لسان العرب (أنن) ، المقتضب للمبرد (٢/ ٨٣) ، همع الهوامع للسيوطي (٢/ ٧١) . والشاهد فيه : نصب الفعل " أَحْضُرَ " بأن بعد حذفها . وهو قول الكوفيين ، ويروى : أحضرُ بالرفع بعد حذف " أن " ، وهذا على الرواية الصحيحة عند البصريين . وينظر تفصيل ذلك في الإنصاف لابن الأنباري المسألة رقم (٧٧) .

إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى والجبال(٢٣٣/ ب) على إصبع ، ثم يهزهن ويقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ تعجبًا مما قال الحبر "[1]. وهذا يسمى في علم البيان : التخييل ، وهو أن يفهم من مساق هذا الكلام تعظيم قدرة الله ، وأن هذه الأجرام العظيمة مطيعة له ؛ كانقياد ما هو على الإصبع من غير تصوير شيء يشبه الإصبع ، ولا شيء يشبه الهز ؛ كذلك لا يتصور وجود قبضة في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ لا حقيقة ولا مجازًا بل حكاية هذا الكلام بصورة توقع في النفس إجلالا وتعظيمًا ، وكذلك ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ والمراد بالأرض : الأرضون السبع ، ويشهد لذلك قوله : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ وقوله : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وإنما قدم﴿ جَمِيعًا﴾ بأول وهلة قبل مجيء الخبر ؛ ليعلم أنه ليس شيء من الأرض خارجًا عن قبضته . والقبضة : المرة من القبض ؛ كقوله : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [2] والقبضة - بضم القاف- : هو الشيء المقبوض باليد ، وتقول : أعطني قبضة ، بالفتح ؛ تسمية بالمصدر .

﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ قيل : في طاعته من غير منازع .﴿ بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته . وقيل: بقسمه ؛ فالله تعالى أقسم ليطوينها ، وإذا عرض مثل هذا التفسير على أصحاب علم البيان تلهوا به ، ولم يرفعوا به رأسًا ، وتراهم يجذبون عقول السامعين له ويستحسونه على منابرهم .

وقرئ "مطوياتَ" على نظم ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ في حكم ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ودخولها تحت القبضة ونصب "مطوياتَ" [3] على الحال . وقرئ ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [4] يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا دهمه ما يكرهه . وقيل : ينظرون ماذا يفعل بهم ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾يريد به الوقوف في كل مكان واحد ؛ كالمتحير ما يدري ماذا يصنع . قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾أي : بعدله ؛ كما أن الظلم ظلمات ، وفي الحديث : " الظلم ظلمات يوم القيامة " [5] . ولما افتتح الله الأرض بالعدل ختمها بقوله :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨١١ ، ٧٤١٤) ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) ، وأحمد في المسند (١/ ٤٢٩) ، والترمذي رقم (٣٢٣٨) ، عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) سورة طه ، الآية (٩٦) .

(٣) قرأ بالنصب عيسى بن عمر والجحدري . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧) .

(٤) قرأ بها زيد بن علي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧) .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٤٤٧) ، ومسلم رقم (٢٥٧٩) ، والترمذي رقم (٢٠٣٠) .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي : صحف الأعمال . وقيل : اللوح المحفوظ . و﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾الذين يشهدون للأمم وعليهم .

وقيل : الشهداء في قتال الكفار . الزمر : الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض ، وكثر استعمال العرب لفظ الأيام في الحروب والأمور العظيمة ، ومنه :﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١) وقال : ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (٢) قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٢٣٤/أ) كقوله : ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ (٣) .

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أنهم يذهبون إليها راكبين مكرمين ، وسوقهم للاستعجال بهم إلى دار الكرامة ، وسوق الكفار بالهوان . ودخلت الواو في قوله : ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في سوق أهل الجنة ؛ لأن أهل الجنة تفتح لهم أبوابها قبل قدومهم ، وعادة المنزل للأضياف أن يهيئ منزلهم على أحسن الوجوه قبل قدومهم ، وليست واو الثمانية (٤) كما زعموا ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾. قوله تعالى : ﴿طِبْتُمْ﴾ أي : من دنس المعاصي والخطايا . وقوله : ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة . وقوله : ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ ملكنا إياها. وقوله : ﴿حَآفِّينَ﴾ محدقين من حول العرش .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٠) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٦) .

(٤) تقدم الكلام على واو الثمانية في سورة الكهف ، الآية (٢٢) .

تفسير سورة غافر (المؤمن) [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ٱلتَّوْبِ﴾ هو الرجوع عن المعصية ؛ يقال : آب وتاب وثاب ، بمعنى رجع

قوله تعالى : ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الطول : الإفضال والزيادة ؛ يقال : طال فلان على فلان : إذا تفضل عليه. فإن قلت : لم فرقت هذه الصفات ؛ فجعل بعضها نكرة وبعضها معرفة ؟ قلت : أما ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ و﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فهما معرفتان ؛ لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين ؛ بل هي صفة دائمة ؛ كقولك : سيد العبيد . وأما قوله : ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ فمشكل لأنه في معنى حدوث الفعل ، وقد جعله الزجاج[1] بدلا . والحكم عليه بالبدلية دون ما سواه من الصفات المقترنة تحكُّم . والوجه أن يقال : إذا ثبت أن هذا بدل فدل على أن الكل محكوم عليه بالبدلية ؛ ولأن عذاب الله وشدة عقابه موصوف بالعظم ؛ فيكون الجميع وصفًا[2].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾

سجل - سبحانه وتعالى - على المجادلين في آيات الله بأنهم كفار والمراد بالجدل : الجدال بالباطل والطعن فيها ، ويدل على ذلك قوله : ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ فأما الجدال فيها بحل مشكلها وتفصيل مجملها ففيه ثواب عظيم لا يقدر قدره ، ومن حق المؤمن ألا يغتر بكثرة إمهال الفاسق ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٦) .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٤٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٧٨) .

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [(١)] ثم ذكر من تقدم من الرسل وتكذيب أممهم إياهم ، وعقوبته سبحانه لهم بالتدمير عليهم وإهلاكهم (٢٣٤/ ب) قوله: ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ هم الذين تحزبوا على الرسل وعاندوهم وعادوهم ، وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم . قوله تعالى : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أي : من هذه الأمم ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليأسروه ، والأخيذ : الأسير . قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ في محل رفع بالابتداء ، وتقديره : ومثل ذلك ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

روي في صفات حملة العرش آثار تدل على عظم خلقهم ؛ في بعض الروايات : " ما خلق الله خلقًا أعظم من إسرافيل ، وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يكون كالوصع ، وهو العصفور الصغير "[(٢)].

وقوله :﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يدل على أن أحدًا لا يدرك حقيقة ذات الله عز وجل ، بل يؤمنون بها ويصدقون ، وهؤلاء حملة العرش أشرف الملائكة ، وهم يؤمنون بالله ، ولم يقل : يشاهدونه . يسألون الله تعالى المغفرة لبني آدم ، وفي ذلك تشريف لصفة الإيمان ، وأنها من أعظم صفات الصالحين .

قوله : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة ، وأن يستغفر له بظهر الغيب . وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم ؛ فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي ، ولا بين ملك وبشر ، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى .

فإن قلتَ: السعة من صفات الأجسام والله متعال عن ذلك ، وقد وصف نفسه بقوله : ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً﴾؟ قلتُ : الأصل : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء . فالواسع هي الرحمة والعلم ، وقد اتسع فيه ؛ فجعلت الصفة لهذين الوصفين ، وجعل كأنها وسعًا . فإن قلت : لما ذكر الرحمة والعلم كان القياس أن يقول : فاغفر للذين تابوا وارحمهم ؟ قلت : المغفرة من جملة أنواع الرحمة ؛ وكذلك وقاية السيئات رحمة أيضًا .

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

---

(١) سورة الفجر ، الآية (١٥ – ١٧) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة فاطر .

وَذُرِّيَّـٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾

قوله : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي : العقوبات . قوله : ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ يقال : صلح فهو صالح وصلح بضم اللام فهو صليح ، والفتح أفصح . قوله : ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿أَكْبَرُ﴾ وقوله :﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ظرف والعامل فيه المقت الأول ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم حين تدعون إلى الإيمان فتكفرون مقتًا هو أكبر من مقتكم أنفسكم الآن . وقيل : لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم ؛ فنودوا : لمقت الله إياكم الآن (٢٣٥/أ) أكبر من مقتكم . و﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ تعليل . والمقت : أشد البغض ؛ فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده . قوله : ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي : أوجدتنا أمواتا ، ثم أحييتنا في الدنيا ، ثم أمتنا فيها ، ثم أحييتنا في الآخرة . وقد حكي عن ابن عباس وأبي ذر أنهما قالا : الإماتتين والإحياءين قوله : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [1]. فإن قلت : كيف صح أن يسميهم وهم في العدم أمواتًا ؟ قلت : هو كقولك : سبحان من صغر جسم البعوضة ، وكبر جسم الفيل ، وتقول لمن يحفر لك بئرًا : وسع أسفله وضيق أعلاه ، وليس المراد التنقل من صغر إلى كبر ، ومن كبر إلى صغر ، ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه ؛ بل المراد : أوجدها على هذه الصفة وكذلك النطف خلقها الله تعالى ولا روح فيها . ومن جعل الإماتتين التي بعد الحياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاثة إحياءات ، وهو خلاف ما قاله في القرآن ، هكذا قاله الزمخشري [2] وفيه نظر ؛ لأنه لا يتصور أن يكون العدد إحياءين وإماتتين ؛ فإنك إن لم تعد النطف ، وعددت إخراجهم من ظهر آدم كالذر صار معك ثلاثة إحياءات : إحياء من ظهر آدم ، وإحياء في الدنيا ، وإحياء في القبور المساءلة ، وإن لم تعد ذلك ، وعددت الإحياء في الدنيا واحدًا والإحياء في القبر ثانيا ، والإحياء للبعث ثالثًا صارت ثلاثة إحياءات على جميع التقادير، وإن أسقطت واحدًا من الإحياءات حتى تصير اثنتين نقصت من الإماتات واحدة ؛ فأعمل فكرك فيها . قوله :

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨) ، والأثر ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤١٨) .
(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٥٥) .

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ إنما اعترفوا بها ؛ لأنهم رأوا الإحياء والإماتة قد تكررت عليهم ، وهي فعل الله تعالى ؛ فأقروا بما كانوا يكذبون به من نفي الشريك .

قوله : ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ أي : فهل إلى نوع من الخروج من سبيل ؟ أم اليأس واقع دون ذلك ؟

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

قوله : ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي : ذلكم الذي وصفناه من كفركم واعترافكم بما أنكرتموه بسبب أن الله إذا ذكر وحده بالوحدانية أنكرتم ذلك ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد . وقيل : إن الحرورية الخوارج قالوا : لا حكم إلا لله من قوله : ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ (١) .

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ

---

(١) الحرورية إحدى فرق الخوارج ، قيل : سموا حرورية نزوهم بحروراء في أول أمرهم . قال الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١/ ٢٨) : " وانقسمت الحرورية اثني عشرة فرقة فأولهم الأزرقية قالوا : لا نعلم أحدا مؤمنا ، وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم . والأباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق . والثعلبية قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر. والحازمية قالوا : ما ندري ما الإيمان والخلق كلهم معذورون . والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى فقد كفر . والمكرمية قالوا : ليس لأحد أن يمس أحدا لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل . والكنزية قالوا : لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحدا لأنه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق . والشمراخية قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين . والأخنسية قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر . والمحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر . والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين . والميمونية قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٧) : " ومن ألقابهم المارقة ومن ألقابهم المحكمة وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية والسبب الذى له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب ، والذى له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم لا حكم إلا لله ، والذي له سموا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم، والذي له سموا شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله. أي بعناها بالجنة .

مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من السحب والرياح وغيرها . والرزق : المطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وما يتعظ إلا من يرجع إلى الله ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أيها المنيبون إليه (٢٣٥/ ب) ﴿مُخْلِصِينَ﴾ من الشرك ، وإن غاظ ذلك من ليس على مثل حالتكم .

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لمبتدأ محذوف أي : هو ، أو مبتدآت خبرها محذوف ، وهي مختلفة تعريفًا وتنكيرًا .

قال ابن جبير : سماء فوق سماء ، والعرش فوقهن [١] . ويجوز أن تكون عبارة عن رفيع شأنه وعظيم سلطانه . وقيل : هي درجات المتقين التي ينزلونها في الجنة .

قوله : ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ التي يراد بها الحياة ؛ لأنها من عالم أمر الله ، أو النور الذي يلقيه الله في قلب المتقين . قوله : ﴿لِيُنذِرَ﴾ أي : الله سبحانه وتعالى ، أو الملقى عليه وهو الرسول ، أو إلى الروح . و ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم القيامة ؛ لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل : يلتقي أهل السماء وأهل الأرض . وقيل : المعبود والعابد .

﴿بَٰرِزُونَ﴾ منكشفون لا يحجب عن أبصارهم شيء ؛ لأن الأرض قاع صفصف ، والمبعوثون عراة ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ﴾ أي : من أحوالهم وأعمالهم ، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه شيء سواء برزوا أو لم يبرزوا ؛ لأنهم كانوا يتوهمون أنهم يستترون ويحتجبون عن نظر العيون ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ الآية [٢] ينادي يوم القيامة مناد : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيبه أهل المحشر : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وقيل : يجمع الله الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كسبيكة الفضة لم يعص الله عليها فينادي المنادي بذلك ، فيجيب الله نفسه : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٥٦) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٢٢) .

لما ذكر انفراده بالملك ذكر ما يترتب عليه من الجزاء ؛ فقال : ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ﴾ وذكر أن الحساب لا يبطئ ؛ فإن الله سريع الحساب ؛ لأنه لا يشغله شأن عن شأن ، وهو أسرع الحاسبين . وقيل : إذا أخذ في حسابهم لم يقل من القيلولة أهل الجنة وأهل النار إلا في منازلهم . ﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ القيامة ، سميت بذلك لقربها ، و(الزلفى) القربى ، ويجوز أن يريد أنهم إذا أمروا بدخول النار التصقت قلوبهم بحناجرهم فلا يموتون ولا يحيون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾[1] ﴿كَٰظِمِينَ﴾ حال من القلوب أو من أصحاب القلوب ، وجمع الكاظمين جمع السلامة ؛ لأنهم وصفهم بوصف العقلاء ، وهو كونهم كاظمين . ويجوز أن تكون حالاً مقدرة من قوله : ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾ مقدرين الكظم .

﴿حَمِيمٍ﴾ المحب المشفق ، والمطاع : مجاز في قبول الشفاعة ، ويجوز أن يراد نفي الشفاعة والقبول معًا (٢٣٦/ أ) وهو أظهر ؛ لأن الذين طلبت منهم الشفاعة ملائكة ، وأولياء ، فلا ترد شفاعتهم ، فيمن هو أهل وإنما أتى بلفظة ﴿يُطَاعُ﴾ لأنه قد يتوهم متوهم أن ثم شفاعة وطاعة فأيأس منهما ، ويقول من عتب على ترك الجهاد : كيف أقاتل ولا فرس لي ؛ أي : ما يأتي لي القتال بغير فرس ، ولا فرس هناك ؛ فلا قتال .

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾

الخائنة : صفة للنظرة ، أو : مصدر على فاعلة ؛ كالعاقبة والعافية ، والخائنة : الكاذبة ، والمراد : استراق النظر إلى ما لا يحل . فإن قلتَ : بم يتعلق قوله ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾؟

قلتُ : هو من جملة أخبار ﴿هُوَ﴾ في قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ﴾ وإن طال الفصل .

---

(١) سورة طه ، الآية (٧٤) .

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي : ومن هذه أحواله وصفاته لا يقضي إلا بالعدل والحق ، وآلهتكم لا يقضون بشيء ، وهذا تهكم بهم ؛ لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقضي .

" هم " في قوله : ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ﴾ فصل ، وإنما دخلت بين معرفة ونكرة ؛ لأن أفعل التفضيل إذا جاءت بصيغة ﴿مِن﴾ تشبه المعرفة في امتناع دخول لام التعريف عليه ؛ فألحق بالمعارف .﴿وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل : أكثر آثارًا . وقيل : أظهر وأمكن . كان فرعون يقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل ويبقي النساء ؛ لأن الكهنة أخبرته أنه يولد في تلك السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ؛ فلم يغنه حذره ، وسخر فرعون حتى ربى موسى في حجره ، وهو الذي كان يحذره ، ثم لما نبئ موسى وظهرت الآيات على يديه والمعجزات ، قال فرعون : أعيدوا قتل الذكور من بني إسرائيل واستحيوا النساء خدمًا ، وهو معنى قوله :﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ الآية .

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ (٢٨) يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩)﴾

﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾كان فرعون إذا هم بقتله كفوه ، وقالوا : ما هو بالذي نخافه ، وكان فرعون قد امتلأ من ذلك غيظًا ، وكان يحس من موسى أنه يصير له شأن عظيم ؛ فيقول لأصحابه : ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ وقوله :﴿ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ دليل على أن فرعون كان شديد الجزع من موسى وتفاقم أمره ، وهل رأى قط ساحرًا أحدا عليمًا واستولى عليه بسحره حتى يقول : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ﴾

لما سمع موسى قول فرعون ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ قال : ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ الآية ، وكانوا يعبدون(٢٣٦/ ب) فرعون ويعبدون أصنامه ؛ بدليل قوله : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [(١)] وقال : ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ لأن من لم يؤمن بالجزاء لا يخاف العقاب .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٣٧) .

قرئ: " رجْل " (١) بسكون عين الفعل ؛ كعضد وعضد ، وكان ابن عم لموسى قبطيًا آمن بموسى سرًا . وقيل : كان إسرائيليًا . و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ أو معمول لـ (يكتم) أي : يكتم إيمانه ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ .

ثم احتج المؤمن على قومه بقوله :﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ فتلطف من وجهين : أحدهما : أنه بدأ بقسم الكاذب مع علمه بصدق موسى . والثاني : قوله :﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو إذا كان صادقًا أصابهم كل الذي وعدهم . وروي أن الذي تولاه أبو بكر من أمر رسول الله ﷺ كان أشد ؛ فمما روي أن أكابر مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ : أنت الذي تنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا وخنقوه فالتزمه من ورائه ، وقال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ولم يزل يدافع عنه حتى أرسلوه (٢). وقيل : قاله أبو بكر جهرًا ، وقاله مؤمن آل فرعون سرًا (٣).﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾أرض مصر؛ فلا تتعرضوا لبأس الله وعذابه وقال : ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ ولم يقل : فمن ينصركم ؟ تلطفًا في النصيحة ، ولأنه منهم فينبغي أن يحفظوه كما يحفظون أنفسهم . ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ يعني : ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا هو ، ولقد كذب فيما قال ؛ فإن قلبه كان مملوءًا رعبًا من موسى ، ولكنه كان يتجلد ، ولولا تجلده ما استشار أحدًا .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ

---

(١) قرأ بها الأعمش وعبد الوارث . وتروى عن أبي عمرو .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٦٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧) ، السبعة (ص: ٥٧٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٣) .
(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٨٥) لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عمرو بن العاص ﷺ .
(٣) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٣) لجعفر الصادق .

جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله : ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء فأهلكهم الله . ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾ لابد من تقدير محذوف فيه ؛ أي : مثل جزاء دأبهم ، و" مثل " الثاني منصوب بكونه عطف بيان للأول . ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فيعاقبهم بغير ذنب .

﴿ٱلتَّنَادِ﴾ قوله : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ [1]. ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور.

﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار . قوله : ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ هو يوسف بن يعقوب . وقيل : هو يوسف بن إبراهيم بن يعقوب ، أقام فيهم نبيًا عشرين سنة وقيل : هو يوسف آخر ، وقولهم : ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ (٢٣٧/أ) مقدمة جميلة تدل على تكذيب الرسل إذا جاءوا .

قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وفي قوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ زيادة تعظيم لما فعلوه من الكفر ، ووصف القلب بالجبروت والتكبر ؛ لأنه منبعهما ؛ كما تقول : رأت العين وسمعت الأذن ، وكذلك قوله : ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [2]. والآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف مضاف ؛ أي : على ذي قلب متكبر .

الصرح : البناء الشاهق الذي لا يخفى وإن بعد ، و﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها.

وقوله : ﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ثم أبدل منه ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لأن الشيء إذا أبهم ثم فسر كان أبلغ ، والذي زين هو الشيطان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [3] أو الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [4]. التباب : الخسران . افتتح مؤمن آل فرعون بتحقير أمر الدنيا وأنها شيء يستمتع به زمنًا ثم يضمحل ، وثنى بتعظيم الآخرة ، وذكر

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات (٤٤ ، ٥٠ ، ٤٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٣) .

(٣) سورة النمل ، الآية (٢٤) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

الأعمال وجزائها ، ثم فرق بين دعوته إلى الله ، ودعوة المشركين إلى الأصنام ، فوقى الله المؤمن عقوبات الذين كفروا وحماه وعصمه ، وحل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) ﴾

وقوله : ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يدل على الكثرة ، وأنه ليس مما يحصره العدد ، وإنما كرر نداء قومه ، وأتى بالواو في الثالث دون الثاني ؛ فأما تكرير النداء ففيه زيادة إيقاظ ، وأما دخول الواو في الثالث ؛ فلأنها جملة أجنبية من الأول ؛ بخلاف الثانية مع الأول . تقول : دعوته لكذا ، أو دعوته إلى كذا ؛ كقولك : هداه الطريق وهداه إلى الطريق . ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي : بربوبيته ، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم . ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا نفي لما سبق ، و﴿جَرَمَ﴾ فعل ماض ، أي : حق ؛ هذا مذهب البصريين[١] . أي : حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسبت ؛ كقوله : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[٢] . ويجوز أن يراد بقوله : ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي : لابد من الجرم وهو القطع ؛ أي : لا ينقطع استحقاقهم للعذاب ؛ بل هو مستمر . ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ أي : دعوة تجاب ، ومن حق المعبود بحق أن يدعو الناس إلى عبادته . وقوله : ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لأنه في الدنيا جماد ، وفي الآخرة ليس أهلاً للشفاعة التي كانوا يرجونها منه ، أو

---

(١) **قال أبو البقاء العكبري** : لا جرم : فيه أربعة أقوال : أحدها : أن " لا " رد لكلام ماض أي : ليس الأمر كما زعموا ، و" جرم " فعل وفاعله مضمر فيه . والقول الثاني : أن " لا جرم " كلمتان ركبتا وصارتا بمعنى حقا . والثالث : أن المعنى لا محالة . والرابع : أن المعنى لا منع .
ينظر تفصيل تلك الأقوال في : التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/ ٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٩) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٦١) ، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٤٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٣١٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢) .

جعل الدعوة العارية عن الإجابة كلا دعوة ؛ قال الله تعالى : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[1] .

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحد . ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ أي : يذكر بعضكم (٢٣٧/ب) بعضًا. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كانوا قد تهددوه فالتجأ إلى الله في وقاية شرهم .

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱلنَّارُ﴾ بدل من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وعرضهم على النار : إحراقهم بها ، يقال : عرض الأمير الأسارى على السيف أي : قتلهم به .

قوله : ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في هذين الوقتين يعذبون بالنار ، وفيما سوى ذلك الله أعلم بحالهم ؛ فإما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفَّس عنهم . ويجوز أن يراد بالغدو والعشي الدوام . هذا مدة بقاء الدنيا فإذا جاءت القيامة قيل لهم : ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فإن قيل : فسرتم قوله تعالى : ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ بالنار ، وهم لم يعذبوا بالنار فلم يحق بهم سيئات ما مكروا ؟ قلنا : يقال : إن من أضمر لشخص أن يحرقه بالنار فغرقه [لسمي ذلك حيقا][2] لحصول عقوبة ذنبه ، وإن لم يكن من جنس ما عذب به . وقد استدل بهذه الآية على عذاب القبر .

واذكر محاجة الرؤساء والأتباع ، و﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع ؛ كخادم وخدم ، أو ذوي تبع ، أو : وصفًا بالمصدر، وقرئ: "كلا"[3] على التأكيد لاسم " إن " فإن قلتَ : أيجوز ؟

(١) سورة الرعد ، الآية (١٤) .

(٢) بياض بالأصل والمثبت مما فهمناه من السياق وفي الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٠) نحو ذلك .

(٣) قرأ بها عيسى بن عمر وابن السميقع . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٦٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١) .

قلتُ : لا ؛ لأن الجار والمجرور لا يعمل في الحال متقدمًا[١] تقول : كل يوم لك ثوب ، ولا تقول : قائمًا في الدار زيد . ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بحصول الجزاء ؛ إن خيرًا فخير، وإن شرا فشر. قوله : ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ ولم يقل : لخزنتها ؛ لأن اسمها فيه تهويل لا يحصل في الضمائر ، ويحتمل أن يكون ﴿جَهَنَّمَ﴾ اسمًا لمكان مخصوص ، يقال : بئر جهنم ، أي : بعيدة القعر، وقولهم في النابغة : إنه جهنام[٢] ؛ أي : بعيد الغور في الشعر[٣]. وفيها أعتى العصاة وأطغاهم ، ولعل العصاة اعتقدوا أن الخزنة أقرب إلى إجابة الدعوة ؛ ولهذا تعمدوهم بالسؤال ، وامتنع الخزنة من الدعاء ، وعللوه بأن الرسل كانت تأتيكم ومعهم المعجزات فكذبتموهم ، ونحن لا نشفع إلا لمن ارتضاه الله .

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥)﴾

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف . ورد عليه أبو حيان فقال : " وهذا الذي منعه أجازه الأخفش إذا توسطت الحال نحو : زيد قائما في الدار ، وزيد قائما عندك ، والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا في الآية ؛ لأن الآية تقدم فيها المسند إليه الحكم وهو اسم " إن " وتوسطت الحال إذا قلنا إنها حال وتأخر العامل فيها . وأما تمثيله بقوله : ولا تقول : " قائما في الدار زيد " فتأخر فيه المسند والمسند إليه . واختار أبو حيان أن " كلا " على هذه القراءة بدل من اسم " إن " . وقال السمين الحلبي : وفيه نظر . واختار ابن مالك نصب " كلا " على الحال من الضمير المرفوع في " فيها " و " فيها " هو العامل ، وتبع الأخفش في ذلك . **ينظر تفصيل ذلك في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٦) ، ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (١ / ٣٣٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١) ، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٣٨) .

(٢) **قال النووي** في شرح صحيح مسلم (٢/ ١٢١) : " جهنم : اسم لنار الآخرة عافانا الله منها ومن كل بلاء. قال يونس : وأكثر النحويين هي عجمية لا تنصرف للعجمة والتعريف . وقال آخرون : هي عربية لم تصرف للتأنيث والعلمية ، وسميت بذلك لبعد قعرها ؛ قال رؤبة : يقال بئر جهنام أي بعيدة القعر . وقيل : هي مشتقة من الجهومة وهي الغلظ يقال : جهم الوجه ، أي : غليظة فسميت جهنم لغلظ أمرها والله أعلم " .

(٣) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٧١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله : ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾ ليس دلالة على مصلحة ؛ لأنهم علموا أن الشفاعة مردودة ، ولا تفيد شيئًا ، وإنما الخزنة أيأسوهم بقولهم : ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ .

﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحجة والبرهان ، وقد كتب الله أن حزب المؤمنين هم المنصورون ، وإن انتصر الكفار في (٢٣٨/أ) وقت ؛ فأعداؤهم مقضي عليهم بالهلاك والدمار، وأما في الآخرة فظاهر ، و" يوم " الثاني بدل من الأول .﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ يحتمل أنهم يعتذرون فلا يقبل منهم ، أو : لا يتمكنون من الاعتذار ؛ لقوله : ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ (١) ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي : سوء دار الآخرة . ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ جميع ما آتاه الله من التوراة والعلم والشرائع والمعجزات الخارقة للعادات .

﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ، ﴿ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ إرشادًا وموعظة ، وانتصابهما على المفعول له ، أو على الحال ، و﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ المؤمنون العاملون به . ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فاصبر على أذى المشركين ، ودم على ما أنت عليه من الصبر؛ فإن العاقبة للمتقين . ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ قيل : هما صلاتا العصر والفجر﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ أي : تكبر أو إرادة دفع الآيات بالجدال .﴿ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي : ما هم ببالغي موجب الكبر . وقيل : المجادلون هم اليهود ؛ كانوا يقولون : يخرج صاحبنا المسيخ الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر ؛ فسمى الله تمنيهم ذلك كبرًا . ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ يسمع ما يقولون ، ويبصر ما يفعلون فهو يجازيهم على ذلك . وأما كيفية اتصال ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ﴾ بما قبله ؛ فلأن جدالهم كان في إنكار البعث ؛ فأورد عليهم سبحانه قدرته على خلق السماوات والأرض ؛ كما قال : ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ (٢) ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم .

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا

(١) سورة المرسلات ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

ضرب الأعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بالساعة .

﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ اعبدوني ، والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ، ولذلك قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ ولم يقل : عن دعائي . والاستجابة : الإجابة . وقيل : معناه: اعبدوني أثبكم . وعن الحسن: أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال : اعملوا وأبشروا فإن حقا على الله أن يستجيب للذين آمنوا[١] . وقيل للثوري : أندعو الله ؟ فقال : إن ترك الذنوب هو الدعاء [٢]. وفي الحديث : "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" [٣]. وروي أن النبي ﷺ قال : " الدعاء هو العبادة " وتلا هذه الآية[٤]. ويجوز أن يراد ظاهر اللفظ ، وأن الدعاء نوع من العبادة (٢٣٨/ب) وعن كعب " أعطى الله هذه الأمة ثلاثا لم يعطهن إلا الأنبياء : قال للنبي : أنت شاهدي على خلقي ، وقال لهذه الأمة : ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٥] وكان يقول للنبي ﷺ : ما عليك من حرج ، وقال لهذه الأمة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [٦] وكان يقول للنبي ﷺ : ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٧].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٦١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٠٢) لسعيد بن منصور وابن المنذر عن الحسن ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٩) عن سفيان رحمه الله .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٦) وقال : حسن غريب . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٣٣٥).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧) ، وأبو داود رقم (١٤٧٩) ، والترمذي رقم (٢٩٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٩١) ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٣٧٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

(٦) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٧) الآية (٦٠) من سورة غافر ، و الأثر ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٧٥) عن كعب ، ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٣٠٨) عن مجاهد .

﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي : يبصر فيه ، وحقيقة الإبصار لأهل النهار لا للنهار . فإن قلتَ : قد جعل في صفة الليل : ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ مفعولا من أجله ، وفي ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ على الحال ، وهلا جاء القرينان على حالة واحدة ؟

قلتُ : هما متفقان من حيث المعنى ، ولو أنه قال : والنهار لتبصروا فيه فاتت الفصاحة المأخوذة من المجاز ، ولو قال : والليل سكنًا لم يأت بالمقصود ، والليل يوصف بالسكون حقيقة ؛ يقال : ليل ساج . وقوله : ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ ولم يقل : لمتفضل ولا لمفضل ؛ لأن الغرض تفضيل فضل الله على فضل كل ذي فضل ، ولا يحصل ذلك المقصود إلا بالإضافة ، كرر ذكر الناس بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ لأن ذكر الاسم الظاهر أبلغ من الكناية . ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف : بما سبق هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أخبار متوالية ، ثم ذكر أن من جحد بآيات الله وجادل فيها فقد أفك كما أفكوا ، ثم ذكر حجة أخرى وهي جعل الأرض مستقرًا ، والسماء كالقبة المضروبة ؛ لأنها تُرى على هذا الشكل . ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ لم يخلق حيوانًا أحسن من الإنسان ؛ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [1] ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه ، و﴿ٱلدِّينَ﴾ الطاعة ،

---

(١) سورة التين ، الآية (٤) .

قائلين : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وعن الحسن : " من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين " [1] ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف ؛ أي يبقيكم لتبلغوا ، وأما قوله : ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمعناه : وفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو قيام الساعة . ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فإن فعله يقع من غير تأخر عن وقته الذي قدر فيه ؛ لأن جميع المخلوقات مطيعة لأمره داخلة تحت حكمه . ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الكتب والصحف . وقوله : (٢٣٩/أ) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ شبيه بقولك : أريد أن أكرم زيدًا أمس ، لكن الأحوال الآتية عند الله كالكائنة الآن ، ومنه : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [2] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [3] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [4] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [5] وأمثلته كثيرة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وقرئ " إِذِ الأغلال فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلِ " بالجر [6] لأنك لو قلتَ : عنقه في الغل ، أو الغل في عنقه كان المعنى مفهومًا ؛ فلك أن تعبر بأي العبارتين شئت ، ومنه قول الشاعر [من الطويل]:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٨١) ، ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٢٢١) للحاكم ونقل عنه قوله : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٤٤) .

(٦) قرأ بها ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٠) .

مشائيم ليسوا مصلحينَ عشيرةً ... ولا ناعبٍ إلا ببينٍ غرابُها[1]

كأنه قيل: ليسوا بمصلحين. ﴿يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون؛ تقول: سجرت التنور: إذا أوقدته، وقال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾[2]. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ يعني الآلهة فلا نراهم.

فإن قيل: قالوا في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3]: إن العابدين والمعبودين في النار، فكيف قالوا: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾؟ قلنا: يجوز أن يضلوا عنهم وقت التبكيت، ويجوز أن يكونوا معهم في كل وقت لكن لما لم ينفعوهم بالشفاعة كأن وجودهم كالعدم؛ ويدل عليه قوله: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: ما كنا نعبد شيئًا يعتد به. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم نضلهم عن الآلهة. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الشرك وعبادة الأوثان. ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ مثواكم وهو جهنم.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ

---

(١) البيت للأحوص الرياحي. ينظر في: الإنصاف لابن الأنباري (١ / ١٨٠)، الحيوان للجاحظ (٣/ ٤٣١)، خزانة الأدب (٤/ ١٥٨، ١٦٠)، شرح المفصل (٢/ ٥٢)، لسان العرب (شأم) وينسب للفرزدق في الكتاب (٣/ ٢٩)، وبلا نسبة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٥)، الأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ٣٤٧)، الخزانة (٨/ ٢٩٥)، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٥٤)، شرح الأشموني (٢/ ٤٣٥) والشاهد فيه: جر " ناعب " بجار محذوف. وهو معطوف على " مصلحين " وهو منصوب؛ لكونه خبر (ليس)؛ وذلك لتوهم زيادة الباء في هذا الخبر؛ لكثرة زيادتها فيه. وهذا ما يعرف في غير القرآن بالعطف على المعنى أو " على التوهم ". ومشائيم: جمع مشئوم، وهو الإنسان الذي يجر الشؤم على قومه. وناعب: صائح، ومصوّت. والغراب: الطائر المعروف، يضرب به المثل في الشؤم. ويروى: ولا ناعباً.

(٢) سورة الهمزة، الآية (٦).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ ﴿وَمَا﴾ مزيدة لتأكيد الشرط . قوله :﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ إما أن يكون معطوفًا على الشرط ، فيبقى قوله : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ جزاؤه :﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وقوله : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لا يدل على هذا الشرط ، وإن جعل الجزاء عن قوله : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وحده بقي المعطوف عليه بلا جزاء ، فتقول : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ متعلق بـ " نتوفينك " وجزاء " نتوفينك " محذوف تقديره : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب . وهو القتل يوم بدر فذاك ، أو ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل بدر ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام . ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ (٢٣٩/ ب) قبل بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من بني إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس . وعن علي : " بعث الله نبيًّا أسود فهو ممن لم يقص علينا خبره "[(١)]. وهذا تسلية لرسول الله ﷺ فإن الله بعث من قبله رسلاً كثيرين فكذبوهم ؛ فدمر الله على المكذبين . ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾مقترحة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات . ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون الذين كذبوا بالآيات وسموها سحرًا . ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل خاصة . فإن قيل : هلا قال : لتركبوا عليها ؟ قلنا : لأن في الركوب عليها يحصل أجر إذا سافر للغزو أو للحج أو لزيارة رجل صالح ، وأما الأكل فإنه من باب المباح لا يرجى فيه ثواب ، والمعنى بـ " من " و بـ " على " صحيح ؛ فلذلك جازت العبارة بأيهما شئت . ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جاءت على اللغة المشهورة ، تقول : بأية أرض نزلت ، وبأي أرض نزلت ، وقد جاء بأية آية ، ﴿وبِأَىِّ أَرْضٍ﴾[(٢)] ﴿وَءَاثَارًا﴾ قصورهم ومصانعهم . وقيل : كانت الأرض تتأثر بوطئهم بأرجلهم لعظم أجسامهم وثقلها .

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ " ما " نافية أو استفهامية ومحلها النصب ، و" ما " الثانية موصولة ، أو مصدرية ، ومحلها الرفع ، التقدير : أي شيء أغنى عنهم كسبهم أو مكسوبهم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٢) ، وأحمد في المسند (٣/ ٤١٣) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٢) .
(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٤) .

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قيل هو استهزاء ، ولا علم عندهم ، وعلمهم الذي تلاشى: زعمهم أن لا بعث وأن الأصنام تشفع لهم . وقيل: المراد علم الفلسفة ، بعلم جدهم يونان. وعن سقراط: أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له : هاجر بنا إليه ، فقال : نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا إلى من يهذبنا[1] . وقيل : فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح استهزاء ، وتنقبض لما علمه الرسل من العلم ، ويدل عليه قوله : ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وقيل : فرح الأنبياء : ما عندهم من العلم بهلاك المكذبين وحاق بالكافرين جزاء جهلهم .

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

و﴿ٱلْبَأْسِ﴾ العذاب الشديد ؛ ومنه ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍ﴾ [2]. فإن قيل : لو قيل : فلم ينفعهم إيمانهم . هل كان يقوم مقام قوله : ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ ؟

قلنا : هو مثل ﴿كَانَ﴾ في قوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [3]. والتقدير: فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . فإن قلتَ : كيف ترادفت هذه الفاءات ؟

قلتُ : أما قوله : ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ فهو نتيجة قوله : ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ وأما قوله (٢٤٠/أ) ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ فجار مجرى البيان لقوله : ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ كقولك : رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء . وقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ تابع لقوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ كأنه قال : كفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا . ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ كـ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [4] و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [5] و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [6] و﴿هُنَالِكَ﴾ اسم مكان مستعار للزمان ؛ أي : خسروا في ذلك الزمان ، وهو وقت قيام الساعة ، وكذلك قوله : ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ بعد قوله : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي : خسروا وقت مجيء أمر الله ، أو: وقت القضاء بالحق .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٨٢) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٦٥) .
(٣) سورة مريم ، الآية (٣٥) .
(٤) سورة الروم ، الآية (٦) .
(٥) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .
(٦) سورة الروم ، الآية (٣٠) .

تفسير سورة حم السجدة (فصلت) [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣) بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (٤) وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ (٥)﴾

إن جعلت ﴿حمٓ﴾ اسما للسورة كانت مبتدأ، و﴿تَنزِيلٌ﴾ خبره، وإن جعلتها تعديدا للحروف كان " تنزيل " خبرًا لمبتدأ محذوف. ﴿كِتَٰبٞ﴾ بدل من " تنزيل " أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، وجوز الزجاج[1] أن يكون ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأ و﴿كِتَٰبٞ﴾ خبره ووجهه أن "تنزيلا " تخصص بالصفة فجاز الابتداء به؛ كقوله ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ﴾[2] ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ميزت وجعلت فصولا وأنواعًا مختلفة من وعد ووعيد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وغير ذلك. ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ نصب على الاختصاص والمدح، أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت. وقيل: هو نصب على الحال، أي: فصلت في حال كونه عربيا. ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ عربيا نزل بلغتهم، وتعلق قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ إما بـ " فصلت " أو بـ " تنزيل " والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده. وقرئ "بشيرٌ ونذيرٌ " بالرفع[3] صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ أي: لا يفهمون. تقول: شفعت عند فلان فلم يسمع قولي وقد سمعه لكنه لم يقبله. ﴿أَكِنَّةٖ﴾ جمع كنان وهو الغطاء، والوَقر: بالفتح الثقل في الأذن، والوِقر بكسر الواو: الحمل[4] ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾[5] وبعده تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم عن فهمه

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢١).

(٣) قرأ بها زيد بن علي. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٥).

(٤) قرأ طلحة بن مصرف " وِقرا " بالكسر وقراءة العامة " وَقرا " بالفتح. الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٥).

(٥) سورة الذاريات، الآية (٢).

وتدبره كأن بينهم وبين رسول الله ﷺ حجابا منيعا أو حاجزًا من جبل أو نحوه .﴿ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾أمر تهديد وليس إذنا في العمل ، أو: فاعمل على إبطال أمرنا ؛ إنا عاملون على إبطال أمرك . و" من " في قوله :﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ فيها فائدة وهي أن الحجاب قد سد ما بينهما ، ولو فقدت (٢٤٠/ ب) " من " لكان الحجاب قد ابتدأ من أول البينونة ، ولا يلزم استيعابه لما بينهما .

فإن قلتَ : هلا قيل: على قلوبنا أكنة ؛ كما قيل: وفي آذاننا وقر فيكونان على نمط واحد؟

قلتُ : المعنى واحد ، وإن اختلف اللفظ ؛ لقوله : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً ﴾ والملاحظة إنما تراعى في المعاني دون الألفاظ .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ﴾ جواب لقولهم : ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾من حيث إنه قال : لست ملكًا ؛ إنما أنا بشر .

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ أي : أجيبوا إلى الطاعة واسلكوا سبيلا سويا ليس فيه ميل عن الحق، وتوبوا إليه مما سبق منكم من الشرك ، وقرئ " قل إنما أنا بشرًا " [(١)]. وإنما خص منع الزكاة بالتهديد وقرنه بالكفر بالآخرة ؛ لأن المال شقيق الروح ؛ فإن بذله في طاعة الله فقد جاهد نفسه جهادا كبيرا ، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بعرض يسير من الدنيا ، وأصحاب مسيلمة الكذاب تظاهروا بمنع الزكاة فكفروا وقاتلهم المسلمون . ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾

---

(١) قرأ بها الأعمش والمطوعي ويحيى بن وثاب . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٣) .

غير مقطوع . وقيل : غير ممنون به . ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قدر على خلق الأرض وما فيها في يومين هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالا ثابتة ، ولو كانت الجبال تحتها كالعمد أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت الأرض الميد والحركة ، وإنما اختار جعلها فوق الأرض ؛ لتكون المنافع التي في الجبال حاضرة لمن يطلبها ، والجبال أثقال على أثقال وكلها ممسوكة بقدرة الله .

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها وأنماه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ كوامل لا نقص فيهن . قيل : خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق ما فيها في يوم الثلاثاء والأربعاء، وقال الزجاج : في تتمة أربعة أيام[1] . قوله ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ جواب لسائل قال : ما المدة التي خلقت فيها السماوات والأرض ؟ وقوله : ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يفيد فائدة وهي أن أكثر الأربعة قد يطلق عليه الأربعة ، فإذا قال: ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾. امتنع النقص والزيادة فيها . ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قصد إلى خلقها من غير أن يخلق فيما بينها وبين الأرض شيئا آخر ونحوه قوله : ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي : اقصدوا عبادته من غير اعوجاج، ومعنى أمر السماوات والأرض بالإتيان تكونهما على ما أراد ، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع ، والغرض سرعة امتثال ما أراد من غير تأخر ولا اعتذار ؛ فقال لهما : ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا﴾ وإلا أتيت بكما كرها .

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ وليس هناك خطاب ولا قول ؛ قال في المثل : قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني[2] (٢٤١/أ) ويحتمل : وافقا أمري ومشيئتي ، ولا تمتنعا

قوله : ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ انتصابهما على الحال ؛ طائعتين أو مكرهتين ، وإنما قال :

﴿طَآئِعِينَ﴾ ولم يقل : طائعات أو طائعتين ؛ لأنه أخبر عنهما بالطوع وهو صفة من يعقل

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (١٤)﴾

---

(١) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٨٣) .

(٢) **ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٩) .

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ يجوز أن يكون ضميراً مبهما يفسره ما بعده . ﴿أَمْرَهَا﴾ ما فيها من مخلوقات الكواكب والملائكة . ﴿وَحِفْظًا﴾ أي : وحفظناها أن تقع على الأرض أو حفظناها من استراق ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ (١) .

ويجوز أن يكون مفعولا له ؛ أي : للحفظ .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ بعد ما سمعوا من الحجج على وحدانيته فحذرهم أن تصيبهم صاعقة ؛ أي : عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة . ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أتوهم من كل جانب وأعملوا في أمرهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض ؛ كما حكى عن الشيطان : ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ (٢) وقيل : أنذروهم بهلاك من هلك من الأمم وبيوم القيامة . " أن " في قوله : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا﴾ مخففة من الثقيلة أو بمعنى (أي) ومفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف ، أي : لو شاء ربنا إنزال ملائكة لفعل .

وقوله : ﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس إقرارًا بالرسالة ، وإنما هو على زعمكم ؛ كقول فرعون : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٣) .

روي أن أبا جهل قال : التبس علينا أمر محمد ، فلو وجدنا من يكشف عن أمره ؟ فانطلق إليه عتبة بن ربيعة فقال للنبي ﷺ : أنت تسفه أحلامنا وتسب آلهتنا ، فإن كان بك الفقر جمعنا لك مالا تستغني به ، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة من خيار قريش . فقال النبي ﷺ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فوضع عتبة يده على فم النبي ﷺ ثم ناشده الله والرحم ألا يفعل ، ثم رجع عتبة إلى منزله ولم يأتهم ؛ فظنوا أنه قد صبأ وأسلم ؛ فجاءوا إليه وعنفوه ؛ فحلف بالله لا يكلم محمدًا أبدًا ، وقال : لقد علمتم صدق محمد ، فلما هددنا بصاعقة عاد وثمود خفت أن ينزل بكم العذاب (٤) .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (٧) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧) .
(٣) سورة الشعراء ، الآية (٢٧) .
(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٧٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣١٠) للبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله ﷺ .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) ﴾

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تعظموا فيها واستكبروا بما لا يوجب الكبر من كبر الأجساد وكثرة الأولاد فأهلكهم الله .

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانت عاد ذوي قوة ، كان الرجل منهم يقتلع الصخرة العظيمة فيأتي بها إلى منزله ، ومعنى كونه تعالى قويًّا أنه يفعل ما يعجز أرباب القوى عنه . (٢٤١/ب) والقوة في الآدميين صحة البنية والتمكن من المقدورات .﴿ يَجْحَدُونَ﴾ كانوا يعرفونها وينكرونها وكانوا فجرة فسقة . الصرصر : الريح التي تصوت في هبوبها .

وقيل : الباردة التي تحرق بشدة بردها تكريرا للصر وهو البرد . الأصل في ﴿نَحِسَاتٍ﴾ نحسات : بكسر الحاء فخفف سكونها أو وصف بالمصدر كرجل عدل وفطر وصوم .

وقرئ "لنذيقُهم " [(١)] الريح أو العذاب أو الأيام النحسات . و﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ إضافة الشيء إلى صفته ؛ كأنه قال : العذاب المخزي ، كما تقول : فعل السوء ، أي : الفعل السيء . قوله : ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ إسناد مجازي ، ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ؛ كما تقول : فلان له شعر ، وله شعر شاعر.

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فاختاروا الضلالة . فإن قيل : معنى هديته أي : حصلت له الهدى ، فكيف يجتمع ذلك مع قوله : ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ ؟ قلت : نزل السبب منزلة المسبب ؛ فجعل الإيضاح والبيان بمنزلة الرشاد نفسه . ﴿صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ داهية العذاب ، و﴿الْهُونِ﴾ الهوان ، وهو إما وصف بالمصدر أو بدل منه.

---

(١) تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٩١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٩) .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ۝٢٤ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝٢٥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٢٨ ﴾

﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ الكفار من الأولين والآخرين . ﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم ليلحق آخرهم به . و" ما " في قوله :﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ زائدة ، أي : تكون الشهادة عليهم وقت مجيئهم النار ، شهادة الأيدي شهادة بالملامسة المحرمة وكل معصية تتعلق باليد من نقل محرم أو وضع اليد على ما لا يسوغ شرعًا . وقيل : أراد بالجلود الفروج . وقيل : الجلود : الأعضاء كلها . ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ عام مخصوص ، تخصص بالحيوان ، وبما تصح منه الحياة والمعنى أن نطقنا ليس بعجب ؛ كما أن نطق سائر المخلوقات كذلك .

﴿ظَنُّكُمُ﴾ و﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبران لـ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ . ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ لم ينفعهم الصبر ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ وإن يطلبوا العتبى وهو العود إلى ما كانوا عليه من الخير فما يجابون إلى ذلك ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي : سهلنا لهم قرناء ؛ كقوله :﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (١) ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر العاقبة . و﴿الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة قوم آخرين ، وقوله : ﴿فِي أُمَمٍ﴾ حال من الضمير في﴿ عَلَيْهِمُ﴾أي: حق عليهم القول كائنين في جملة أمم .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٣٨) .

﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ اللغو : الساقط من الكلام ، أي : لا تسمعوا له عند قراءته ، وتشاغلوا عنه برفع الأصوات بالخرافات (٢٤٢/أ) حتى تخلطوا على القارئ قراءته فلا يتمكن من تفهيمها ، وكان يوصي بعضهم بعضا بذلك . ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني : الذين تواصوا باللغو في القراءة ، ويجوز أن يريد جميع الكفار . وقيل : ﴿عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ يوم بدر ﴿أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الآخرة . ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأسوأ ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون ، حتى تستقيم هذه الإشارة ، و﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء ، أو خبر مبتدأ محذوف . ومعنى قوله : ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أن النار في نفسها دار الخلد ؛ كقوله : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[(١)] .

﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ يلغون فيها .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾

﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ لأن الشياطين إنسي وجني ؛ قال الله تعالى : ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾[(٢)] وقيل : هما إبليس وقابيل ، فسن إبليس المعاصي ، وسن قابيل القتل بغير حق . وقرئ: "أرْنا" بسكون الراء[(٣)] ؛ كقولهم في كتِف وكبِد وفخِذ : كتْف وكبْد وفخْذ .

" ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ لتفاوت رتب الاستقامة ، ومثله : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾[(٤)] والمعنى : ثم ثبتوا .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة ويعقوب والسوسي " أرْنا " وقرأ بقية العشرة " أرِنا " .
تنظر في : الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٢) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٥) .

وعن أبي بكر الصديق ﷺ : ثم استقاموا فعلا كما استقاموا قولا . وعنه: أنه سألهم عنها ، فقالوا : لم يذنبوا فقال : حملتم الأمر على أشده ؛ فقالوا : فما تقول ؟ قال : لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان "[1]. وعن عمر قال : استقاموا على الطريقة ولم يروغوا روغان الثعالب[2]. وعن عثمان : أخلصوا العمل [3]. وعن علي : أدوا الفرائض[4].

وروي أن سائلا قال : يا رسول الله ، مرني بعمل أعتصم به ؛ فقال : " قل آمنت بالله ثم استقم ، قال : فقلت : ما أخوف ما تخاف علي ؟ قال : فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال : هذا "[5]. ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾عند الموت بالبشرى . وقيل : للبشرى في ثلاث مواطن : عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا من قبورهم . أن مخففة من الثقيلة ، أو بمعنى أي ، والخوف : غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن : غم يلحق على أمر قد فات . وقيل : لا تخافوا على ما تقدمون عليه ، ولا تحزنوا على ما خلفتم . ﴿تُوعَدُونَ ﴾ يتمنون ، والنزل : رزق النزيل ، وهو الضيف ، وانتصابه على الحال .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن راهويه وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الصديق ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن المبارك وسعيد ابن منصور وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب ﷺ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٩) عن عثمان ﷺ .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٩) عن علي ﷺ بهذا اللفظ . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ بنحو هذا .

(٥) السائل هو الصحابي : سفيان بن عبد الله الثقفي ، والحديث رواه مسلم في صحيحه رقم (٥٥) ، والترمذي رقم (٢٣٣٤) ،وأحمد في المسند رقم (١٤٨٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٢) .

ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ دعا الناس إلى دين الحق . وقيل : هم أصحاب رسول الله ﷺ . وقيل : هي عامة في كل من جمع هذه الأوصاف الثلاثة . ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (٢٤٢/ ب) يعني : اعتقد ذلك .

يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ؛ فإذا وجدت حسنتين إحداهما أعظم أثرا فاختر ما هو أعظم أثرا ، ومثاله: رجل أساء إليك فالحسن أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته ، وأحسن منه ألا تترك وجها من وجوه الإحسان إلا تفعله معه فإذا فعلت انقلب العدو المبين صديقا ، ثم قال : وما يلقى هذه الخصلة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على جهاد النفس وإلا رجل له حظ عظيم من الخير . وقيل : ﴿وَلَا﴾ مزيدة والمعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة . وقيل : ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عن الإساءة . وقيل : نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وكان عدوا للنبي ﷺ فصار صديقا موافيا[1].

النزغ والنسغ : هما متساويان بمعنى النخس ، والشيطان يبعث على المعصية كما تبعث الدابة بالنخس ، وجعل النزغ نازغا ؛ كقوله : جدَّ جِدُّه ، جعل الجدَّ جادًّا ، والمعنى : إن صرفك الشيطان عن مقابلة السيئة بالحسنة فاستعذ بالله من شره . والضمير في﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ لليل والنهار والشمس والقمر وموضع السجدة عند الشافعي :﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ لأن الكلام تم عندها . وقال قوم : موضع السجدة عند قوله :﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ لأنها الآية التي فيها السجود ، واحتج عليه الشافعي بآية النحل ، وهو قوله :﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [2] وبقوله في النمل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [3] السجود عند تمام الكلام في هذه المواضع[4]. وكان قوم من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويعتقدون

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٠٠) .

(٢) سورة النحل الآية (٥٠) .

(٣) الآية (٢٦) .

(٤) **ينظر** : الأم للشافعي (١/ ٢٤٢) ، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢/ ١٣٠) ، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٠٤) ، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٢١٥) .

إلهيتهما ، وكان قوم آخرون يزعمون أنهم موحدون لكن هذه الكواكب سبب في اشتراك الرزق ودفع الشدائد وواسطة بين الله وبين خلقه . فقيل لهم : اقطعوا هذه الوسائط ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ خالقها .

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ (٣٨)
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي
الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ
أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا
جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ
(٤٢) مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا ﴾ لم يعبأ الله بهم ؛ فإن عنده من الملائكة ما لا يحصى عددهم ، وكلهم يسبحون الله ؛ فهو غنيٌّ عن تسبيح هؤلاء . استعير الخشوع للأرض اليابسة التي لم تمطر ؛ كما وصفها بالربو والاهتزاز إذا أخصبت . يقال : ألحد الحافر ولحد : إذا مال في حفره ؛ فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن .

واتصل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ (٣/٢٤٣) بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ لأن كليهما تهديد ، وهو بدل منه ، و﴿بِالذِّكْرِ﴾ القرآن . ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ محمي بحماية الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾ لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلا ، وهو مثل . فإن قلتَ : قد طعن فيه الطاعنون وتأول فيه المتأولون ؟ قلتُ : لكن الله تعالى قيض طائفة من العلماء انتصبوا للذب عنه ، وأجابوا عن أسئلتهم عليه ، حتى ظهر ضعفها وانزاح باطلها . ما نقول للكفار قومك من الطعن والأذى إلا مثل ما قيل للرسل من قبلك ، تسلية للنبي ﷺ عما كان يلقى من الكفار .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائهم ، ويجوز أن يراد : ما ينزل عليك جبريل من الوحي إلا مثل ما كان ينزل على الأنبياء ، والمقول هو قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .

كان الكفار يتعنتون ويقولون : هلا أنزل القرآن بلغة العجم ؟ فقيل : لو كان الأمر كما زعمتم لم تتركوا الطعن ولقلتم : لولا أنزل مفصلا ، أي : نزل بلسان العرب ليتفقهوه .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ إنكار أن ينزل قرآن أعجمي بلغة العرب ؛ أي: لأنكروا وقالوا: أقرآنٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ ؟! والأعجميُّ : الذي لا يفصح ، والمعنى : إن هؤلاء القوم لا يقطعون التَّعنُّت . ﴿فَٱخْتُلِفَ﴾ فقال قومٌ : هو حقٌّ ، وقال آخرون : هو باطل ، والكلمة السابقة هي العدةُ بيوم القيامة . ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فلنفسه مَهَّد ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (١) ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي : فعليها جنى .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إذا سئل عنها قيل : ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ .

الكِمُّ بكسر الكاف : وعاء الطلعة ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ يشير بذلك إلى علمه بالجزئيات والكليات ؛ كقوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (٢) ﴿وَظَنُّوا۟﴾ وأيقنوا . والمحيص : المهرب . والقنوط : الذي يظهر عليه أثر اليأس ، وهذه صفة الكافر؛

---

(١) سورة الروم ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

بدليل قوله :﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) .﴿هَٰذَا لِى ﴾ أي : حقي وصل إليَّ. وقيل : للكافر أمنيتان يقول في الدنيا : ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ ويقول في الآخرة : ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾(٢) ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ استعير العرض أيضا للكبر ؛ كما في قوله : ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٣) وقرئ "ناء" (٤) على القلب من نأى .

قوله :(٢٤٣/ ب) ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يراد بالجانب ذاته ونفسه كما جاء : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥). وفي المكاتبات بخدم الحضرة أو المجلس والمراد الذات . والوجه الثاني : أن يراد ازوراره وميله ؛ كما قالوا : ثنى عطفه وتولى بركنه . وقوله : ﴿فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ قائم مقام قوله : منكم .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ هو ما فتح الله وسيفتح على المسلمين وخلفائهم من الأقطار المتباعدة والأقاليم المختلفة من بلاد المشرق والمغرب عموما وفي بلاد العرب خصوصا التي لم يتيسر أمثالها لأحد من الخلفاء قبلهم من استيلائهم على ملوك فارس والروم وغيرهم من الملوك .

قوله : ﴿بِرَبِّكَ ﴾ فاعل﴿أَوَلَمْ يَكْفِ ﴾. وهو يطلع على حقائق الأمور فيأتي بها على ما يريد . ﴿مُّحِيطٌۢ ﴾ أي : عالم بجمل الأشياء وتفصيلها ، وهو مجازيهم في لقاء ربهم .

* * *

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

(٣) سورة هود ، الآية (٥٨) .

(٤) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان " وناء " وقرأ الباقون " ونأى " . **تنظر القراءات في** : الحجة لابن خالويه (ص : ٢٢٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٣٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٧٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٥٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٤٣ - ٤٤) .

(٥) سورة الزمر ، الآية (٥٦) .

تفسير سورة حم عسق (الشورى) [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

﴿حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله فيما سبق في غيرها من السور ، وأوحاه من قبلك إلى رسله ، على معنى أن الله عز وجل كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية ؛ لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم بعباده من الأولين والآخرين . ولم يقل : أوحى إليك ، ولكن على لفظ المضارع ؛ ليدل على أن إيحاء مثل عادته . وقرئ "يوحى إليك " [(١)] على البناء للمفعول .

فإن قلت : فما رافع اسم الله عز وجل على هذه القراءة ؟ قلت : ما دل عليه "يوحى" كأن قائلا قال : من الموحي ؟ قال : ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ؛ كقراءة السلمي : " وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلُ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ " [(٢)] كأن قائلا قال : من زينه ؟

قال : شركاؤهم . فإن قلتَ : ومن قرأ : "نوحي" بالنون[(٣)]. قلتُ : يرتفع بالابتداء .

و﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾وما بعده أخبارٌ ، و﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفتان ، والظرف خبرٌ .

---

(١) قرأ بها ابن كثير ، وقرأ بقية العشرة " يوحي " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٠٨) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٧٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٢٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٧) وهذه قراءة ابن عامر أيضا ، وقراءة الباقين : (زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤهم). **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٣١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ١٨٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) .

(٣) قرأ بها أبو حيوة والأعمش وأبان . **تنظر** : المراجع السابقة .

وقرئ ﴿ تَكَادُ ﴾بالتاء والياء[(١)] و﴿يَنفَطِرۡنَ ﴾ و(تنفطرن) [(٢)] فجمع بين علامتي تأنيث ؛ تاء المضارعة ، ونون ﴿يَنفَطِرۡنَ ﴾ ومثله : الإبل تتشممن ، ومعناه : يكدن يتفطرن من علوِّ شأن الله تعالى وعظمته ، يدل عليه مجيئه بعد ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ وقيل : من دعائهم له ولدًا ؛ كقوله : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ ﴾ [(٣)] فإن قلت لم قال : ﴿مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾ ؟

قلت : لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال (٢٤٤/أ) والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجَّة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل من آثار ملكوته العظمى ، فلذلك قال :﴿ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾أي: يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية ، أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس أن يقال : من تحتهن ؛ من الجهة التي منها جاءت الكلمة ، ولكنه بولغ في ذلك ، فجُعلت مؤثرة في جهة الفوق ، كأنه قيل : يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهنَّ دع الجهة التي تحتهنَّ ، ونظيره في المبالغة قوله عزَّ وجلَّ :﴿ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ ﴾[(٤)] فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة .

وقيل : ﴿مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾ من فوق الأرضين . فإن قلت : كيف صحَّ أن يستغفروا لمن في الأرض ، وفيهم الكفار وأعداء الله ؟ وقد قال الله – تعالى – : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [(٥)] فكيف يكونون لاعنين مستغفرين ؟ قلتُ : قوله :﴿ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يدل

---

(١) قرأ نافع والكسائي " يكاد " ، وقرأ بقية العشرة " تكاد " .

تنظر القراءات في : تفسير القرطبي (١٦/ ٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٥٢٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣١٩) .

(٢) قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم " ينفطرن " وقرأ الباقون " يتفطرن " ورويت قراءة " تنفطرن " عن يونس عن أبي عمرو . قال السمين في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٧٤) وقال ابن خالويه : وهذا حرف نادر ؛ لأن العرب لا تجمع بين علامتي تأنيث .

وفي الآية (٩٠) من سورة مريم ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة " ينفطرن " ، وقرأ الباقون " يتفطرن " .

ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٥٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٩٠) .

(٤) سورة الحج ، الآية (١٩، ٢٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٦١) .

على جنس أهل الأرض ، وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم ؛ فيجوز أن يراد به هذا وهذا ، وقد دلَّ الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون ، فما أراد الله إلا إياهم ؛ ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وحكايته عنهم : ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ (١) ويجوز أن يراد بالاستغفار للعصاة طلب الحلم عنهم وألا يعجل عقوبتهم ، بل يؤخرها إلى يوم القيامة ، وقد مضى في تفسير قوله : ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ وجهان : **أحدهما** : يتفطرون من إجلال الله وعظمته ؛ فعلى هذا يكون الانفطار من إجلال الله وعظمته كذلك ، والملائكة المعظمون جلال الله الحافون حول العرش عندهم من الخوف من الله فوق ما يظن .

والثاني : يتفطرن لدعواهم لله ولدًا ، فعلى هذا يكون المراد : تكاد السماوات يتفطرن من إقدامهم على دعوى الشريك والولد لله مع أن الملائكة الحافين حول العرش دائمون على التسبيح الموظف عليهم ، وعلى الاستغفار لأهل الأرض الذين تبرءوا من هذه الكلمة .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ جعلوا له شركاء وأندادًا . ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب عليهم . قوله ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي : وما عليك إلا البلاغ ، ولست بمسؤول عن هؤلاء ، ولا فوض إليك أن تكرههم على اتباع الحق . ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من (٢٤٤/ب) المفعول به وهو قوله :﴿قُرْءَانًا﴾ . ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ أهل أم القرى ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾عذاب يوم الجمع يجتمع فيه الخلق وأهل السماوات وأهل الأرض . وقيل : يجتمع الظالم والمظلوم . ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾اعتراض لا محل له وقرئ ﴿فَرِيقٌ﴾ و "فريقًا"

---

(١) سورة غافر الآية (٧) .

بالرفع والنصب[١] فمن قرأ ﴿فَرِيقٌ﴾ بالرفع فهو مبتدأ والخبر في المجرور ، ومن قرأ بالنصب نصبه على الحال ، وقد وصفهم في الآية بالاجتماع بقوله : ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ ووصفهم بالتفرق عند استقرارهم في داري السعادة والشقاوة .

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي : لو شاء مشيئة اختيار ، ولكنه شاء ضلالهم ، قال :﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢] ومعنى الاستفهام في قوله :﴿ أَمِ ﴾ الإنكار. ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ وهو وحده قادرٌ على إحياء الموتى خلاف ما دعوه من الأصنام إلها . ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ﴾ ممكن ﴿قَدِيرٌ ﴾ ، ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ﴾ أنتم والكفار في شيء من أمور الديانات فعلمه مفوض إلى الله وحده . وقيل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ ﴾ فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ ولا تحكموا فيه غيره . وقيل : وما اختلفتم فيه من معاني القرآن فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافق ذلك فهو الحق . وقيل : وما اختلفتم فيه من علم لا يطلع عليه العباد فقولوا : الله أعلم ، وذلك كمعرفة الروح . ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الآية[٣]. ولا يجوز حمله على الخلاف في الفقهيات ؛ لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول ﷺ .

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ أي : من أنفسها ﴿أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ﴾ ينثركم ﴿ فِيهِ ﴾ في هذا التدبير. ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له مفاتيح خزائنها ، وهو من باب التمثيل ؛ شبه بمن سلمت له مفاتيح ملك فهو يتصرف فيه . ﴿وَيَقْدِرُ ﴾

(١) قرأ جمهور القراء " فريق " وقرأ زيد بن علي " فريقا " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٠٩) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٧٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٣٩) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .

ويضيق ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم غير مخصوص لا يشذ شيء عن علم الله . ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هي أصول الشرائع والاعتقادات ؛ بخلاف الفقهيات ؛ فإنها مختلفة باختلاف الشرائع ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ يعني : والذي وصينا .

هؤلاء الأنبياء الخمسة هم مشايخ الأنبياء حتى قيل : إن أولي العزم من الرسل هم (٢٤٥/أ) هؤلاء الخمسة ، وأخرجوا آدم منهم ؛ لقوله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [١] وكذلك أخرجوا يونس ؛ لقوله : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [٢] وقد ذكر الله هؤلاء الأنبياء الخمسة مرة أخرى في سورة الأحزاب ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [٣] ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي : أقيموا ؛ لأن في معنى ﴿شَرَعَ﴾ معنى القول ، وهو من قولهم : قام بالأمر : إذا أتى به على أكمل الوجوه . ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ ولا تختلفوا . ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من الوحدانية .

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ يصطفي ويختار ﴿مَن يُنِيبُ﴾ من يرجع إليه بالتوبة والعبادة .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) سورة طه ، الآية (١١٥) .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤٨) .

(٣) الآية (٧) .

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بصحة نبوة محمد ﷺ ﴿بَغۡيَۢا﴾ مفعول من أجله ، وكانوا يظنون أن النبي المبعوث في آخر الزمان من أولاد إسحاق ؛ فيكون من بني إسرائيل ، فلما جاء من ولد إسماعيل حسدوا العرب لكونه منهم . ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لعاجلهم بالهلاك . ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ﴾ موقع في الريب والقلق وليس الريب الشك ؛ لقوله : ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ فجعل الريب موجبا للشك ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ أي : فلهذا الدين الحق ﴿فَٱدۡعُ﴾ أي : الناس إلى اتباعه ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ أي : دم على الاستقامة ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتاب والصحف ؛ لقوله : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1] ولقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ قيل : اللام بمعنى ﴿وَإِنَّ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3] ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾[4] والمشهور أن " كي " مقدرة قبل ﴿أَن﴾ والتقدير : لأن أعدل . قوله : ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ قال بعض من غلط : إن هذه الآية منسوخة لأنها تُفهِمُ المتاركة ، وقد كُلِّف الرسول والمؤمنون بقتال الكفار ، وهذا غلط ؛ لأن عمل رسول الله ﷺ له وعملهم لهم ، ولم يتغير هذا الحكم ولم ينسخ . قوله : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ (٢٤٥/ ب) أي : من بعد ما أطاعه الناس وأجابوا . الدحض : الزلق ومزلة الإقدام ، سماها حجة وهي باطلة ليست بحجة لأنهم أجروها مجرى الحجة . قوله : ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ قيل : أنزل الميزان من السماء .

وقيل : نزلت الآية من السماء . ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ أي : ذات قرب ، وقوله : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5] مثل ذلك . قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ أي : يجادلون فيها بالباطل . قوله : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ يرشدهم إلى ما يصلحهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٥٠) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (١٢) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٥٥) .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ما نشاء لمن نريد ؛ حمل المطلق على المقيد . ومعنى الهمزة في ﴿ أَمْ ﴾التقرير ، وشركاؤهم : شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث . وقيل : شركاؤهم : أوثانهم ، وأضيفت إليهم ؛ لأنهم اتخذوهم شركاء لله ؛ فكانت سببا لضلالتهم ؛ كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [1] أي : كانوا سببا للضلال . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي : بتأخير العذاب إلى يوم القيامة﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ بين المؤمنين والكافرين ، أو بين الأصنام وعبدتها . ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في الآخرة : ﴿مُشْفِقِينَ ﴾ من جزاء ما كسبوا .

قوله : ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ أي : وباله واقع بهم . الروضة : أطيب بقاع الجنة وأنزهها .

﴿ذَٰلِكَ ﴾ الثواب ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ ﴾ به ، فحذف الجار لدلالة الكلام عليه ، ثم حذف الراجع كقوله : ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [2] أي : بعثه الله . قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ يجوز أن يكون متصلا ، والتقدير : إلا أن تودوني لقرابتي منكم ، ولم يكن هذا أجرًا في الحقيقة ، ويجوز أن يكون منقطعًا ، أي : لا أسألكم عليه أجرا قط ، ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ، ومعنى دخول ﴿فِى ﴾ في قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أنهم يجعلون القرابة محلا للمودة ؛ كقولك : لي في فلان مودة ، وليست "في" صلة؛ إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به ، والقربى : مصدر بمعنى القرابة وروي أنها لما نزلت قالت الصحابة للنبي ﷺ : من ذوو قرابتك الذين أمرنا بمودتهم ؟ فقال : " عليٌّ

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤١) .

وفاطمة وابناهما "[١]. وقيل : لم يكن (٢٤٦/أ) بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ مدخلٌ فيه ، والمعنى: أن تودوني في قرابتي ، أي : لأجلها ؛ كقولك : الحب في الله والبغض في الله ، وإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حقَّ القربى ولا تميلوا كل الميل وقيل : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ بمال جمعوه ، وقالوا : يا رسول الله قد هدانا الله بك ، وأنت ابن أخينا وتعروك نوائب وليس لك مالٌ تصرفه فيها ؛ فاستعن بهذا المال على ما ينوبك ، فنزلت ورده[٢]. وقيل :﴿ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ التقرب إلى الله ؛ أي : لا تحبوا إلا الله ورسوله .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ هي مودة آل رسول الله ﷺ والظاهر شمول كل حسنة ، لكنها لما جاءت عقيب المودة في القربى صار كأن الآية نزلت فيهم خاصة .

والشكور في صفة الله مجاز، ومعناه الاعتداد بالطاعة وتوفية الثواب . ﴿أَمْ﴾منقطعة للتوبيخ ، والمعنى : أتضيفون إلى النبي الافتراء على الله ؟ وإنما يقع ذلك ممن ختم على قلبه ، والنبي ﷺ قد سطعت أنوار هدايته كما تقول لمن استخان شخصًا ، وزعم أنه أكل ماله والشخص بريء فيقول : إن كان الله ختم على قلبي أو منعت النظر إلى الصواب واعتماد فعله ، وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله . ومن عادة الله محو الباطل ؛ يعني : لو كان كما يزعمون لغلب الحق على باطله فدمغه فهلك ، ويجوز أن يكون ذلك وعدًا بنصرة رسول الله ﷺ ومتابعيه وخذلان الكفرة وإخزائهم .

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بما في صدرك وصدورهم ؛ فهو يجري الأمر على ما تقتضيه حكمته . وقال

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٧) ، ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٣) من رواية حرب ابن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع، وقال الهيثمي : وقد وُثِّقُوا كلهم وضعفهم جماعة وبقية رجاله ثقات . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٤٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقال : بسند ضعيف .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٢٥) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٤٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قتادة : ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي[١] ، أي : لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك . وقيل : ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم . ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ مرفوع غير مجزوم . تقول : قبلت عن فلان كذا بمعنى : جعلته أول قبول ، وتقول قبلته عن فلان ؛ أي : جعلته واصلا إليَّ من جهته ، و﴿ٱلتَّوْبَةَ﴾ الندم على ما مضى من التقصير والعزم على الإصلاح في المستقبل وأن يقلع في الحال عن المعصية وإن كان في المعصية حقٌ لآدمي فلابُدَّ من إيفائه أو من الإبراء منه . وروي أن عليا قال لبعض العرب وقد استغفر الله : إن سرعتك بالتوبة بلسانك توبة الكذابين ، وتوبتك هذه تحتاج إلى توبة ، فقال : وما التوبة ؟ فقال: معنىً يشمل أمورًا ستةً (٢٤٦/ ب) على الماضي من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة , وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته[٢] .

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يستجيب لهم ، فحذف اللام كقوله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾[٣] أي كالوا لهم ووزنوا لهم .

وقيل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فاعل ، والذين آمنوا هم المستجيبون لداعي الله ومناديهم المنادي بالإيمان .﴿ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لظلم بعضهم بعضًا ، وكفى بحال قارون عبرة ، وقال عليه السلام : " أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها "[٤]. أو من البغي وهو البذخ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٢٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٥٠) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ، عن قتادة .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٢) .

(٣) سورة المطففين ، الآية (٣) .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٤٢٧) ، ومسلم رقم (١٠٥٢) ، وأحمد في المسند (٣/ ٩١) ، والنسائي (٥/ ٩٠) ، وابن حبان رقم (٣٢٢٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

والكبر ، أي : لتكبروا فيها . وقيل : نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الدنيا والغنى[١] . وقال خباب بن الأرت : فينا أنزلت ؛ نظرنا إلى أموال الكفار وسعتها وتقلباتهم فيها فتمنيناها فنزلت[٢] .

﴿بِقَدَرٍ﴾ أي : بمقدار معين ، ولو أغنى الناس كلهم لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وهو أعلم بمصالحهم . فإن قلتَ : قد نرى الظالم مستمرًا على ظلمه إلى الموت ، ونرى المظلوم مستمرًا على الاستضعاف ؟ قلنا : لا شبهة في أن البغي مع الغنى أكثر ، فلو أغنى الكل لكثر البطر ، وغلب الفساد . ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ وهي آثار المطر من الخصب وسعة الأرزاق . وعن عمر : أنه قيل له : قحط الناس وقنطوا ، فقال : الآن تمطرون ، وتلا هذه الآية[٣] . ويجوز أن يشير بالرحمة إلى جميع أنواعها .

﴿ٱلْوَلِىُّ﴾ يتولى عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ في السماوات والأرض . ﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا ومجرورًا . فإن قلتَ :﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ يوجب أن يكون في السماء دواب وليس كذلك ؟ قلتُ : يجوز نسبة الشيء إلى الشيء وهو لبعضه ، ومنه قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٤] وإنما يخرجان من الملح دون العذب ، ويجوز أن تكون الملائكة تمشي مع الطيران ؛ فوصفوا بالدبيب .

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ فما يؤاخذ به . وعن علي ﷺ : " من عفا الله عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة " ورواه مرفوعًا بعضهم[٥] . وعنه : " هذه أرجى آية في القرآن "[٦] .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣٠) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٨٣) عن علي بن أبي طالب ﷺ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٣).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر.

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٢٢).

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٢٥٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٤٠).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٦) .

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين ما قضى عليكم . ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ متول لأمركم . ﴿الْجَوَارِ﴾ السفن وقولهم : الجوارُ بضم الراء كقولهم : الباز الأشهب . ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال ؛ قالت الخنساء (٢٤٧/أ من البسيط) : .... كأنه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ [١]

﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري . ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ أي : على ظهر البحر . ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاء ﴿شَكُورٍ﴾ على النعماء . ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ تركد المراكب على ظهر البحر ويرسل الريح عاصفة فيغرقهن ، فإن قلتَ : علام عطف قوله : ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾ ؟

قلتُ : على . ﴿يُسْكِنِ﴾ والمعنى : إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيغرقن بعصفها . وإن قلتَ : فلم جزم ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ ؟ قلتُ : لأن المعنى : إن يشأ يسكن أو يوبق . وإن قلتَ : فما موجب الحركات الثلاث في ﴿وَيَعْلَمَ﴾؟ قلتُ : أما الجزم فعلى ظاهر العطف ، وأما الرفع فعلى الاستئناف ، وأما النصب[٢] فللعطف على منصوب محذوف ، والتقدير : لينتقم منهم ، ويعلمَ الذين يجادلون .

وأما قول الزجاج[٣]: النصب على إضمار " أن " لأن قبلها جزاء ، تقول : ما تصنع أن أصنعَ مثله وأكرمَك ، وإن شئت: أكرمُك ؛ على : وأنا أكرمُك ، وإن شئت : وأكرمْك جزمًا ففيه نظر ما أورده سيبويه في كتابه[٤] : واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله : إن تأتني آتك ، وأعطيك ضعيف ، وهو نحو قوله [من الوافر] :

سَأَتْرُكُ مَنزلي بَنِي تميم وَأَلْحَقُ بالحجاز فأَسْتَريحا[٥]

---

(١) هذا عجز بيت للخنساء في مدح أخيها صخر ، وصدره : أغر أبلج تأتم الهداة به ....
ينظر في : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٥٣/ ٤٤١) ، تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/ ٣٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٦) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٤٣٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالرفع ، وقرأ عاصم وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي بالنصب وقرئ بالجزم .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٢١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٨٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨١) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧) .

(٣) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩) .

(٤) **ينظر** : الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٩) .

(٥) البيت للمغيرة بن حبناء ، **ينظر في** : خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (٨/ ٥٥٢) ، الدرر اللوامع=

فهذا ليس بحد الكلام ولا وجهه ، إلا أنه بالجزاء صار أقوى قليلا ؛ لأنه ليس بواجب أن يفعل إلا أن يكون من الأول فعل ، فلما ضارع الذي لا يوجبه ؛ كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد في الكلام ، ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه ، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة ، فإن قلتَ : كيف وجه المعنى إذا جزمت ﴿وَيَعْلَمَ﴾؟ قلتُ : كأنه قال : أو إن يشأ يجمع بين أمور ثلاثة ؛ هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين .

﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ من مخلص ولا ملجأ .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ ضمنت " ما " معنى الشرط ؛ فدخلت الفاء لذلك .

روي أنه اجتمع لأبي بكر الصديق مال فتصدق به كله في سبيل الله فلامه طائفة من المسلمين وخطأه الكافرون ؛ فنزلت[١]. ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عطف على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وكذلك ما بعده . و معنى ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ الكبائر من هذا الجنس .

وقيل : ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ الشرك . و﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ هم الأخصاء بالمغفرة عند الغضب ، ومثله قوله : (٢٤٧/ ب)﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [٢] . ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوا دعاء داعيه ونزلت في الأنصار ، وكانوا قبل هجرة الرسول ﷺ إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ؛ فأثنى الله عليهم بذلك [٣].

= (١/ ٢٤٠) ، شرح شواهد المغني للأزهري (ص : ٤٩٧) ، شرح المفصل لابن يعيش (٧/ ٥٥) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٩) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٥٧) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٧٥) ، المقاصد النحوية (٤/ ٣٩٠) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٢٥١) .

(١) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٨) لعلي رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) في الآية (٣٩) من هذه السورة .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣٧) عن يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد وقرأ ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ قال فبدأ : بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ =

والشورى : مصدر بمعنى التشاور ؛ كما أن الفتيا مصدر . فإن قلت : أيحمدون على الانتصار ؟ قلتُ : نعم ؛ فإن من أخذ حقه ولم يزد عليه ممدوح عند الله بأنه لم يتعد حدوده .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴾

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾ كلاهما بمعنى ما يسوء الإنسان ؛ لأن من انتقم منه بالحق ساءه ذلك ولم يهن عليه . ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عمن ظلمه ، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما بينه وبينه ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ عدة مبهمة عظيمة المقدار . في الحديث : " ينادي مناد يوم القيامة : من كان له على الله حق فليقم ، فيقوم العافون وهم قليل "[١].

وقوله : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فيه تلويح ؛ أن من انتصر لنفسه لا يخلو من تحيف وخصوصًا في حال الحرب فربما كان المجازى من الظالمين ، وهو لا يشعر.

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول . ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى معنى ﴿ مَن ﴾ دون لفظها . ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ لمن يذمهم :﴿ وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ ﴾ أي : لمنه ؛ فحذف الراجع والمراد : إنه من جملة الأمور المعزوم عليها . وروي أن رجلاً سب رجلا في مجلس الحسن ، فكظم المسبوب نفسه عن الجواب وعرق ، ثم قام وهو يتلو هذه الآية ، فقال الحسن : عقلها والله [٢]. والغفر مندوب إليه ، وقد ينعكس

= الأنصار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ وليس فيهم رسول الله ﷺ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾ ليس فيهم رسول الله ﷺ أيضا " .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف للزمخشري (٣/٢٤٣) وقال : " رواه الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان في الباب السابع والخمسين وأبو نعيم في الحلية من حديث الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال : " إذا وقف العباد للحساب ينادي مناد لهم من كان أجره على الله فليدخل الجنة . فيقال : ومن ذا الذي أجره على الله ؟ فيقول : العافون عن الناس ، فقام كذا وكذا فدخلوها بغير حساب " ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٩) لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٣٠) .

الحال فيصير الانتصار مندوبًا إليه ، وذلك إذا أريد به قطع مادة الفتنة .

روي أن زينب أسمعت عائشة كلامًا يؤلمها فقالت : وكان النبي ﷺ ينظر إليّ ثم أشار إلى عائشة أنْ دونَك فانتصري ؛ ففعلت[١] .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ ذليلين ، وقد تعلق ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ بـ " خاشعين " ويوقف على " خاشعين " .

﴿ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾ أي : يبتدئ نظرهم بحركة أجفانهم حركة خفيفة ؛ كما ترى المصبور[٢] ينظر إلى[٣] السيف . وقيل : يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وهو بعيد

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ إما أن يتعلق بـ ﴿ خَسِرُوٓا۟ ﴾ ويكون ﴿ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ واقعًا في الدنيا.

﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ لا يرده الله بعد ما حكم به ، أو من صلة ﴿ يَأْتِىَ ﴾ أي : يأتي من الله ما لا مرد له بعد حكمه به . والنكير : (٢٤٨/أ) الإنكار ، أي : ما لكم من مخلص ، ولا تقدرون أن تنكروا شيئًا مما اقترفتموه ودُوِّنَ في صحائف أعمالكم .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩٣) ، وابن ماجه رقم (١٩٨١) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) **المصبور** : يقال : صبره عن الشيء يصبره صبرا حبسه ، والصبر : نصب الإنسان للقتل فهو مصبور . **ينظر** : لسان العرب (صبر) .

(٣) في الأصل : من ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣١) وهو الأنسب للمعنى .

والمراد بالإنسان في قوله : ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الجنس ؛ لقوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [١] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [٢] . والرحمة : النعمة ؛ من الصحة والغنى وغيرهما ، و﴿سَيِّئَةٌ﴾ البلاء ؛ من المرض والفقر وغيرهما ، والكفور : مبالغة في الكافر ؛ أي : جاحد النعم ينسى النعم . لما ذكر إصابة النعمة والشدة أتبع ذلك بقدرته على أنه يهب لقوم الذكور من الأولاد ولآخرين الإناث . ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يولد له فإن قيل : لم قدم الإناث على الذكور ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلنا : أما البداية بالإناث ؛ فلأنه سبق أنه يفيض على قوم نعمًا وعلى قوم خلافها ، فسياق الكلام يرشد إلى أنه يفعل ما يشاء ، لا ما يشاءون ، فقدم الإناث ؛ لأن العرب كانت تعدهن بلاء ثم عاد إلى تقديم الذكور ؛ جريا على الأصل ، وتنبيها على أن تقديمهن لم يكن لشرفهن ، إنما كان لمقتض آخر ، ونوه بذكر ﴿ٱلذُّكُورَ﴾ بالتعريف ؛ لأنهم الأشهر ؛ كما قال : ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [٤] .

وقيل : المراد : الأنبياء ؛ حين وهب لشعيب وللوط الإناث ولإبراهيم الذكور ، ولمحمد ﷺ ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين .

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ﴾ وما صح ﴿لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ على أوجه ؛ إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلوب ، أو المنام ؛ كما أوحى إلى إبراهيم في أمر الذبيح ، وكما أوحى إلى أم موسى ، وإما أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام ؛ كما خلق كلامه في الشجرة ؛ كما قال تعالى : ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [٥] وقوله : ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٤) .
(٢) سورة العاديات ، الآية (٦) .
(٣) سورة النجم ، الآية (٤٥) .
(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .
(٥) سورة القصص ، الآية (٣٠) .

تمثيل ؛ كما يكلم الملك بعض خواصه من وراء الحجب ؛ بحيث يسمع كلامه ولا يرى شخصه ، والله تعالى متعال عن الحجاب ؛ لأن الحجاب يستدعي جسمًا ومكانًا وهما مستحيلان على الله ، وإما أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه . وقوله : ﴿وَحْيًا﴾ و﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ مصدران واقعان موقع الحال .﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ظرف واقع موقع الحال . والتقدير : وما صح أن يكلم أحدًا إلا موحيا أو مسمعًا من وراء حجاب أو مرسلا ؛ تقول : قلتُ لفلان كذا . وإنما قاله من سواك .

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ سمي الوحي روحًا ؛ لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأبدان بالأرواح (٢٤٨/ ب) فإن قلتَ : قد علم أن رسول الله ﷺ ما كان يدري ما القرآن والشرائع قبل أن يبعث ، فما معنى قوله : ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ولا يجوز أن يكون النبي مخلاً بالإيمان لا قبل النبوة ولا بعدها ؟ قلتُ : أصول العقائد على قسمين : منها ما يدرك بالعقل وحده ؛ كوجود الله وتوحيده وعلمه وقدرته . ومنها ما لا يدرك إلا بالسمع ؛ كقيام الساعة وصفة الجنة والنار؛ فأراد بقوله : ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ما لا يطلع عليه إلا بالوحي ألا تراه قد وصف الصلاة بالإيمان بقوله :﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (١) أي : الصلاة لبيت المقدس .

* * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

تفسير سورة الزخرف [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾﴾

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن ، وجعل قوله : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ جوابا للقسم وهو من الأيمان البديعة ؛ لتناسب القسم والمقسم عليه ، وهو كقول أبي تمام [من الخفيف] :

وثناياكَ إنها إغريضُ ....[1]

﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ وصفناه ؛ كقوله : ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾[2] ﴿جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾[3]

﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ حال . و﴿لعل﴾ مستعارة لمعاملتهم معاملة من يريد منهم الإيمان .

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾

والمراد بـ ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ، سمي أم الكتاب ؛ لأنه الأصل الذي كتب منه كل شيء . ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكم بالغة ، والفاء عطفت على محذوف تقديره : أنهملكم

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : .... ولآل قوم وفرق وميس . **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٦) قال ابن منظور في لسان العرب (غرض) : " **الإغريض** : كل أبيض مثل اللبن وما ينشق عنه الطلع " . **والميس** : التبختر والتمايل والتثني في المشي . اللسان (ميس) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

فنضرب عنكم الذكر ؟ و﴿صَفْحًا﴾ على وجهين ؛ إما مصدر من : صفح عنه ؛ إذا أعرض ، منتصب على أنه مفعول له ، على معنى : أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم ؟ وإما بمعنى الجانب كقولك : نظر إليه بصفح وجهه ؛ بمعنى : أفننحيه جانبا ؟ فينتصب على الظرف . ﴿أَن كُنتُمْ﴾ لأن كنتم . فإن قلتَ : كيف استقام قراءة من قرأ: "إن كنتم" على الشرط [1] وقد كانوا مسرفين حقًا ؟ قلتُ : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن الحال ؛ تقول : إن كنت قد عملت لك اليوم فأعطني حقي وهو عالم أنه قد عمل ، ولكنه تخيل في كلامه أن هذا المَطْلَ يقتضي أنك شاك في أنني قد عملت لك .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية مستمرة ، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه . الضمير في قوله : ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ للمسرفين ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي : قد سبق ذكر المهلكين وتكذيبهم وعقوبتهم .

فإن قلتَ : قوله ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وما سرد (٢٤٩/أ) من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم ؛ فما تصنع بقوله : ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ؟ وإن كان من قول الله ؛ فما وجهه ؟ قلتُ : هو من قول الله تعالى لا من قولهم ، ومعنى قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه ، وليسندنه إليه

﴿بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يسلم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا . والأزواج : الأصناف .

قوله : ﴿تَرْكَبُونَ﴾ يقال ركبت الدابة وركبت عليها ، وغلب ها هنا المتعدى بنفسه ؛ لأنه أقوى ، ومعنى ذكر نعمة الله ذكرها بالتعظيم والثناء على معطيها بالقلب ويقرن ذلك بالعمل شكرًا لله .

﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

روي " أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فإذا استوى على

---

(١) قرأ " إن " بالكسر على الشرط نافع وحمزة والكسائي وقرأ الباقون " أن " بالفتح .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٧) .

الدابة قال : الحمد لله على كل حال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا[١] . قالوا: إذا ركب في السفينة قال : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] وهذا مشكل ؛ لأن النبي ﷺ لم ينقل أنه سافر في بحر. وروي أن الحسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة ، فقال الرجل : سبحان الذي سخر لنا هذا ؛ فقال الحسين : أبهذا أمرتم ؟ قال : فبماذا أمرنا ؟ قال : أن تذكروا نعمة ربكم ؛ كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه[٣]. ﴿مُقْرِنِينَ ﴾ مطيقين ؛ يقال: أقرن الشيء؛ إذا أطاقه ومنه قوله [من الطويل] :

وَأَقْرَنْتُ مَا حَمَّلْتني وَلَقَلَّما يُطَاقُ احْتَمالُ الصَّدِّ يَا دَعْدُ والهَجْرُ[٤]

فإن قلتَ : كيف اتصل هذا بقوله :﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾؟ قلتُ : لما كان ركوب الخيل والبحر أمرًا مخطرًا ذكَّر الله الإنسان أن يجدد ذكر ذلك لنفسه ، وألا يكون كما حكي أنَّ مترفًا ركب في مركب إلى مكان مسيرة شهر فلم يزل هو وأصحابه يشربون حتى استقر في منزله ولم يشعر بسفره ولا قدومه ، فكم بين هؤلاء وهؤلاء ؟

قوله : ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ متصل بقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾أي : إذا سئلوا عنها اعترفوا بأن الله خالقها ، وهم قد جعلوا له مع ذلك من عباده جزءًا ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ؛ فجعلوهم جزءًا له وبعضًا كسائر الأولاد . ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وزعمهم أن هذه لغة العرب ؛ يخصون الأنثى باسم الجزء وأنشدوا [من البسيط] :

إن أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَب قَدْ تُجزئُ الحُرَّةُ المذكَارَ أَحيانًا[٥] (٢٤٩/ ب)

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٩٧ ، ١١٥) ، وأبو داود رقم (٢٦٠٢) ، والترمذي رقم (٣٤٤٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٦٩٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٨) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٤٩٨) ، وصححه الترمذي والحاكم والشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٧٤٢).

(٢) أورده ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٥٠٢) وفي سنده جبارة بن المغلس وهو ضعيف ، وفيه كذلك يحيى بن العلاء ومروان بن سالم وهما متهمان بالوضع .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧١٧) ونسبه لابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) البيت لابن هرمة ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٠).

(٥) **ينظر البيت في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١) ، لسان العرب (جزأ) .

وأنشدوا [من البسيط] :

زَوَّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً[١]

وما هو إلا افتراء على العرب . ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر جحوده النعم .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ بل اتخذ ، الهمزة للإنكار ؛ تعجيبًا من حالهم ؛ كيف يتخذ من خلقه ؟! فجعلوا الله الإناث وهو أنقص القسمين .﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ خصكم بالذكور وهم القسم الأفضل .

﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾ أي : بالجنس الذي جعلوه جزءًا ، ولقد بلغ من بغضهم للبنات أن وأدوهن ، وهم ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾أربدّ وجهه وسخط . وعن بعض العرب أن امرأته ولدت بنتًا فهجر منزل امرأته ، فقالت لتسمعه [من الرجز] :

مَال أَبي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينا   يَظَلُّ في البيْتِ الذي يَلِينَا   غَضْبَانَ ألاَ نلدَ البَنينا

لَيْسَ لَنا من أمرنا ما شينا   وَإنَّما نأخُذُ ما أُعطينا[٢]

والظلول بمعنى الصيرورة ؛ كما تستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها .

وقرئ: "مسود" و﴿مُسْوَدًّا﴾ بالرفع[٣] على أن في﴿ظَلَّ﴾ ضمير المبشر، و﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ جملة سدت مسد الخبر . أو يجعل من تربى في النعمة ولم يكن متقدمًا في الفصاحة ولا غالبًا في المحاكمات والخصومات ، أتجعل مثل هذا ولدًا لمالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء . نُقِل قلَّما تكلمت امرأة في خصومة إلا نطقت بما هو حجة عليها ، وهو معنى

---

(١) هذا صدر بيت نسبه ابن منظور لأبي حنيفة وعجزه : للعوسج اللدن في أبياتها زجل .
ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١) ، لسان العرب (جزأ)
والمعنى : امرأة غزَّالة بمغازل سويت من شجر العوسج .

(٢) **ينظر الشعر والقصة في** : روح المعاني للألوسي (٢٥/ ٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٣) .

(٣) **تنظر القراءة في** : تفسير القرطبي (١٦/ ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٢) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٢٠٢) .

قوله : ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وفيه أنه جعل النشأة في النعمة والزينة من المعايب والمذام وأنه من صفات ربات الحجال ؛ فعلى الرجل أن يتبرأ من هذه الصفة وتمثيل قول عمر : " اخشوشنوا "(١) أي : كونوا في عيش خشن ؛ في المأكل والملبس . جمعوا بين ثلاثة أمور منكرة : أن جعلوا لله ولدًا ، وجعلوه من أخس الفريقين وهم الإناث ، وسبوا الملائكة فجعلوهم إناثًا .

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾

ومعنى ﴿جَعَلُوا﴾ سموا ، ولم يصيِّرْ لله بنات ؛ كقوله : ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٢) وقوله : ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ تهكم لأن العلم إنما يكون بالصيرورات أو بالنظريات ، وهذا ليس بواحد منهما فلم يبق إلا أن يكون مشاهدًا ، فتهكم بهم بقوله : ﴿أَشَهِدُوا﴾. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بما ذُكِرَ من غير مستند ، وقد أضافوا إلى ما سبق عبادتهم الملائكة (٢٥٠/أ) ودعواهم أن ذلك وقع بمشيئة الله ، ولا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئة الله ؛ ولكن لا يجوز الاحتجاج على الله بمشيئة ؛ فالغلط وقع بالاحتجاج بالمشيئة لا بنفس المشيئة .

﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن شهد بصحة ما قالوه . ثم ذكر استناد عقائدهم إلى عقائد آبائهم بقوله : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي على دين انفردوا به . و﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ و﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبران ، أو الظرف صلة لـ" مهتدون " . ﴿مُتْرَفُوهَا﴾ الذين أبطرتهم النعمة فلا يحبون إلا الشهوات . أي : أتتبعون

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٧٨) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

آباءكم ولو جئتكم بأقوى وأرشد مما عليه آباؤكم ؟ قالوا : نحن لا ننفك عن دين آبائنا. ﴿بَرَآءٌ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع والإفراد .

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يجوز أن يكون استثناء منقطعًا منتصبًا بذلك ، وأن يكون مجرورًا بدلا من ﴿مِّمَّا﴾ ، وكانوا يعبدون الله مع أوثانهم ، وأن تكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى غير كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] بمعنى غير الله . قال في موضع : ﴿يَهْدِينِ﴾[2] وقال ها هنا ﴿سَيَهْدِينِ﴾ والجمع بينهما بأن يكون إبراهيم معترفًا بأن الله هداه وبأنه سيهديه من المستقبل . وجعل إبراهيم هذا الكلام من التوحيد ﴿كَلِمَةً﴾ أي : جملة مفيدة﴿بَاقِيَةً﴾ في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ؛ كقوله : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[3] . وقيل : وجعلها الله .

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾متعتهم بالمال والغنى فلم يقوموا بما قرره إبراهيم من التوحيد فكذبوا الرسول به . ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ القريتان : مكة والطائف . وقيل : ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾هما: الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمير الثقفي . وعن ابن عباس ومجاهد : هما عتبة بن ربيعة وكنانة ابن عبد ياليل[4] وكان عتبة يقول : لو كان ما يقول محمد حقًا لكنت أنا أحق بالنبوة منه ، أو ابن مسعود الثقفي . وعظموا الرجلين لمالهما وجاههما ، ولم يعلموا أن العظيم من عظمه الله ، وتحكموا في تعيين أحد هذين الرجلين

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢) .

(٢) وهو قوله – تعالى – : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ سورة الشعراء ، الآية (٧٨) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٦٥)، قال الطبري في تفسيره (٢٥/ ٦٦) : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان رسوله ﷺ والاختلاف فيه موجود على ما بينت " .

للنبوة . ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ ﴾ الهمزة للإنكار ؛ أي : وإذا كانت الأرزاق والمعايش قد تولينا قسمتها ولم نفوضها إلى أحد ؛ فما ظنك بالنبوة التي (٢٥٠/ب) هي سفارة بين الله وبين خلقه ؛ فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ؟

ليسخّر الغنيُّ من الفقير ، ويسخِّر الغنيُّ الفقيرَ بفضل ذات يده . ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ في الدنيا . وقيل : ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾ في الدنيا بالهداية ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾﴿ لِبُيُوتِهِمْ ﴾ بدل اشتمال بإعادة العامل ، ويجوز اللامان ؛ كما في قولك : وهبت له ثوبًا لقميصه .

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾

والمعارج : جمع معرج ، أو اسم جمع ، وهي المصاعد ؛ أي : العلالي . ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون ؛ قال الله : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ (١) ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ﴾ اللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة . وقرئ بكسر اللام(٢) أي : الذي هو متاع الحياة الدنيا ؛ كقوله : ﴿مَّا بَعُوضَةً ﴾ (٣) بزيادة " ما " .

﴿ وَلَوْلَآ ﴾كراهة ﴿أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ ﴾ كلهم على ملة واحدة ، وهي الكفر ، لوسعنا على الكفرة أكثر مما وسعنا ؛ لحقارة أمر الدنيا عنده . ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ أي: زينة ، والزخرف : الذهب ، ويريد : وسقفا من فضة وذهب ، وخفض عطفًا على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ ﴾ . وفي

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٩٧) .

(٢) قرأ بها رجاء بن حيوة . وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلف عنه وابن جماز " لما " . وقرأ بقية العشرة " لَمَا " بفتح اللام . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٦) .

الحديث : " لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء "[١].

تقول : عُشِيَ فلان : إذا أصاب بصره آفة ، فأما إذا نظر نظرة العَشَى من غير آفة قيل : عشى يعشو ، ونظيره عرج ؛ إذا أصابته آفة ، وعرج - بفتح الراء - : إذا مشى مشي الأعرج ، وقال حاتم الطائي [من الكامل] :

أَعْشُو إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ[٢]

وقرئ: "يعشَ " بفتح الشين و﴿يَعْشُ﴾ بضمها[٣] على أن ﴿مَن﴾موصولة ، ومعنى القراءة بالفتح : ومن يعم ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾وهو القرآن . وأما قراءة الضم فمعناها: ومن يتعام عن ذكره .﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ نيسره . وقرئ "جاءانا " [٤]على أن الفعل له وللشيطان . ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يريد : المشرق والمغرب ؛ فغلب كالعمرين والقمرين ، والأصل بعد المشرق من المغرب ، وأراد : بعد ما بينهما . ﴿أَنَّكُمْ﴾ في محل رفع على الفاعلية ؛ أي : ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب فالمعذب ، إذا وجد آخر مثله يتسلى به ويستأنس . وقد حرم الله على أهل النار لذة التأسي ، وقد قالت الخنساء (٢٥١/أ) [من الوافر] :

وَلَوْلا كَثْرَةُ الباكِينَ حَوْلي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يبكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلكن أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي[٥]

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٠) ، وابن ماجة رقم (٤١١٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦) ، وصححه الترمذي ، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٦٨٦) .

(٢) **ينظر البيت في** : الاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٣٦٧) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤) ، تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (١١/ ٣٧٤) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥١) ويروى بدل " أعشو " في الاستذكار : أعمى ، وفي تاريخ دمشق : أغضي . ورواية الكشاف " أعشو " كما هنا .

(٣) قرأ جمهور القراء " يعشُ" وقرأ ابن عباس وعكرمة " يعشَ" . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٨٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٠) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٢) .

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ، وقرأ بقية العشرة " جاءنا " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٩) .

(٥) **تنظر الأبيات في** : الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٧/ ٦١٦) في ترجمة الخنساء ، البحر=

ولك أن تجعل الفاعل التمني ؛ أي : ولن ينفعكم اليوم التمني ، وهو قوله :﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ .

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

وقوله : ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ تعليل لامتناع الانتفاع بالتمني . ومعنى قوله : ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ إذا صح ظلمكم ، و﴿إِذ﴾ بدل من﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ، ومنه قول الشاعر [من الطويل] :

إذا ما انتسبْنا لم تلدْني لئيمةٌ[1]

أي : تبين أني ولد كريمة .

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ أي : لا يقدر على إسماعهم إلا الله وحده . ﴿مَّا﴾ في قوله : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت النون المؤكدة معها ، فإما بقبضك إلينا قبل أن ترى فيهم ما يسرك ؛ فنحن نتولى عقوبتهم في الآخرة ، وإن عوقبوا في الدنيا، وعلمت بذلك سُرِّيَ عنك بعض الغم .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ أي : لشرف . ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عن القيام بحقه . ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾ قيل : انظر في أديانهم وما جاء فيها من الاعتقادات ، هل فيها شيء من أغاليطهم .

وقيل : إن رسول الله ﷺ جمع له الأنبياء ليلة المعراج ، فأمهم . وقيل له : اسأل ، فقال : " إني لم أشك ، فلم يسأل "[2]. وقيل : اسأل أمم من أرسلنا. ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ يسخرون ويستهزئون .

= المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٣) .

(١) صدر بيت لزائد بن صعصعة ، وعجزه : ولم تجدي من أن تقري به بدا .

ينظر في : تفسير الطبري (١/ ٣٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٦١) ، المغني لابن هشام (١/ ٢٥) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٢٦) ونسبه لابن المنذر .

فإن قلتَ : كيف يجوز أن يجاب " لما " بـ " إذا " ؟

قلتُ : إذا للمفاجأة ، والمعنى أنهم بادروا بالاستهزاء قبل التثبت .

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

ومعنى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾أي : إلا وهي أكبر مما يقرن بها ، فلا يعارض قوله : هي أكبر من أختها التي فضلت عليها ؛ لأن المقصود وصفها بالكبر والعظم ، فلا تعارض إذن . وربما اختلفت آراء الناس في التفضيل ؛ فبعضهم يرجح هذا وبعضهم يرجح ذاك ، ولهذا فاضلت الأنمارية بين أولادها لما سئلت عن أفضلهم ، فقالت : هم كالحلقة ، لا يدرى أين طرفاها[1] .

لفظ ﴿السَّاحِرُ﴾ حمل على ظاهره ، وكانوا كاذبين في قولهم :﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ ناوين للخلف ؛ لقوله :﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾. وقيل : إن الساحر كان اسمًا للعالم الفاضل ، وكان السحر أبهة ؛ فعظموه في زعمهم بقولهم : ﴿يَٰأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ . ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما أعلمك أن دعوتك مستجابة ، أو بعهده عندك وهو النبوة ، أو عهد عندك فوفيت ، أو : هو الإيمان وشرائعه ، أو : ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أن من تاب (٢٥١/ب) عن المعصية فقد اهتدى . ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أمر بالنداء في مجالسهم ومجتمعهم ، ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فرفع فرعون صوته بهذا النداء يشبه النداء . قيل : كانت تجري تحت قصره أو تحت سريره ، أو : تجري بأمره حيث يأمر بكسرها ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة الأنهار على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ و﴿تَجْرِي﴾ نصب على الحال منها ، وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ ، و(الأنهار) صفة لاسم الإشارة ، و﴿تَجْرِي﴾ خبر للمبتدأ .

" أم " في قوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾للاستفهام ؛ لأن المعنى : أتبصرون أم لا تبصرون ؟ فقد

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٥٦) ، والمباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٨ ، ١٣٩) ، والمناوي في فيض القدير (٢/ ١٨٥) **والمعنى** : الكمال ، فلا يفضل طرف على آخر .

أقام بصرهم مقامه أن فيه الخير موجودًا عنده ، ويجوز أن تكون منقطعة والهمزة للتقرير ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ يشير إلى موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لا يفصح عما يريد العبارة عنه للعقدة التي كانت في لسانه ، واختلف العلماء فيها ؛ فقال قوم : إنها زالت لقوله تعالى : ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [١] ثم قال : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [٢] وقال قوم : إنها ذهب أكثرها وبقي باقيها ؛ ولهذا قال موسى : ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [٣] فلم يصف نفسه باللكنة ، بل وصف أخاه بالفصاحة .

﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [٤] أي : هلا سلمت المملكة إليه ، أو: هلا جاء معه الملائكة مقترنين به عند قدومه .

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

---

(١) سورة طه ، الآية (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) سورة طه ، الآية (٣٦) .

(٣) هذه قراءة عامة القراء " أساورة " بالجمع إلا حفص عن عاصم فقرأ " أسورة " بالإفراد . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٨) قال الطبري في تفسيره: (٢٥/ ٨٢ – ٨٣) : "وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قراءة الأمصار وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى . واختلف أهل العربية في واحد الأساورة والأسورة ؛ فقال بعض نحويي البصرة : الأسورة : جمع إسوار ، والأساورة : جمع الأسورة ، وقالوا : من قرأ ذلك أساورة فإنه أراد أساوير ، والله أعلم ، فجعل الهاء عوضا من الياء مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التي في زناديق . وقال بعض نحويي الكوفة : من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ، ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار ، وقالوا : قد تكون الأساورة جمع أسورة كما يقال في جمع الأسقية الأساقي ، وفي جمع الأكرع الأكارع . وقال آخر منهم : قد قيل في سوار اليد يجوز فيه أسوار وإسوار ، قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه . وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : واحد الأساورة إسوار ، قال : وتصديقه في قراءة أبي بن كعب: "فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب" فإن كان ما حكي من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار فلا مؤونة في جمعه أساورة . ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار الرجل الرامي الحاذق بالرمي من رجال العجم ، وأما الذي يلبس في اليد فإن المعروف من أسمائه عندهم سوارا ، فإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك " .

(٤) سورة القصص ، الآية (٣٤) .

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ حملهم على الخفة والطيش . ﴿ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا .

﴿سَلَفٗا﴾ يحدث بحديثهم بعدهم ويهدد بأنه من عصى الله حقيق بأن يقع به مثل العذاب . ولما نزل ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [(١)] قال ابن الزبعري : اليوم أخصم محمدًا إن خصمته يومًا من الدهر ، فجاء إلى النبي ﷺ ومعه جماعة ؛ فقال : إنك تزعم أنه أنزل عليك ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أليس قد عبد المسيح عيسى ابن مريم ؟ أليس قد عبد العزير ، وعبدت الملائكة ؟ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن تكون آلهتنا معهم ! فسكت النبي ﷺ وصفق المشركون وفرحوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [(٢)] أو من هؤلاء المعبودين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ عن النار ﴿مُبۡعَدُونَ﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

والمعنى : ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا جادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه ﴿إِذَا قَوۡمُكَ﴾ قريش ﴿مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ يرفعون أصواتهم ، ومنه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ [(٣)] (٢٥٢/أ) ومن قرأ "يصُدون" [(٤)] فهو من الصدود . ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ مثلا ﴿إِلَّا جَدَلَۢا﴾ مغالبة للحق بالباطل لا تمييزه .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٣) ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٢) ، وذكره الهيثمي أيضا في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٧) ونسبه لأحمد والطبراني ، وقال : وفيه عاصم بن بهدلة ؛ وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٣١٤) رقم (٦١٦) و (ص : ٣٩١) رقم (٧٤٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٠٧) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف " يصُدون " وقرا بقية العشرة " يصِدون " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٩) .

﴿خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة ؛ كقوله : ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا﴾ (١)

لما رأى ابن الزبعرى لفظًا محتملاً للعموم مع علمه بأن المراد الأصنام ، والظاهر أن لفظة (ما) لغير العقلاء ؛ فتدخل فيه الأصنام .

وقيل : إنهم لما قالوا لما نزل قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ (٢) قالوا : نحن خير من النصارى ؛ إنهم عبدوا آدميا ، ونحن عبدنا الملائكة ؛ فنزلت(٣) .

وقوله : ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ﴾ هذا تفضيل لآلهتهم على عيسى ، ويجوز أن يكون "جدلا" حال ؛ أي : جدلين . وقيل : قالت قريش : إن محمدًا يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى وهو بشر . وقوله : ﴿أَمۡ هُوَ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ومقارنة النبي بآلهتهم تنقيص من جانب النبي ﷺ .

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (٥٩) وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ (٦٤) فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٦٦)﴾

﴿إِنۡ هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بالنبوة وخلقناه من غير أب ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ، ولو نشاء لفعلنا كل عجيب . ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم في الأرض ؛ كما تخلفكم الأولاد .

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن عيسى ﴿لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : هو شرط من أشراط الساعة ، وعلامة من علاماتها ، وسمي الشرط علمًا لحصول العلم به ، وقرأ ابن عباس بفتح اللام(٤) أي :

---

(١) سورة مريم ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٠) .

(٤) وقرأ بها أيضا أبو هريرة وأبو مالك الغفاري وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وزيد بن علي .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٥) ، الدر المصون=

علامة . وفي الحديث : " ينزل عيسى على عقبة من الشام يقال لها: أفيق . وبيده حربة يقتل بها الدجال ، ويقتل الخنزير ، وتهلك في أيامه الملل ، ولا يبقى إلا الإسلام "[1] .

وقيل : ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن لعلم للساعة يعرف بها . ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ﴾ فلا تشكن ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ أي : هداي أو شرعي أو رسولي . وقيل : هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله . ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ، أو بآيات الإنجيل .﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالإنجيل والشرائع . فإن قيل : لم اقتصر على تبيين بعض الذين اختلفوا فيه ؟ قلنا: يريد به أمر الديانات ، ولا يتعرض لما لا ضرورة إليه من أمور الدنيا . ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ الفرق المتحزبة بعد عيسى .

وقيل : اليهود والنصارى . ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وعيد للأحزاب ، والضمير في﴿ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ يرجع إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله :﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ . ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾بدل من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ .

وقوله : ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعطي أمرًا زائدًا على قوله : ﴿بَغۡتَةٗ﴾لأن قوله : ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يظهر في معايشهم وجدالهم في الدنيا ، و﴿بَغۡتَةٗ﴾ بغير موعد ، ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون ليسوا في (٢٥٢/ب) خصام .

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

= للسمين الحلبي (٦/ ١٠٦) ، فتح القدير(٤/ ٥٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٢٢٢) .

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٢٢ ، ٢٤٧٦) ، ومسلم رقم (١٥٥) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٠ ، ٢٧٢) ، والترمذي رقم (٢٢٣٣) ، وابن ماجه رقم (٤٠٧٨) ، وابن حبان رقم (٦٨١٨) .

﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ منصوب بـ "عدو" فتنقطع في ذلك اليوم كل خلة لا يراد بها وجه الله ، وأما الخلة في الله فهي باقية يظهر أثر خيرها في الآخرة . وقيل :﴿ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الذين اجتنبوا أخلاء السوء . وقيل : نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط[(١)].

وينادي المتقون المتحابون في الله : ﴿ يَٰعِبَادِ﴾. و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾محله نصب ؛ صفة لـ ﴿عِبَادِي﴾ فإنهم صدقوا بالآيات وكانوا مخلصين . وقيل : إذا نادى المنادي : ﴿ يَٰعِبَادِ﴾ طمع فيها كل أحد ؛ فإذا قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يئس منها الكفار .

﴿تُحۡبَرُونَ﴾ تسرون سرورًا يظهر أثره على وجوهكم ؛ كقوله : ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [(٢)] وقال الزجاج[(٣)] : ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ تكرمون إكرامًا يبالغ فيه ، والحبرة : المبالغة في كل ما وصف بجميل .

والكوب : الكوز لا عروة له ، وفيها الضمير للجنة . ﴿ وَتِلۡكَ﴾ مبتدأ ، و﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾ خبر، و﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ صفة للجنة ، أو﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾ صفة لقوله: ﴿ وَتِلۡكَ﴾ و﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ خبر. والباء في قوله : ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾إما تعليل لإيراث الجنة أو يتعلق بمحذوف ؛ كالظروف التي تقع أخبارًا ، وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على أهله .

﴿مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ للتبعيض ، أي : لا يأكلون إلا بعضها.﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لا يخفف ؛ والمبلس : البائس الساكت سكوت يأس . وقيل : يجعل الكافر في تابوت من نار ، ويملأ نارًا ويردم عليه ، فلا يَرى ولا يُرى . ﴿وَهُمۡ﴾ فصل أو عماد . وقيل لابن عباس : إن ابن مسعود يقرأ: يا مال ؛ فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم[(٤)].﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا﴾ من قضى عليه إذا مات ، والمعنى سل ربك أن يميتنا . والآخرة فيها مواقف ؛ فتارة يبلسون ويسألون ، وتارة ينادون مالكًا ؛ فلا تعارض . ﴿أَمۡ﴾أبرم مشركو مكة ﴿أَمۡرًا﴾ يكيدونك به ؛ كما جرى في دار الندوة . ﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم . ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ﴾ يعني الحفظة . وعن يحيى ابن معاذ[(٥)]: " من أخفى عن الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله الله

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٣) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (٢٤) .

(٣) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٩) .

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥٥) وقال : غريب .

(٥) **هو يحيى بن معاذ الرازي** من الزهاد المتهجدين والعباد الصالحين ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة =

أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق "[١].

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ إن ثبت ذلك ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أول من يعظم ذلك الولد ؛ وهذا كلام أورد على سبيل الفرض والتمثيل ، والغرض المبالغة في نفي الولد ، وأنه علق عبادة الولد بكونه ثابت الولادة ، وذلك الثبوت محال ؛ فالمعلق عليه محال مثله . وقيل : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الجاحدين لبنوة ذلك الولد . وقيل : ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ﴾ الآنفين من نسبة الولد إليه (٢٥٣/أ) . وقيل ﴿ إن ﴾نافية ، أي : ما كان للرحمن ولد ، ثم نزه ذاته الموصوفة بربوبية السماوات والأرض ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتخاذ الولد .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ، وقوله : ﴿فَذَرْهُمْ ﴾ليس إذنًا في الخوض واللعب ؛ بل هو إنكار بليغ ، وفي قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ هو كقوله : هو حاتم في طيئ ؛ أي : هو المشهور بذلك . ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ﴾ آلهتهم التي يدعون أنها تشفع فيهم في الآخرة ؛ كقوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٢] ولكن ﴿مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ وهو التوحيد وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة بصحة ما شهد به ، وهو استثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا ؛ لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة .

﴿ وَقِيلِهِ ﴾قرئت بالحركات الثلاث[٣] فالنصب :

= وكان حكيم زمانه ، روت عنه كتب التراجم الكثير من الحكم والمواعظ . توفي سنة ٢٥٨ هـ وله من الكتب كتاب المريدين . **تنظر ترجمته في :** حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٥١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥) ، الفهرست لابن النديم (١/ ٢٦٠) ، وفيات الأعيان (٦/ ١٦٥) .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٥) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨) .

(٣) قرأ بالرفع " وقيلُه " الأعرج وأبو قلابة والحسن ومجاهد . وقرأ بالنصب " وقيلَه " نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي . وقرأ بالخفض " وقيلِه " عاصم وحمزة . **تنظر القراءات في :** الإملاء=

قال الأخفش[١]: هو معطوف على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾. وعنه: هو مصدر؛ أي: وقال قيله. وحمله الزجاج[٢] على موضع " الساعة " أي: يعلم الساعة، ويعلم قيله؛ كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا، وحمل الجر على لفظ " الساعة " بتقدير حذف المضاف والذي قالوه ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا، وأجود من هذا كله أن يكون النصب والجر على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم أيمن الله. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم وايأس من إيمانهم، وقل لهم ﴿سَلَامٌ﴾ أي: نسلم منكم ومتاركة. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد من الله وتسلية لرسول الله ﷺ والهاء في " وقيله " ترجع إلى النبي ﷺ أي: يعلم قول رسول الله ﷺ في شِكْيته منهم.

* * *

= للعكبري (٢/ ٢٢٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢٣)، الحجة لأبي علي (٦/ ١٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٨)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٨).

(١) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٨) وعبارته: وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه ".

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٢١).

تفسير سورة الدخان [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ الواو فيه واو القسم إن جعلت ﴿حمٓ﴾ تعديدًا للحروف ، أو اسمًا للسورة مرفوعًا على خبر الابتداء المحذوف ، وواو العطف إن كانت ﴿حمٓ﴾ مقسمًا بها .

وقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ جواب القسم و﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ القرآن ، والليلة المباركة : ليلة القدر . وقيل : ليلة النصف من شعبان ، ولها أسماء أربعة : الليلة المباركة ، وليلة البراءة ، وليلة الصك، وليلة الرحمة . وقيل : بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة . وقيل في تسميتها ليلة البراءة وليلة الصك : إن البَنْدار إذا استوفى خراجه (٢٥٣/ ب) من أهله كتب لهم البراءة ؛ كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة ، وقيل : هي مختصة بخمس خصال : تفريق كل أمر حكيم ، وفضيلة العبادة فيها ، ونزول الرحمة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يرحم من أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب "[(١)].

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾

وحصول المغفرة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا المتشاجر أو مدمن خمر أو عاق الوالدين أو مصر على الزنا "[(٢)] وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة ؛ وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته ؛ فأعطي الثلث منها ، ثم سأل في الليلة الرابعة عشر فأعطي الثلثين ، ثم سأل في الليلة الخامسة عشر فأعطي الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير[(٣)]. ومن عادة الله أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة . والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة : ليلة القدر لقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[(٤)] ولمطابقة قوله : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ لقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٧٣٩) ، وابن ماجه رقم (١٣٨٩) ، وأحمد في المسند (٦/ ٢٣٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٤) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان بنحوه ، وقال الزيلعي : غريب بهذا اللفظ .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦) وقال : غريب .

(٤) سورة القدر ، الآية (١) .

رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ (١) وقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ (٢) وليلة القدر في أكثر الأقوال في رمضان ومعنى إنزال القرآن في هذه الليلة أنه أمر بإنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ؛ فكان جبريل ينزله من بيت العزة على رسول الله ﷺ نجومًا مقسمًا مفرقًا .
فإن قلت : قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلتُ : هما جملتان مستأنفتان فسر بهما جواب القسم ، وإنزاله في هذه الليلة تفضيل لها، والمباركة : الكثيرة الخير، ومعنى ﴿يُفۡرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر محكم من أرزاق العباد وآجالهم .
وقيل : يكتب ما يكون في كل سنة من اللوح المحفوظ فيدفع إلى ميكائيل أوراق الأرزاق ، وإلى جبريل أوراق الحروب والزلازل والصواعق والخسف ، وإلى كل ملك ما يغدق به وعن بعضهم : يعطى كل عامل بركة عمله ، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وفي قلوبهم وده .
ووصف الأمر بالحكيم مجاز ، وحقيقة الحكيم : الحاكم ، والحكيم ها هنا بمعنى: المحكم .

﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ (٥) رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٨) بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ (٩) فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ (١٠)﴾

﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ﴾ نصب على الاختصاص ، وفيه زيادة تعظيم لهذا الأمر. ويجوز أن يراد به الأمر الذي في مقابلة النهي ، ويكون حالا من أحد الضميرين في "أنزلناه" إما من الفاعل ؛ أي : أنزلناه أمرًا ، أو من المفعول ؛ أي: أنزلناه مأمورًا به ويجوز أن يكون تعليلا لـ "يفرق" ولقوله : ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ﴾ أو ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مفعول به ، ووصف الرحمة (٢٥٤/أ) بالإرسال موجود في قوله : ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ الآية (٣) وقوله : ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ عوض قوله ﴿مِّنَّا﴾ فوضع الظاهر موضع المضمر .
قوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يريد أن من شأننا إرسال الرسل ؛ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ (٤) ورد قوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بقوله : ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾ . ﴿يَوۡمَ﴾

---

(١) سورة القدر ، الآية (٤) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .
(٣) سورة فاطر ، الآية (٢) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية (١٥) .

مفعول به وليس بظرف ؛ لأن اليوم مرتقب ، وليس بمرتقب فيه . واختلف في الدخان ؛ فقيل : هو دخان يأتي قبل يوم القيامة يدخل في مسام الكفار حتى تكون رأس كل كافر كرأس الحنيذ [(١)]، ويعتري المؤمن منه مثل الزكام ، وتكون الأرض كبيت أوقد فيه ، وليس فيه مكان يخرج الدخان منه . وعن النبي ﷺ : " أول الآيات الدخان ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر. قال حذيفة : يا رسول الله ، ما الدخان ؟ فتلا الآية وقال : يملأ ما بين المشرق والمغرب ويمكث أربعين يومًا وليلة "[(٢)]. وقيل : هو دخان يأتي يوم القيامة فبلغ ابن مسعود فقال : " من علم شيئًا فليقل ، ومن لم يعلم شيئًا فليقل : الله أعلم" . إن قريشًا امتنعوا من طاعة رسول الله ﷺ فدعا عليهم النبي ﷺ بسنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل منهم يحدثك فتسمع صوته ولا ترى شخصه من كثرة الدخان "[(٣)] وعن ابن مسعود : " خمس قد مضين: الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام "[(٤)].

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ هو في محل جر صفة للدخان، وقوله: هَٰذَا عَذَابٌ ﴿هَٰذَا عَذَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ نصب بفعل محذوف ، أي: يغشى الناس وهم يقولون . ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١٣) ، عن ابن عمر ﵄ . **والحنيذ** : المشوي .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦) ونسبه للطبراني .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٢٥) ، ومسلم رقم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود ﵁ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٨٧) لابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود ﵁ . **واللزام** : فسر بأنه يوم بدر ، وهو في اللغة : الملازمة للشيء والدوام عليه ، وهو أيضا الفصل في القضية ، واللزام : الموت.

ينظر : لسان العرب (لزم).

من أين يحصل لهم التذكر ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ ما هو أشد وأقطع في وجوب الادِّكار من كشف الدخان وهو معجزات رسول الله ﷺ فلم يتذكروا ، و﴿تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي : علَّمه عدَّاس غلام لثقيف . ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ فبمجرد كشفه يرجعون إلى ما هم عليه ؛ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ (١) فإن قيل : من جعل الدخان قبل يوم القيامة ؛ كيف يجتمع معه ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾؟ قلنا : إذا جاء الدخان ضج المؤمنون والكافرون وسألوا (٢٥٤/ب) الله الرحمة والعفو فيكشف عنهم فيعودون لما كانوا عليه . ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي يوم القيامة كقوله : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (٢) وانتصب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بفعل دل عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿فَتَنَّا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ لأن موسى جاء إلى فرعون بأن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم ، فلم يطع لذلك . ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين ؛ أو : كريم في نفسه ؛ أي : شريف ؛ إن الله لم يبعث نبيًّا إلا من سراة قومه . ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ﴾ هي المفسرة ؛ لأن إتيان الرسول في معنى القول ، أو : المخففة من الثقيلة ؛ أي : بأن الشأن والحديث ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ وهم بنو إسرائيل ، ويجوز أن يكون ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ منادى ، والتقدير : أن أدوا إلي ، ويوقف عليه ، ويستفتح ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ من اتباع سبيلي وقبول دعوتي ، ثم علل ذلك بكونه رسولاً أمينًا. قوله : ﴿أَمِينٌ﴾ أي: ائتمنه الله على وحيه ورسالته . ﴿لَّا تَعْلُواْ﴾ فيه الوجهان ، أي: لا تجترئوا على الله باستكباركم على نبيه . ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ تقتلون . ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي : فليس بيني وبينكم اتصال وساهجركم في الله ﴿فَدَعَا﴾ موسى ﴿رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ قيل : كان من دعائه : ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآيتين (٣) .

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٠) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٨٥) .

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَأَسْرِ﴾أي : احملهم على السُّرى معي فقد دبر الله هلاك فرعون بأن ينجو المتقدمون ويغرق الآخرون . الرهو : الساكن ؛ أي : يغرقهم البحر ثم يبقى ساكنًا غير مضطرب . وقيل : الرهو: الفجوة الواسعة ، تقديره : اتركه على حاله غير مضطرب .

قوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ المنازل والمجالس . وقيل : المنابر . والنَّعمة بالفتح : من التنعم ، وبالكسر: من الإنعام . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب ، أي : مثل الإخراج أخرجناهم منها﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾أو في موضع الرفع تقديره : الأمر كذلك . ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ هم بنو إسرائيل كانوا يستضعفون ، فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها . كانوا إذا مات رجل كبير منهم قالوا : بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ، وأظلمت له الشمس ، وفي الحديث : " ما من مؤمن يموت في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض يبكي عليه (٢٥٥/أ) مصعد عمله في السماء وموضع سجوده في الأرض "[١] .

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب المهين ؛ فإن فرعون كان عذابًا مهينًا في نفسه لإفراطه في التعذيب ، ويجوز المعنى : من العذاب المهين واقعًا من جهة فرعون . ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ كقوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] الضمير في ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾لبني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بأهليتهم .﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾أي : امتحان ؛ لأن الله يبلو بالنعم كما يبلو بالمصائب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣] .

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش . فإن قيل : ما معنى : ﴿مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ وكان النزاع في حياة ثانية وموتة ثانية ؟ وما معنى ذكر الأولى في صفة الموتة ؛ كأنهم وعدوا موتة أخرى فجحدوها ؟ قلنا : تقدير كلام المسلمين للكفار: إنكم تموتون هذه الموتة في الدنيا ، ثم يتعقبها حياة فأنكروها وهو قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٤]

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/٢٦٨) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان والطبراني .

(٢) سورة القصص ، الآية (٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٣٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨) .

كأنهم أجابوا : ليست هذه الموتة التي تتعقَّبها حياة ، أي لا موت إلا الموتة التي متناها في الدنيا .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣)﴾

﴿بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [(١)] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [(٢)] أي : يحيون الموتى . ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ من كلام الكفار للمؤمنين أي : قالوا : إن كنتم تدعون حياة أخرى فأحيوا آباءنا ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ . وقيل : كانوا يلتمسون أن يحيي الله قصي بن كلاب ليشاوروه ، وكان شيخًا كبيرًا من أكابرهم ، وكان يستشار في معاظم الأمور. ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تبع الحميري ، هو ملك .

قالت عائشة : " ذم الله قومه ولم يذمه ؛ حير الحيرة ، وبني سمرقند [(٣)]. وقيل : كان إذا كتب كتب : باسم الذي ملك برًّا وبحرًا " [(٤)] . وروي أنه ﷺ قال : " لا تسبوا تبعًا ؛ فإنه كان قد أسلم " [(٥)]. فإن قيل: ما معنى قوله:﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ولا خير في الفريقين ؟!

قلنا: معناه : أهم خيرٌ في القوة والمنعة ؛ كقوله : بعد ذكر آل فرعون : ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٩) وهذا على قراءة الراء ؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " نُنْشِرُها " ، وقرأ عاصم في رواية أبان عنه " ننشُرُها " ، وقرأ الباقون " ننشزها " بالزاي .

ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/٣١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/٦٢٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٨٩) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢١) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/١٢٨) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٥) ، ونسبه للحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها . وروي عن كعب رضي الله عنه أيضا بنحوه .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٧٥٠) ، ونسبه للحاكم وصححه .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠) ، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٤٩) لابن مردويه .

﴿أُوْلَـٰٓئِكُمْ﴾[١] ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي : بين الجانبين ﴿لَا يُغْنِي مَوْلًى﴾ أي مولى كان من قرابة في النسب أو غيرها . ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينجون من العذاب . ﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في موضع رفع على البدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾ ويجوز أن يكون منصوبًا على الاستثناء . وروي أن أبا جهل أحضر زبدًا وتمرًا وقال للجماعة : كلوا ؛ فإن هذا الزقوم الذي يهددكم به محمد ؛ فنزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[٢] (٢٥٥/ ب).

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ الفاعل للإثم ، وعن أبي الدرداء: " أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : طعام اليتيم ، فلما أكثر من ذلك قال له : قل : طعام الفاجر "[٣]. ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دردي الزيت[٤]. وقيل : هو ما أذيب من النحاس والفضة ، والكاف في قوله : ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ خبر بعد خبر . يقال للزبانية : ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ اجذبوه بقوة وهوان ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسطها ، والمصبوب هو الحميم نفسه لا عذابه ، لكن إذا صب عليهم الحميم فقد صب عذابه ، وصب العذاب مستعار وصب الحميم حقيقة ؛ كقوله [من البسيط] :

.... صُبَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ[٥]

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٣) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥٢) ونسبه لسعيد بن منصور .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥٢) ونسبه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر والحاكم وصححه .

(٤) **دردي الزيت** وغيره : ما يبقى في أسفله ، والدردي : الخميرة التي تترك على العصير والنبيذ ليتخمر ، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان . **ينظر** : لسان العرب (درد)

(٥) هذا عجز بيت وصدره : كم امرئ كان ذا خفض وذا دعة   ....

ينظر في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٢) وللبحتري بيت يشبهه :

وَالمَرءُ لَو كانَتِ الشِّعْرى لَهُ وَطَناً   حُطَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ

وكقوله : ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [(١)] ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾ على عشيرتك ؛ استهزاءًا واستهانة . وحكي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ : ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني ، فوالله ما تستطيع أن تفعل أنت ولا ربك شيئًا [(٢)]. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب أو هذا الأمر ﴿مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون . المَقام - بالفتح - : هو موضع القيام ، وبالضم : موضع الإقامة ، ووصف المكان بالأمين استعارة ؛ لأن من أقام فيه لا يخاف . السندس : ما رق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه ، ومعنى كونها عجمية وهي في الكتاب العربي أنها إذا عربت فيه خرجت عن أن تكون عجمية . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي : الأمر كذلك ، أو منصوب على مثل ذلك . ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ قرناهم ، وقرأ عكرمة ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ على الإضافة [(٣)] يعني : من الصنف الذين هم حور العين ، والأحور: شديد بياض العين ، والعين : الواسعة العين . فإن قيل : كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه قبلها ؟ قلنا : لأنه أريد به : لا يذوقون فيها الموت البتة ، إلا إن كنت تعد الموتة الأولى واقعة في الثانية ؛ فهم يذوقون فيها الموت ، وهو من باب التعليق بالمحال .

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ عطاء من ربك ، وقرئ " فضلٌ " [(٤)] أي : ذلك فضلٌ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ يعني : هذه السورة وضعناها ، ومعناها: ذكرهم بالكتاب المبين ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ أي : سهلناه حيث أنزلناه عربيًا ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك ؛ إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر ما يحل بهم . ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحل بك.

* * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٠) .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره (٢/ ٩٨٦) ، وأبو السعود في تفسيره (٨/ ٦٥) .

(٣) **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٥) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦١) .

(٤) **تنظر في** : الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٥) .

تفسير سورة الجاثية [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿حمٓ﴾ إن جعلتها (٢٥٦/أ) مبتدأ مخبرًا عنه بـ " تلك " لم يكن بد من حذف مضاف ، تقديره : تنزيل حم تنزيل الكتاب ، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة للتنزيل ، وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ ، والظرف خبرًا . ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي : في خلقهن ، بدليل قوله : ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾. فإن قيل : علام عطف :﴿ وَمَا يَبُثُّ﴾ أعلى الخلق المضاف ، أم المضاف إليه ؟ قلنا: بل على المضاف ؛ لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه ؛ استقبحوا أن يقال : مررت بك وزيد ، وكذلك إن أكدوه ؛ كقولك: مررت بك أنت وزيد [(١)].

قرئ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالنصب والرفع[(٢)] على قولك : إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق ، وعمرو في السوق ، وأما قوله : ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فمن العطف على عاملين ، سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما : ﴿إِنَّ﴾ و﴿فِى﴾ ؛ أقيمت الواو مقامهما ؛ فعملت الجر في ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والنصب في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و﴿فِى﴾ عملت

---

(١) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٤) وقد اختلف النحاة في هذه المسألة وهي العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار على ثلاثة مذاهب : **أحدها** : جواز ذلك مطلقا وهذا مذهب الكوفيين وتابعهم الأخفش ويونس والشلوبين . **والثاني** : جواز ذلك بشرط إعادة الجار ، إلا في ضرورة ، وهذا مذهب البصريين . **والثالث** : جواز ذلك إذا أكد الضمير بغير إعادة الجار ، وإلا فلا يجوز إلا ضرورة ، وهو مذهب الجرمي . **ينظر تفصيل المسألة في** : الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٣) ، أوضح المسالك لابن هشام (٣/ ٣٩٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٥٢٩) ، شرح الكافية لابن مالك (١/ ٥٦١) ، المفصل شرح المفصل للسخاوي (١/ ٢٠٨) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب " آياتٍ " وقرأ بقية العشرة " آيات " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٤) ، الحجة لابن خالويه (ص :٣٢٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧١) .

الرفع في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ والجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾. وسمي المطر رزقًا لأنه منبته .

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ ﴾

﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدمة ، و﴿نَتۡلُوهَا﴾ في محل الحال ؛ أي : متلوة عليك بالحق ، والعامل اسم الإشارة ؛ كقوله : ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [1] .

وقوله : ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ [2] ﴿يُصِرُّ﴾ يقيم على كفره ؛ من إصرار الحمار على العانة[3] ، ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عن الإيمان بالآيات . قيل: نزلت في النضر بن الحارث ، وما كان يشير به من قصص أحاديث العجم ويشغل الناس[4] . والآية عامة في كل من كان مضادًا لدين الله ، ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله : ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ كقول الشاعر [من الطويل] :

ولاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ يَرىَ غَمَراتِ الموت ثُمَّ يزورها[5]

وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن يفر رائيها ، وينجو بنفسه فأما إقدامه على زيارتها فأمر مستبعد لا يفعله إلا مُذِلٌّ بنفسه .

﴿كَأَن﴾ هي المخففة من الثقيلة والأصل : كأنه لم يسمعها ، والضمير ضمير الشأن والقصة ؛ كما في قوله [من الطويل] :

.... كأن ظبيةٌ تعطو إلى قاصي السَّلم[6]

---

(١) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٣) **العانة** : القطيع من حمر الوحش، و العانة: الأتان والجمع منهما عون . **ينظر** : لسان العرب (عون) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٦) .

(٥) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية (٥١) .

(٦) هذا عجز بيت لعلباء بن أرقم ، وصدره : ويوما توافينا بوجه مقسم ....

ينظر في : الأصمعيات (ص : ١٥٧) ، الدرر اللوامع (٢/ ٢٠٠) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (١/ ٥٢٥) ، المقاصد النحوية (٤ ، ٣٨٤) ، وبلا نسبة في : أوضح المسالك لابن هشام (١/ ٣٧٧) ، جواهر الأدب (ص : ١٩٧) ، شرح الأشموني (١ : ١٤٧) ، شرح قطر الندى (ص : ١٥٧) ،=

ومحل الجملة على النصب على الحال ، أي : يصر مثل غير السامع ، وإذا بلغه شيء من الآيات وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ أي : اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل : اتخذه ؛ إشعارًا بأنه متى سمع شيئًا منها أخذ الآيات هزوا وطعن في كل آية مما يستطيعه ، ويجوز أن يريد أنه متى سمع أدنى شيء يمكن الخصم (٢٥٦/ب) أن يجعله شبهة بادر إلى الطعن بكل طريق ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء علم ، بمعنى أن ذلك الشيء آية أو آيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ لعمومه ؛ لأنه في معنى الجمع ، ومنه : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾(١) .

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

والوراء : الجهة التي يتوارى عنها الشخص سواء كان لخلف أو لقدام ؛ قال سبحانه : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾(٢) ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(٣) .

وقوله [من الوافر] :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه   يكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ(٤)

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾ من الأموال ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا﴾ أي : المعبودات التي اتخذوها شركاء . ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي : هذا القرآن كامل في الهداية . الرِّجز: أشد العذاب .

=الكتاب (٣/ ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٦) ، المحتسب لابن جني (١/ ٣٠٨) ، مغني اللبيب (١/ ٣٣) ، همع الهوامع (٢/ ٣٢٦) ويروى آخره : وارق السلم . وناضر السلم . وتعطو : تأخذ وتتناول . ووارق – على الرواية الثانية – : كثير الورق . والسلم : شجر العضاه .

(١) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٠) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٧) .

(٤) **ينظر البيت في** : تاريخ بغداد (١٤/ ٢٦٤) ، تهذيب الأسماء للنووي (٣/ ٢٠٦) ، حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٨٩) ، شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٢٠٨) .

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة . وقيل : بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك . وقوله : ﴿مِّنْهُ﴾ في موضع الحال ، أي : كائنة منه وحاصلة ، يعني أنه مكونها بقدرته ومستخرجها بحكمته ، ويجوز أن يكون ﴿مِّنْهُ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي: كل ذلك منه ، وأن يكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ تأكيدًا لقوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ ثم ابتدأ قوله : ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وأن يكون ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مبتدأ ، و﴿مِّنْهُ﴾ الخبر . وقرئ ﴿مِّنْهُ﴾ بكسر الميم وتشديد النون "مِنَّه "أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : ذلك ، أو هو مَنُّه[1] . ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حذف المقول في قوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ لأن الجواب دال عليه ، والمعنى : قل لهم اغفروا يغفروا .﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي : وقائع الله بالمكذبين . وقيل : لا يرجون بمعنى يأملون ، وكونه وعدهم بالفوز فيها . قيل : نسخت بآية القتال[2] . وقيل : نزلت في عمر- رضي الله عنه - وقد شتمه رجل من غفار ، فهم أن يبطش به . وعن ابن المسيب أن قارئًا قرأها عند عمر؛ فقال : ليُجْزَى عمرُ بما صنع[3] .﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل للأمر بالمغفرة ، ونكر " قومًا" تفخيمًا لشأنهم ؛ أي :﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ وأي قوم ، وذلك لصبرهم على أذى الكفار. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الثواب . وقيل : لما نزلت الآية قال عمر: وعزة ربي لا ترى الغضب في وجهي[4] .

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم
بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ

---

(١) قرأ بها ابن عباس وابن عمر والجحدري وابن محيصن " مِنَّةً " وقرأ سلمة بن محارب " مَنُّهُ " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٤) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢) .

(٢) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٤٤) : " وإنما قلنا هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك " .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٨) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٩) وذكر أنه قال ذلك للرسول ﷺ .

وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ، و﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه ، أو فصل الحكومات بين الناس ؛ لأنهم كانوا ملوكًا وأنبياء . ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الحلالات .

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ آيات معجزات ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف ، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بصحة نبوة النبي - ﷺ - وإنما أخلفوا لبغي حدث بينهم ، أي : عداوة وحسدًا .

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ أي : اتبع شريعتك الثابتة والبراهين . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ، وهم رؤساء قريش حتى قالوا لرسول الله ﷺ : ارجع إلى دين آبائك ولا تـوالهم ؛ إنما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم ، وأما المتقون فالله وليهم[(١)].

﴿هَٰذَا﴾ القرآن . ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب ؛ كما جعل روحًا وحياة ، وهو ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال . ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب وقرئ: "هذا بصائرَ "[(٢)] أي : هذه الآيات ﴿أَمْ﴾ منقطعة ، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان . والاجتراح : الاكتساب ؛ ومنه : جوارح الصيد ، ويقال : جارحة أهله ؛ أي: كاسبهم .

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أي: نصيرهم ، وهو من " جعل " المتعدي إلى مفعولين: الأول الضمير والثاني الكاف ، والجملة الثانية التي هي ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدل من الكاف ، والجملة

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٩) .

(٢) تنظر في : تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٨) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢) .

تقع مفعولاً ثانيا فهي في حكم المفرد فهو كقولك : حسبت زيدًا أبوه منطلقٌ ، ومن قرأ ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب[(١)] جعل " سواء " بمعنى مستويا ، وارتفع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ على الفاعلية ، وكان مفردًا غير جملة ، ومن قرأ : " ومماتهم " [(٢)] بالنصب جعل " محياهم ومماتهم " ظرفين ؛ كمقدم الحاج وخفوق النجم ؛ أي: سواء في محياهم وفي مماتهم ، والمعنى : إنكار أن يستوي المحسنون والمسيئون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم في الدنيا ؛ فالمؤمنون على حق والكافرون على باطل . وقيل : إن المؤمنين والكفار في الدنيا مستوون في سعة الرزق وقلته . وعن تميم الداري أنه قام في الليل يصلي فوصل في تلاوته حتى هذه الآية ، فلم يزل يرددها ويبكي إلى الصباح[(٣)] . وعن الفضيل أنه كان يرددها ويقول : ليت شعري ؛ من أي الفريقين أنت ؟[(٤)] .

﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ معطوف على " بالحق " ؛ لأن فيه معنى التعليل ، أو على معلل محذوف تقديره : ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ليدل بذلك على قدرته ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ .

﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي جهة مالت إليها نفسه (٢٥٧/ب) تبعها ، وقرئ ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ [(٥)] على الجمع ، وكانوا إذا عبدوا صنمًا ثم رأوا غيره أحسن منه رفضوا الأول وعبدوا الثاني فصارت العبادة تبعًا لهوى النفس وصار هوى النفس آلهة شتى . ﴿هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بمعرفته بما ينبغي اجتنابه ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ﴾ إضلال الله .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف " سواءً " وقرا الباقون " سواءٌ " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٧) ، الحجة لابن خالويه (ص :٣٢٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢) .

(٢) قرأ بها الأعمش . **ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٠) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٥٠) بسنده عن مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته قام ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فيركع ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٩٠) .

(٥) قرأ بها الأعرج . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢) .

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ
(٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١)﴾

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نموت نحن ونحيا أولادنا، أو يموت بعض ويحيا بعض، أو نكون أمواتا في الأصلاب ثم نحيا بعد ذلك، أو يصيبنا الأمران: الحياة والموت، يريدون الحياة الدنيا والموت بعدها، وليس بعد ذلك حياة، وما يقولون ذلك عن علم؛ ولكن عن ظن؛ كانوا يزعمون أن هلاك الأنفس بمرور الأيام والليالي، وينكرون ملك الموت، وكانوا يضيفون كل الحوادث إلى الدهر، ونرى أشعارهم ناطقة بذلك وفي الحديث: " لا تسبوا الدهر؛ فإن الدهر هو الله "[1] أي: فإن الله الآتي بالحوادث لا الدهر.

وقرئ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنصب والرفع[2] وسمي قولهم حجة؛ لأنهم أجروه مجرى الحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة. فإن قيل: كيف وقع قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟

قلنا: لما أنكروا البعث ألزموا بأنهم مقرون به من جهة أن الله هو الذي يحييهم ويميتهم وضم إلى إلزام ذلك أمرًا أعظم منه، وهو جمعهم إلى يوم القيامة، فمن كان قادرًا على ذلك فهو قادر على إحياء آبائهم، وهو أهون شيء عليه.

عامل النصب في ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾ " يخسر "، و" ويومئذ " بدل من ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾.

﴿جَاثِيَةً﴾ باركة على الركب من شدة الهول. وقيل: ﴿جَاثِيَةً﴾ أي: مجتمعة ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٢٦، ٦١٨١)، ومسلم رقم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ جمهور القراء " حجتَهم " بالنصب، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو " حجتُهم " بالرفع. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

إلى صحائف أعمالها ، ويقال لهم : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقد أضاف الكتاب إليهم بقوله : ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ وإلى ذاته العلية بقوله : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، وقد لابس الجهتين . ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في جنته . ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ﴾ أي : يقال لهم ذلك . ﴿وَٱلسَّاعَةَ﴾ بالنصب ؛ عطف على ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ وبالرفع[1] عطف على إن واسمها. ﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة ؟ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أثبت الظن ونفى كل ما سواه ، وزيد نفي ما سوى الظن بقوله : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أو عقوباتها . ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم (٢٥٨/أ) في العذاب ؛ كما تركتم عدة ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي : كما أهملتم كالشيء الذي يطرح وراء الظهر يجعل نسيا منسيا ، ومعنى إضافة اللقاء إلى اليوم الإضافة إلى محذوف ، أي : كما نسيتم العمل للقاء عذاب يومكم هذا . ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم إزالة العتب ؛ لأنه لا سبيل إليه لأن رضا الله عنهم مستحيل .

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ فمن كان ربًّا للسماوات والأرض كان حقيقًا أن يُحمد ويثنى عليه ، وفي الحديث عن الله عز وجل : " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار "[2].



---

(١) قرأ حمزة وحده " والساعةَ " بالنصب ، وقرأ الباقون " والساعةُ " بالرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٨) ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٢٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣١١) .

تفسير سورة الأحقاف [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا متلبسًا بالحكمة وبتقدير ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ينتهى إليه ، وهو يوم القيامة .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ بـه مـن يـوم القيامـة وباسـتعداد العمـل لـه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون . ويجو أن تكون " مـا " في قولـه ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ مـصدرية . ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ في خلـق السماوات ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي : من قبل هذا الكتاب ؛ أي : فائتوا بكتاب واحد مـن كتـب الله يشهد بصحة ما ادعيتموه . ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : بقية ؛ تقول : سمنـت الناقـة علـى أثارة من شحم ، أي: بقية من شجر كانت بها من شحم ذاهـب . وقـرئ " أَثْـرة " [1] أي : شيء ، أو أثرتم به .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الهمزة فيه إنكار أن يكون في الضلال أحد أضـل منـه ، وإذا قامـت القيامة ، وحشر الناس كانت الأصنام أعـداء لمـن عبـدها ؛ كمـا قـال إبـراهيم : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ

---

(١) قرأ بها ابن عباس وزيد بن علي وعكرمة والسلمي والحسن وأبو رجاء .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٥) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٥) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥) ، المحتسب لابـن جني (٢/ ٢٦٤) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠) .

لِيٓ﴾[١] ويجحدون عبادتهم ، وإنما قال : ﴿مَن﴾ و﴿وَهُمۡ﴾ لأنه أسند إليهم فعل العقلاء ، وهو الدعاء والاستجابة . ويجوز أن يراد : كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان ، فغلب من يعقل ، وقرئ : " ما لا يستجيب له " [٢] ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة ؛ تهكمٌ بها ؛ ونحوه قوله : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية [٣]، اللام في ﴿لِلۡحَقِّ﴾ مثلها في قوله :﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾[٤] أي : لأجل الذين آمنوا ، ولأجل الحق ، والمراد بالحق الآيات ، وبالذين كفروا : المتلو عليهم ، فوضع الظاهران موضع المضمرين ، أي : بادروه بالرد ساعة أتاهم ، ومن ضلالتهم تسميته سحرًا مبينًا . ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ فيه إضراب عن دعوى (٢٥٨/ ب) إنما جاء بسحر إلى دعوى أنه افتراء ، ومعنى الهمزة في " أم " التعجب والإنكار.

﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ فالله قادر على الانتقام منه ولا أملك من أمره شيئًا ، ومثله : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[٥] وقال النبي ﷺ : " يا فاطمة بنت محمد ، لا أملك لك من الله شيئا " الحديث[٦]. ثم قال : ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ أي : تندفعون فيه بكثرة ، ومعنى ذكر العلم والشهادة التهديد البليغ . ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ موعدة بالمغفرة والرحمة لمن تاب .

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾

البدع : بمعنى البديع ، وقرئ: " بدَعا " بفتح الدال[٧] أي : ذا بدع ، ويجوز أن تكون

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٧٧) .

(٢) قرأ بها عبد الله بن مسعود . **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٦) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (١٤) .

(٤) سورة مريم ، الآية (٧٣) .

(٥) سورة المائدة ، الآية (٤١) .

(٦) رواه مسلم رقم (٢٠٤) ، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٣) ، والترمذي رقم (٣١٨٥) ، والنسائي (٦/ ٢٤٨) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٧) قرأ بها عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٨٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٦) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٧) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤) .

صفة على فعل ؛ كقوله سبحانه :﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [(١)] كانوا يقترحون على رسول الله ﷺ الآيات ، ويطلبون منه إعلامهم بما غاب عنهم ، فقيل له : قل : سبق الرسل من قبل ، وكانوا يسألون عن المغيبات ، ولا يأتون بغير ما آتاهم الله من المعجزات . ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ في المستقبل﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي : ما أدري إلى ما يصل أمري وأمركم في الدنيا وأما في الآخرة فقد علم أنه ﷺ من المتقين وأن الذين كذبوه من الظالمين . قال الصحابة لما كثر أذى الكفار لهم ، قالوا : يا رسول الله ، إلى متى نبقى في هذا الهوان ؟ فقيل له : قل لهم : ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي﴾تقديره : أأترك بمكة أم أومر بالهجرة أم بالمهاجرة إلى أرض قد رفعت لي في المنام ؟ [(٢)]

وقيل : ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ في الآخرة ، وهو بعيد[(٣)] . وقيل : أراد نفي الدراية

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٦١) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ : ٢٣٦) ونسبه لابن المنذر .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/٦) وروى الطبري عن الحسن البصري قال في هذه الآية : " أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم أمتي المكذبة أم أمتي المصدقة أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا أم مخسوف بها خسفا ثم أوحي إليه: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾ يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل ثم أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال له في أمته: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ فأخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته " .
ثم قال الطبري في تفسيره (٢٦/٨) : "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل القول الذي قاله الحسن البصري ، وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب ؛ لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين وخبرا عنهم وتوبيخا لهم واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم ، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم . وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي ﷺ قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون والمؤمنون به في الجنان منعمون وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى ولو قال لهم ذلك لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غدا في القيامة إلى خفض ودعة أم إلى شدة وعذاب؟ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا إليه رغبة في نعمة=

المفصلة ، وإنما دخلت ﴿لَآ﴾ في قوله : ﴿وَلَا بِكُمْ﴾ لزيادة توكيد النفي و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولة منصوبة ، وأن تكون استفهامية مرفوعة . جواب الشرط محذوف ؛ أي : أخبروني .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ فتبصر ما فيه من علامة صحة النبوة فأسلم ، وقصة عبد الله بن سلام معروفة ، والضمير للقرآن . فإن قلتَ : أخبرني عن نظم هذا الكلام ؟ قلت : (٢٥٩/أ) الواو الأولى عاطفة لـ ﴿وَكَفَرْتُم﴾ على فعل الشرط ؛ كما عُطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله : ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ .

وأما الواو في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقد عطفت جملة قوله : ﴿وَشَهِدَ﴾ على جملة قوله : ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ونحوه قولك : أرأيت إن أحسنت وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت لم يتفق ، والمعنى: أخبروني : إن اجتمع كون القرآن من عند الله وكفرتم به وشهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله ؛ ألستم أضل الناس ؟ وقد جعل إيمانه مسببًا عن شهادة الشاهد ؛ لأنها أوضحت الحق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأجلهم ، وهو كلام كفار مكة ، قالوا: عامة من يتبع محمدًا أسقاط الناس . يعنون عمارًا وصهيبًا وخبابًا وابن مسعود ونظائرهم من فقراء أهل الصفة فلو كان خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء الأعبد . وقيل : إنها كانت جارية لعمر كان يعاقبها على إسلامها قبل إسلامه ؛ فتقول كفار قريش : لو كان الإسلام خيرًا ما سبقتنا إليه هذه الجارية . فإن قلتَ : قوله : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ ظرف لا يجوز أن يعمل فيه ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فعل مستقبل ، و﴿وَإِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ؛ فيتدافعان ؟ قلتُ : العامل في ﴿وَإِذْ﴾ محذوف يفهم من السياق كما حذف من قوله : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [1] في قصة يوسف ،

= وكرامة نصيبها أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منه. ولكن ذلك كما قال الحسن ثم بين الله لنبيه ﷺ ما هو فاعل به وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم " .

(١) سورة يوسف ، الآية (١٥) .

والتقدير: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم . وقولهم : ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كقولهم :﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١).

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لما بين يديه من كتاب موسى ، أو لما سبقه من الكتب والصحف . ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير الكتاب في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ والعامل فيه "مصدق" ويجوز أن ينتصب عن ﴿كِتَٰبٌ﴾ لتخصيصه بالصفة . ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ معطوف على محل ﴿لِّيُنذِرَ﴾ . و﴿كُرْهًا﴾ أي : ذات كره ، أو كرهًا نصب على أنه صفة للمصدر؛ أي : حملاً كرهًا وهذه الآية دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر (٢) .

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ اقتطع منها سنتين بقوله :﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ (٣) فبقي من الثلاثين ستة أشهر . فإن قلتَ : المراد بيان مدة الرضاع لا مدة الفصال فلم قال : ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ؟ قلتُ : لما كان الرضاع يلابس الفصال وينتهي به جعل كأنه الرضاع ، فأخبر عنه بأن مدته سنتان ؛ قال (٢٥٩/ب) [من الخفيف] :

كلُّ حيٍّ مستكملٌ مدةَ العمـ ـرِ ومودٍ إذا انتهى أجلُه (٤)

وبلوغ الأشد من الثلاثين إلى الأربعين . وقيل : أربعون . وقيل : ثلاث وثلاثون .

وقيل : لم يبعث نبي قط إلا بعد أن صار عمره أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استودع الله

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٥) .

(٢) قال الخطيب الشربيني في كتاب الإقناع (١/ ٩٩) : " وأقل زمن الحمل : ستة أشهر ولحظتان: لحظة للوطء ولحظة للوضع – من إمكان اجتماعهما بعد عقد النكاح، وأكثره – أي زمن الحمل – : أربع سنين وغالبه تسعة أشهر للاستقراء كما أخبر بوقوعه الشافعي وكذا الإمام مالك " .

(٣) سورة لقمان ، الآية (١٤) .

(٤) البيت للطرماح ، **ينظر في** : تفسير الطبري (٣/ ٢٣١) .

الشكر عليها - نعمة الإسلام والهداية وجمع بين شكر النعمة عليه وعلى والديه ؛ لأن النعمة عليه نعمة على والديه ، وكذلك النعمة على الوالدين نعمة على الولد . وقيل في الأعمال المرضية الصلوات الخمس ، ومعنى ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ اجعلهم محلا للصلاح ، ومنه [من الطويل] :

وَإِنْ تَعْتَذِرْ فَالمَحْلُ مِنْ ذي ضُرُوعِهَا إلَى الضَّيْفِ يَجْرَحُ في عَرَاقِيبِهَا نَصْلي [1]

﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ من المخلصين .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله : ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي : مع أصحاب الجنة وقيل : نزلت في أبي بكر وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده ، واستجابة دعائه فيهم وقيل : لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار اجتمع له إسلام أبويه وأولاده إلا هو[2]. ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ يريد : من كان من هذا الجنس ، ولذلك وقع الخبر مجموعًا . وقيل : المراد عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ؛ دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان فأبى وقال : أف لكما ، وأنكرت عائشة ذلك ، وقالت : عبد الرحمن رجل صالح فكيف نزلت في حقه ؟[3].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي : وجب عليهم كلمة العذاب ، وحكي أن معاوية

---

(١) ذكر جزءا منه المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٩/ ٢٢٣) ، والمناوي في فيض القدير (٢/ ١٣٤) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٣) .

(٣) روى ذلك الطبري في التفسير (٢٦/ ١٩) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٤) لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٥٩ - ١٦٠) : " ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه . ثم قال : " وقوله : (أولئك) بعد قوله : (والذي قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك. وقال الحسن وقتادة: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث " .

بايع ليزيد ولده ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لقد جئتم بها هرقلية ، فقال مروان : يا أيها الناس: هذا الذي قال الله في حقه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ فسمِعَتْ عائشةُ فغضبت وقالت : إن عبد الرحمن رجل صالح ، والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن هو قصص من لعنه الله[1]. واللام للبيان ؛ أي : هذا التأفف لكما خاصة ؛ كقوله : ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [2]. ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أي : ولم يأت منهم من يخبرنا عن حقيقة الحال . ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾ يقولان : الغياث بالله منك .

﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور. (٢٦٠/أ) المراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك . ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ ؛ كقوله : ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ أي : منازل ومراتب لما عملوا من الخير والشر، والجنة درجات ، والنار دركات ؛ فغلب جانب الخير. و﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ تعليل معلله محذوف تقديره : فعل ذلك ليوفيهم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي : يقال لهم : أذهبتم ، ويقال المحذوفة هي العاملة في الظرف ، والعرض على النار ؛ كقولك : عرضت الحوض عليها . وفي تفسير ابن عباس : يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها[3].

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي : لم يكن لكم حظ من الطيبات إلا ما أصبتموه في الدنيا ، وقد أخذتموه فلم يبق لكم نصيب في الآخرة . وروي عن عمر أنه قال : لو شئت لكنت أحسنكم لباسًا وأطيبكم طعامًا ، ولكني سمعت الله ينعي لقوم أنهم أخذوا نصيبهم من الطيبات في

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٤) لابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٥) .

الدنيا[١]. ومر النبي ﷺ بأهل الصفة ، وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لهم رقاعًا ، فقال: " أنتم اليوم خير أم يوم يغدى على أحدكم بجفنة ويراح بأخرى ، ويغدو بحلة ويروح بأخرى ؟ فقالوا: ذلك اليوم خيرٌ ؛ فقال النبي ﷺ : " بل هذا خيرٌ "[٢].

﴿ٱلْهُونِ﴾ الهوان . الأحقاف : جمع حقف ، وهي رمال مستطيلة مرتفعة ، مأخوذة من احقوقف الشيء : إذا اعوج . وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون على رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحْر[٣] من بلاد اليمن . وقيل : بين عمان ومهرة . والنذر: جمع نذير، بمعنى المنذر، أو الإنذار. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ من بعده ، والمعنى: أن الله بعثني إليكم لآمركم بالتوحيد ، وأخوفكم العذاب ، وأعلمهم أن الرسل الذين كانوا قبله بعثوا بمثل ذلك ، ولك أن تجعل قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ اعتراضًا بين ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ وبين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك ، وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك .

﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ لتصرفنا ؛ يقال : أفكه عن الأمر: إذا صرفه . ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها .

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من معاجلة العذاب .

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

وإنما طابق قوله : (٢٦٠/ب) ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله : ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ لأن هودًا هددهم بالعذاب فأنكروه واستهزءوا به ؛ فقال لهم : إنني لا أعلم إلا ما علمني الله ؛ ولكنه تعالى لم يعلمني بوقت العذاب ، وليس علي إلا البلاغ ، وأنتم قوم تجهلون فتضيفون إلي العلم بالمغيبات ، والهاء في ﴿رَأَوْهُ﴾ ترجع إلى ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ ويجوز أن يكون مبهمًا فسره ما بعده إما تمييزًا وإما حالاً.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري .

(٣) **الشحر** - بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة - : ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان .

ينظر : معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٣/ ٧٨٣) .

والعارض : السحاب الذي يعرض في أفق السماء ، ومنه : الحبي والعنان من حبا وعنَّ إذا ظهر. وإضافة ﴿ مُسْتَقْبِلَ ﴾ و﴿مُمْطِرُنَا﴾ مجازية لا تقتضي تعريفًا بدليل أنه وصف بهما النكرة . ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾هذا من قول هود . ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ مرت به من عاد ودوابهم ، ولم تفن جبالهم ولا أرضهم ، فـ ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ هو عام مخصوص . ﴿لَا يُرَىٰٓ ﴾ الخطاب للرائي كائنًا من كان . وروي: أن الريح كانت تحمل الظعينة في الجو حتى ترى كالجرادة ، وكذلك تفعل بالفسطاط[1]. وروي: أنه أول ما عرفوا أنه عذاب أنهم رأوا ما على الجبل من أنفسهم ودوابهم تحمله الريح بين السماء والأرض. وروي: أن هودًا لما رأى فعل الريح خط على نفسه خطًا إلى جانب عين تنبع عليه وعلى المؤمنين . وقيل : اعتزلوا في حظيرة ما ينالهم من الريح إلا ما تلين عليه الجلود ، وإنها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والأرض ، وتدفعهم بالحجارة[2].

وقيل : إن النبي ﷺ كان إذا رأى الريح تغير وجهه ، ودخل وخرج ؛ فقيل له في ذلك ؟ فقال : " إني أخاف أن يكون كما قال قوم عاد ؛ ظنوه رياحًا تأتي بالمطر والخصب ؛ فإذا هي مهلكة لهم ولدوابهم "[3].

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٦) ، **والظعينة** : الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن ، والظعينة : المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه . وقيل : سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج. وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره والجمع ظعائن و ظعن و ظعن و أظعان وظعنات. والفسطاط : بيت من شعر، وفيه لغات: فسطاط وفستاط و فساط. وكسر الفاء لغة فيهن، وفسطاط مدينة مصر ، والجمع فساطيط . **ينظر** : لسان العرب (ظعن) و(فسطط).

(٢) ذكر ذلك كله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٧ – ٣٠٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٩) ، ومسلم رقم (٨٩٩) ، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤٠) ، والترمذي رقم (٣٢٥٧) ، وابن ماجه رقم (٣٨٩١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٨٦٥).

﴿(٢٨) وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩)﴾

﴿إن﴾ نافية أي : فيما ما مكناكم فيه ، وأنكر الزمخشري[١] التمثيل بما الثانية ؛ لأنه يستقبح إعادة اللفظ الواحد إلا لضرورة ، وكان الأحسن أن يقول : فيما لم نمكن ، ويدل عليه أنهم جعلوا " مهما " : " مه " دخلت عليها " ما " فكرهوا أن يقولوا " ماما " فقالوا : مهما وقد جعلت ﴿ إن﴾ صلة زائدة مثلها فيما أنشده الأخفش [من الوافر] :

يرجِّي المرءُ ما إن لا يراهُ وتعرضُ دون أدناهُ الخطوبُ[٢]

وتأويله : إنا مكناكم فيما إن مكناكم فيه ، ومعنى الأول أظهر ، ومثله قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[٣] (٢٦١/أ) ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من الغنى ، وانتصب قوله: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ﴾ بقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ ودخلت ﴿إِذْ ﴾ وفيها التعليل ؛ كما تقول: ضربت زيدًا لإساءته ، وضربته إذ أساء ؛ فإن التعليل يفهم من اللفظين . ﴿مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ والمراد أهل القرى ؛ لقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ﴾. القربان : ما تقرب به إلى الله ، أي : اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله وأحد مفعولي ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ الهاء المضمرة تقديره : اتخذوه . والثاني: ﴿ءَالِهَةً ﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ حال ، والمعنى : فهلا منعتهم آلهتهم التي اتخذوها شفعاء من الهلاك ﴿ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ﴾ غابوا عن نصرتهم في الموقف .

و﴿وَذَٰلِكَ﴾إشارة إلى منع نصرة آلهتهم لهم ، والإفْكُ والأَفَكُ ؛ كالحِذْرُ والحَذَرُ، وقد قرئ بهما[٤].﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾أملناهم إليك . والنفر: دون العشرة . ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾

---

(١) الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) .

(٢) **ينظر البيت في** : خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٥٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٤٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٩) .

(٤) قرأ " أفكهم " بفتح الهمزة ابن عباس . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٦٤) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٨) .

الضمير للقرآن ، أي : فلما كان بمسمع منهم ، أو لرسول الله . ﴿قَالُوٓاْ﴾ قال بعضهم لبعض : ﴿أَنصِتُواْ﴾ اسكتوا . وروي أنه لما بعث النبي ﷺ ازداد الرمي بالشهب وحرس السماء بها ، فقالت الجن: إنما هذا لأمر حدث في الأرض فبعثوا تسعة . وقيل : سبعة من أشرافهم فوافوا النبي ﷺ وهو في بطن نخلة في صلاة الفجر، أو في صلاة الليل ، فاستمعوا لقراءته ، وذلك حين توجه إلى جهة ثقيف يستنصرهم ، فلم يجيبوه وأغروا به السفهاء والصبيان(١) . وعن سعيد بن جبير أنه قال : " لم يقرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ؛ ولكن مروا به وهو يصلي ولا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم "(٢).

وروي أن النبي ﷺ ليلة الجن قال لأصحابه : " إني أمرت أن أتلو على الجن القرآن فمن يجيء معي ؟ فلم يقل أحد أنا ، فقال ابن مسعود : أنا يا رسول الله. فخرجنا حتى أتينا وادي الحجون ، فخط لي خطًا ، فقال : اجلس ها هنا ولا تخرج ، ثم ذهب عني حتى غاب عن عيني ، وجاء الجن كقطع السحاب فقرأ عليهم سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾فلما قضى جاءني رسول الله ﷺ وتفرق الجن ذاهبين كقطع السحاب "(٣).

﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾

قيل : كان جملتهم اثني عشر ألفًا ، وإنما قالوا : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ولم يذكروا عيسى ؛ لأن أولئك الجن كان يهودًا لا يصدقون بعيسى ، واختلف في الجن ؛ هل لهم ثواب على الطاعة أم لا ؟ فقيل : لا ثواب (٢٦١/ ب) لهم ، وإنما يجارون من العذاب ؛ لقوله ههنا.

﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ والصحيح أنهم يثابون . ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ في محل الرفع خبر أن ،

---

(١) روى نحوه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٠٣) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور(٨/ ٢٩٧) لابن المنذر .

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٣٢٣) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٤٦) ، والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٠٢) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال الترمذي : حسن صحيح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٣٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٧) .

ودخلت الباء ؛ لأن الكلام مصدر بالنفي ؛ قال الزجاج[(١)] : ما علمت أن زيدًا بحاضر جائز. يقال : عييت بالأمر: إذا لم يعرف وجهه ، ومشيت حتى أعييت ؛ من الإعياء وهو التعب . ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي : فيقال لهم ذلك ، وهذا المضمر هو ناصب الظرف .

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أولو الجد والثبات ، و﴿مِنَ﴾ يجوز أن تكون للتبعيض ، ويراد بـ ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ بعض الأنبياء . وقيل : إن " من " لبيان الجنس ، أي : فاصبر كما صبر أولو العزم الذين هم رسل . ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ لكفار قريش بالعذاب وأنهم يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا حتى يجعلوها ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

﴿بَلَٰغٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا بلاغ ، فلن يهلك إلا الخارجون عن العمل بالواجب .

* * *

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٧) وعبارته : " لو قلت : " ما ظننت أن زيدا بقائم " جاز .

تفسير سورة محمد ﷺ [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

﴿وَصَدُّواْ﴾ وأعرضوا ، وامتنعوا عن الدخول في الإسلام ، أو : صدوا غيرهم عنه ؛ قال ابن عباس : هم المطعمون يوم بدر(١). وقيل : هي عامة في كل من كفر وصد . ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أبطلها ، تقول : ضل الماء في اللبن ؛ إذا لم يبق له طعم . وقيل : أبطل ما مكرو به للنبي ﷺ . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قيل : هم ناس من الأنصار . وقيل : هم مؤمنو أهل الكتاب. ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ خص الإيمان بما نزل مع أن ما يجب الإيمان به كثير؛ لينبه بذلك على فضيلة هذا الوصف ، وأن الإيمان لا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة المعترضة وهي قوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. وقيل : ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي : الثابت فإنها شريعة لا تنسخ ، وغيرها من الشرائع نسخ بها . ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي : حالهم وشأنهم بالتوفيق . ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي : إبطال أعمال الكفار وإثابة المؤمنين بسبب ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ، وما بعده خبره ويجوز أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : الأمر كما ذكر ؛ فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ، ومرفوعًا على الأول ، والضمير في

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٤) ، وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٦) عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله -عز وجل- : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال : منهم أهل مكة، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال : هم الأنصار ، قال : ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال : أمرهم " . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين ، ومعنى ضرب الأمثال : أن جعل الكفار بكفرهم (٢٦٢/ أ) كالذين تبعوا الباطل ، والمؤمنين كالذين تبعوا الحق ، وأن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار ، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين .﴿ لَقِيتُمُ ﴾من اللقاء وهو الحرب . ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر محذوف الفعل بمعنى الأمر ، وضرب الرقاب كناية عن القتل ولو وقع بغير ضرب العنق كما قلنا : بما كسبت يداك ، ولو كسب بكونه حارس بستان قيل : بما كسبت يداه . ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم القتل فيهم ، مأخوذ من الشيء الثخين ، ومنه :﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[1] أي: يكثر القتلى فيها ، و﴿الْوَثَاقَ﴾بالفتح والكسر: اسم ما يوثق به . ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾فأسروهم ﴿مَنًّا﴾و﴿فِدَاءً﴾ المصدران فعلاهما مضمران ، ويعني الخيار بعد أسرهم من القتل والمن ، وعند أبي حنيفة يتخير الإمام بين القتل والاسترقاق ، ولا من عنده ولا فداء ، ويقول : كان المن والفداء في ابتداء الإسلام ، وضعف المسلمين ؛ وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام . وعند الشافعي: يتخير الإمام بين أمور أربعة : القتل والاسترقاق والمن والفداء، وهو ظاهر القرآن ، وقد منَّ رسول الله ﷺ على أبي عروة ، فادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي[2].

وأوزار الحرب : آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها . فإن قلتَ : بم تعلق " حتى " ؟

قلتُ : المعنى عند الشافعي : أن لا يزال التخيير بين أمور أربعة ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾. وقيل : حتى ينزل عيسى عليه السلام . وعند أبي حنيفة : المعنى : إذا علق بالضرب والشد : أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الأوزار، وإذا علق بالمن والفداء ، فالمعنى : أنه يمن عليهم ويفادي حتى تضع الحرب أوزارها[3].﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمر ذلك ، أو افعلوا ذلك .﴿لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي : لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك ﴿وَلَٰكِن﴾أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَا﴾ المؤمنين بالكافرين . وعن قتادة : نزلت في يوم أحد .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٦٧).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٨ ، ١٣٩) ، بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٩ ، ١٢٠) ، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٧١).

(٣) ينظر : المهذب للشيرازي (٢/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، الأم للإمام الشافعي (٤/ ٢٨٦).

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ
يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ بينها وأعلمها . وقيل : إن الملك كاتب الأعمال يمشي بين يدي المؤمن ، ويريه جميع ما وعده الله وأنجزه له . وقيل : ﴿عَرَّفَهَا﴾ طيبها ، والعَرفُ : الطيب .

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ إن تنصروا دين الله ورسوله : ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب على محجة الإسلام . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحمل الرفع على الابتداء ، والنصب بما يفسره . ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ (٢٦٢/ ب) كأنه قال : تعس الذين كفروا وعطف قوله : ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على الفعل الذي نصب ﴿فَتَعْسًا﴾ لأن المعنى : فقال تعسًا لهم ، أو : فقضى تعسًا لهم ، وتعسًا لهم نقيض لَعًا لهم ؛ قال [من البسيط] :

فالتعسُ أوْلَى بها منْ أنْ أقولَ لعَا(١)

يريد : فالعثور أقرب لها من الانتعاش والثبوت . وقيل : في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردي في النار .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ
لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : بذات لوث عفرناة إذا عثرت .... ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٨) ، ديوان الأعشى (ص : ١٠٥) ، العين للخليل (٨/ ٢٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٢) ، لسان العرب (تعس) قال ابن منظور في لسان العرب : " ويدعو الرجل على بعيره الجواد إذا عثر فيقول تعسا ، فإذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له: لعا . ومعناه : أنه ينكر من مثلها في سمنها وقوتها العثار فإذا عثرت قيل لها: تعسا . ومعنى ذلك أنها لا تعثر لقوتها فلو عثرت لقلت: تعست . ولم يقل لها: تعسك الله. ولكن يدعو عليها بأن يكبها الله لمنخريها، والتعس أيضا الهلاك " . وذات لوث عفرناة : ناقة ذات لحم وسمن قوية .

مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التكليف والامتناع من الشهوات والملاذ . دمره : أهلكه ، ودمر عليه : أفسد عليه ما يختص به من نفسه وولده وماله .

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمثال تلك العاقبة أو الهلكة أو السنة ؛ كقوله تعالى : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [1] ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وليهم وناصرهم .

روي أن الكفار نادوا يوم أحد : علا هبل ؛ فأجابهم المسلمون : الله أعلى وأجل ؛ فقال المشركون : لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم [2] وقوله تعالى : ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [3] هل فيه مناقضة لهذا ؟ قلت : لا تناقض بينهما ؛ لأن الله تعالى مولى جميع العالم ، وأنه خالقه ومدبره ، وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة . ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا زمنًا قليلا . ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح . ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام . وأراد بالقرية أهلها ولهذا قال : ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ .

ومعنى ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ كانوا سبب إخراجك . فإن قلتَ : كيف قال : فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى ؟ قلتُ : أجري مجرى الحال المحكية ؛ كأنه قال : أهلكناهم فهم لا ينصرون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾ هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي : على حجة وبرهان ، وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات، وهو رسول الله ﷺ والمعنى : لا يستوي من اتبع الحجة الصحيحة ومن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنًا . ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة العظيمة الشأن ، وهو مبتدأ وخبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾ وقوله : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ داخل في حكم الصلة ؛ كالتكرير لها ؛ لأنك لو قلت : مثل الجنة التي فيها أنهار لكان صحيحًا . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أي : هي فيها أنهار ؛ كأن (٢٦٣/أ) قائلاً قال : وما مثلها ؟ فقيل : فيها أنهار ، وأن يكون في موضع الحال ؛ أي : مستقرة فيها

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٠٥) و (٢٦/ ٤٤) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٦٢) .

أنهار ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا بالحموضة ﴿لَّذَّةٍ﴾ تأنيث لذ، وهو اللذيذ أو وصف بالمصدر.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾

كان المشركون والمنافقون يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ولا يجعلون إصغاءهم إلى ما يقول فكانوا يسألون أهل العلم عما قال النبي ﷺ ﴿ءَانِفًا﴾ يعني: ماذا قال الآن. قال الزجاج: هو من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأته؛ كأنهم قالوا لأولي العلم: أخبرونا عما قال محمد ابتداء[1].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أعانهم عليها، أو آتاهم جزاء تقواهم. وعن السدي: بين لهم ما يتقون[2]. وفاعل ﴿زَادَهُمْ﴾ هو قول الرسول ﷺ أو الاستهزاء من المنافقين. ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة. قوله عز وجل ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿فَأَنَّىٰ﴾ أي: من أين لهم التذكر، وبعد نزول الآيات لا ينفع التذكر. الأشراط: العلامات، ومن أشراطها: بعثة محمد ﷺ وانشقاق القمر، والدخان. وعن الكلبي: كثرة المال، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام[3].

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٢٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٢٣).

لما بين حال المؤمنين والكافرين قال للنبي ﷺ : فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ولذنوب أمتك . ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدنيا ، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في القبور . وقيل : والله يعلم أحوالكم وتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الجنة والنار ، ومن كان موصوفًا بالعلم بجميع المعلومات حقيق بأن يتقى ويخاف عقابه ، وأن يستغفر ويسترحم . وقد قدم الله العلم في قوله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على الأعمال المذكورة بعد العلم ؛ قال : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الآية [١] وقال : ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [٢] قدم العلم وجعل العمل بعده . كان المؤمنون يتمنون الإذن لهم في القتال فلما أذن لهم جبن بعضهم عن الكفار، وقال بعضهم : ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [٣] وقال ها هنا: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ الآية ، فصارت أعينهم تدور دورانًا مثل دوران أعين الذي يغشى عليه من الموت . ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من لم يكن ثابت (٢٦٣/ ب) القدم في الإسلام .﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ بمعنى : ولي لهم ، وهي أفعل من الولي ، وهو القرب ، وهو دعاء عليهم بأن يليهم المكروه . ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾) كلام مستأنف ، أي : خير لهم . وقيل : هي حكاية قولهم ، أي : قالوا طاعة وقول معروف ، بمعنى : أمرنا طاعة وقول معروف . ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي : جد . والعزم والجد لأصحاب الأمر ، وإنما يسندان إلى الأمر إسنادًا مجازيًا ، وهو كقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [٤] ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد ، أو: فلو صدقوا في إيمانهم، وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم . ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب التفاتًا ومعنى هل عسيتم أن تفسدوا أي : هل يتوقع منكم الإفساد ، والله عالم بما كان وما يكون فمعناه : فهل يرتجى منكم إذا علم باطن أحوالكم ورخاوة عقيدتكم أن يكون هؤلاء حقيقيون بذلك . ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ حرصًا على الدنيا وعلى الملك . وقيل : إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور وقطع الأرحام بمقاتلة بعضكم بعضًا ووأد البنات .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٤١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٧٧) .

(٤) سورة لقمان ، الآية (١٧) .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام ، ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين المخلصين ، وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم ؛﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ، رأيت المنافقين فيما بينهم يتضجرون منها .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي : لا يتصفحون معانيه ، ووعيده للعصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ، ثم قال : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أم بمعنى بل ، وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر . وعن قتادة في قوله : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ لو تدبروه لوجدوا فيه شفاء لما في صدورهم[1] .

فإن قلتَ : لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها ؟ قلتُ : أما تنكير القلوب فلأحد وجهين : أحدهما : تعظيم أمر الغشاوة التي استولت على قلوبهم . أو : على قلوبٍ وأي قلوبٍ!! وأما إضافة الأقفال إليها فإنه يريد الأقفال المختصة بها ، وهي أقفال الكفر.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ خبر إنَّ ، أي : سهل لهم ركوب العظائم ، وهو من السول الذي هو استرخاء الإراقة ؛ قاله بعض الناس ، وأنكره الزمخشري (٢٦٤/أ) وقال: وهو لا يوافق قواعد التصريف[2] .﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ وأمد لهم ؛ من الإمداد ، وهم اليهود ؛ كفروا بمحمدٍ عليه السلام بعد تبيُّنِ صحة نبوته ونعته في التوراة ، وقيل : هم المنافقون .

وقوله :﴿قَالُواْ﴾ يريد اليهود ، والذين ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ المنافقون . وقيل : هو قول المنافقين لقريظة والنضير: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾الآيات[3]. وقيل : ﴿بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ التكذيب برسول الله ﷺ أو بـ " لا إله إلا الله " أو بترك القتال معه . وقيل : هو قول أحد الفريقين للمشركين : سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله ﷺ أو على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٥٧) .

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٦) وعبارته : " وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا " .

(٣) سورة الحشر ، الآية (١١) .

القعود عن الجهاد معه، ومعنى ﴿فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: بعض ما تأمرون به ، أو : الأمر الذي يهمكم . ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قالوا ذلك سرًا فيما بينهم ، فأفشاه الله عليهم ؛ فكيف يعملون ؟!

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

وعن ابن عباس : " لا يتوفى أحد على معصية الله إلا تضربه الملائكة في وجهه ودبره "[1] .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف . ﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من كتمان بعث رسول الله ﷺ و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾ الإيمان برسوله . ﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم ، وإخراجها : إبرازها لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وإظهارهم على العداوة ، وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم .

﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لعرفناك بهم ، ودللناك عليهم لا يخفون عليك . ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلامتهم، وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها . وعن أنس : " ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين ؛ كان يعرفهم بسيماهم ، ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكون الناس ، فباتوا ذات ليلة فأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوبٌ هذا منافق "[2] . فإن قيل : أيُّ فرق بين اللامين في " فلعرفتهم " و" لتعرفنهم " ؟

قلتُ : الأولى هي الداخلة في جواب ﴿وَلَوْ﴾ التي في ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ كررت في المعطوف ، وأما اللام في ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف . ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ في نحوه ، وعن ابن عباس : هو قولهم : ما لنا إن أطعنا من الثواب ؟ ولا يقولون : ما علينا إن

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٧) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٧) .

عصينا من العقاب ؟ [١]. وقيل : اللحن : أن تلحن بكلامك : أن تميله إلى نحو من الأنحاء ؛ كالتورية . ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يحكى عنكم ؛ إن حسنًا (٢٦٤/ ب) فحسن وإن قبيحًا فقبيح . ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي عملوها في دينهم فرجعت بلا ثواب ؛ لأنها مع الكفر باطلة ، وهم قريظة والنضير ، أو : وسيحبط أعمالهم ؛ أي : مكائدهم التي كادوها برسول الله ﷺ أي : سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم ، ولا تثمر إلا القتل والجلاء عن أوطانهم . وقيل : هم رؤساء قريش المطعمون يوم بدر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)﴾

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي : بالرياء والسمعة . وقيل : بالشك والنفاق . ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قيل : هم أصحاب القليب ، والظاهر العموم . ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي : لا تضعفوا ولا تدعوا إلى السلم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي : ناصركم . و﴿وَتَدْعُوا﴾ مجزوم ؛ لأنه في حكم النهي ، أو منصوب بإضمار "أن" .

تقول : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو غيره وحقيقته : أفردته من قريبه أو ماله وفي الحديث : "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله "[٢] أي : أفرد عنها . ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يطلبها جميعها إنما يجب فيها مقدار ربع العشر.

﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أي : يجهدكم ، والإحفاء : المبالغة في كل شيء ؛ يقال : أحفاه في المسألة: إذا بالغ في الطلب وكرره . ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ وكرهتم دينًا يخرج أموالكم عنكم،

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥٢٨/٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٥٢) ، ومسلم رقم (١٤١٦) قال النووي في شرح مسلم : " ومعناه : انتُزع من أهله وماله ، على البناء للمجهول ، وهو تفسير مالك بن أنس " .

والضمير في " يُخرج " لله ، أو للبخل لأنه سبب الأضغان . ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول بمعنى الذين ، صلته ﴿تُدْعَوْنَ﴾ فكأنه قيل : هذا وصفكم ؛ فقيل : وما وصفنا ؟ فقال : تدعون . قيل : هي النفقة في الغزو . وقيل : الزكاة . ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ الذي لا يفتقر والحاجات كلها ترجع إليه . ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ المحتاجون .

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ معطوف على ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قومًا على خلاف صفتكم . قيل : هم الملائكة . وقيل : الأنصار . وقيل : العجم .

وقيل : فارس والروم . وسئل رسول الله ﷺ عن القوم ، وكان سلمان إلى جانبه ، فقال : " هذا وقومه ، وضرب على فخذ سلمان " [1].

* * *

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٦٠) وصححه الشيخ الألباني بمتابعاته في السلسلة الصحيحة رقم (١٠١٧) .

تفسير سورة الفتح [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع النبي ﷺ من مكة عام الحديبية (٢٦٥/أ) عدة له بالفتح وجيء بها بالفعل الماضي على عادته سبحانه في أخبار الآخرة ؛ كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾[(١)] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾[(٢)] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾[(٣)] وجعل فتح مكة علة للمغفرة ولما انضم إليه ، وهو إتمام النعمة عليه وهدايته والنصر على الأعداء ، ويجوز أن يكون فتح مكة -من جهة كونه جهادًا- سببًا للثواب والغفران ، والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحًا بحرب وغير حرب . وقيل : فتح الحديبية ؛ ولم يكن فيها قتال شديد ، ولكن تراموا بسهام وحجارة . وعن ابن عباس : رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم[(٤)]. وقيل: ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح . فإن قلتَ : كيف يكون صلحًا وقد أحصروا حتى نحروا الهدي بالحديبية وهي من الحل ؟ قلتُ : كان ذلك قبل الهدنة ، فلما تم الصلح وثبت كان فتحًا مبينًا . وقيل : قال رجل عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية : ما هذا بفتح ؛ لقد أحصرنا وصُدَّ هَدْيُنا فقال النبي ﷺ: " ليس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ؛ قنع المشركون أن يدفعوكم بالراحات ، وسألوكم القضية ، ورغبوا إليكم في الأمان ، ورأوا منكم ما يكرهون "[(٥)].

قال الشعبي : بويع له بيعة الرضوان ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس ، وبلغ الهدي محله ، وأطعموا نخل خيبر، ونزحت بئر الحديبية فمضمض النبي ﷺ ومج فيها فجاشت بالماء حتى أروت كل من نزل بالحديبية[(٦)].

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الفجر ، الآية (٢٢) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٢) .

(٥) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٣٠٥) للبيهقي في دلائل النبوة .

(٦) رواه البخاري رقم (٣٣١٢) ، وأحمد في المسند رقم (١٧٨٢٨) .

وقيل : إنها لم تنزح من ذلك الوقت إلى اليوم . وقيل : فتح الروم . وقيل : فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة والسيف ، ولا فتح أبين منه . وقيل : قضينا لك قضاء بينا ، على أن تدخل مكة أنت وأصحابك من قابل ؛ لتطوفوا بالبيت ، من الفتاحة ، وهي الحكومة .

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ يريد : جميع ما فرط . وقيل : ما تقدم في الجاهلية وما بعدها . وقيل: ما تقدم من حديث مارية . ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من امرأة زيد [١].

﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ فيه عز . وقيل : وصفه بصفة المنصور، أو عزيزًا صاحبه .

﴿السَّكِينَةَ﴾ السكون ، أي : ما جاء به النبي ﷺ من الشرائع . ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ بالشرائع مقرونًا بإيمانهم وهو التوحيد . وعن ابن عباس : أول ما أوجب الله التوحيد ، ثم بعد ذلك أنزل الصلاة والزكاة والحج ثم الجهاد ؛ فازدادوا (٢٦٥/ ب) إيمانًا إلى إيمانهم [٢]. أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله . وقيل : أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم . ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يسلط بعضها على بعض ، وكان من قضايا حكمته إنزال السكينة في قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح عليهم بلادًا كثيرة ، وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ، ويعذب الكافرين والمنافقين بما غاظهم من ذلك وكرهوا .

يقال في الأفعال الصالحة: فعل صدق . وفي الأفعال الفاسدة: فعل سوء .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٣) . قلت: لمجرد وقوعها في قلبه ﷺ لا أكثر. والله تعالى أعلم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٧٢) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥١٤) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس- رضي الله عنهما .

﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ يعود وبال مكرهم عليهم والسُّوءُ والسَّوْءُ ؛ كالضُّعف والضَّعْفِ، والكُرْهِ والكَرْه ؛ إلا أن المفتوح استعمل فيما يراد ذمه من كل شيء ، وأما المضموم فجار مجرى الشر نقيض الخير. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ تشهد على أمتك ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ﴾ الضمير للناس. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ بالنصرة ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح ، والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله : تعزير دينه ورسوله ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد .

وقرئ: (لتؤمنوا ، وتعزروا ، وتوقروا) (١) بالتاء لله . وقيل : لرسول الله ولأمته .

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ قيل : صلاة الفجر والعصر .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾﴾

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ لما قال : إنما يبايعون زاد ذلك المجاز توكيدًا بقوله : يد الله فوق أيديهم ، والمعنى : إن تقرير العهد مع رسول الله ﷺ كتقريره مع الله ؛ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (٢). ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ لا يعود وبال نكثه إلا عليه ، قال جابر : بايعنا رسول الله ﷺ على الموت ، وألا نفرّ ، فما نكث إلا الجدُّ بين قيس ، وكان منافقًا ؛ اختبأ تحت إبط بعيره (٣).

---

(١) قرأ بذلك ابن كثير وأبو عمرو وقرأ الباقون " ليؤمنوا ، ويعزروه ، ويوقروه " بالياء . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٩١) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢٩)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٧١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٢) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٣) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٥) وما ثبت عند مسلم وغيره خلاف هذا فقد روى مسلم في صحيحه رقم (٣٤٤٩) عن جابر قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ =

يقال وفيت وأوفيت ثلاثيا ورباعيا .﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن السفر عام الحديبية وهم : أشجع ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأسلم ؛ لأن النبي ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية استفزَّ الأعراب من أهل المدينة وأهل البوادي ؛ حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه ، وأحرم رسول الله ﷺ وساق معه الهدي ليعلم أنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء (٢٦٦/أ) معتمرًا ؛ فتأخر كثير من الأعراب ، وقالوا : نذهب إلى قوم غزونا في بلادنا وظهروا علينا ، وظنوا أنه لا ينقلب إلى المدينة ، وأن العدو يستأصلهم ، واعتلوا بالشغل بأهليهم ، وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم ؛ فكذبهم الله في الاعتذار بالأشغال ، وإنما كان سبب التخلف النفاق ، وكذلك طلبهم الاستغفار ليس بصادر عن حقيقة . ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي : فمن يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم ما يضركم أو ما ينفعكم من قتل أو هزيمة أو نصر أو غنيمة ، والأهلون : جمع أهل ، وجاء في جمعه : أهلات ؛ كأرض وأرضات ، وأما أهال فاسم جمع كـ " ليال " . والبور: من بار؛ كالهُلك من هلك ، وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ويجوز أن يكون جمع بائر ؛ كعائذ وعوذ، والمعنى : وكنتم قومًا فاسدين الأحوال والعقائد . وقيل : وكنتم هلكى في حكم الله . ونكر ﴿سَعِيرًا﴾ تعظيمًا لشأنها ؛ كما نكر ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ (١) .

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

= بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال : بايعناه على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت " . وروي أيضا في صحيحه بعد هذا الحديث عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يُسأل: كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال : كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره " .

(١) سورة الليل ، الآية (١٤) .

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن التوجه إلى الحديبية . ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ أي : غنائم خيبر . ﴿أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ موعد الله لأهل الحديبية ؛ لأنه قدر أن غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة . ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ، وكرر﴿ بَلْ﴾ لأن الأول إضراب عن أن حكم الله ألا يتبعوهم ، وإثبات للحسد ، والثانية إشعار بأن المؤمنين هم الذين ادعوا حرمانهم ، والباعث عليه الجهل . ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ عن الحديبية : ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وهم مرتدون ؛ لأن الكفار الموصوفين بالوصف الآتي هم المرتدون ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، وهذا دليل على صحة إمامة أبي بكر ؛ لأن الله أخبر أنهم سيدعون إلى قتال هؤلاء القوم وأخبر أنهم يدعون إلى القتال ، وأخبر أن الداعي تجب إجابته ، ولم يكن مثل ذلك إلا وقعة بني حنيفة . وقيل : المراد فارس والروم ، وعند أبي حنيفة : تقبل الجزية من مشركي العجم[1]. ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ وليست بمعنى : إلى أن . ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عن التوجه إلى الحديبية .

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية نفى الحرج عن هؤلاء المتخلفين من أرباب الأعذار.

﴿يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (٢٦٦/ ب) بهذه الآية سميت بيعة الرضوان ، وذلك أن النبي ﷺ لما نزل بالحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به ، فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال : إني أخافهم على نفسي ، ولكن أدلك على شخص هو أكرم بها مني ؛ عثمان بن عفان ؛ فبعثه إليهم فأخبرهم أن رسول الله ﷺ لم يأت بحرب ، وإنما جاء زائرًا ومعظمًا لهذا البيت ، فوقروه وقالوا : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأطوف به قبل رسول الله ﷺ واحتبس عندهم ، فأرجف

(١) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٨ ، ١١٩) ، بداية المبتدي للمرغيناني (١ / ١٢١) ، تحفة الملوك في فقه الإمام أبي حنيفة لمحمد بن أبي بكر الرازي (١/ ١٨٨) .

بأنهم قتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة ، وكانت سمرة ، فقال رسول الله ﷺ : " أنتم اليوم خير أهل الأرض. وكان عدد المبايعين ألفًا وأربعمائة "(١). وقيل : ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . وقيل : ألفًا وثلاثمائة .

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص فيما بايعوا . ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي : الطمأنينة بسبب الصلح على قلوبهم . ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو مال خيبر. وعن الحسن : هو فتح هجر ، وهو أجل فتح اتسعوا بثمره(٢). ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي خيبر ، وكانت أرضًا ذات عقار وأموال فقسمها بينهم ، ثم أتاه عثمان بالصلح فلما تمَّ الصلح نحر بالحديبية وحلق .

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وهو ما بقي على المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أي : خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي : أهل مكة وخيبر وحلفاءهم من غطفان وأسد حين جاءوا لنصرتهم ، فكف الله أيديهم عن المؤمنين . ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل : رأى رسول الله ﷺ فتح مكة في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة ، فجعل فتح خيبر علامة لفتح مكة(٣). ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا﴾ يزيدكم بصيرة . ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ هي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال : ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ لأن هوازن كانوا قومًا رماة فرموا المسلمين بالسهام فانهزموا ، ثم ناداهم النبي ﷺ فتراجعوا ونصرهم الله . ﴿أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قدر عليها (٢٦٧/ أ) ويجوز أن يكون في ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ضمير يفسره ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ وأما ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ فصفة لـ ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ويجوز فيها الرفع على الابتداء ؛ لكونها موصوفة ، و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ خبر للمبتدأ ، أو الجر بإضمار " رب " و﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ جملة معترضة ، أي : وفعل ذلك لتكون آية، ويجوز أن يكون وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة ، وكف الأعداء ، أي : لينفعكم بها ، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا الإخبار بها صادقًا .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٣٩) ، ومسلم رقم (٣٤٥٣) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٠) .

(٣) نسبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري باب : رؤيا الصالحين ، للفريابي وعبد بن حميد والطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) ﴾

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا لهزمهم الله .

﴿لِسُنَّةِ ٱللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكد ، أي : سن غلبة أنبيائه . ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ أيدي أهل مكة ، وروي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة ، فبعث رسول الله ﷺ من هزمه[١] . وعن ابن عباس : أظهر الله المسلمين عليهم فرموهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت[٢] . وقرئ ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ بالنصب عطفًا على المفعول ؛ أي : صدوكم وصدوا الهديَ وبالجر[٣] عطفًا على ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ . ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ﴾ أي : محبوسا عن أن يبلغ محله . ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ يعود على الرجال والنساء ؛ فغلب المذكر ، و﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بدل اشتمال منهم ، أو من المضمر المنصوب في " تعلموهم " والوطء : الأخذ بقوة . والمعرة : مفعلة بمعنى عرّاه، إذا وهّاه . ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ وقال رسول الله ﷺ :

" آخر وطئة وطئها الله بوج "[٤] يعني : آخر وقعة أوقعها الله بالكفار بـ " وج " .

و" وج " : واد بناحية الطائف[٥] .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٩٥) ، و نسبه له الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣١٢) ، وكذا نسبه له السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٣٣) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٢) .

(٣) قرأ جمهور القراء بفتح الياء " والهديَ " وروي الجر عن أبي عمرو . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٩٨) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٣) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٧) .

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٠٤).

(٥) **وج :** هو الطائف وأراد بالوطأة الغزاة ها هنا وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ . وقيل : سميت وجا بوج بن عبد الحق من العمالقة ، وهو أخو أجا الذي سمي به جبل طيء وهو من الأمم الخالية وقيل : من خزاعة ، وكانت الطائف تسمى قبل ذلك وجا .
ينظر : معجم البلدان (٤/ ٩) و (٥/ ٣٦١) .

وروي أن النبي ﷺ حرم صيده[١]. وحذف جواب ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ كالتكرير لقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ ويكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ الجواب. فإن قيل: أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون؟ قلتُ: تصيبهم الدية والكفارة وسوء قالة المشركين: أن هؤلاء أوقعوا بأهل دينهم؛ إذا جرى منهم بعض التقصير! و﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تفرقوا.

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

روي أن قريشًا بعثت سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك ويعود في العام الذي يليه، ولا يكون معه شيء من آلة الحرب، وكتبوا بينهم كتابًا، فقال عليه السلام لعلي: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: ما نعرف هذا؛ ولكن اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب (٢٦٧/ ب) هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب محمد ابن عبد الله، فقال لعلي " اكتب ما يريدون؛ فإني أشهد أني رسول الله وأني محمد بن عبد الله. فهم المسلمون بأن يأبوا ذلك، فأنزل الله على رسوله السكينة وعلى قلوب المؤمنين"[٢]. ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ لما جبلوا عليه من الخير، واشرأبت قلوبهم من تعظيم حرمات الله وطاعة رسوله. وعن الحسن: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الوفاء بالعهد[٣]. روي أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين محلقين ومقصرين؛ فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم يدخلونها في عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٦٥)، وأبو داود رقم (٢٠٣٢)، ولفظه " إن صيد وج وعضاهه حرام محرم لله " وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٨٧٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٨٢)، ومسلم (٥/ ١٧٥ - ١٧٦)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٨٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٤).

فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي، ورفاعة بن الحارث : والله ما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ؛ فنزلت[1]. وقوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: متلبسًا به ، وذلك ما فيه من التمييز بين المؤمنين والكافرين ، ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالاً منها ، ومعناه أنها لم تكن أضغاث أحلام ، ويجوز أن تكون باء القسم ، ويكون قوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ قسمًا ، إما بالحق الذي هو نقيض الباطل ، أو بالحق الذي هو من أسمائه . ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾جوابه ، وعلى الأول: هو جواب قسم محذوف . فإن قيل : ما وجه دخول المشيئة في أخباره سبحانه ، وهو عالم بما كان وما يكون ؟ قلنا : فيه وجوه : أن تعلقه بالمشيئة تعليمًا لعباده ، أو هو حكاية ما قاله رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم ، أو أن يريد لتدخلن جميعًا. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل .﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي : من دون فتح مكة . ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتح خيبر .

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ بدين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يريد : الأديان المختلفة . وقيل : عند نزول عيسى . وقيل: الإظهار بالحجج والآيات . ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ما وعد .

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ إما خبر مبتدأ محذوف ، وإما مبتدأ و﴿رَّسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان ، وقرئ: "رسولَ الله " بالنصب[2] على المدح . ﴿سُجَّدًا﴾ أي : من آثار ما يفعله السجود (٢٦٨/أ) في الجبهة . ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي : العجيب الشأن في الكتابين جميعًا ﴿كَزَرْعٍ﴾ يريد مثلهم كزرع . وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ثم ابتدأ : ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣١٦) للبيهقي في دلائل النبوة في باب قصة الحديبية.

(٢) تروى هذه القراءة عن ابن عامر . **تنظر** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٠١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٠) .

﴿ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة مبهمة أوضحها بقوله : ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ كقوله : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ الآية[١] .

﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ من المؤازرة وهي المعاونة ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظ ، وقرئ : "فأزره"[٢] ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قصبه . وقيل : في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ومن التكلف قول من زعم أن قوله : ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أبو بكر ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ عمر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ عثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ علي . ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ إلى آخرها : بقية الصحابة ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ لأنهم إذا سمعوا هذه الصفات والثناء على أصحاب النبي ﷺ وغيرهم من المؤمنين شق ذلك عليهم وغاظهم[٣] . ﴿مِنْهُم﴾ من الجنس لا التبعيض ؛ لأن المؤمنين كلهم قد آمنوا وعملوا الصالحات فكلهم موعود بالمغفرة والأجر العظيم .

* * *

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٦٦) .

(٢) في الأصل بفراخه ، وهو خطأ ولعله سبق قلم ، والمثبت كما في الكشاف ، وبقية مراجع القراءة ، وقرأ جمهور القراء " فآزره " بالمد ، وقرأ ابن ذكوان وأبو حيوة وحميد بن قيس " فأزره " بالقصر .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٠٣) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٣٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٠٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥).

(٣) روى القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٤٦٢) عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي بن أبي طالب ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزبير ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ أبو عبيدة بن الجراح ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أبو بكر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعمر ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يعني عثمان ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ علي بن أبي طالب .

تفسير سورة الحجرات [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾

يقال: قدَّمه وأقدمه ، وهما منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدَّمه إذا تقدَّمه ، ومنه قوله : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ [(١)] ونظيره نقلا ومعنى : سلَّفه وأسلفه .

ولم يذكر مفعولا لقوله : ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ إما ليراد عمومه في كل تقدم ، وإما أن لا يريد له مفعولا ؛ كقوله : ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[(٢)] ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم ؟ كوجَّه وبيَّن ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة ، ويعضده قراءة من قرأ: "تَقدَّموا" بحذف إحدى التاءين ، والأول أحسن ، وقرئ " تَقْدِموا "[(٣)] من القدوم؛ أي : لا تقدموا على أمر قبل قدومهما ، وحقيقة ذلك كقولك : جلست بين يديه : أن تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله فسميت الجهتان يدين ؛ لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعًا ؛ كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره ، ويسمى في علم البيان: التمثيل ، ولو قال : لا تكونوا كالذين تقدموا كان تشبيهًا ، وفيها فائدة جليلة ، وهي تصوير هجنة ما صنعوا ، والمعنى: لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما (٢٦٨/ ب) يحكم الله ورسوله به فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل عليه أو مقتدين بالرسول، عليه الصلاة والسلام ، ويجوز أن يكون كقوله [من الرجز] :

عجبتُ من نفسي وإشفاقِها[(٤)] .

---

(١) سورة هود ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٦) .

(٣) قرأ يعقوب من العشرة " لا تَقَدَّموا " ، وقرأ بقية العشرة " لا تُقدِّموا " وقرئ " لا تَقْدِموا " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٠٥) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٣٠٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة النمل .

وقولك : عجبت من زيد وكلامِه في قضية كذا ، وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ، وأن التقدم بين يدي رسول الله ﷺ تقدم بين يدي الله . وعن مسروق: دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه ؛ فقالت للجارية : اسقيه عسلا ، فقلت : إني صائم ، فقالت : قد نهى الله عن صوم هذا اليوم ، وفيه نزلت(١).

وروي أن ناسًا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحًا آخر(٢). وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله : يجوز إذا مضى قدر الصلاة(٣). وعن الحسن أيضًا: لما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة أتته الوفود من الآفاق وأكثروا عليه المسائل فنهوا أن يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ(٤). وعن قتادة: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون : لو أنزل في كذا وكذا لكان حسنًا ؛ فنهوا عن ذلك ؛ فنزلت الآية(٥). وقيل : هي عامة في كل قول وفعل إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله ﷺ فلا يتكلم فيها أحد قبل رسول الله ﷺ .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إذا اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾

وإن حدثتموه وهو ساكت فاجعلوا صوتكم كصوت المشاور ، وإن حدثكم وهو رافع صوته فلا تبلغوا برفع صوتكم رفع صوته ، بل لابد من مراعاة علو صوت النبي ﷺ وأعاد النداء عليهم استدعاء لتيقظهم ، وتكرير تنبيه على الأغنياء بما كلفوه من ذلك . وقيل : المعنى : لا تنادوه باسمه فتقولوا : يا محمد ، وخاطبوه بالنبوة فقولوا : يا أيها

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٥٠) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٤) : غريب .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١١٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٤٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن ﷺ . ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٥) لعبد الرزاق في تفسيره .

(٣) ينظر: الهداية شرح البداية (٤/ ٧٢) ، بدائع الصنائع للكاساني (٥/ ٦٢) ، المجموع للنووي (٨/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، الإقناع للشربيني (٢/ ٥٩١).

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٥) عن الحسن وقال : غريب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٤٦) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

الرسول، يا أيها النبي ، فلما نزلت قال أبو بكر : والله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله [١] وعن عمر مثل ذلك لا يسمعه النبي ﷺ حتى يستفهمه [٢] وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على النبي ﷺ وفد بعث إليهم من يعلمهم كيف يسلمون عليه[٣]. وليس المراد بالنهي عن رفع الصوت رفعه بالاستهانة والاستخفاف ؛ فإن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون ، وإنما المراد صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به (٢٦٩/ أ) العظماء ، ويوقر به الكبراء ، فيتكلف الغض منه ، وليس المراد أيضًا النهي عن الجهر عند حضور مصلحة ، وقد قال النبي ﷺ للعباس عمه : " اصرخ بالناس "[٤]. وكان العباس صيتًا يروى أنه صاح مرة فأسقطت الحوامل[٥]. وفيه يقول الشاعر [من المنسرح] :

زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إِذَا   أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بِالْغَنَمِ[٦]

والمراد نهيهم عما كانوا يعتادونه من رفع الأصوات . قيل : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، وكان في سمعه ثقل ، وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم النبي ﷺ رفع صوته[٧]. والحبوط : مأخوذ من قولهم : حبطت الإبل : إذا أكثرت من أكل الخضير فانتفخت أجوافها ، وربما هلكت .

وفي الحديث: " إن مما ينبت الربيع ما يقتُل حَبطًا أو يُلِم "[٨].

وقد دلت الآية على أمرين عظيمين : أحدهما : أن في أعمال المؤمنين ما يقتضي حبوط العمل الحسن ، وأنه ربما ظن أن الشيء حسن وهو عند الله يحبط ؛ فعليه أن يتوقي كمن يمر في طريق كثير الشوك ؛ فهو يتوقى إصابته .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٣) رقم (٧٥٦) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال : حصين واهٍ . وهو حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١١١) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٦٧) ، والترمذي رقم (٣١٨٩) .
(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٥٢) .
(٤) (٥) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٣٢٧) .
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الصافات .
(٧) رواه البخاري رقم (٣٣٤٤) ، ومسلم رقم (١٧٠) .
(٨) رواه البخاري رقم (١٣٧٢) ، ومسلم رقم (١٧٤٤) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ من قولك: امتحن فلان لأمر كذا ؛ فهو مضطلع به وغير وانٍ عنه ، والمعنى أنهم صبروا على التقوى وتحمل مشاقها ، أو وضع الامتحان موضع المعرفة ؛ لأن الامتحان سبب المعرفة واللام كالتي في قولك : أنت لهذا الأمر ، أي : كائن ، وقول الشاعر [من الرجز] :

أنتَ لها أحمدُ من بينِ البشرْ[(١)]

وهي مع معمولها منصوبة على الحال ، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى . وقيل : خلصها للتقوى ؛ من قولهم : امتحن الذهب إذا ألقاه ليذهب خبثه . قيل : نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر وغضهما أصواتهما حتى صارا كأخي السرار ، وفي تنكير المغفرة والأجر ما يدل على أنه لا يقدر قدره ، وتنبيه على شرف الشيخين رضي الله عنهما ، وارتضاء لما صنعاه من غض الصوت .

والوراء : الجهة التي يواريها شخصك ، سواء كانت من خلف ، أو من قدام ؛ فالنهي وقع عن مناداته وهو في الدار ؛ كما ينادي الأجلاف بعضهم بعضًا . والحجرة : القطعة من الأرض المحجوزة بحاجز، وحظيرة الإبل تسمى الحجرة ، وهي فعلة بمعنى مفعولة ، وجمع الحجرات يدل على أنهم تفرقوا حول حجر النبي ﷺ (٢٦٩/ ب) فهذا يناديه من حجرة ، وذاك يناديه من أخرى ، ويحتمل أنهم اجتمعوا فنادوه من حجرة ثم اجتمعوا فنادوه من أخرى ، ويجوز أن يكون جمع الحجرات إجلالا للنبي ﷺ والفعل يجوز أن يتولاه بعضهم ، وكان الباقون راضين ، فلذلك أضيف إلى جميعهم ؛ كقوله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾[(٢)] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ

---

(١) هذا صدر بيت للحرمازي ، أو لعبد الله بن الأعور بن قراد في مدح المنذر بن الجارود ، وعجزه :
.... داهية الدهر وصماء الغبر ، **ينظر في** : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله (٥٠٣/٥٦) ، الكشاف للزمخشري (١٩٢/٣) ، لسان العرب (غبر) ويروى : أنت لها منذر من بين البشر .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦١) .

يَٰمُوسَىٰ ﴾ (١) ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ (٢) وقد ذكر أن الذي ناداه عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ، والأقرع بن حابس التميمي .

قوله : ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ يجوز أن يكون المراد متظاهرة وهو خروج بعضهم عن أن ينسب إلى عدم العقل ، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل ؛ فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم .

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾

﴿أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾ في موضع رفع بالفاعلية ، أي : لو ثبت صبرهم . والصبر : حبس النفس عن أن تسارع إلى هواها . وقولهم : صبر عن كذا محذوف المفعول ، أي : صبر نفسه ؛ أي : حبسها ، وقال بعضهم: الصبر مر ، ولا يتجرعه إلا حر .

وقوله:﴿ إِلَيۡهِمۡ ﴾ يقتضي أنه لو خرج ولم يعلموا أنه خرج إليهم ألزمهم الصبر حتى يعلموا أنه خرج إليهم ، وفي ﴿لَكَانَ﴾ ضمير يعود إليه اسم كان ، أو يرجع الضمير إلى مصدر ﴿صَبَرُواْ﴾ لقولهم : من كذب كان شرًا له .

روي أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مُصَدِّقًا إلى بني المصطلق ، وكان بينه وبينهم شحناء فخرجوا يتلقونه وظن أنهم خرجوا لقتاله فرجع إلى النبي ﷺ وقال : منعوني الزكاة فجاءوا وقالوا : نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله ، فقال لهم : لئن لم تنتهوا لأبعثن عليكم رسولا يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ، فبعث خالد بن الوليد فوجدهم مطيعين لم يخطر ببالهم غدر بأحد ؛ فنزلت ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٣) ، وفي تنكير الفاسق والنبأ دليل على أنه أي فاسق جاء بأي نبأ كان ، فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشافه

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٧٧) .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٤ – ٤٠٧) وفي سنده معلى بن عبد الرحمن ؛ قال عنه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٧): يروي عن عبد الحميد بن جعفر المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

والفسوق: الخروج من الشيء ؛ يقال : فسقت الرطبة عن قشرها ، ومن مقلوبه : فقست البيضة ، إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ، ثم استعير لسلوك غير طريق الحق ، قال رؤبة [من الرجز] :

فواسقًا عن قصدِها جوائِرا [١]

﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ حال ؛ كقوله : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [٢] أي: جاهلين بحقيقة الأمر ولا يريد صبح النهار ؛ بل الصيرورة . والندم : ضرب (٢٧٠/أ) من الغم يتجدد كلما تجدد له ذكرٌ ندم عليه .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿لَوْ﴾ متعلقة بما قبلها ؛ حال من أحد الضميرين في ﴿فِيكُمْ﴾ وهو المستتر المرفوع ، أو البارز المجرور ، والمعنى : أن فيكم رسول الله لو أطاع كل قائل وعمل بقول كل مشير لوقعتم في العنت والمشقة ، وفيه دليل على أنه كانت تبدو منهم فرطات ، وكذلك في قصة الوليد صدر من بعض الصحابة أن يشير على النبي ﷺ بتصديق الوليد وتكذيب بني المصطلق . والعنت : المشقة ؛ يقال : عنت الرجل : إذا جبر عظمه المكسور فجاء العظم معوجًا ، وأنه يكسر العظم ليجبر مستقيما ، وذلك هو العنت ، وإنما قدم خبر ﴿أَنَّ﴾ لأن سياق هذا الكلام يقتضي إنكار فعله من داخل رسول الله ﷺ في الرأي ، فكان ذكرهم أهم . فإن قيل : لم قال : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل : لو أطاعكم ؟ قلتُ: لأن الفعل المضارع يدل على التكرر؛ كقولك : فلان يحمل الكَلَّ ويصل الرحم. ودخلت " لكن " مع أن شرطها مخالفة ما بعدها لما قبلها ؛ لأن هؤلاء صفتهم غير صفة الذين قبلهم [٣] . والكفر : تغطية نعم الله وسترها بالجحود ، والرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلُّب فيه من

---

(١) ينظر الرجز في : تفسير الطبري (١٥/ ٢٦١) قال ابن جرير : " يعني بالفواسق : الإبل المنعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد والميل عن الاستقامة " .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٢٥) .

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٢) .

الرشادة . و﴿فَضْلًا﴾ مفعول له ، أو مصدر من غير فعله وقوله :﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ الله تعالى فاعل النعم ، وإفضاله : إنعامه ، فصح إذن شرط المفعول من أجله ، وهو أن يكون فعل فاعل المعلل .

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

وروي أن رسول الله ﷺ ركب حمارًا ، ومر على ملأ من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي المنافق ، فبال حمار النبي ﷺ فغطى عبد الله بن أبي أنفه وقال : أخر حمارك عنا فقد آذانا نتنه؛ فقال عبد الله بن رواحة : حمار رسول الله ﷺ أفضل منك ، وبوله أطيب من مسكك؛ فتقاولا وجاء كل واحد منهما قومه من الأوس والخزرج ، فجاء النبي ﷺ فأصلح بينهم فنزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ [1].

والبغي: الاستطالة وإباء الصلح و﴿تَفِىٓءَ﴾ ترجع ، وإنما قال : ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ ولم يقل: اقتتلتا ؛ حملا على المعنى ؛ فإن الطائفتين في معنى الجماعتين ، وفي قتال أهل البغي تفاصيل مذكورة في كتب الفقه . أمر بالقسط على سبيل العموم ، وحكم بأن المسلم أخو المسلم ، فإذن أوجبت أخوة النسب النصرة والمصافاة ، فأخوة الدين أولى . وقيل : المراد بالأخوين الأوس والخزرج (٢٧٠/ ب) وهو بعيد . روي أن نساء النبي ﷺ [عيروا أم سلمة][2] بالقصر؛ فأنزل الله تعالى﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾الآية [3]. القوم : الرجال خاصة ؛ لأنهم القوام بأمر قبيلتهم وعشائرهم ، وقول زهير [من الوافر] :

[وما أدري وسوفَ إخالُ أدري] أقومٌ آلُ حصنٍ أمْ نساءُ [4]

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٩١) ، ومسلم رقم (١٧٩٩) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٢) ما بين المعقوفين بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧٠) .

(٤) ورد الشطر الأول في الأصل : فوالله ما أدري وإن كنتُ داريًا ، وهو بيت آخر من بحر الطويل كما في=

ودخول النساء في لفظ القوم في قوله : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [(١)] وقوله : ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [(٢)] فبطريق التبعية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

و(الغيبة) من الاغتياب ؛ كالغيلة من الاغتيال ، وهي ذكر السوء في الغيبة ، وسئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال : " أن تذكر أخاك بما يكره ؛ فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته " [(٣)] . ولما ذكر الله تعالى أن الغيبة بمنزلة أكل لحم أخيك . عقب ذلك بقوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي : فقد تحققت الكراهة وقد ركز في الطباع كراهية أكل لحم الميت ، أي : فاتركوا الغيبة كما تتركوا أكل لحم الميت .

وقوله : ﴿مَيْتًا﴾ إما حال من ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾ أو من الأخ ، وعدي ﴿كَرِهَ﴾بـ ﴿إِلَى﴾ في قوله : ﴿كَرِهَ﴾وبنفسه ها هنا لأن القياس تعديته بنفسه قبل التثقيل ؛ تقول : كرهت الشيء وكرهته غيري ، وأما تعديته بـ " إلى " فإجراء " كره " مجرى " بغض " والمبالغة في التواب ؛ لكثرة من يتوب الله عليه من عباده ، أو لأنه ما من ذنب إلا وهو مغفور بالتوبة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالندم على ما فرط وامتثال أوامره . روي أن سلمان كان يخدم رجلين ويسوي لهما طعامهما ، فغفل سلمان عن شأنه ؛ فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه إدامًا، فأتى أسامة - وكان على طعام رسول الله ﷺ فلم يجد عنده شيئًا ، فأتاهما

= لسان العرب (شعث) وعجزه : .... شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

وما أثبتناه هو صدر البيت المستشهد به هنا كما في المصادر التي خرجناه منها وهو من بحر الوافر .

ينظر في : غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٢٦) ، لسان العرب (قوم) .

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٠٥) .

(٢) سورة هود ، الآية (٦٠) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٤٦٩٠) ، والترمذي رقم (١٨٥٧) ولفظه فيهما : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول . قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " .

فأخبرهما بذلك، فقالا : لو بعثناه إلى بئر سُمَيْحَةَ[١] لغار ماؤها! ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم على أفواهكما ؟! فقالا: ما أكلنا لحمًا ! فقال لهما: إنكما اغتبتماه . فنزلت" [٢] . قوله : ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي : من آدم وحواء ، أي : كل إنسان من ذكر وأنثى . والشعب : أعلى البطون ؛ فإنه للقبيلة العظيمة ، ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ؛ فأعلاها الشعب ، وخزيمة شعب وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة ، ورتبهم هذا الترتيب ليتعارفوا لا ليتفاخروا بالأجداد ، ثم بين الخصلة التي يحصل بها الشرف والكرم عند الله فقال :﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (٢٧١/أ).

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

الإيمان : هو التصديق مع الثقة ، والإسلام : الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربًا للمسلمين . ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم .

وعن ابن عباس: أن نفرًا من بني أسد قدموا المدينة فأغلوا أسعارها وأفسدوا الطريق بالعذرات ، وهم يقولون لرسول الله ﷺ : قدمنا بالأثقال والعيال. يريدون الصدقة ، فنزلت ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [٣] . أي : على زعمكم .

---

(١) **سميحة** – بلفظ تصغير سمحة بالحاء المهملة – : موضع . وقيل : بئر بالمدينة . وقيل : بئر بناحية قديد وقيل : عين معروفة ، وقيل : سميحة : بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء .
ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٢٥٥) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧٤) ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٣٤٨) : غريب وبمعناه رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤١٢) رقم (٧٦٧) ، وابن كثير في تفسيره ونسبه للبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما .

تفسير سورة ق [مكية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ (٤) بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ (٥)﴾

جواب القسم كما في " ص ". و﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾ ذو الشرف على غيره من الكتب، ومن اتبع أوامر القرآن فقد مجد عند الله وهو بسبب من الله المجيد؛ فجاز اتصافه بصفته .

أنكر تعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يبعث الله رسولا إلى خلقه ويؤيده بالمعجزات، وإذا علم ذلك الرسول أن خطبًا شديدًا يدهمهم بإدراك إنذارهم وتحذيرهم فكيف بما هو أشد المحذورات وهو بعث الكفار معهم الكفر. والعجب تعجبهم من ذلك وهو خلقهم أول مرة وأنه خلق السماوات والأرض وهو أكبر من خلق الناس، ووضع الكافرون موضع المضمر للدلالة على أن إقدامهم على هذا التعجب كفر، ولفظة ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الرجعة و﴿أَءِذَا﴾ منصوب بمضمر تقديره: أنبعث إذا كنا ترابًا ؟ وقوله ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ إما من كلام الله، أو حكاية عنهم أنهم قالوه، وقرئ " إذا "[1] على الخبر، وهو أيضًا منكرٌ من كلامهم، والدليل على إنكاره: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ وقيل: إن الرجع بمعنى الرجوع؛ فيكون العامل في الظرف محذوفًا وهو الذي دل عليه المنذر. ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾ رد على استبعادهم الرجعة؛ لأن من اتسع علمه حتى علم ما تأكله الأرض من لحومهم وأجزائهم ولم يخف عليه أين تلك الأجزاء وكان قادرًا لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض قدر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ أي: محفوظ من الاختلاف والتغيير، أو من الشياطين، أو حافظ لما وضع فيه. ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ إضراب عن الإنكار الأول؛ لأن الثاني أشد من الأول وهو تكذيبهم الرسل المؤيدين بالمعجزات في أول وهلة، ولم يتدبروا ولم يتفكروا؛ بل كذبوا في أول

---

(١) قرأ بها ابن عامر في رواية عنه وأبو جعفر والأعمش والأعرج. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٨١) .

وهلة ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مختلف مضطرب يقولون تارة: شاعر. وأخرى: كاذب. وأخرى: كاهن. لا يصرون (٢٧١/ب) على شيء، وقرئ: "لِما جاءهم"[(١)] بكسر اللام، و﴿مَا﴾ على هذا مصدرية. وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ القرآن.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

وقيل: الإخبار بالبعث ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ آثار قدرة الله في خلق العالم؛ من السماء برفعها بغير عمدٍ، وترتيب كواكبها وما فيها من الملائكة والآيات. ﴿مِن فُرُوجٍ﴾ من فتوق، يعني: أنها ملساء سليمة من العيوب، ومن الأرض وبسطها وما ألقي فيها من الجبال والأنهار. ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لولاها لانكفأت.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ من كل صنف يبتهج من يراه ﴿مُّبَٰرَكًا﴾ كثير المنافع ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد. ﴿رِّزْقًا﴾ مصدر لأن الإنبات في معنى الرزق. وقيل: مفعول لـ " نزلنا " ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً﴾ ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً.

وقرئ: "باصقات"[(٢)] بالصاد لأجل القاف. ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ متراكم بعضه فوق بعض، أو متراكم ما فيه من الثمر. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من القبور بعد الموت، والكاف في موضع رفع على الابتداء. أراد بـ ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ قومه؛ كقوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾[(٣)] و﴿كُلٌّ﴾ يجوز أن

---

(١) قرأ بها الجحدري. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٢) .

(٢) قرأ بها قطبة بن مالك. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٢)، تفسير القرطبي (١٧/ ٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٢) .

(٣) سورة يونس، الآية (٨٣) .

يرجع إلى كل واحد؛ لأن كل واحد منهم كذب الرسل كلهم، وأن يراد تكذيب كل أمة رسولها، ووحد الضمير المصحح لـ " كل " على اللفظ دون المعنى.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحل. عيي بالأمر: إذا لم يهتد لوجه الصواب فيه، والمعنى أنهم علموا أن الله قدر على إيجادنا أول مرة فهو يقدر على إيجادنا ثانيا. ﴿فِي لَبْسٍ﴾ أي: في اختلاط وشبهة، وقد لبس عليهم الشيطان أمرهم؛ فإنه أثبت في أذهانهم أن إحياء الموتى لا يتصور، وإنما نكر في ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأنه أراد خلقًا جديدًا له شأن بخلاف تعريفه في أول السورة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾

الوسوسة: الصوت الخفي، ومنه: وسواس الحلي، ووسوسة النفس: هو ما يخطر ببال الإنسان، والباء في قوله: ﴿تُوَسْوِسُ بِهِ﴾ مثلها في: همس به وصوَّت به، ويجوز أن تكون الباء للتعدية، والضمير للإنسان؛ أي ما يجعله موسوسًا، و" ما " مصدرية. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ يعني، قرب مجاز، وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: من حبل العاتق، وهو مثل في القرب؛ كما يقال: هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار، قال ذو الرمة [من السريع]: والموتُ أدنى لي مِنَ الوريدِ[(١)] (٢٧٢/ أ) .

والوريدان: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها، متصلان بالوريد، يردان من الرأس إليه، وإضافة الحبل إلى الوريد يشبه إضافة الحبل إلى نفسه وجاز ذلك كما قالوا: بعير سائبة، والسائبة هو البعير، أو يراد حبل العاتق؛ فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضو واحد.

و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ ﴿أَقْرَبُ﴾ لأن الظروف تعمل فيها المعاني متقدمة ومتأخرة.

وروي في الحديث: " إن مقعد ملكيك على ثنيتك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت غافل عن ذلك "[(٢)]. والتلقي: التلقن بالحفظة والكتبة، والقعيد: المقاعد كالجليس

---

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة، وصدره: هل أغدون في عيشة رغيد ....

ينظر في: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٢٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨٣) .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٣/ ٣٥٧) ونسبه للثعلبي بإسناده إلى علي بن=

والعشير، والتقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد؛ كقول الشاعر [من الطويل]:

.... كنتُ منهُ ووالدي بريًّا...............[١]

﴿رَقِيبٌ﴾ملك يرقب عمله. ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، واختلف فيما يكتبان الملكان، فقيل: يكتبان كل شيء حتى الأنين في المرض. وقيل: لا يكتبان إلا ما تعلق به ثواب أو عقاب وروي أن كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال، وكاتب اليمين أمين على كاتب اليسار؛ فإذا عمل العبد حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا كسب سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يستغفر أو يتوب، فإذا مضت سبع ساعاتٍ، فإن تاب وإلا كتبها واحدة.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾﴾

لما ذكر إنكارهم للبعث أعقبه بذكر كيفية ما يخشى وقوعه من عذاب يوم القيامة، ودل على قربه للعبارة عنه بالماضي بقوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وسكرة الموت: شدته الذاهبة بالعقل، والباء في﴿ بِٱلۡحَقِّ﴾ للتعدية. وقيل: للمصاحبة، وقرأ ابن مسعود: "وجاءت سكرة الحق بالموت"[٢] والباء على هذه القراءة للتعدية؛ لأنها سبب

=أبي طالب عن النبي ﷺ وفي آخره: " وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ".

(١) جزء من بيت لابن أحمر، وقيل: للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصي، وتكملته:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني

ينظر في: تفسير الطبري (١١/ ٨٦)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٢)، لسان العرب (جول)، معجم البلدان (١/ ٣٩٠) وجول الطوي: جدار البئر. قال ابن منظور في اللسان: " قال ابن بري: أي رماني بأمر عاد عليه قبحه؛ لأن الذي يرمي من جول البئر يعود ما رمى به عليه، ويروى: ومن أجل الطوي قال: وهو الصحيح؛ لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة في بئر فقال خصمه: إنه لص ابن لص. فقال هذه القصيدة وبعد البيت: دعاني لصا في لصوص وما دعا بها والدي فيما مضى رجلان

(٢) وقرأ بها أيضا أبو بكر الصديق ﷺ . تنظر في: تفسير القرطبي (١٧/ ١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٣)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٨) .

حصول الموت، ولأن الموت يعقبها فكأنها أتت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ هو الله، وأضيفت إلى الله؛ تعظيمًا لشأنها وتهويلا .

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخطاب للإنسان ملتفتًا عن قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وما بينهما اعتراض. وقيل: هو خطاب للكافر، والإشارة إلى الحق. وسئل زيد بن أسلم عن قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾؟ فقال: هو خطاب لرسول الله ﷺ فبلغ ذلك صالح بن كيسان فأنكره، فبلغ ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فقال: أخالفهما؛ هو لكل بر وفاجر[١] .

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ أي: ذلك يوم إنجاز الوعيد (٢٧٢/ ب) والإشارة إلى مصدر "ونفخ" ﴿سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله. وقيل: هو ملك واحد يسوق ويشهد، ومحل ﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ النصب على الحال من ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾.

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ﴾ وقرئ: " لقد كنتِ " بكسر التاء ، و " عنكِ عطاءكِ فبصركِ " بكسر الكاف[٢] شبه حاله بشيء قد غطى عليه تغطية موثقة؛ فصار لا يبصر شيئًا، ثم كشف عنه ذلك الغطاء؛ فصار بصره حديدًا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَرِينُهُۥ﴾ شيطانه؛ كقوله: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[٣] ويشهد له قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال الشيطان وهو مقرون معه في السلسلة: هذا الشخص الذي لدي قد أعتدته[٤] وهيأته لدخول جهنم بإغوائي. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يجوز أن تكون ﴿مَآ﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٦) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢٥): " فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكافر، وقيل غير ذلك ".

(٢) قرأ بذلك الجحدري وطلحة بن مصرف. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢) .

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣٨) .

(٤) أي: جهزّته وحضّرته. عتيد: مهيأ حاضرٌ. المعجم الوسيط / عتد .

نكرة موصوفة أي: هذا شيء لدي، و﴿عَتِيدٌ﴾ صفته، ويجوز أن تكون موصولة و﴿لَدَىَّ﴾ صلتها و﴿عَتِيدٌ﴾ خبر بعد خبر أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ إن كان السائق والشهيد واحدًا ففيه وجهان:

أحدهما عن المبرد: أن تثنية الفاعل بمنزلة تثنية الفعل؛ كأنه قال: ألق ألق[١].

والثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان؛ فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليلي وصاحبي، وقفا واسعدا. وقال الحجاج لبعض حرسه: يا حرسي اضربا عنقه؛ فجرى ذلك على عادة كلامهم. وقرأ الحسن: " وَأَلْقِيَنَا "[٢] أبدل النون الساكنة ألفًا، ويجوز أن يكون ﴿أَلْقِيَا﴾ إجراء للوصل مجرى الوقف؛ فأثبت الألف عوضًا عن النون في حال الوصل. ﴿عَتِيدٌ﴾ بمعنى معاند؛ كعشير وجليس. ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كثير المنع. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة؛ كان يقول: من دخل في دين محمد لم أنفعه بشيء أبدًا[٣].

﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في الله وفي دينه. ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ وأدخلت الفاء على الخبر لتضمنه معنى الشرطية، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ بدلاً منصوبًا من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتوكيد، ودخلت الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ لأنه لم يكن مقاولة سؤالا وجوابًا بخلاف قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ فإنها حكاية جواب وكذلك جاء في مقاولة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤] كررها تسع مرات بغير واو (٢٧٣/أ) وقوله ها هنا: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أجراه مجرى المقاولة؛ لأنه لما قال: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ دل على أنه كان قد جرى بينهم مقاولة.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٧) .

(٢) تنظر قراءة الحسن في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٦)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٤) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٧) .

(٤) سورة الشعراء، الآية (٢٣) .

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ فأعذب من لا يستحق. الباء في قوله:﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ مثلها في قوله ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [١] إذا قرئت بضم التاء الأولى[٢] ويجوز أن تكون للتعدية إذا جعلت تقدم مطاوعًا لمعنى قدم، ويجوز أن يكون الفعل واقعًا على الجملة؛ وهي قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ﴾ ويكون قوله: ﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ حالاً، أي: قدمت متلبسًا بالوعيد قوله: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ﴾جملة وقعت حالا من ﴿تَخۡتَصِمُواْ﴾مضارع و﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ﴾ ماض، وهذه الحال لا يمكن اجتماعها مع صاحب الحال، ومعناه: لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ﴾نفي للمبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل ؟ **وجوابه من وجوه: أحدها:** أن يكون " ظالما وظلاما " بمعنى واحد على لغة قوم. **والثاني:** أن معناه: لو عاقبت من لا يستحق العقاب لكنت بليغ الظلم. **والثالث:** أنه جمعٌ لجميع العبيد؛ تقول: أغلقت الباب وغلقت الأبواب، ولا تقول: غلقت الباب؛ كذلك ها هنا لو قال: وما أنا بظلام لعبد لورد السؤال. وانتصاب اليوم بظلام، أو بإضمار فعل نحو اذكر وغيره، أو بـ ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ .

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ وعلى هذا يشار بذلك إلى ﴿يَوۡمَ نَقُولُ﴾ ولا يقدر حذف مضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب المجاز الذي يراد به تقوية المعنى في النفس، وفيه وجهان: أحدهما: أنها تمتلئ حتى لا يبقى فيها سعة لمكان واحد مع اتساعها وتباعد أطرافها. والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع المزيد، ويجوز أن يكون﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾استكثار لمن دخلها أو غضبًا على الكفار والعصاة، والمزيد إما مصدر كالمحيد، وإما اسم مفعول كالمبيع. ﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف، أي: مكانًا قريبًا، أو على الحال، أو على حذف الموصوف، أي: شيئًا غير بعيد، ومعناه التوكيد، أي: قريب غير بعيد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٢٠) .

(٢) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ورويس وابن محيصن والجحدري وروح والحسن. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٠١)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩)، المحتسب لابن جني (٢ /٨٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٨) .

مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ بتكرير الجار، و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر﴿أُزْلِفَتِ﴾ ﴿مَّنْ خَشِىَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ ﴿لِكُلِّ﴾ ويجوز (٢٧٣/ ب) أن يكون بدلاً غير موصوف﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾ ولا يجوز أن يكون في حكم ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾ لأن " من " لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ لأن " من " في معنى الجمع، ويجوز أن يكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنًا أحسن، وحذف حرف النداء للتقريب.﴿ بِٱلْغَيْبِ﴾ مضى في أول البقرة[1].

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من العذاب، أو مسلمًا عليكم من الله وملائكته. ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ يوم تقدير الخلود؛ كقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أي: مقدرين الخلود. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لم تبلغه آمالهم ولم يخطر ببالهم حتى يشاءوه. وروي أن السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور العين فيقولون: نحن المزيد الذين قال الله عز وجل فيه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2].

التنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب؛ قال الشاعر [من الخفيف]:

نقَّبوا في البلادِ من حذرِ المو ... تِ وجالوا في الأرضِ كلَّ مجالِ[3]

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾أي: شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب، وقرئ: "فَنَقِبُوا" بالتخفيف وكسر القاف[4] أي: نقبت أخفاف إبلهم من كثرة أسفارهم، ورأوا في آثار المهلكين ما يكفي للاعتبار. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ هل من مخلص من

---

(١) عند تفسير الآية (٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩٠).

(٣) البيت لعدي بن زيد، أو للحارث بن حلزة، **ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٧/ ٦٠٨)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٥٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٠).

(٤) قرأ بها أبو العالية ويحيى بن يعمر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١).

الله أو من الموت. ﴿لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ أي: واع ؛ لأن من لا يحضر ذهنه كالغائب، وإلقاء السمع: الإصغاء. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر. وقيل: أي: شاهد على صحته وأنه من الله، أو هو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [(١)].

وقيل: شاهد من أهل الكتاب على صدقه وصحة ما جاء به في كتب الأولين فصدق به وآمن. اللغوب: الإعياء، وقرئ بالفتح[(٢)] كالقبول والولوع؛ كذب الله اليهود في هذه الآية حيث زعموا أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، واليهود مشبهة، والمشبهة من هذه الأمة أخذوا تلك العقائد من اليهود.

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا﴾ يقول اليهود ويكيدونك به. وقيل: على أذى جميع المشركين. وقيل: نسخت بآية السيف، والصحيح أنها ليست منسوخة؛ فإن الصبر مطلوب مثاب عليه لم ينسخ[(٣)].

﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا له، وقيل: المراد: الصلاة. ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ (٢٧٤/أ) صلاة الصبح. ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ صلاة الظهر والعصر. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ صلاة المغرب والعشاء. وقيل: قوله ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ المراد به التهجد ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب[(٤)]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: " من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم ركعتين كتبت صلاته في عليين "[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣) .

(٢) قرأ بها السلمي وعلي بن أبي طالب وطلحة بن مصرف ويعقوب. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٥) .

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٨٢) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في " الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف " (ص: ١٥٩) " رواه ابن أبي=

وقيل: هو الوتر بعد العشاء الآخرة. و﴿وَأَدْبَٰرَ﴾ جميع دبر، وقرئ " إدبار "[1] من أدبرت الصلاة: إذا قضيت وتمت؛ كقولهم: آتيك خفوق النجم وغروب الشمس.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يعني: ما أخبرك به من حال ﴿يَوْمَ﴾ وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وانتصب ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ بما دل عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون و﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ و﴿يُنَادِ﴾ إسرافيل، يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة: إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر. ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً، وهي وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: يا أيتها العظام البالية. و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به: البعث والحشر. ﴿عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ حال من المجرور. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديم الظرف يدل على الاختصاص؛ يعني: لا يتيسر ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[2] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ. ﴿بِجَبَّارٍ﴾ كقوله: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾[3] حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت داع وباعث.

= شيبة وعبد الرزاق من رواية عبد العزيز بن عمر عن مكحول مرسلا "... ثم قال الحافظ: " وقد روي موصولا عن أنس وعن عائشة – رضي الله عنهما – أما حديث أنس فرواه الدراقطني في غرائب مالك من رواية أحمد بن سليمان السدي عنه عن الزهري عن أنس به وأتم منه. وقال الحافظ: هذا موضوع على مالك. وأما حديث عائشة فرواه ابن شاهين في " الترغيب " وفي إسناده جعفر بن جميع ".

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وحمزة وأبو جعفر وخلف، وقراءة الباقين " وأدبار " بالفتح.

تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٣٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣١)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٧٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٦).

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٨).

(٣) سورة الغاشية، الآية (٢٢).

وقيل: أريد الحلم عنهم، وترك الغلظة عليهم، ويجوز أن يكون من: جبره على الأمر، بمعنى أجبره، أي: ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان، و﴿عَلَيۡ﴾ مثلها في قولك: زيد عليهم، أي: واليهم. ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾[1] لأن التذكير لا يؤثر إلا فيه دون المصر على الكفر، والله تعالى أعلم (٢٧٤/ ب) .

* * *

---

(١) سورة النازعات، الآية (٤٥) .

تفسير سورة الذاريات [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨)﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح؛ لأنها تذرو التراب والهشيم، ومنه: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[1] .

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ السحاب تحمل المطر. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ المراكب تجري جريا ذا يسر. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة؛ لأنها تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، أو تفعل التقسيم مأمورة به. وقيل: متولي الانتقام من الكفار جبريل، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. وقد قيل: المقسمات: الكواكب السبعة السيارة. ويجوز أن يراد الرياح لا غير؛ لأنها تقسم السحاب وتقله وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب. وأما دخول الفاء فعلى القول الأول جاء للتعقيب أقسم بالرياح فبالسحاب فبالفلك التي تجريها بهبوبها، فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه. وعلى القول الأول: الرياح تذرو التراب في أول أمرها فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ " ما " مصدرية أو موصولة. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾. ﴿الْحُبُكِ﴾ الطرائق، مثل حبك الرمل، ولا ندركها لبعد المسافة، والدرع محبوكة لأن خلقها مطرق طرائق، ويقال: إن خلقة السماء كذلك. ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ في أمر الرسول ﷺ فقائل: هو كاهن، وقائل: شاعر، وقائل: كذاب .

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)﴾

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ للقرآن أو الرسول، أي: يصرف عنه الصرف الذي لا شيء أعظم منه، أو: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك، ويجوز أن يرجع الضمير

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٥) .

إلى قوله: ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ و﴿عَنْ﴾ مثلها في قوله: ينهون عن أكل وعن شرب؛ أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب؛ أي: يؤفك عنه من هو مصروف عن الحق، وكانت القبائل من العرب تبعث إلى مكة؛ يقولون: اكشف لنا أخبار محمد، فيأتي مكة فتقول له قريش: احذره فإنه مجنون.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون، دعاء عليهم؛ كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [(١)] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح، و﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون المقدرون ما لا يصح، واللام إشارة إليهم؛ كأنه قيل: هؤلاء الخراصون.

﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به. ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ وأضاف ﴿أَيَّانَ﴾ إلى يوم مع أن (٢٧٥/أ) الظروف أدعية للحوادث لا للأزمنة لأن التقدير: يسألون أيان وقوع يوم الدين، وينتصب قوله: ﴿يَوْمَ﴾ بفعل مضمر تقديره: يقع ذلك ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ ويجوز أن يكون مفتوحًا؛ لإضافته لغير متمكن.

﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون ويعذبون، فتنت الذهب في النار: إذا أحرقته لتعلم جودته أو رداءته، ومنه الفتين وهي الأرض ذات الحجارة السود؛ فإنها شبيهة بالمحرقة. ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ في محل الحال؛ أي: مقولا لهم هذا القول. ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿ٱلَّذِى﴾ وصلته خبر أي: هذا العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ويجوز أن يكون " هذا " بدلا من " فتنتكم " أي: ذوقوا هذا العذاب. ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، ويجوز ارتفاعه على الفاعلية، وفيه مبالغات.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

لفظ الهجوع، وهو السِّنَةِ اللطيفة؛ قال الشاعر [من السريع]:

قد حصَّتِ البيضةُ رأسي فما أطعمُ نومًا غيرَ تَهْجاعِ[(٢)]

---

(١) سورة عبس، الآية (١٧) .

(٢) البيت لأبي قيس بن الأسلت، **ينظر في:** غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٢٧١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٨)، لسان العرب (هجع) وحصت: حلقت شعر رأسي، والبيضة: الخوذة التي تلبس على الرأس في الحرب، والتهجاع: النومة الخفيفة.

وقوله: ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ لأن الليل وقت السبات والراحة وكانوا يحيون الليل بالأعمال الصالحة؛ فإذا جاء السحر استغفروا كأنهم مذنبين، وقوله: ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أي: هم أحقاء بالاستغفار الصادر عن صحة النية، وكأنهم المختصون به لاستدامتهم له، وقال قائل في: ﴿مَا يَهۡجَعُونَ﴾ ما: نافية، ومعناه: لا ينامون قليلا ولا كثيرا، وهو غلط ؛ لأن ما بعد " ما " لا يعمل فيما قبلها؛ تقول: زيدًا لم أضرب، ولا تقول: زيدًا ما ضربت. السائل: هو المصرح بالسؤال، والمحروم: الذي يحسب لتعففه غنيا، فيحرم الصدقة لتعففه، وعن النبي ﷺ: " ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، قالوا: فمن هو ؟ قال: الذي لا يجد ولا يفطن له فيتصدق عليه "[1].

وقيل: المحارف الذي لا يهتدي للتجارة.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ورحمته حيث هي مدحوّة كالبساط لما فوقها؛ كما قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾[2] وفيها المسالك والفجاج لمن يتقلب فيها وهي مجزأة من سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة، وهي الطروقة تلقح بألوان النبات والثمر المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية[3] وما فيها من العيون المفجرة، والمعادن المختلفة والدواب (٢٧٥/ ب) المنبثة في برها وبحرها. ﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ الموحدين، فهم ناظرون بعين الاعتبار؛ كلما أرادوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركب فيها من العقول وحفت به وبالألسن، وبالنطق، ومخارج الحروف، والأسماع، والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له، وما سوّي في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني؛ فإنه لو يبس واحد منها لعجزوا، وإذا استرخى أناخ الذل فبان أنه أحسن الخالقين.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٩١)، وأبو داود رقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة طه، الآية (٥٣) .

(٣) سورة الرعد، الآية (٤) .

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني المطر؛ لأنه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير: هو الثلج[(١)]. وعن الحسن: أنه كان إذا رأى السحاب قال فيه: والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بخطاياكم[(٢)]. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ هي الجنة؛ لأنها فوق السماء السابعة وتحت العرش، أو أراد أن الأرزاق في السماء والأرض إنما هي بأمر الله وتقديره.

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ من فتحه فبالإضافة إلى غير متمكن، ومن ضمه فهو نعت لـ "حق"[(٣)] وهو كقول الناس: إنه حق مثل ما أنك ترى وتسمع، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يرجع إلى الآيات المذكورة والرزق. وعن بعض العرب أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فنحر ناقته وفرقها على الفقراء، ثم لقيه ذلك القارئ فقال: هل معك من ذلك الذي تلوته شيء؟ فقال: نعم، وتلا عليه الآية: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فصاح وقال: من أغضب الكريم حتى فعل؟! ثم صرخ صرخة فخرجت فيها روحه، رحمة الله عليه[(٤)].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من جهة ما يأتي به رسول الله ﷺ وإنما هو بلاغ من الله ورسالاته. والضيف: يقع للواحد والجمع. وقيل: كانوا اثني عشر ملكًا وقيل: تسعة عاشرهم جبريل. وقيل: ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما، وجعلهم ضيفًا لأنهم كانوا في صورة الضيف، وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم زوجته وعجل لهم القرى، أو سماهم مكرمين لأنهم كرام على الله ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[(٥)].

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٠١) لأبي الشيخ عن الحسن رحمه الله.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالرفع " مثلُ " وقرأ الباقون بالنصب " مثلَ ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٣٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٠).

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٢٦).

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣٠) ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢)﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾ متعلق بما في الضيف من معنى الفعل.

﴿سَلَٰمًا﴾ تقديره: سلمنا سلاما، وأما ﴿سَلَٰمٌ﴾ فتقديره: عليكم سلام، والرفع أمدح؛ لأنه يدل على دوام السلامة لهم (٢٧٦/أ) بخلاف الفعل الماضي في قوله: سلمنا؛ فإن الفعل الماضي لا يدل على التكرر بخلاف المضارع.

قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: ليسوا على هيئة القوم الذين نعرفهم، أو لأنه توهم فيهم ما دله على ذلك، أو رأى لهم حالا وشكلا غير الحالة التي عهدها. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية، ومن أدب المُضيف أن يخفي ما يريد أن يضيفه للضيف، وأن يبادر بالقرى من غير أن يُشعر الضيف به؛ وحذرًا من أن يكفه ويعذره. قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر[(١)] والهمزة في ﴿أَلَا﴾ إنكار عليهم؛ حيث لم يأكلوا طعامه ولما لم يتحرموا بطعامه ظن أنهم يريدون به سوءًا؛ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾) أي: يبلغ، وعن الحسن: نبي[(٢)] والمبشر به إسحاق ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾: في جماعة. وقيل: في صرخة. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ المرأة التي لا تحبل، وأصله: الرملة العقيم أو العاقر؛ فإنها لا تنبت، وصر القلم أي: صوت، ومحله النصب، أي: صارخة؛ قال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم؛ لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء[(٣)]. وقيل: فأخذت في صرة؛ كقولك: عذلته فأقبل يلومني. وقيل: صرتها: قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾[(٤)] وعن عكرمة: رنتها[(٥)].

﴿فَصَكَّتْ﴾ فلطمت تبسط يديها. وقيل: ضربت بأطراف أصابعها جبهتها؛ فعلا للتعجب ﴿عَجُوزٌ﴾ أنا ﴿عَقِيمٌ﴾ فكيف ألد ؟! ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مثل قولنا ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: هذا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٢) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٢) .

(٤) سورة هود، الآية (٧٢) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٩) عن قتادة، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٧) وقال: قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي .

الذي قلنا ليس من جهتنا، وإنما نحن مبلغون عن الله تعالى فالله تعالى قادر على ما تستبعدين.

لما علم إبراهيم أن أضيافه ملائكة قال: فما شأنكم ؟ وما الذي أحوجكم إلى أن نزلتم ؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ إلى قوم لوط .

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ السجين: طين يطبخ كالآجر، ويصير في صلابة الحجر. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة بعلامة تعرف بها من السومة وهي العلامة؛ على كل واحدة اسم من يهلك بها. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا.

سماهم مسرفين لتجاوزهم ما قدر لهم في الأحكام. ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا﴾ أي: في القرية، ولم يجر لها ذكر، وفي ذلك دليل على أن الإيمان والإسلام (٢٧٦/ب) واحد، وأنهما صفتا مدح. قيل: البيت الذي من المسلمين هم لوط وابنتاه. وقيل: كان الذين نجوا ثلاثة عشر. قال قتادة: لو كان فيها أكثر لنجوا؛ ليعلم أن وصف الإيمان غير مضيع عند الله[1]. ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ أي: علامة يتعظ بها الخائفون من الله ومن عذابه.

قيل: هي صخر منضود فيها. وقيل: ماء أسودُ منتن. ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ عطف على قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ والمعنى: في موسى آية كقوله [من الرجز]:

علفتها تبنًا وماء باردًا ....[2]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢)، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٠) لابن المنذر .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه:

حتى شتت همالة عيناها

ويروى: حتى غدت همالة عيناها.

ينظر في: الأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ١٠٨)، الخصائص لابن جني (٢/ ٤٣١)، شرح الأشموني (١/ ٢٢٦)، شرح شذور الذهب (ص: ٣١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٣)، لسان العرب (علف)، مغني اللبيب (٢/ ٦٣٢)، المقاصد النحوية (٣/ ١٠١)، همع الهوامع (٣/ ١٥٩) .

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أدبر وأعرض؛ كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [1]. وقيل: تولى بما كان يتوقى به من جنوده وعدده. ﴿مُلِيمٌ﴾ قد أتى بما يلام عليه، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾ فإن قلتَ: سمي ها هنا فرعون مليمًا وفي موضع آخر سمي يونس بذلك، فقال: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [2]. قلت: مراتب المعاصي متفاوتة، ويصدق على الكل اسم واحد. ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ لا يلقح شجرًا ولا ينزل مطرًا، وهي ريح الهلاك وهي الدبور. وقيل: النكباء. وقيل: الجنوب.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

و﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ البالي من عظم أو نبات وغير ذلك. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يفسره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [3].

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا عن امتثاله، و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ النازلة. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ كانت نهارًا يعاينونها، وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي فأهلكت ثمود ولم تضر العمالقة. ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ لم يقدروا على النهوض. وقيل: هو من قولك: ما يقوم فلان بهذا الأمر؛ أي: ما يستطيع دفعه ﴿مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين من العذاب.

﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ بقوة، والأيد: القوى. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون؛ يقال: ما هذا في وسع فلان؛ أي: في قدرته. وقيل: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ الرزق بالمطر. وقيل: جعلنا بين السماء والأرض سعة. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ نحن. ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين، وذكر للحسن ذلك فقال: السماء

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٣).

(٢) سورة الصافات، الآية (١٤٢).

(٣) سورة هود، الآية (٦٥).

والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة، وقال: كل واحد منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له [(١)]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تعرفون بذلك الخالق فتعبدونه وحده. ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعة الله. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقولهم فيه (٢٧٧/ أ) الأقاويل المختلفة، ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بـ " أتى " لأن " ما " النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ يعني الكفار الأولين والكفار المتأخرين بهذا القول وهو نسبته إلى السحر والجنون. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تجاوزوا الحدَّ ولم يتواصوا. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، ولا تدع التذكير بالمواضع زمنًا بعد زمن بعد ما بلغت وأديت ما عليك. ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تحثهم وتبعثهم على زيادة التذكر وروي أنه لما نزل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ حزن رسول الله ﷺ وظن أن الوحي قد انقطع من السماء فنزل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٢)].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليعرفون، ولو خلقهم ليعبدوه لعبدوه الكل؛ فإنه سبحانه فعال لما يريد.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد القوة، قرئ بالرفع نعتًا لقوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ وبالجر [(٣)] على معنى الاقتدار. الذنوب: الدلو الكبير، وأصله في السقاة يتزاحمون على الموارد فيجعل لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، ثم نقل ذلك فصار بمعنى النصيب؛ قال الشاعر [من الرجز]:

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٤)، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨) مختصرا عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٣) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١).

(٣) قرأ جمهور القراء بالرفع، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش بالجر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٩)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٠).

لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ فإن أبيتمْ فلنا القليبُ[١]

والمعنى: فإن للذين ظلموا نصيبًا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم.

وعن قتادة: سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم[٢] والسجل: الدلو العظيم.

﴿مِن يَوۡمِهِمُ﴾ من يوم القيامة أو يوم بدر.

* * *

(١) **ينظر في:** تفسير الطبري (٢٧/ ١٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٧)، لسان العرب (ذنب) وفيه: لها ذنوب ولكم ذنوب ....

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤) .

تفسير سورة الطور [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢)﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو بمدين. أقسم الله تعالى بما كتبه لموسى والرق: الصحيفة أو الكتاب الذي تكتب فيه الأعمال، وهو ما كتبه الله لموسى. وقيل: القرآن، ونكر الكتاب تعظيمًا لشأنه. ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ الصراح، وهو في السماء على حيال الكعبة في الأرض، وعمرانه: كثرة غشيان الملائكة.

وفي الحديث: " يدخل كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه "(١) وقيل: ﴿وَالْبَيْتِ﴾ الكعبة و﴿الْمَعْمُورِ﴾ بالملائكة والإنس، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (٢). ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء. وقيل: الموقد؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٣). وروي: أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارًا توقد بها نار جهنم (٤). وروي: أن عليًا سأل يهوديًا: أين تجد موضع (٢٧٧/ ب) النار في كتابكم ؟ قال: في البحر ثم ولّى؛ فقال علي: ما أراه إلا صادقًا(٥).

عن جبير بن مطعم: " أتيت النبي ﷺ أكلمه في الأسارى فسمعته يقرأ: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فأسلمت خوفًا أن ينزل بي العذاب "(٦).

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٠٧، ٣٨٨٧)، ومسلم رقم (٤٠٩، ٤١٥) وهو جزء من حديث الإسراء الطويل عن أنس رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٢) .

(٣) سورة التكوير، الآية (٦) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٨) .

(٥) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٥٩) للطبري من رواية داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠): " لم أجده هكذا والذي جاء في الصحيح أن ذلك في صلاة المغرب وأنه قال - لما سمع ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: كاد قلبي يطير ".

﴿تَمُورُ﴾ تضطرب وتذهب وتجيء، وقال ابن فارس[1] في المجمل: غلب الخوض في الاشتغال بالباطل والكذب، ومنه: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾[2] ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾[3]. الدع: الدفع العنيف.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلون أعناق المعذبين ويجمعونها إلى أيديهم، ويدفعون إلى النار دفعًا، أو يقال لهم هلموا إلى النار مدعوعين؛ يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ أي: ما رأيتموه من التهويل لجهنم هو أيضًا سحر ؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم في الدنيا مبعدين عن فهم هذه الأمثال، و﴿هَٰذِهِ﴾ تهكم وتقريع.

﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: سواء عليكم الصبر وعدمه، وتعليله بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأن الصبر إنما يطلب لما يترتب عليه من الجزاء، ولا يكون كقول الشاعر [من الكامل]:

---

(١) هو الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي نزيل همذان وصاحب كتاب المجمل كان رأسا في الأدب بصيرا بفقه مالك مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. وله مصنفات ورسائل وتخرج به أئمة وكان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث. ومات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. **تنظر ترجمته في**: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٠٣)، **وينظر قوله في**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٩)، لسان العرب (خوض)، وجاء في معجم المقاييس لابن فارس (٢/ ١٧٣) مادة (خوض) قال: " الخاء والواو والضاد أصلٌ واحد يدلُّ على توسُّطِ شيء ودُخولٍ. يقال: خُضْتُ الماءَ وغيرَه. وتخاوَضوا في الحديثِ والأمرِ، أي تفاوَضُوا وتداخَل كلامُهم ".

(٢) سورة المدثر، الآية (٤٢) .

(٣) سورة التوبة، الآية (١٩) .

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهِمُ   أني لريَبِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ(١)

فأما الصبر الذي لا يراد به وجه الله فلا جزاء فيه، ومنه قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (٢)

وقرئ: (فاكهين وفكهين وفاكهون) (٣) فمن نصبه جعله حالاً، ومن رفعه جعله خبرًا وجعل الظرف لغوًا، وعطف قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾ على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي: استقروا ووقاهم، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: فرحين بالإيتاء والوقاية.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أكلاً وشربًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيص فيه، وقرئ: بعيس عين(٤).

والعيساء: التي يعلو بياضها حمرة. ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ قرناهم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وقرناهم بحور عين، والمؤمنين المجالسين لهم والمرافقين؛ فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمحادثة المجالسين.

﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ (٥) جاء في الحديث: " إن الرجل ليرفع في درجة أبويه وإن لم يعمل

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الرعد، الآية (٢٢) .

(٢) سورة المدثر، الآية (٧) .

(٣) قرأ جمهور القراء " فاكهين "، وقرأ أبو جعفر " فكهين " وقرأ خالد " فاكهون " بالرفع. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٨)، تفسير القرطبي (١٧/ ٦٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٤)

(٤) قرأ بها ابن مسعود وإبراهيم النخعي. **تنظر في:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٠) .

(٥) قرأ أبو عمرو " وأتبعناهم " وقرأ ابن عامر ويعقوب " وأتبعتهم ذرياتهم " وقرأ الباقون " واتبعتهم ذريتهم ". **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٩)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٩)، السبعة لابن مجاهد (ص:٦١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٩١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧) .

مثل عملهما لتقر بذلك أعينهم، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية "[1]. ومعنى تنكير الإيمان إيمان عظيم مستقر في القلوب، ويجوز أن يراد بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لهذه الدرجة التي نالوها. ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ أي: وما نقصناهم، يعني: وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب (٢٧٨/ أ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. وقيل: معناه: وما نقصناهم من ثوابهم شيئًا نعطيه الأبناء؛ ليلحقوا بهم، وهو من ألت يألت، ومن ألات يليت؛ كأمات يميت، وآلتناهم من: آلت يولت؛ كآمن يؤمن، وولتناهم من: ولت يلت، وهي لغات ومعناهن واحد. ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ كأن نفس المؤمن مرتهنة عند الله بالعمل الصالح؛ فإن عمل صالحًا فكّها وإلا أوبقها. ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾ في وقت بعد وقت. ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم ﴿كَأۡسٗا﴾ لا يحصل في شربها ﴿لَغۡوٞ﴾ كما في خمر الدنيا، ولا إثم عليهم في شربها؛ بخلاف خمور الدنيا.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ أي: في الصدف، وبقاؤه في الصدف أبقى لطراوته، قيل: هذا شأن الخادم، فما شأن المخدوم ؟! فقال: قال رسول الله ﷺ: " إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "[2]. يجلسون ويتحدثون بما كان منهم

---

(١) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) للبزار وابن عدي وأبي نعيم في الحلية وابن مردويه، من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا. وقال البزار: تفرد قيس برفعه وروي موقوفا.

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لعبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وللثعلبي عن الحسن مرسلا.

في الدنيا، ومنه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[١] .

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ الريح الحادة الحارة التي تدخل المسام؛ فسميت بها نار جهنم. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل القيامة ﴿نَدْعُوهُ﴾ أن يكشف عنا عذابها. ﴿ٱلْبَرُّ﴾ المحسن، ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فدم على التذكير والموعظة. ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ بحمد الله كاهنًا ولا مجنونًا. ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ في الأصل فعول من منَّه إذا قطعه؛ لأن الموت قطوع، قالوا: ننتظر بمحمد نوائب الزمان وتقلبات الدهر كما مات الشعراء قبله.﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي.﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم. ﴿طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد، وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ لأن عقولهم أدتهم إلى طاعة الشيطان وعصيان الرحمن. ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه، وقرئ: "بحديثِ مثله"[٢] بالإضافة، والضمير عائد على النبي ﷺ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟﴾ أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ من غير مقدر.

﴿أَمْ﴾ هم ﴿خَٰلِقُوا۟﴾ أنفسهم؛ حيث لا يعبدون الخالق. ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أكبر من خلق الناس، وهم معترفون أن الله خالقها، وهم شاكون فيما يقولون. ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ وقيل: أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب ؟ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ حتى يعطوا النبوة (٢٧٨/ب) من شاءوا، أو عندهم خزائن الأرزاق فيوسعوا على من شاءوا. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يكرهوا الناس على ما يريدون.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ
تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

---

(١) سورة الصافات، الآية (٥١) .

(٢) قرأ بها الجحدري وأبو السمَّال. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٢)، تفسير القرطبي (١٧/ ٧٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٢) .

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾منصوب فيصعدون فيه حتى يأتوا بأخبار السماوات.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ بحجة تدل على صدقه. ﴿مَّغْرَمٍ﴾ يطلب منهم ما يثقل عليهم. ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾أي: اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه؛ حتى يقولوا: لا نبعث، ويطلعون على الغيب فيخبرون الناس به. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ كما قال: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[(١)].

الكِسف: القطعة، وهو جواب قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾[(٢)] يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطت السماء عليهم كسفًا لقالوا: سحاب متراكم بعضه فوق بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب. ﴿يُصْعَقُونَ﴾ يموتون، وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾أي: قبل ذلك، وهو قتال من قتل منهم يوم بدر والجوع والقحط سبع سنين وعذاب القبر.﴿بِأَعْيُنِنَا﴾بمرأى منا، وإنما قال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بصيغة الجمع؛ لأن الضمير بلفظ الجمع، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[(٣)]﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مقام قمت. وقيل: من منامك.

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾إذا أدبرت من آخر الليل، وقرئ: "وأدبار النجوم"[(٤)] أي: في أعقاب النجوم إذا غربت. ﴿وَسَبِّحْ﴾ المراد به: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقيل: المراد بالتسبيح: الصلاة.

* * *

(١) سورة القلم، الآية (٤٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩٢).

(٣) سورة طه، الآية (٣٩).

(٤) قرأ بها سالم بن أبي الجعد ومحمد بن السميقع والمنهال بن عمرو. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٣)، تفسير القرطبي (١٧/ ٨٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١٥)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٢).

تفسير سورة والنجم [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝١﴾

النجم: الثريا، وهو اسم غالب لها؛ قال [من السريع]:

إذا طلعَ النجمُ عشاءً اشترى الراعي كِساءً[(١)]

أو الجنس. ﴿إِذَا هَوَى﴾ غرب أو استتر يوم القيامة، أو النجم الذي يرجم به ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا انقض، أو النجم من نجوم القرآن؛ فإنه نزل منجمًا في عشرين سنة ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا نزل، أو النبات ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا سقط إلى الأرض، وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب، وكان متزوجًا بنت رسول الله ﷺ أراد السفر إلى الشام فقال: لآتين محمدًا ولأوذينه فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ (٢٧٩/أ) ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله ﷺ: " اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، وكان أبو طالب حاضرًا فوجم لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه، وأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة؛ فإني أخاف على ابني دعوة محمد؛ فجمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله "[(٢)].

وقال حسان بن ثابت [من السريع]:

---

(١) ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٧) بغير " إذا "، الدر المصون (٦/ ٢٠٣) وفيه الشطر الثاني: أتبع الراعي كساء، وقال السمين: ومنه قول العرب، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١٥) وفيه: ابتغى الراعي كساء. وورد في لسان العرب (بيع):

إذا الثريا طلعت عشاء فبع لراعي غنم كساء .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٨ - ٣٣٩) من طريق عباس بن الفضل الأزرق عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: " كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ .... فذكره " وقال البيهقي: كذا قال عباس بن الفضل الأزرق وليس بالقوي؛ لهب بن أبي لهب وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب، وقال بعضهم: عتيبة. ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لأبي نعيم في دلائل النبوة وللحاكم والبيهقي في " دلائل النبوة ".

منْ يرجعُ العامَ إلى أهلِهِ   فما أكيلُ السبعِ بالراجعِ[١]

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ والخطاب لقريش وهو جواب القسم، والضلال: نقيض الهدى، والغي: نقيض الرشد؛ أي: إن صاحبكم مهتد، وليس بضال كما زعمتم وليس ما يأتيكم به من القرآن شيئًا يأتيكم به من جهة نفسه، إنما هو ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ويحتج بهذه الآية من لا يجوز الاجتهاد، ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يترتب عليه كله وحيًا. ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ملك شديدة قواه، فمن قوته أنه قلع مدائن قوم لوط ثم قلبها عليهم، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وكان صعوده إلى السماء ونزوله على الأنبياء في أسرع وقت، ورأى إبليس يكلم عيسى على عقبة من عقبات الأرض المقدسة فنفخه نفخة فألقاه في أقصى جبل بالهند.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة شديدة ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ على كمال قوته، وكان ينزل في صورة دحية، وذلك أن النبي ﷺ التمس منه أن يراه على صورته التي خلق عليها فتمثل له في أفق السماء من جانب المشرق فسد الأفق. وقيل: ما رآه أحد على صورته التي خلق عليها إلا محمد ﷺ رآه على هيئته مرتين؛ مرة في السماء ومرة في الأرض[٢]. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: فتعلق به في الهواء، ومنه: تدلت الثمرة، ودلى رجليه في السرير، والدوالي: الثَّمرُ المعلقة، وفي المثل: هو كالقرلى؛ إن رأى خيرًا تدلى، وإن لم ير شيئًا تعلى[٣].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ

---

(١) **ينظر البيت في**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١٨)، وذكره الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٢٢٠) وفيه:
.... فما أكيل الليث بالراجع .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٥٩) .

(٣) **ينظر في**: لسان العرب (قرل) وفيه: " كن حذرا كالقرلى إن رأى خيرا تدلى وإن رأى شرا تولى " قال ابن منظور: " قال ابن بري: القرلى: طائر صغير من طيور الماء يصيد السمك. وقيل: إن قرلى طير من بنات الماء صغير الجرم سريع الغوص حديد الاختطاف لا يرى إلا مرفرفا على وجه الماء على جانب يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى في الهواء حذرا " .

يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ القاب والقيب والقاد والقيد والقيس: المقدار (٢٧٩/ب). وفي الحديث: " لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها " (١) والمعنى: فكأن مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾على تقديركم.

﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى عبد الله، وإن لم يجر لاسم الله ذكر؛ كقوله:﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾(٢). ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تعظيم لما أوحى به إليه؛ كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾قيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل، أي: ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قالها لكان كاذبًا؛ لأنه عليه السلام رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ مأخوذ من المراء، وهو المجادلة. وقرئ: "أفتمرونه" (٣)من: ماريته فمريته، أو لما فيه من معنى الغلبة عدي بـ " على " كما تقول: غلبته على كذا. ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ نصب نصب الظرف، أي: نزل عليه جبريل نزلة أخرى في صورة خلقته، فرآه عليها، وذلك في ليلة المعراج. ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، ثمرها كقلال هجر، وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار، يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، والمنتهى: بمعنى موضع الانتهاء، أو نفس الانتهاء؛ كأنها منتهى الجنة وآخرها. وقيل: لم يتجاوزها أحد، ولم تعلم الملائكة ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء. ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنة التي يصير إليها المتقون. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء.﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾أي: ستره بظلاله ودخل فيه، وعن عائشة أنها أنكرته وقالت: من قرأ بها فأجنّه الله(٤).

﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقد تضمن ذكر هذه السدرة وجنة المأوى ذكر

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٨٢ – ٤٨٣) .

(٢) سورة فاطر، الآية (٤٥) .

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ويعقوب، وقرأ الباقون " أفتمارونه ". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٩)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٥)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) .

أمور لا يكتنهها الوصف. وقيل: تغشاها الخلائق من الملائكة يعبدون الله عندها.

وعن النبي ﷺ: " يغشاها رفرف من طير خضر "[١] وعن ابن عباس: " يغشاها فراش من ذهب "[٢].

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ مَازَاغَ ﴾ بصر رسول الله ﷺ ﴿ وَمَاطَغَىٰ ﴾ ما تجاوز الحد ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ الآيات التي هي كبراها وعظماها؛ يعني حين رقي به إلى السماء فرأى عجاب الملكوت. ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (٢٨٠/أ) أصنام كانت لهم مؤنثات فاللات لثقيف بالطائف. وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش، وهي فعلة من لوى؛ لأنهم كانوا يعكفون عليها للعبادة، أو يلتوون عليها؛ أي: يطوفون، وقرئ: " اللاتّ "[٣] بالتشديد، وزعموا أنه كان رجلاً يلت السويق بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره، فجعلوه وثنًا.

و﴿وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ كانت بغطفان، وهي سمرة، وأصلها تأنيث الأعز، وبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت شيطانة ناشزة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها؛ فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول [من الرجز]:

يا عزّى كُفْرانَكِ لا سُبْحانَكِ ... إني رأيتُ اللهَ قدْ أهانَكِ[٤]

ورجع فأخبر الرسول ﷺ فقال: " تلك العزى ولا تعبد أبدًا "[٥].

﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وقرئ: "ومناءة"[٦] لأن دماء النسائك كانت

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) وقال الحافظ ابن حجر (ص: ١٦١) لم أجده.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) ونسبه لابن مسعود وغيره.

(٣) قرأ بذلك ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وابن كثير في رواية عنه.
تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٨).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر.

(٥) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) لابن مردويه وابن سعد في الطبقات.
قال: وأصل هذه القصة رواها النسائي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم في " دلائل النبوة ".

(٦) قرأ العامة " مناة "، وقرأ ابن كثير " ومناءة ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥).

تذبح عندها، و "مناءة" مأخوذة من النوء، وكانوا يستمطرون بها الأنواء و﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ذم، وهي المتأخرة؛ كقوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾(١) أي: وضعاؤهم لأشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾

وكانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونها ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات؛ فقيل لهم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث، وقد جلعتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم؛ فكيف تجعلون هؤلاء الإناث لله أندادًا، وتسمونهن آلهة ؟! ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة من ضازه يضيزه، إذا ضامه، والأصل: ضوْزي؛ ففعل بها ما فعل بـ " بئس " لتسلم الياء وقرئ: "ضئزى" من ضأزه بالهمزة، "ضَيزى"(٢) بفتح الضاد.

﴿هِىَ﴾ ضمير الأصنام؛ أي: ما هي إلا أسماء ليس تحتها على الحقيقة مسميات؛ لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة، ونحوه قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾(٣) أو ضمير الأسماء، وهي قولهم: اللات والعزى ومناة.

﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ من حجة وبرهان. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في دعوى إلهيتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا التوهم أن ما هم عليه حق (٢٨٠/ ب) وكانوا إذا هووا صنمًا عبدوه؛ فإذا أحبوا غيره تركوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٨) .

(٢) قرأ ابن كثير " ضئزى "، وقرأ الباقون " ضيزى " وقرأ زيد بن علي " ضَيزى ". **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥) .

(٣) سورة يوسف، الآية (٤٠) .

الأول وعبدوا الثاني، هذا وقد جاءت الأوامر من الله تعالى والأدلة القاطعة على أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه. ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أو هل جعل الله لكل أحد أن يعبد ما تمناه؟ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ فهو يحكم فيهما بما يشاء. وكثير من الملائكة في السماوات لا يحصى عددهم لا تنفع شفاعتهم لأحد إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة له ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يقولون: أنثى بني فلان، وإذا قالوا: الملائكة بنات الله؛ فقد سموا كل واحدة منهن أنثى. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في دعوى إلهيتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي﴾ في أصول الدين والعقائد ﴿شَيْـًٔا﴾ لكنه يغني في مسائل الفروع؛ لأن الصحابة عملوا بالقياس وهو ظن.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ وهو حذقهم في التجارات وتقليب المكاسب. ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ بعملهم أو بالذي عملوا. ﴿كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ﴾ هو ما قبح منها، ثم أعاد ذكر الفواحش تخصيصًا بعد التعميم للمبالغة والتعظيم. وقيل: كبير الإثم: الشرك بالله. ﴿اللَّمَمَ﴾ ما قل وصغر، ومنه: اللمم من الجنون؛ تقول: ألم بالمكان: إذا قل لبثه فيه، وألم بالطعام: إذا قل منه أكله. وقيل: ﴿اللَّمَمَ﴾ ما لم يذكر الله له عقابًا. وقيل: عادة التصيد الحين بعد الحين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [(١)] ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل، أو: فلا تثنوا عليها واهضموها؛ فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن يخرجكم من بطون أمهاتكم. وقيل: كان قوم يعملون بالطاعات ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا، فنزلت[(٢)]. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء، فأما من اعتقد أن هذه

---

(١) سورة النساء، الآية (١١٦).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٢٦).

الأعمال بتوفيق الله وتيسيره ولم يقصد بها الرياء والمفاخرة - فليس من الذين نهوا عن تزكية أنفسهم؛ لأن المسرة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النجم] روي أن عثمان رضي الله عنه كان ينفق ماله في الخير، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخوه من الرضاعة -: يوشك ألا يبقى لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله وأرجو عفوه، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه عثمان وأشهد عليه وأمسك عن العطاء؛ فنزلت[1] ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾ فارق المركز يوم أحد، فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل. ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ فهو يعلم ويعتقد أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق.

﴿وَفَّىٰٓ﴾ قرئ مخففًا ومشددة[2] (٢٨١/أ) والتشديد مبالغة في الوفاء؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾[3] وأطلق وفاء ولم يذكر له مفعولا ليعمَّ كل وفاء، هذا معتقد الزمخشري[4] والصواب أن المطلق لا عموم له، وهو كثيرًا ما يكرر هذا المعنى؛ ومن ذلك: تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده، وعلى نار نمرود، وقيامه بأضيافه، وخدمته إياهم بنفسه، وأنه كان يخرج كل يوم من بيته فيمشي فرسخًا لعله يجد ضيفًا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم.

وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفى به[5]. وقيل: كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه، أو بجريرة قريبه، ويقتل بابنه وأبيه وعمه وخاله، والزوج بامرأته والعبد بسيده، فأول من خالفهم في ذلك إبراهيم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤١٦) رقم (٧٧١) ونسبه لابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٧).

(٢) قرأ عامة القراء بالتشديد وقرأ أبو أمامة الباهلي وابن محيصن وابن السميقع وسعيد بن جبير " وفى " بالتخفيف. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ١١٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٠٤) .

(٤) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢٧) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٧) .

وقيل: عهد إبراهيم ألا يسأل أحدًا شيئًا، فلما ألقي في النار قال له جبريل وميكائيل: ألك حاجة ؟ فقال: أما إليكما فلا "(١).

وعن رسول الله ﷺ : " وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار، وهي صلاة الضحى "(٢). وروي أن النبي ﷺ قال: " ألا أخبركم لم سمى الله خليله بالذي وفى ؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿تُظْهِرُونَ ﴾ (٣).

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ أَلَّا تَزِرُ ﴾ أنه لا تزر، والضمير للشأن، ومحل ﴿ أَلَّا تَزِرُ ﴾ ، وما بعدها الجر؛ بدلا من بِمَا ﴿ فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ ويحتمل الرفع بتقدير: هو ألا تزر وازرة؛ كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم ؟ قيل: ألا تزر.

﴿ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ إلا سعيه، وقد صح في الحديث: الصدقة عن الميت والحج عنه (٤). وفيه

---

(١) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢) لعطاء بن السائب.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) للطبري وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا وأتم منه .

(٣) سورة الروم، الآية (١٧، ١٨) والحديث رواه أحمد والطبراني وابن السني والطبري وابن أبي حاتم كما قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) .

(٤) ومن ذلك ما رواه مسلم رقم (٢٣٢٣) في الصدقة عن عائشة – رضي الله عنها – أن رجلا أتى النبي – ﷺ – فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توصي وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال " نعم " . وفي الحج روى أبو داود رقم (١٨١١)، وابن ماجه رقم (٢٩٠٣) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: من شبرمة ؟ قال ": قريب لي، قال: هل حججت قط ؟ قال: لا، قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة ". وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣١٢٨) .

جوابان: أحدهما: أن سعي غيره لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه، وهو أن يكون صالحًا، ولكن إذا نواه به حصل له، والوكيل قائم مقام الموتى.

﴿ ثُمَّ يُجْزَنهُ ﴾ ثم يجزى سعيه؛ يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء لوصفه بالجزاء الأوفى، أو لبدله عنه. ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف، وبالكسر على الابتداء (١) وكذلك ما بعده.

و﴿ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ بمعنى النهاية، أي: ينتهي إليه الخلق. ويرجعون إليه؛ كقوله: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢) ﴿ أَضْحَكَ ﴾ أهل الجنة في الجنة ﴿ وَأَبْكَىٰ ﴾ أهل النار في النار.

وقيل: خلق الضحك والبكاء. ﴿ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ أي: تراق في الرحم؛ يقال: مني وأمنى. وقيل: يخلق من مني الماني، أي: قدر المقدر. ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ﴾ التزمها بوعده.

﴿ وَأَقْنَىٰ ﴾ (٢٨١/ ب) أعطى القِنية وهو المال الذي تأثلته وعزمت ألا تخرجه من يدك ﴿ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾ اثنتان: الغميصاء والعَبور، وأراد العَبور، وكانت العرب تعبدها، زين لهم ذلك أبو كبشة؛ رجل من أشرافهم، وكانت قريش يقولون لرسول الله ﷺ : ابن أبي كبشة. تشبيهًا له به؛ لمخالفته إياهم في دينهم؛ يريد: أنه رب معبودهم.

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

﴿ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. وقيل: ﴿ ٱلْأُولَىٰ ﴾ بمعنى القدماء؛ لأنهم أول الأمم هلاكًا بعد قوم نوح، أو لأنهم المتقدمون في الدنيا الأشراف. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ لأنهم كانوا يضربون نبيهم ويؤذونه حتى لا يبقى فيه حراك، وينفرون الناس عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم منه، وما أثر دعاؤه فيهم قريبًا من ألف سنة. ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ﴾

---

(١) العامة على الفتح " وأن " وقرأ أبو السمال بالكسر " وإن ".

تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٨).

قرى قوم لوط. ﴿أَهْوَىٰ﴾ أسقطها من العلو ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أمر عظيم لا يدرك قدره ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ فبأي نعم ﴿رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: تشك؛ عدد الله سبحانه نعمًا ونقمًا، وسماها آلاء؛ لأن كل واحدة منها حث على الطاعة وتنفير من المعصية. و﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جملة ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ فلا وجه لإنكاره، أو ﴿هَٰذَا﴾ الرسول ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جملة المنذرين الأولين، وقال: ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة.

﴿أَزِفَتِ﴾ قربت ﴿ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ القيامة، لقوله جل جلاله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ (١) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: مبينة متى تقوم؛ لقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (٢).

وعن رسول الله ﷺ: أنه لم يُرَ ضاحكًا بعد نزولها (٣).

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ شامخون متبرطمون متكبرون. وقيل: لاهون لاعبون، وقال بعضهم لجاريته: أسمدي لنا؛ أي: غني، وقال الشاعر [من الوافر]:

فإنك لو شهدتَ بكاءَ هندٍ ... و[رملة] (٤) إذ يصكان الخدودا
إذ لشهدتَ معولةً ثكولا ... أباحَ الدهرُ واحدَها الفقيدا
رمى الحدثانُ نسوةَ آلِ حربٍ ... بمقدارٍ سمدنَ له سُمودا
فردَّ شعورَهنَّ السودَ بيضًا ... وردَّ وجوهَهنَّ البيضَ سودا (٥)

---

(١) سورة القمر، الآية (١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٣) وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١): رواه أحمد في الزهد والثعلبي من حديث صالح بن أبي خليل، ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبيرعن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٤) بياض بالأصل والمثبت من تاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله (١٠/ ٤٧).

(٥) ينظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٩)، وذكره أبو القاسم بن هبة الله الشافعي في تاريخ مدينة دمشق (١٠/ ٤٧)، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٥٩٨)، لسان العرب (سمد) والبيتان الأولان في تاريخ دمشق: وإنك لو سمعت بكاء هند ... ورملة حين يلطمن الخدودا
بكيت بكاء معولة ثكول ... أصاب الدهر واحدها الفريدا

تفسير سورة القمر [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ روي أن أنس بن مالك قال: " إن أهل مكة (٢٨٢/أ) سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم القمر قد انشق نصفين، وحراء بينهما " [(١)].

وقيل: إن الماضي يعني المضارع؛ أي: ينشق يوم القيامة، وفي قراءة حذيفة: (وقد انشق القمر) [(٢)] كما تقول: أقبل الأمير؛ إذا جاء المبشر بقدومه، وعن حذيفة: أنه خطب بالمدائن، فقال: " ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ " [(٣)].

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يرده، وكفى به رادًا، ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: دائم، وكل من دامت طريقته مستمر. لما رأوا تواتر المعجزات قالوا: هذا سحر مستمر وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ قوي؛ من قولهم: استمر مريره؛ أي: تضاعفت قوته. وقيل: هو من قولهم استمر الشيء: إذا اشتدت مرارته، أي: هو مر في حلوقنا لا نستطيع أن نسيغه؛ كما لا يساغ المر الشديد المرارة، أي: مستبشع عندنا، مر لهواتنا.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بدفع الحق بعد ظهوره. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: كل الأمر لابد أن يصير إلى غاية أو ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من أمرهم فله قرار مستقر عندهم. ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ

---

(١) حديث انشقاق القمر رواه البخاري رقم (٣٦٣٦، ٣٨٦٩)، ومسلم رقم (٢٨٠٠).

(٢) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٣)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٢٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٣)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٧).

(٣) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١ - ١٦٢) للحاكم والطبراني وأبي نعيم من رواية ابن علية عن عطاء بن السائب عن ابن عبد الرحمن، ونسبه لعبد الرزاق من وجه آخر عن عطاء، ولأحمد من رواية شعبة عن عطاء.

﴿هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ (١) أو: كل أمر ذو مستقر، أو: ذو موضع استقرار، أو زمان استقرار.

﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾من القرآن، وأنباء الآخرة. ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار، أو: موضع ازدجار. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾نفي أو إنكار، أي: فأي غنى تغني النذر. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا ينفع فيهم؛ لأنهم مطبوع على قلوبهم. نصب ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾بـ" يخرجون" أو بإضمار اذكر، والداعي: إسرافيل أو جبريل. ﴿نُّكُرٍ﴾ أي: منكر تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾حال من " يخرجون " وخشوع الأبصار عبارة عن الذلة؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز يظهران في عيونهما. ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ مثل في الكثرة والتموج، يقال: جاء الجيش كالجراد منتشر في كل مكان.﴿مُّهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادي أعناقهم. وقيل: ناظرين إليه لا يميلون بأبصارهم عنه، ومنه قول الشاعر [من الطويل]:

تعبَّدني نمرُ بنُ سعدٍ وقد أرى ... ونمرُ بنُ سعدٍ لي مطيعٌ ومهطعُ(٢)

﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾أي: نوحًا. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾ ؟ قلتُ: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا، أي: كذبوه تكذيبًا عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو: كذبت قوم نوح المرسلين فكذبوا عبدنا، ولما كانوا مكذبين للرسل جاحدين (٢٨٢/ ب) للنبوة رأسًا كذبوا نوحًا؛ لأنه من جملة الرسل. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ وانتهر بالشتم والضرب.

وقيل: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ زجرته الجن واختطفت فهمه وعقله، أي: فانتصر لي، وإنما دعا بذلك

---

(١) سورة غافر، الآية (٣٩).

(٢) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٥)، العين للخليل (١/ ١٠١)، لسان العرب (نمر) و (هطع)، والمعنى: كان ذليلا لي فصار فوقي.

حين استمر عنادهم، فلا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا؛ لأنه كان يلقاه الرجل منهم فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا. ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: وجعلناها كلها كأنها عيون ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني: مياه السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ على سفينة، وهي من الصفة القائمة مقام الموصوف، لا يفصل بينها وبينها. والدسر: الدفع، والدسار: ما يدفع به من مسمار ونحوه.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جَزَآءً﴾ مفعوله. والذي كفر هو نوح؛ لأن النبي ﷺ نعمة من الله؛ قال الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (١).

وقرئ: " جَزَآءً لِّمَن كَانَ كَفَرَ " بفتح الكاف والفاء(٢).

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ الضمير للسفينة أو للفعلة، وبقيت على جبل الجودي. وقيل: بأرض الجزيرة حتى أدرك السفينة أوائل هذه الأمة. والمدكر: المعتبر، أي: فهل من معتبر، والنذر: جمع نذير، وهو الإنذار. ﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهلناه للادكار والاتعاظ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد. وقيل: سهلناه للحفظ فهل من راغب في حفظه، ويجوز أن يكون يسره بمعنى هيأه؛ قال الشاعر [من الطويل]:

فقمتُ إليهِ باللجامِ ميسّرًا كذلك يجزيني الذي كنتُ أصنعُ(٣)

لأن التوراة والإنجيل وسائر الصحف لا تحفظ عن ظاهر القلب وإنما ينظر فيها وتقرأ.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) قرأ بها يزيد بن رومان وعيسى وقتادة. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٧).

(٣) البيت للأعرج ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٨).

﴿وَنُذُرِ﴾ وإنذاري بإنذار الرسل. وقيل: بإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: يوم شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ دائم إلى أن فرغ من هلاكهم، كانوا يفرون من الريح فيدخلون في الشعاب والحفر العميقة في الأرض فتخرجهم الريح وتدق رقابهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ كأنهم أصول نخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ منتزع من أصله، وكانوا أقوامًا طوالاً؛ فإذا سقطوا على الأرض كانوا كالنخلة السحوق إذا سقطت. وقيل: شبهوا بالنخل المنقعر؛ لأن الريح كانت تقتلع رؤوسهم فيبقون كأنهم نخل بغير رأس، وذكر صفة النخل بقوله: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ وأنثها في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(1)؛ حملاً على اللفظ (٢٨٣/أ) والمعنى.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾

وقرئ: "أبشرٌ" بالرفع(2) على الابتداء، و﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ الخبر. كان صالح يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال. وسعر: جمع سعير، وهي النار المتقدة، فعكسوا عليه، وقالوا: إن اتبعناك كان الأمر كما تقول. وقيل: السعر: الجنون؛ يقال: ناقة مسعورة.

وقال [من الطويل]:

كأنَّ بها سُعرًا إذا الريحُ هزَّها ... ذميلٌ وإرخاءٌ من السيرِ مُتْعِبُ(3)

---

(١) سورة الحاقة، الآية (٧).

(٢) قرأ بها أبو السمأل. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٣٧).

(٣) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٠)، تفسير القرطبي (١٧/ ٩٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٩)، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٢) وفيه:

تخال بها سعرا إذا العيس هزها ... ذميل وتوضيع من السير متعب

والذميل: ضرب من سير الإبل. وقيل: هو السير اللين ما كان. وقيل: هو فوق العنق، قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ". من لسان العرب (ذمل).

وأنكروا أن يكون الرسول بشرًا، وكونه منهم أيضًا؛ لأن البشرية جنس جامع له ولهم، وكونه واحدًا فقالوا: كيف تتبع هذه الأمة كلها رجلاً واحدًا ؟ ﴿أَشِرٌ﴾ بطر طالب للرياسة علينا. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب، أو يوم القيامة. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه ؟ وقرئ: "ستعلمون" بالتاء[1] على حكاية ما سألوا. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ وامتحانا.

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم، وما هم عليه. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري. ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[2] وذكر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبا للعقلاء. ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضور لهم وللناقة. ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف، وقيل: الناقة أو السيف. ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحة جبريل. والهشيم: الشجر اليابس المتهشم، والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة. ﴿حَاصِبًا﴾ ريحًا تحصبهم بالحجارة.

﴿بِسَحَرٍ﴾ بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران، والسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه، وصرف لأنه نكرة، ويقال: لقيته سحر؛ أي: بسحر يومك.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نِّعْمَةً﴾ أنعمناها؛ مفعول له: ﴿مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بالإيمان والطاعة ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط عليه السلام ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾. ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وجعلناها كسائر الوجوه لا يظهر فيها شق. روي أنهم عالجوا باب لوط ليدخلوا؛ فقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾[3] فقالوا له: إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم " سيعلمون " بالغيبة. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٣٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٨) .

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٥٥) .

(٣) سورة هود، الآية (٨٠) .

إِلَيْكَ ﴾[1] فمسح جبريل بجناحه وجوههم فصار موضع العين لحمًا مساويا لجميع الوجه، فلم يهتدوا للباب حتى أخرجهم لوط. ﴿بُكْرَةً﴾ إن نكرته فالمراد (٢٨٣/ ب) بُكْرَةً من جملة البُكَر، وإن عرفته ولم تصرفه أردت بكرة يومك. فإن قلتَ: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؟ قلتُ: فائدته أن تبقى هذه المواعظ نصب أعينهم ويستحضروها بقلوبهم ولا يغفلوا عنها، ونظيره تكرير: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن[2]. وفي المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [3]. النذر: موسى وهارون وغيرهما؛ لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو: جمع نذير، وهو الإنذار.

﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ بالآيات التسع. ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض. ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين وهم قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وآل فرعون، يعني: أكفاركم خير من أولئكم في القوة والعدة والمال والبسطة، أو أقل عنادًا ؟ بل قومك أكثر عنادًا وأبعد عن الانقياد. ﴿أَمْ﴾ أنزلت عليكم ﴿بَرَاءَةٌ فِي﴾ الكتب المتقدمة أن من كفر منكم كان آمنا من عذاب الله فأمِنْتُم بها ؟! ﴿نَحْنُ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ينصر بعضنا بعضًا. وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اليوم ننتصر من محمد وأصحابه فنزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [4]. روي: أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [5] أي: الأدبار؛ كما قال [من الوافر]:

كُلُوا في بعضِ بطنِكُمُ تَعِفُّوا [6]

---

(١) سورة هود، الآية (٨١) .

(٢) الآيات (١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧) .

(٣) الآيات (١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٠) ونسبه لابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بنحو هذا.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٦٩٩)، وأحمد في المسند رقم (٢٨٨٥) .

(٦) هذا صدر بيت وعجزه:............... فإن زمانكم زمن خميص.

ينظر في: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٤٢٨)، تفسير أبي السعود (١/ ١٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٣٨)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٧٩) .

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدواهيه. ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ سقر اسم علم لجهنم. ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، والقدر: التقدير.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ يريد قوله:

﴿كُن﴾. ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم من الأمم. ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: في اللوح ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: وأنهار؛ اكتفى باسم الجنس. وقيل: هي السعة والضياء من النهار؛ وأنهر الدم: أخرجه بكثرة. ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضي. ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أي: مقربون عند ملك عظيم القدرة والمملكة؛ فلا منزلة أتم من تلك المنزلة، ولا مقعد أكمل منه، ولا مقتدر أعظم منه.

* * *

تفسير سورة الرحمن [مدنية]

(٢٨٤/أ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) ﴾

بدأ سبحانه بتحديد نعمائه على العالمين، فبدأ بنعمة الدين، وبدأ من نعم الدين بما هو في أعلى مراتبها وأشرف مناصبها وهو تعليم القرآن، وهو من أعظم حرمات الله، وهو الحبل المتين، والصراط المستقيم، ثم ثنى بنعمة إيجاد الإنسان، وما خلق فيه من عجائب التربيب وحسن النظم والترتيب، وما وهبه له من المنن والمصالح فقال: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وفي ﴿ الْبَيَانَ ﴾ قولان: قيل: هو النطق. وقيل: هو الكتابة؛ كقوله: ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) وقوله: ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال المعطوفة أخبار، ولم يأت بينها بعاطف؛ لأنه جعلها كالجملة الواحدة؛ تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، جبرك بعد كسر، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد؛ فأي شيء تشكر من إنعامه ؟!

﴿ بِحُسْبَانٍ ﴾ يجريان بحسبان معلوم؛ يجريان في بروجهما ومنازلهما، وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها: علم السنين؛ لقوله عز وجل عن القمر: ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (٢) ومنها إنضاج الفواكه ويبس الحبوب المزروعة.

و﴿ وَالنَّجْمُ ﴾ النبات الذي ليس له ساق يبقى سنة ثانية، و﴿ وَالشَّجَرُ ﴾ كل ما له ساق ويبقى إلى سنة ثالثة وأصله قائم. وسجودهما: انقيادهما لما خلق الإنسان من أجله تشبيهًا بالمكلفين في انقيادهم بالسجود لله تعالى، والضمائر العائدة في الأخبار إلى ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴾ استغني عنها بقوة الكلام، والتقدير: يجريان بحسبانه ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ له.

وقيل: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ جعله آية وعلامة على صدق الرسول. وقيل: ﴿ الْإِنسَانَ ﴾ آدم. وقيل: محمد ﷺ. وعن مجاهد: ﴿ وَالنَّجْمُ ﴾ نجوم السماء (٣). ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ خلقها

---

(١) سورة العلق، الآية (٤، ٥).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٠).

مرفوعة. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ خفضه؛ لأن به يحصل العدل والتناصف، ويدخل فيه المكيال؛ لأنه يعرف به وفاء الحق، وكذلك القرسطون وهو القبان.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لئلا تطغوا، أو هي " أن " المفسرة، أي: فقلنا: لا تطغوا. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: وقوّموا وزنكم ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوه، وكرر لفظ " الميزان " تأكيدا لوجوب الاحتياط في الوزن. ﴿وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحُوَّة على الماء. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما ظهر على وجه الأرض من دابة. وقيل: الأنام: الإنس والجن.

(٢٨٤/ ب) ﴿فَاكِهَةٌ﴾ أنواع ما يتفكه به، والأكمام: كل ما يتغطى به من ليفه وسعفه وقشر طلعه، وكله ينتفع به؛ كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل: الأكمام: أوعية الثمر، الواحد: كم، بكسر الكاف. ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع. وقيل: التين، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الرزق، وهو اللب؛ أراد أن فيها ما يتفكه به، وفيها ما يتغذى به وهو الرزق. وقرئ: "والريحان" بالجر[1]؛ عطفًا على ﴿الْعَصْفِ﴾ أي: فيها ما تأكلون أنتم وأنعامكم؛ كما قال: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[2] وقال: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾[3]. وقيل: وفيها الريحان الذي يشم، والخطاب في ﴿رَبِّكُمَا﴾ للجن والإنس بدلالة الأنام عليها، وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾

الصلصال: الطين اليابس له صلصة. والفخار: الطين المطبوخ بالنار، ومعنى الآية: أنه

---

(١) قرأ بالكسر حمزة والكسائي، وقرأ بالرفع ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو.
تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٣٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٩).

(٢) سورة النازعات، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٧).

خلق الإنسان من تراب، ثم جعل نسله من ماء مهين، ثم جعله طينا ثم صلصالا ثم حمأ مسنونًا، أي: منتنا. ﴿ٱلْجَآنَّ﴾ أبو الجن. وقيل: إبليس، والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان له. وقيل: المختلط بسواد النار؛ من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط، ومعنى قوله: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان المارج؛ كأنه قيل: من صاف من نار أو مختلط من نار؛ أراد: من نار مخصوصة. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متساويين في مرأى العين. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حديهما، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

و﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ هذا الخرز الأحمر وهو البسذ[(١)]. وقيل: اللؤلؤ كباره، والمرجان صغار اللؤلؤ[(٢)].

وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ مع أنه لا يخرج إلا من الملح خاصة؛ لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يعبر عنهما بالتثنية والإفراد؛ كما تقول: أخرجت الشيء من البحر، وأنت لا تخرجه من جميع البحر؛ بل من بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من محلة منه؛ بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب. ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفن، ﴿وَٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعات الشُّرُع ﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ الجبال. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات[(٣)]. ومساكين مكة تقول: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان؛ أي: من الجوع. ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ﴾ الذي يجله

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣١) عن كعب الأحبار. و البسذ: ليس بعربي، وهو المرجان: جوهر أحمر. قال ابن بري: والذي عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهري. ينظر: لسان العرب (بسذ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣١) عن عكرمة.

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم (٢٨٥/أ) أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك، أو: من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من أعظم صفات الله تعالى، ولقد قال ﷺ: " أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام "[١]. ومر رسول الله ﷺ برجل يصلي، وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: " قد استجيب لك "[٢].

فإن قلتَ: لم قال عقيب هذه الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وأي نعمة في هذا ؟

قلت: فيه أعظم النعم، وهو مجيء وقت الجزاء وانتصاف كل مظلوم ممن ظلمه.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

كل ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مفتقرون إليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: كل وقت يجدد أحكامًا لتجدد أمور، وروي أن النبي ﷺ سئل عن هذه الشؤون؛ فقال: " يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويضع قومًا ويرفع آخرين "[٣].

وعن ابن عباس: " الدهر كله عند الله يومان، فما مضى من الزمان فشأنه فيه الأمر والنهي والأخذ والإعطاء والمنع، والآخر: يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب "[٤]. وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: لا يقضي في يوم السبت شيء. وقيل: إن ملكًا سأل وزيره عنها فلم يجبه، فأمهله ثلاثا فلم يجب، فقال غلام الوزير: أنا أفسره وأعلمه فأعلمه؛ فقال: من شأنه أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٣٥)، والترمذي رقم (٣٤٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٥٠).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٠٤٤)، والترمذي رقم (٢٤٣٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب رقم (١٠١٨) و لظ بالمكان، وألظ به، وألظ عليه: أقام به وألح، وألظ بالكلمة: لزمها. والإلظاظ: لزوم الشيء والمثابرة عليه، ولظ بالشيء: لزمه، وألظوا – في الحديث – أي: الزموا هذا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. لسان العرب (لظظ).

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٩٨) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه: إسناده حسن. وحسن الشيخ الألباني إسناده في تحقيق سنن ابن ماجه رقم (٢٠٢).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٤٧).

الميت من الحي، ويشفي سقيما ويسقم سليمًا، ويبتلي معافي ويعافي مبتلي، ويعز ذليلا ويذل عزيزًا، ويفقر غنيًا ويغني فقيرًا، فقال الملك: أحسنت؛ فأمر الوليد أن يخلع له بباب الوزارة؛ فقال: يا مولاي: هذا من شأن الله. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأتفرغ لك؛ أي: لا أجعل لي شغلا غير عقوبتك، ومراده: التوفر على ذلك والاهتمام به. ﴿الثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجن؛ سميا بذلك لأنهم مثقلان بالذنوب. ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾ أي: إن قدرتم أن تخرجوا من ملكوتي فافعلوا، لا تطيقون ذلك إلا بسلطان يقهر من يمنعكم. وروي: أن الملائكة تنزل يوم القيامة فيحيطون بأقطار الأرض فيهرب أهل الموقف من شواظ النار ولهبها فلا يأتون جهة من الجهات إلاّ وجدوا الملائكة يردونهم بالمقامع.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩)﴾

والشواظ: اللهب الخالص، والنحاس: الدخان. وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم. وعن ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ (٢٨٥/ ب) إلى المحشر[(١)].

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تمتنعان ﴿وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت كما قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾[(٢)] وهو دردي الزيت، وهو جمع دهن، أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام وقيل: الدهان: الأديم الأحمر. المراد: لا يسألون عن ذنوبهم. ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بعلامات يعرفون بها من سواد الوجوه وزرقة العيون، وأما قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٣)] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[(٤)] فلأن يوم القيامة فيه مواطن، ففي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون، وفي

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٩)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٢) ونسبه لابن أبي شيبة عن الضحاك ﷺ قال: " نار تخرج من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها لتحشر القردة والخنازير تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا ".

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

(٣) سورة الحجر، الآية (٩٢).

(٤) سورة الصافات، الآية (٢٤).

بعضها يختم على أفواههم فتتكلم جوارحهم بما صنعوا.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى﴾ أي: يشد بسلسلة من خلف ظهره إلى قدميه. وقيل: تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بنواصيهم، وتارة تأخذ بالأقدام. ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماء حار قد انتهى حره ونضجه يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: إن واديًا من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها، وقد أحدث الله سبحانه لهم جلدًا جديدًا. وعد ذلك نعمًا؛ لأن الإنسان بالإنذار ينجذب قلبه إلى الطاعة خوفًا. ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾(١) ويجوز أن يراد بـ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أن ربه قائم عليه مطلع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وقيل: هو مقحم؛ كما تقول: أخاف جانب فلان، وقول الشاعر [من الوافر]:

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنهُ ... مقامَ الذئبِ للرجلِ اللعينِ(٢)

وقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾ خطاب للجن والإنس، للخائف من مقام ربه من الإنس جنة، وللخائف من الجِنّ جنة. وقيل: إحدى الجنتين للإيمان والأخرى لترك المعاصي. والأفنان: الغصون خصت بالذكر؛ لأنها التي تثمر، ومنها تتفرع العروق وتغذق الأغصان.

وقيل: الأفنان: جمع فن؛ أي: أنواع من الفواكه؛ قال الشاعر [من الطويل]:

ومنْ كلِّ أفنانِ اللذاذةِ والصبا ... لهوتُ به والعيشُ أخضرُ ناضر(٣)

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار، ينظر في: تفسير الطبري (١/ ٤٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥١)، لسان العرب (لعن).

(٣) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٢).

ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ في الأعالي والأسافل؛ كما يختارون. وقيل: تجريان من عينين

(٢٨٦/أ) إحداهما التسنيم، والأخرى السلسبيل. ﴿زَوْجَانِ﴾ صنفان: صنف معروف وصنف مجهول. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على المدح للخائفين أو حال منهم؛ لأن ﴿مَنْ خَافَ﴾ في معنى الجمع. ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، وإذا كانت هذه البطائن، فما ظنك بالظهائر. وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور. ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد. ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في هذه الآلآت المعدودة ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم، في هذه الآية دليل على أن الجن تطمث كما يطمث الإنس. وقيل: هن في صفاء الياقوت والمرجان، وصغار الدر أنصع بياضًا وقيل: إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كله؛ كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب، وعن محمد بن الحنفية[1]: إنهما للبر والفاجر؛ من أحسن أحسن إليه، ومن أساء أسيء إليه[2].

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين اللتين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ جنتان، وجنتان أخريان دون تلك الجنتين المتقدمتين لمن دونهما من أصحاب اليمين. ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قد اشتدت خضرتهما، والأخضر يرى من البعد أسود، ومنه سمي سواد البصرة.

و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء، والنضخ - بالخاء المعجمة - أقوى من النضح؛ لأن النضح بالحاء المهملة شبيه بالرش، وإنما ذكر النخل والرمان بعد ذكر الفاكهة اعتناءً بذكرهما؛ كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[3] وهما من الملائكة؛ ولأن

---

(١) في الأصل: محمد بن الحسن، والمثبت كما في الكشاف وبقية المراجع.

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧١٤) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن الحنفية في قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قال: هي مسجلة للبر والفاجر". قال البيهقي: يعني: مرسلة.

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٨).

النخل ثمره فاكهة وقوت، وهو التمر، وأما الرمان فإنه فاكهة ودواء؛ فلم يخلص للتفكه، ومنه قال أبو حنيفة: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا لم يحنث، وخالفه صاحباه[١].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿خَيْرَٰتٌ﴾ خيرات مخفف؛ كقوله عليه السلام: " المؤمنون هينون لينون "[٢] وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات، وقرئ: "خيِّرات"[٣] على الأصل، والمعنى: فاضلات الأخلاق، حسان الخلق.

﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قصرن في خدورهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة: مخدرة وقيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة. ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنتين، ودل عليهم ذكره الجنتين. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ (٢٨٦/ ب) نصب على الاختصاص. والرفرف: ضرب من البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض رفرف. وقيل: لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف، ورفرف السحاب: هيدبه[٤]. والعبقري: المنسوب إلى عبقر، يزعم العرب أنه بلد الجن فينسب إليه كل شيء عجيب، وقرئ: "رُفرُف" بضمتين[٥]. ﴿وَعَبْقَرِىٍّ﴾ بفتح القاف

---

(١) **ينظر:** تفسير القرطبي (١٧/ ١٨٦)، عمدة القاري للعيني (١٩/ ٢١٤).

(٢) نسبه السيوطي في الجامع الصغير لابن المبارك عن مكحول مرسلا، وللبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر – رضي الله عنهما – وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٦٦٩).

(٣) قرأ بالتشديد " خيِّرات " ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٩).

(٤) **الهيدب:** السحاب الذي يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة. وقيل هيدب السحاب: ذيله. وقيل: هو أن تراه يتسلسل في وجهه للودق ينصب كأنه خيوط متصلة، وهيدب السحاب: ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط. **ينظر:** لسان العرب (هدب).

(٥) قرأ بها عثمان بن عفان ونصر بن عاصم وعاصم الجحدري.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠).

ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحته[1]. فإن قلتَ: كيف تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن الأولين؛ حتى قيل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ؟

قلتُ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ دون ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، ﴿ونَضَّاخَتَانِ﴾ دون ﴿تَجْرِيَانِ﴾ و﴿فَٰكِهَةٌ﴾ دون ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: "ذو الجلال"[2] صفة للاسم.

* * *

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠) وهي مشكلة؛ إذ لا مانع من تنوين ياء النسب، وكأن هذا القارئ توهم كونها في " مفاعل " يمنع من الصرف. وقد روي عن النبي ﷺ وجماعة " وعباقريٌ " منونا.

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده، وقراءة الباقين بالياء " ذي الجلال ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢١).

تفسير سورة الواقعة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩)﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي : كانت الكائنة، وسميت الواقعة؛ لوقوعها فإنها كائنة بلا شك، يقال : وقع ما كنت أتوقعه؛ أي : نزل ما كنت أرتقب نزوله، وانتصبت ﴿إِذَا﴾ بقوله : ﴿لَيْسَ﴾ أي : إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار اذكر؛ أي : إذا وقعت ليس نفس تكذب، واللام مثلها في ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [(١)] أو : ليس لها نفس تكذبها أوهي من قولهم : كذبت فلانًا نفسُه في الخطب العظيم. وقيل : كاذبة مصدر كالعافية والعاقبة؛ بمعنى التكذيب؛ من قولك : حمل على قرنه فما كذب، أي : فما جبن، وتحقيقه أنه ما كذَّب نفسه، فيما كانت تمنِّيه أنه يقدر على الخلاص منه.

﴿خَافِضَةٌ﴾ أي : هي خافضة ﴿رَّافِعَةٌ﴾ ترفع أقوامًا وتضع آخرين، وإما لأن الأشقياء يخفضون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء من مقرها فتخفض بعضًا وترفع بعضًا حيث تسقط السماء كسفًا، وتنتثر الكواكب، وتسير الجبال، وتمر في الجو مر السحاب. ﴿رُجَّتِ﴾ حركت تحركًا شديدًا، حتى لا يبقى شيء على وجهها. ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي : فتّت. وقيل : هو من بس الغنم إذا ساقها.

﴿مُّنۢبَثًّا﴾ متفرقًا، وقوله : ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ ويجوز أن يكون المراد أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : ترفع وتخفض وقت رج الأرض وسير الجبال. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا؛ يقال للأصناف التي اجتمع بعضها مع بعض أزواج.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذين يؤتونها بشمائلهم، أو : أصحاب المنزلة السنية (٢٨٧/أ) وأصحاب المنزلة الدنية، وذلك لتيمنهم

---

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

بالميامن، وتشاؤمهم بالشمائل، ولذلك اليمنى من اليمن، وسميت الشمال الشؤمي وقيل : يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه. وقيل : الناس ثلاثة : رجل ابتكر الخير من حداثة سنه فلم يزل عليه حتى مات فهذا السابق، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه ثم تراجع في آخر عمره بالتوبة فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى مات فهذا صاحب الشمال.

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

يريد : والسابقون من عرفت حالهم، وقد جعل﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثانية توكيدًا، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ خبرًا، وليس بذاك، ووقف بعضهم على﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وابتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ (١).

﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾

والثلة : الجماعة؛ قال الشاعر [من الطويل] :

وجاءتْ إليهم ثلةٌ خندفيةٌ تجيشُ كتيارٍ من السيلِ مزبدِ(٢)

﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ كفى به دليلا على الكثرة، وهي من الثل وهو الكسر، والأمة من الأم وهو الشج، والمعنى : إن السابقين كسر من الأولين، وهم الأمم من لدن آدم إلى النبي ﷺ.

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٨) .

(٢) **ينظر البيت في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٨) وفي الدر : من البحر مزبد .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ. وقيل: ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ من متقدمي هذه الأمة، ﴿مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ من متأخريها.

وروي مرفوعًا: " الثلتان جميعًا من أمتي "[١]. وروي أنها لما نزلت شق على الصحابة فلم يزل النبي ﷺ يسأل حتى نزلت ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[٢] وأنكر صاحب الكشاف ذلك؛ لأن المذكور في الآية خبر، والأخبار لا تنسخ؛ ولأن هذه الآية واردة في السابقين الأولين وهذه في أصحاب اليمين[٣]. وقيل: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة[٤]. و﴿ثُلَّةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم ثلة. ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ موصولة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت؛ قد دخل بعضها في بعض، كحلق الدرع. وقيل: متواصلة، أدني بعضها من بعض. ﴿مُّتَّكِئِينَ﴾ حال من المجرور، أي: استقروا عليها ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ باقون على صفة الولدانية. (٢٨٧/ب) لا يشيبون ولا يهرمون. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها. وفي الحديث: " أولاد الكفار خدام أهل الجنة "[٥]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٩١) وصححه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٩) لابن المنذر وابن مردويه والطبراني ومسدد في مسنده، وقال السيوطي: بإسناد حسن.

(٢) روى الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٩١) عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال: تحدثنا ليلة عند رسول الله ﷺ حتى أكرينا أو أكثرنا. ثم ذكر نحوه إلا أنه قال: فإذا الظراب ظراب مكة مسدودة بوجوه الرجال. وقال أيضا: فإني رأيت عنده أناسا يتهاوشون كثيرا. قال: فقلنا: من هؤلاء السبعون ألفا فاتفق رأينا على أنهم قوم ولدوا في الإسلام ويموتون عليه. قال: فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا ولكنهم قوم لا يكتوون وقال أيضا: ثم قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبر أصحابه ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبر أصحابه ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. ثم قرأ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

(٣) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٩).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٩) عن الحسن.

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٤) وقال: "روي من حديث سمرة ومن حديث أنس؛ فحديث سمرة رواه البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط والبخاري في تاريخه الوسط كلهم من حديث عيسى بن شعيب ثنا عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: ' هم خدم أهل الجنة'.

=

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أواني بلا عرى. والإبريق: ما له عروة. ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يفرّقون عنها، ولا يصدر صداع عنها. ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ يأخذون خيره وأفضله. و﴿يَشْتَهُونَ﴾ ﴿يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون، وقرئ ﴿وَحُورٌ﴾ بالرفع(1) على: فيها حور، أو للعطف على ﴿وِلْدَانٌ﴾. ﴿جَزَآءً﴾ أي: يفعل بهم ذلك جزاء. ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إما بدل من ﴿قِيلًا﴾ بدليل قوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾(2). السدر: شجر النبق، والمخضود: الذي لا شوك فيه. وقيل: المراد: الموقر الذي تنثني أغصانه من كثرة حمله،

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)﴾

والطلح: شجر الموز، وقيل: هو شجرة أم غيلان(3) وهي في الآخرة طيبة الريح. وقيل: هو شجر يشبه أم غيلان، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقرأ علي ﴿وَطَلْحٍ﴾ وقال: "ما لي وللطلح"(4).

= وقال البزار: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة ولا رواه عنه إلا أبو رجاء العطاردي. وقال الطبراني في معجمه الأوسط ولا رواه عن أبي رجاء إلا عباد بن منصور. وقال البخاري: عيسى بن شعيب بصري صدوق. وأما حديث أنس فرواه البزار في مسنده ثنا الفضل بن سهل ثنا الحجاج ابن نصير ثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " أطفال المشركين خدم أهل الجنة". وسكت عنه وهذا مناقض لقوله: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة. وله طريق آخر؛ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشي قال: قلنا لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: " لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها ولم يكن لهم حسنات فيكونوا بها من أهل الجنة هم خدم أهل الجنة". وبهذا السند رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الربيع بن صبيح عن الطبراني بسنده إلى الربيع ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس.

(1) هذه قراءة جمهور القراء، وقرأ حمزة والكسائي " وحورٍ عينٍ " بالجر. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٠٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٢).

(2) سورة مريم، الآية (٦٢).

(3) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤/ ٣٨): " طلح بالفتح ثم السكون والحاء مهملة وهو شجر أم غيلان له شوك معوج وهو من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عودا وأجوده صمغا ".

وفي لسان العرب (غيل): أم غيلان: شجر السمر.

(4) **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٠١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٩).

وقرأ قوله : ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ [(١)] فقيل له : آي القرآن تحول ؟ فقال : آي القرآن لا تهاج ولا تحول. والمنضود : نضد من أسفله إلى أعلاه بالثمر؛ فليس يبين من ساق شجر الجنة شيء. ﴿مَّسْكُوبٍ﴾ يسكب لهم أين شاءوا كيف شاءوا. وقيل : دائم الجري لا ينقطع. وقيل : دائم يجري على الأرض من غير أخدود. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ بل هي دائمة. وقيل : لا مقطوعة بالزمان. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بالأثمان، وقرئ: "وفاكهةٌ " [(٢)] على: وهناك فاكهة ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضد بعضها فوق بعض أو مرفوعة على الأسرة. وقيل : النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ على الأرائك؛ قال تعالى : ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [(٣)] .

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدًا من غير ولادة؛ فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن، أو : كنَّ من الحور العين أو اللاتي أعيد إنشاؤهن إن كن من الإنسيات كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا، وروي أن عجوزًا قالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال : " إن الجنة لا يدخلها العجائز؛ فولت وهي تبكي؛ فقال النبي ﷺ : (٢٨٨/أ) أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية " [(٤)]. ﴿عُرُبًا﴾ متحببات لأزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك؛ قال النبي ﷺ : " يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين " [(٥)].

﴿ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ

---

(١) سورة ق، الآية (١٠) .

(٢) قرأ " وفاكهةٌ " بالرفع زيد بن علي وأبو عبد الرحمن.

تنظر في " الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٧).

(٣) سورة يس، الآية (٥٦).

(٤) حسنه الشيخ الألباني في مختصر الشمائل (ص : ١٢٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٧٥٩٢) واللفظ له، والترمذي رقم (٢٤٦٨) وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٠٧٢)، وجردا : لا شعر على أجسادهم. ومردا : لا شعر في أذقانهم، وجعادا: قصيري شعر الرأس. ويقصد بذلك حسنهم وجمالهم.

مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

واللام في ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ من صلة " إنشاء " و" جعلنا ". ﴿فِي سَمُومٖ﴾ في حر نار تتقد في المسام. ﴿وَحَمِيمٖ﴾ ماء حار متناهي الحرارة.

﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ من دخان أسود بهيم. ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾ نفي لصفتي الظل عنه؛ سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه. وفيه تسميع أن الكفار ظلهم ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾ وإنما يستحق هذا الوصف المؤمنون والسابقون وأصحاب اليمين.

و﴿ٱلۡحِنثِ﴾ الذنب العظيم، ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث؛ أي: بلغ أن يؤخذ بالمآثم.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. [فإن قلتَ:] كيف حسن العطف على الضمير في ﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾ من غير توكيد بـ ﴿نَحۡنُ﴾ ؟ قلتُ: حسن للفاصل الذي هو الهمزة. ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى من، ومنه مواقيت الإحرام. ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ ﴿مِّن﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ الهيام: داء يأخذ الإبل فتشرب ولا تروى. وقيل: الهيم: الرمال. فإن قلتَ: كيف صح عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان، وهو عطف الشيء على نفسه ؟ قلتُ: لأن الشرب الأول مما يتعجب منه؛ لأن الماء الذي انتهى حره و﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ [1] كيف يقدرون على شربه مع تلك الحالة، وأعجب منها أنهم يشربونه شرب الهيم !! فلما عظمت كل صفة منها صار ذلك كالتعجب فعطف على ما قبله؛ لاختلاف المعنيين. النزل: الرزق الذي يعد للنازل تكرمة، وفيه تهكم بهم؛ كقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2] ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ فهلا تصدقون.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ

---

(١) سورة الحج، الآية (٢٠).

(٢) سورة الانشقاق، الآية (٢٤).

بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تصبون في الأرحام من المني. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ بشرًا عالمًا قويًا. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ لذات الإنسان وصفاته.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ وقهرنا العباد به ﴿وَمَا نَحْنُ﴾ بمغلوبين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ في الأرض خلقًا (٢٨٨/ ب) أطوع لله منكم ويخلقكم خلقًا على غير الصفة التي أنتم عليها الآن. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أن من قدر على عمل فعل فهو على إعادة مثله أقدر، وهم كانوا يعتقدون أن الله خالقهم؛ فلما لم يعملوا بهذا الاعتقاد كانوا كالمكذبين؛ فلهذا قال: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ﴾ أي: توجدونه وتصورونه. ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾ المعايش، وقدرنا بينكم الموت على تفاوت في طول العمر وقصره.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ قومًا يخالفونكم في الخلقة والصفات والاعتقادات، وفي هذه الآية دليل على صحة القياس، حيث أنكر عليهم [أنهم] لم يقيسوا النشأة الثانية على الأولى[1]

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٢٩٧): " قال ابن بطال: وأول من أنكر القياس إبراهيم النظام وتبعه بعض المعتزلة وممن ينسب إلى الفقه داود بن علي، وما اتفق عليه الجماعة هو الحجة فقد قاس الصحابة فمن بعدهم من التابعين وفقهاء الأمصار وبالله التوفيق. وتعقب بعضهم الأولية التي ادعاها ابن بطال بأن إنكار القياس ثبت عن ابن مسعود من الصحابة، ومن التابعين عن عامر الشعبي من فقهاء الكوفة وعن محمد بن سيرين من فقهاء البصرة. وقال الكرماني: عقد هذا الباب وما فيه يدل على صحة القياس وأنه ليس مذموما لكن لو قال من شبه أمرا معلوما لوافق اصطلاح أهل القياس قال: وأما الباب الماضي المشعر بذم القياس وكراهته فطريق الجمع بينهما: أن القياس على نوعين صحيح وهو المشتمل على جميع الشرائط، وفاسد وهو بخلاف ذلك فالمذموم هو الفاسد وأما الصحيح فلا مذمة فيه، بل هو مأمور به.

وقد ذكر الشافعي شرط من له أن يقيس فقال: يشترط أن يكون عالما بالأحكام من كتاب الله تعالى وبناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ويستدل على ما احتمل التأويل بالسنة وبالإجماع فإن لم يكن فبالقياس على ما في الكتاب فإن لم يكن فبالقياس على ما في السنة فإن لم يكن فبالقياس على ما اتفق عليه السلف وإجماع الناس ولم يعرف له مخالف، قال: ولا يجوز القول في شيء من العلم إلا من هذه الأوجه ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلاف العلماء ولسان العرب ويكون صحيح العقل ليفرق بين المشتبهات، ولا يعجل=

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ لزراعة الحب؛ معنى ﴿تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبه ﴿ءَأَنتُمْ﴾ تنبتونه وتجعلون له مادة من الشرب إلى أن ينتهي إلى غايته.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

وعن رسول الله ﷺ : " لا يقولن أحدكم زرعت؛ فإن الله هو الزارع، ولكن يقول : حرثت " قال أبو هريرة : انظر إن شئت : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1]. ﴿حُطَٰمًا﴾ كالفتات والجذاذ، أسماء لما انهشم وتفتت.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون. ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي : عدمنا وغرمنا النفقات على هذا الزرع وحرمنا بركته. وقيل : المحروم : من زرع زرعًا فلم ينجب أو أنشأ بستانًا فلم ينجب؛ قال الله تعالى في قصة البستان : ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى أن قال : ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[2] أي : لسنا من أصحاب الحظ، ولو كنا منهم لأنجب زرعنا. وقيل : الغرام : الهلاك، ومنه قوله : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[3]

﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب، واحدته مزنة. وقيل : هو السحاب الأبيض، الأجاج : الشديد الملوحة؛ لا يقدر على شربه، وإنما دخلت اللام في قصة الزرع ولم تدخل في قصة المزن؛ لأن الجملة الثانية دخلت على جملتين إحداهما مرتبطة بالأخرى؛ فأشبهت الشرط فجعلت اللام في جواب " لو " علمًا على شبه الشرطية؛ فإذا استمر استعمالها صارت اللام المحذوفة كالثابتة؛ قال الشاعر [من الرجز] :

= ويستمع ممن خالفه؛ ليتنبه بذلك على غفلة إن كانت وأن يبلغ غاية جهده، وينصف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما قال ". انتهى، من فتح الباري.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٥٢١٧) وضعفه، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٣) للبزار وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم، عن أبي هريرة.

(٢) سورة القلم، الآية (٦٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٥).

حتى إذا الكلابُ قال لها كاليومِ مطلوبًا ولا طالبا[(١)]

أي : لم أر كاليوم، وأيضًا فإن ثبات اللام في أحد الموضعين دليل على إثباته في الآخر (٢٨٩/أ) ﴿تُورُونَ﴾تقتدحون نارها، والعرب تأخذ عودين فتحك أحدهما بالآخر فتقدح نارًا، وترى مع المسافرين منهم عودين برسم ذلك تقتدح بهما النار.

﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المسافر النازل في القواء، وهي الأرض الخالية. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ يعني النار المقتدحة بعيدان الشجر. ﴿تَذْكِرَةً﴾تذكر بنار جهنم، وفعلنا ذلك ليتذكر العصاة بهذه النار ما يعذبون به في الدار الآخرة. وفي الحديث : " ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، قالوا : يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال : فإنها تفضل عليها بتسعة وستين جزءًا "[(٢)]. وقيل : المقوي : هو الذي خلت أوعية زاده فلم يبق له زاد.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾أي : فأحدث التسبيح باسم ربك، أو أراد : تذكر اسم ربك ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للمضاف أو للمضاف إليه؛ أي : اذكر الإله الذي خلق من المني بشرًا، ومن الحب زرعًا، ومن السحاب مطرًا، ومن الشجر الأخضر نارًا. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه : فلأنا أقسم و "لا" زائدة؛ كقوله : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(٣)] وكقوله : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(٤)] والتقدير : فلأنا أقسم، ولا يجوز أن تكون اللام جواب القسم؛ لأن جواب القسم بالمضارع يلزمه النون؛ تقول : حلفت لأفعلن، وحذفها قبيح في الكلام، ولأن جواب القسم يراد به الاستقبال، وها هنا المراد به الحال. ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها إذا رجم بها الشياطين، ويجوز أن تكون الملائكة، ولأولياء الله في هذه الأوقات عبادات مخصوصة؛ ولأنه وقت الاستغفار بالأسحار ونزول رحمة الرب سبحانه إلى سماء الدنيا قائلا : " هل من داع

---

(١) ينظر البيت في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٦٥)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٨٨).

(٢) رواه مسلم رقم (٥٠٧٧)، والترمذي رقم (٢٥١٤)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٩).

(٣) سورة القيامة، الآية (١).

(٤) سورة الحديد، الآية (٢٩).

فأستجيب له، أو مستغفر فأغفر له، أو من تائب فأتوب عليه "[١]. واستعظم القسم بها بقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾. واعلم أن في هذه الآية جملة معترضة متعلقة بجملة أخرى معترضة؛ فالجملة الأولى : " وإنه لقسم عظيم " والجملة الثانية : ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ﴾فإنه لو قال : وإنه لقسم لاستقام. وقيل : المراد بالنجوم : نزول القرآن على رسول الله ﷺ منجمًا ﴿كَرِيمٌ﴾ حسن مرضي في جنسه من الكتب، أو كثير النفع أو كريم على الله. المكنون : الكتابة في اللوح المحفوظ، مصون من غير المقربين من الملائكة. ﴿ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ من جميع الذنوب، ومن النقائص والمعايب، وهم المطهرون (٢٨٩/ ب) في قوله : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ إن جعلت الجملة الثانية صفة للكتاب، وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، ومن الناس من حمله على القراءة أيضًا. وعن ابن عمر أنه قال : أحب إلي ألا يقرأ إلا وهو طاهر[٢]. وعن ابن عباس أنه أباح قراءة القرآن للجنب[٣]. ومنه قول رسول الله ﷺ : " المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه "[٤] أي : ينبغي أن يكون كذلك.

---

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند رقم (١٧٢٢٨)، ورواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٧٧)، ومسلم رقم (١٢٦١) بلفظ " ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ". وهذا لفظ البخاري. وهذا الحديث معروف بحديث النزول وهو من صفات الله تعالى التي أخبر عنها النبي ﷺ في هذا الحديث الثابت، وقد أشرنا من قبل إلى أن مثل هذه الصفات الثابتة لله – تعالى – يجب إثباتها كما أتت من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل، وهذه هي عقيدة السلف الصالح – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٩) قال العيني في عمدة القاري (٣/ ٢٧٤) : " ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا، هذا الأثر وصله ابن المنذر بلفظ أن ابن عباس كان يقرأ ورده وهو جنب وقال ابن أبي شيبة حدثنا الثقفي عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان لا يرى بأسا أن يقرأ الجنب الآية والآيتين، وكان أحمد يرخص للجنب أن يقرأ الآية ونحوها، وبه قال مالك، وقد حكي عنه أنه قال : تقرأ الحائض ولا يقرأ الجنب؛ لأن الحائض إذا لم تقرأ نسيت القرآن؛ لأن أيام الحائض تتطاول ومدة الجنابة لا تطول، وأراد البخاري بإيراد هذا وبما ذكره في هذا الباب الاستدلال على جواز قراءة الجنب والحائض لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره وبه قال الطبري وابن المنذر وداود ".

(٤) رواه البخاري رقم (٢٢٦٢)، ومسلم رقم (٤٦٧٧).

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ
﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾
وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ
ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن؛ أي: منزل من رب العالمين، أو وصف بالمصدر؛ لأنه منجم من بين سائر الكتب؛ فكأنه في نفسه تنزيل؛ ولهذا قالوا: نطق به التنزيل، وجاء به التنزيل. ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون بالقرآن لا تعظمونه وواجب تعظيمه. ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ حظكم منه التكذيب، التقدير: وتجعلون بدل شكركم النعمة التكذيب بها. ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا، والمعنى: فهلا ترجعونها إن كنتم صادقين، وفصل بين ﴿فَلَوْلَآ﴾ وما تعلقت به بالشرط. ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مجزيين، كما تدين تدان؛ أي: كما تفعل تجزى.

* * *

تفسير سورة الحديد [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ جاء في بعض الفواتح بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وكلا المعنيين صحيح؛ أي: عادتهم التسبيح، وشأنهم أن يسبحوا له ويعظموه، وقد جاء تارة باللام، وتارة بغير لام؛ كقوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١) ومعنى سبحت لله، أي: جعلت التسبيح خالصًا لوجهه. ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من يتأتى منه التسبيح.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ⑤ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑩﴾

قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يجوز ألا يكون له محل، وأن يكون مستأنفًا وأن يكون مرفوعًا بخبر مبتدأ محذوف، أي: هو يحيي ويميت، وأن يكون منصوبًا؛ حالاً من المجرور في ﴿لَهُ﴾ والجار عاملا فيها؛ ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس، ومعنى دخول الواو في قوله: ﴿وَالْآخِرُ﴾ أنه الجامع بين هاتين الصفتين، وأما الثالثة فدخلت الواو؛ لتدل على أنه جامع بين الصفتين الأخيرتين،

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٢).

وأما الوسطى فدخلت لتدل على اجتماع الأول مع الثاني (٢٩٠/أ) والثالث مع الرابع.

وقيل: الغالب؛ لقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾[(١)] ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يريد أن الأموال التي بأيديكم ملك لله وأنتم تتصرفون فيها بإذنه كالوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها؛ كما يهون على الرجل إذا أنفق من مال غيره، أو جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم في المال الذي بأيديهم وأيديكم، فاعتبروا بحالهم؛ كيف انتقل منهم إليكم؛ وسينقل منكم إلى غيركم ! ولا تبخلوا، وارفعوا بالإنفاق منها أنفسكم.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في الجار والمجرور، والواو في ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال؛ فهما حالان متداخلتان، وقد مضى ذكر نظيره في أوائل ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[(٢)] أي: قد ركب فيكم العقول التي تؤديكم إلى العلم بصفاته وأنه يثيب على الإنفاق أضعافًا مضاعفة. ﴿أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ أي: أي شيء لكم في ترك النفقة ؟!

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سينتقل من أيديكم انتقال المال الموروث بعد هلاك صاحبه. ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم﴾ أي: قبل فتح مكة، وكان الإسلام ضعيفًا، فالنفقة في ذلك الوقت أصابت محلاً قابلا، أي: ومن أنفق بعد ذلك؛ أي: بعد ما عزَّ الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فحذف ذكر القسم الثاني؛ لوضوح دلالة الكلام عليه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: المثوبة الحسنى، وقرئ: "كلٌّ" بالرفع[(٣)] مع أن الفعل لم يشتغل بضميره، وهو جائز؛ ولكنه قليل الاستعمال[(٤)]. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) سورة الصف، الآية (١٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١).

(٣) قرأ بالرفع ابن عامر وحده والباقون بالنصب " وكلا ".

تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٧٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٥).

(٤) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (١/ ١٤٧): " الجملة المخبر بها إن كانت نفس المبتدأ في المعنى فحكمها في الاستغناء عن ذكر يرجع إلى المبتدأ حكم المفرد الجامد، ولأجل ذلك لم يفتقر ضمير الشأن إلى ما يرجع إليه من الجملة المخبر عنه بها. فإن لم تكن الجملة نفس المبتدأ في المعنى وجب اشتمالها على ضمير يعود على المبتدأ، أو ما يقوم مقامه، وقد يحذف العائد إذا كان عند حذفه لا يجهل، فإن كان العائد مفعولا وكان المبتدأ " كلا " أو شبهه جاز الحذف، وبقاء المبتدأ مبتدأ بلا خلاف، ومن ذلك قراءة ابن عامر " وكل وعد الله الحسنى " وكذا إذا كان المبتدأ شبيها بـ " كل " في العموم أو=

عنه - لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله[(١)].

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

القرض الحسن : الإنفاق في سبيله؛ شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز؛ لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه. ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ أي : يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفًا. ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي : ذلك الأجر المضاعف أجر عظيم قبل أن ينضاف إليه المضاعفة. ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف والعامل فيه الاستقرار في قوله : ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ﴾ أو منصوب بمضمر تقديره : يوم ترى يكون كيت وكيت. يؤتى السعداء صحائف أعمالهم من بين أيديهم وبأيمانهم (٢٩٠/ ب) ونور تلك الصحائف ينوِّر لهم هاتين الجهتين، ويؤتى الأشقياء صحفهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، وإذا تجاوز السعداء الصراط سعوا في أنوار أعمالهم وصحائفهم، ويكون ذلك شعارًا بفوزهم، وتقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

= الافتقار إلى متمم للمعنى، وكذا المشبه " كلا " بالافتقار إلى متمم دون عموم. فإن كان المبتدأ غير " كل " والعائد مفعول لم يجز عند الكوفيين حذفه وبقاء المبتدأ مبتدأ، بل يوجبون نصبه بمقتضى المفعولية إلا في ضرورة شعر، وخالفهم البصريون بإجازة رفع غير " كل " في الاختيار". قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٧٤) - بعد أن نقل عن ابن مالك إجماع البصريين والكوفيين على جواز ذلك إن كان المبتدأ " كلا " أو ما أشبهها في الافتقار والعموم - : " وهذا لم أره لغيره ".

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٤).

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿انظُرُونَا﴾ انتظرونا؛ لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركائب تسرع بهم، والأشقياء مشاة. وقيل: ﴿انظُرُونَا﴾ انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، واستنارت الطريق للمنافقين، وجعل اتئادهم في المشي ليلحقهم المنافقون أنظارًا. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستضيئوا بهم. ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وقد علموا أنه لا نور لهم؛ وإنما هو طرد وإقنات.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ أي: بحائط. قيل: ذلك السور: الأعراف، لذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: ما يخص المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ ما بدا للمنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهته، وهو الظلمة ينادى المنافقون المؤمنين فيقولون: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا في الجهاد والصلوات؟ فيقول المؤمنون: كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أوقعتموها في الفتنة ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالموت الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في الدين الحق ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ طول العمر والطمع ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ﴾ الموت و﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان. ﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يفتدى به ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ أي: أولى بكم، وحقيقة الكلام: النار هي أولى بكم أن تكونوا فيها، وهو كقولهم: مئنة.

وفي الحديث: " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه "[1]. أي: محل يقال فيه: إنه لفقيه، ومنه قوله: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾[2] فسماه إغاثة. وقيل: تتولاكم جهنم؛ كما توليتم في الدنيا أعمال الفجور.

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحن، يقال: أنى الشيء يأنى إناء؛ إذا جاء وقته. قيل: كانوا بمكة مجدبين مضيقًا عليهم في ذات اليد، فلما هاجروا إلى المدينة اتسع لهم العيش ففتروا عما كانوا عليه؛

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤ ٣٧)، وأحمد في المسند رقم (١٧٥٩٨) ومئنة: كقولك: مخلقة لذلك، ومجدرة لذلك ومحراة ونحو ذلك. قال الأصمعي: قد سألني شعبة عن هذا، فقلت: مئنة يقول: هي علامة لذاك خليق لذاك. قال أبو عبيد: يعني أن هذا مما يعرف به فقه الرجل ويستدل به عليه وكذلك كل شيء دلك على شيء فهو مئنة له. **ينظر**: غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٦١).

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

فنزلت الآية[١]. (٢٩١/أ) وعن ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين[٢]. وعن ابن عباس : استبطأ الله قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن[٣]. وعن الحسن : أما والله لقد استبطأهم وهم يحفظون من القرآن أقل مما تحفظون، ويعملون من أعمال الخير أضعاف ما تعملون، وحدث فيكم من الفسق ما لم يكن في الأولين[٤].

وروي أن هذه الآية قرئت بين يدي أبي بكر الصديق، وعنده ناس من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدًا؛ فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب[٥]. وكانت بنو إسرائيل إذا سمعوا التوراة خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوه من التغيير والتبديل وغيره. ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يجوز أن يراد بهما شيء واحد وقيل : ذكر الله أعم، وما نزل من الحق أخص، ويجوز أن يراد خضوعها لذكر الله؛ كقوله : ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٦] أراد بـ﴿ٱلْأَمَدُ﴾ الأجل؛ كقوله [من البسيط] :

ولا يهلُ حيٌّ إذا انتهى أمدُه[٧]

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيل لإثراء الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ هم المتصدقون، وقرئ: "إن المصَدِّقين" بالتخفيف[٨] وهم

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن المبارك وعبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣ ٥٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن المنذر وابن مردويه والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير عن ابن مسعود.

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٧).

(٦) سورة الأنفال، الآية (٢).

(٧) **ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٧٧).

(٨) قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر عنه " المصدقين والمصدقات " بتخفيف الصاد، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم " المصدقين والمصدقات " بتشديد الصاد.

تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٧٨)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٢٦).

الذين صدقوا الله ورسوله، والقراءة الأولى بمعنى إخراج الصدقة.

﴿وَأَقْرَضُوا﴾ معطوف على معنى المتصدقين؛ كأنه قيل: إن الذين تصدقوا وأقرضوا.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ وهم الشهداء؛ أي: هم عند الله بمنزلة الشهداء، ويجوز أن تقف على قوله: ﴿هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ وتبتدئ ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ نبه سبحانه وتعالى أن الدنيا إنما هي أمور محقرات من لعب ولهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد ثم مثل حالها في سرعة زوالها بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزراع؛ لأن الزارع يستر الحب الذي يبذره، والكفر: الستر ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ثم ييبس، فترى ذلك الزرع الأخضر صار أصفر، ثم عن قليل يصير حطامًا.

وقيل: ﴿الْكُفَّارَ﴾ الجاحدون لنعم الله تعالى، وهم مثلُ أصحاب الجنة الذين ابتلاهم بإحاطة الله بزرعهم[1] وكما فعل بأصحاب الجنتين في سورة الكهف[2].

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا إلى أعمال الجنة سعي المسابق ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

---

(١) ورد ذكرهم في الآيات (١٧ - ٣٣) من سورة القلم.

(٢) ورد ذكرهم في الآيات (٣٢ - ٤٣).

(٢٩١/ب) أي: كعرض السماوات السبع والأرضين السبع، وذكر العرض دون الطول؛ لأن عرض كل شيء أقصر من طوله، ويجوز أن يراد بالعرض الكثرة؛ كقوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[1].

﴿مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ نحو الجدب وآفات الزرع. ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بالأعلال والأمراض ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: قبل أن نخلقها؛ فإن الله هو البارئ المصور، والضمير في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ يرجع إلى الأرض أو النفس أو المصيبة.

إن إثبات ذلك يسير على الله، يعني: إذا علمتم بأن كل شيء مكتوب عند الله خفت الهموم، وعلم أن كل ما قدر كائن. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم عنده اختال وافتخر به وتكبر على الناس. فإن قلتَ: ما نرى أحدًا يملك نفسه ويمنعها عن الفرح بما يتجدد من خير ولا يمنعها من التألم إذا ناله ما يسوءه؟

قلتُ: المراد ذم الفرح الذي يخرج إلى الفخر والخيلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني الملائكة إلى الأنبياء. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والمعجزات. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتب؛ كقوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2] أي: الكتب.

وقيل: الكتاب. الخط بالقلم، تقول: كتبت كتابًا وكتابة. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فأعطاه نوحًا، وقال له: مر قومك يزنوا به[3]. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قيل: نزل آدم ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان، والكلبتان، والمطرقة، والإبرة[4]. وقيل: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ خلقناه؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[5].

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فالبأس الشديد: القتال به، والمنافع ظاهرة. قيل: ما من عمل من الأعمال إلا وفيه آلة من الحديد. ﴿وَجَعَلْنَا وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: بإعداد آلة

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة الزمر، الآية (٦).

الحرب من السيف والرمح وغيرها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿فَمِنْهُم﴾ أي: من الذرية. وقيل: من المرسل إليهم، دل عليه ذكر الإرسال والمرسلين، ونحو وصفهم بأن في قلوبهم الرأفة والرحمة قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]. والرهبانية: ترهُّبُهم في الجبال فرارًا من الفتنة. وروي أن الجبابرة (٢٩٢/أ) ظهروا على أصحاب عيسى بعد أن رفعه الله إليه فقاتلوهم مرارًا، وقتل الكفار أكثر أصحاب عيسى، وبقي منهم قليل فخافوا أن يفتنهم الكفار فاختاروا الترهب والانقطاع[2]. وانتصابها بفعل مضمر يفسره "ابتدعوها" أي: أحدثوها من عند أنفسهم، ولم يأتهم أمر من الله بذلك.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما فرضناها عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يريد أهل الرأفة الذين اتبعوا عيسى.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على ما ابتدعوه من الرهبانية، ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة، و﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ صفة لها في محل النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم، والمعنى: وفقناهم للرحمة بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم الذين حافظوا على ما ابتدعوه من الرهبانية. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يحافظوا على ما التزموه من الرهبانية.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن

---

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨١)، وروى الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٩) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي : بموسى وعيسى ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ ﴾ بمحمد ﷺ.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي : نصيبين؛ لإيمانكم به وبمن قبله ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يوم القيامة بخلاف المنافقين الذين حرموا النور.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ " لا " : زائدة؛ أي : لأن يعلم ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ ﴾ " أن " مخففة من الثقيلة أصله : أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، وإن كان قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ خطابًا لغيرهم فمعناه : اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسوله ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ ﴾ ما وعد المؤمنين وهما الكفلان من رحمته.

روي أن رسول الله ﷺ بعث جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعا النجاشي فأجابه فقال جماعة من عظماء أهل اليمن للنجاشي : ائذن لنا أن نتوجه إلى محمد ﷺ ونواسيه بأموالنا فأذن لهم، وقدم جعفر إلى النبي ﷺ ومعه أربعون رجلاً فواسوا المؤمنين بأموالهم ووسعوا عليهم، فنزلت الآية[1] والله أعلم (٢٩٢/ ب).

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤٢)، وذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٤١٩) وقال : وهذا مرسل.

تفسير سورة المجادلة [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت المجادلة رسول الله ﷺ في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع، وسمع قولها "[١]. والمرأة خولة بنت ثعلبة، امرأة أوس بن الصامت، رآها وهي تصلي، وكانت حسنة الجسم، فلما سلَّمت راودها عن نفسها فأبت فغضب، وكان به خفة فظاهر منها؛ وأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن أوسًا تزوجني وأنا شابة مرغوب فيَّ، فلما أفنى شبابي ونثرت أفلاذ كبدي جعلني عليه كأمه. وروي أنها قالت : إن لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا؛ فقال ﷺ : " ما عندي في أمرك شيء "[٢].

وروي أنه قال لها : حرمت عليه فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، كلما قال رسول الله ﷺ : حرمت عليه شكت. فنزلت: ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ في شأنه[٣]. يسمع كل مسمع ويبصر كل مبصر. ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم﴾ في ﴿مِنكُم﴾ توبيخ للعرب، وتهجين لعادتهم في الظهار. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ أي : ليسوا بأمهات لهم وقد جعلها المظاهر أمًا؛ فكأن هذا القول ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ منكرًا تنكره الحقيقة، وتنكره الأحكام الشرعية، ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا باطلاً، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف إذا تيب عنه

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ

---

(١) رواه أحمد رقم (٢٣٠٦٤)، والنسائي رقم (٣٤٠٦)، وابن ماجه رقم (١٨٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٥٥).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٢٣) وقال : رواه البيهقي والدارقطني في سننيهما بروايات مختلفة وفي سنن أبي داود منه شيء يسير وكذلك الطبراني في معجمه.

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٢٣).

فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ
بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ كانوا يظاهرون في الجاهلية؛ فلما جاء الإسلام تركوا ذلك، ثم عادوا بعد ذلك فظاهروا. وإذا ظاهر من امرأته لم يحل له وطؤها حتى يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ والمعنى: أن تدارك هذا القول بالكفارة وإحسان الصحبة بعد ذلك، والمماسة: الجماع، وما يقرب منه من الاستمتاع، والظهار أن يشبه امرأته بأمه، أو بعضو من أعضائها، أو بأخته، أو غيرها من المحارم، أو يشبهها بعضو من أعضاء الأم غير الظهر، إلا أن أبا حنيفة يقول: إن شبهها بعضو يسمى به الجسد كله؛ كالرأس والرقبة، وعنده أيضًا: إذا لم يكفر المظاهر فللمرأة مطالبته بالتكفير لتحل، وعند الشافعي: إذا امتنع لا ترافعه المرأة ولا تستحق عليه الوطء[1]. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعديها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٩٣/أ) الذي لم يقوموا بما يوجبه الظهار ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يُحَادُّونَ﴾ يعادون ﴿كُبِتُوا﴾ أخزوا. ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ من عادى الرسل قبلهم. قيل: أراد كبتهم يوم الخندق. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تدل على صحة الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوب بـ " الكافرين " أو بـ " مهين " أو بإضمار اذكر؛ تعظيمًا لليوم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين؛ أي: كلهم، والمراد: اجتماعهم في مكان واحد في ذلك الوقت.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخًا، يتمنون عنده المسارعة إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحاط به عددًا. ﴿وَنَسُوهُ﴾ أنهم تهاونوا به. ﴿مَا يَكُونُ﴾ أي: ما يوجد، وهي كان التامة، والنجوى تأنيثها غير حقيقي، وهي

---

(١) ينظر: بداية المبتدي للمرغيناني (١/ ٨١، ٨٢)، المبسوط للسرخسي (٦/ ٢٣٠).

التناجي. ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ بإضافة ﴿نَّجْوَىٰ﴾ إلى﴿ ثَلَٰثَةٍ ﴾ أو جعلهم نفس النجوى مبالغة، وقرأ ابن أبي عبلة: "ثلاثةً" و "خمسةً" بالنصب[1] على الحال، أو بإضمار "يتناجون" روي أن اليهود والمنافقين كانوا إذا رأوا المؤمنين تغامزوا وتضاحكوا وتناجوا فنهاهم رسول الله ﷺ ففعلوا ثم عادوا، فنزلت ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾[2] أي: يقولون: السام عليك، والسام: الموت. والتناجي بالبر والتقوى: أن تقولوا يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولا تقولوا: السام عليك. ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: إن كان محمدٌ نبيًّا؛ فلم لا يعذبنا الله بما نقول؟ فقال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، ويجوز أن يكون للمؤمنين وللمنافقين، يعني: إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾

روي أن النبي ﷺ قال: " لا يتناج اثنان دون ثالث؛ فإن ذلك يحزنه "[3].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ اللام في " النجوى " إشارة إلى التناجي بالإثم والعدوان؛ بدليل قوله:

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وليس الحزن بضار الذين آمنوا ﴿شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ﴾، ﴿ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾[4] أي: توسعوا فيه، والمراد: مجلس رسول الله ﷺ كانوا يتضامُّون فيه؛ تنافسًا على القرب منه وسماع كلامه ﷺ. وقيل: هي مجالس القتال؛ كما سميت مقاعد في قوله:

---

(١) تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٨٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٨٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٤).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٨١٤)، ومسلم رقم (٤٠٥٢).

(٤) قرأ " في المجلس " بالإفراد جمهور القراء، وقرأ " في المجالس " عاصم وحده.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٨٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩٢).

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [1](٢٩٣/ ب) ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ مطلق في كل ما يراد التوسع فيه، وهو المجلس والقلب والرزق وغير ذلك. ﴿ٱنشُزُوا۟﴾ ارتفعوا لتوسعوا على المقبلين، أو ارتفعوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تفرطوا. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ﴾ المؤمنين بامتثال أوامر رسوله والعلماء منهم خاصة. ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بما تعلمون. عن ابن مسعود أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس : افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم [2].

وعن النبي ﷺ : " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " [3]. وعنه : " يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء " [4]. فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وفي كلام بعض الحكماء : ليت شعري، أي شيء فات من أدرك العلم، ليت شعري؛ أي شيء أدرك من فاته العلم ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾

﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ استعارة ممن له يدان، والمعنى : قبل نجواكم . ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لأن الصدقة طهرة. روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله ﷺ حتى أملوه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة، قال علي : فدعاني رسول الله ﷺ لما نزلت؛ فقال : ما تقول في دينار ؟ قلتُ: لا يطيقونه، قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة، قال : إنك لزهيد. فلما رأوا ذلك اشتد عليهم وكفوا؛ أما الفقير فلعسرته، وأما الغني فلشُحّه [5]. قيل : كان ذلك عشر ليال فنسخ وقيل : ما كان إلا ساعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٢) وذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٣) ونسبه لابن المنذر عن ابن مسعود قال : " ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ".

(٣) رواه أحمد رقم (٢٠٧٣٣)، وأبو داود رقم (٣١٥٧)، والترمذي رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه رقم (٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٠٤) وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢١٤٨) موضوع.

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٢٢٢) وقال : حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٥٢).

من نهار[١].

وعن علي : " إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا عمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم "[٢]. وعن ابن عمر : " كانت لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم : تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى "[٣]. وقال ابن عباس : " هي منسوخة بالآية التي بعدها. وقيل : هي منسوخة بالزكاة "[٤].

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ (١٨) ﴾

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الخوف من الفقر ؟ وأن الشيطان يعدكم الفقر. ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما أمرتم به ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢٩٤/ أ) وعذركم ورخص لكم في ألا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

كان المنافقون يقولون : اليهود هم الذين غضب الله عليهم في قوله : ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[٥] ونقل المنافقون إلى اليهود أخبار المؤمنين. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مسلمين ﴿وَلَا مِنْهُمْ ﴾

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٤) وصححه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٤) لسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن علي رضي الله عنه .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٥).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٤) ونسبه لأبي داود في ناسخه وابن المنذر من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس.

(٥) سورة المائدة، الآية (٦٠).

أي: من اليهود؛ كقوله : ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الآية [(١)] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي : يقولون : والله إنا لمسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن المحلوف عليه كذب. وكان ابن نبتل يكثر مجالسة النبي ﷺ وينقل أخباره إلى اليهود، فقال رسول الله ﷺ : " يدخل عليكم إنسان وجهه وجه إنسان وقلبه قلب جبار، وينظر نظر شيطان، فدخل ابن نبتل؛ فقال له النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله العظيم أنه لم يكن ذلك، فنزلت ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)].

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعًا من العذاب شديدًا؛ نكره تعظيمًا له. ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بمعنى: أنهم كانوا في الزمن الماضي على هذه الحال، أو هي حكاية ما يقال في الآخرة. ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ وقرئ بكسر الهمزة[(٣)]. جُنَّةً أي : وقاية. ﴿فَصَدُّواْ﴾ فأعرضوا أي: صدوا الناس عن الدخول في الإيمان. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله. ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلاً من الإغناء، روي أن رجلاً منهم قال : لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا. ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي : لله سبحانه على أنهم مسلمون. ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من النفع، وليس العجب من حلفهم في الدنيا؛ فإنها محل المغالبة والإنكار، والحلف الكاذب والانتفاع بالكذب، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ هو حكاية عن استمرارهم على الضلالة، حتى اتصل ذلك بالآخرة.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) قرأ بها الحسن. **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٠).

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾

كما قال : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم واحتوى؛ من حاذ الحمار العانة[(١)] إذا جمعها، أي : ملكهم الشيطان حتى جعلهم رعيته وحزبه. ﴿فَأَنسَاهُمْ﴾ أن يذكروا الله لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. قال أبو عبيدة : حزب الشيطان جنده[(٢)].

﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدًا أذل منهم (٢٩٤/ب) ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة والسيف، أو بأحدهما. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ من باب التخييل؛ أي : نبه أن من الممتنع أن تجد قومًا مؤمنين يوالون المشركين والغرض أن ذلك لا ينبغي أن يقع؛ ولأن العهد بذلك لا يستقيم، وزاد ذلك توكيدًا بقوله : ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ وجعلهم حزب الشيطان، وقابله بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ فلا شيء أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ أثبت فيها. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بنور قذفه في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان.

﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي : من الإيمان؛ على أن الإيمان نفسه روح؛ إذ به تحيا القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح. قيل : كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان.

وعن النبي ﷺ أنه كان يقول : " اللهم لا تجعل لفاسق ولا لفاجر عندي نعمة؛ فإني وجدت فيما أوحيت إلي : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾[(٣)]. وروي أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أباه أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها؛ فقال له رسول الله ﷺ : " أو فعلته ؟ فقال : نعم. قال : فلا تعد؛ فقال : والله لو كان السيف قريبًا مني لقتلته "[(٤)].

---

(١) **العانة** : القطيع من حمر الوحش. **ينظر** : لسان العرب (عون).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٦).

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٤٩٣) عن معاذ بن جبل، بلفظ : " اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة ".، وذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٧) ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٣٢) لابن مردويه في تفسيره.

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٣٣) وقال : غريب. ونقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة إلى آخره. وزاد: فأنزل الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. وكذلك ذكره الواحدي في أسباب النزول نحوه سواء. وذكره أبو جعفر الطبري في الرياض النضرة (٢/ ١٠٢) ونسبه للواحدي وأبي الفرج.

تفسير سورة الحشر [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾

صالح رسول الله بني النضير على ألا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: هو النبي المذكور في التوراة فلا ترد له راية، فلما انهزم المسلمون يوم أحد شكوا وارتابوا فخرج كعب بن الأشرف وهو كبير اليهود فحالف على رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري أن يقتل كعبًا فقتله، وكان محمد بن مسلمة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، ثم جاء النبي ﷺ على حمار خطامه من ليف، فأمرهم أن يخرجوا من البلاد، فقالوا: الموت أهون من ذلك، فاستمهلوا رسول الله ﷺ عشرة أيام فأمهلهم، ثم تنادوا بالحرب فدس المنافقون من يقول لليهود: إن أمركم محمد بالخروج من البلاد فلا تفعلوا، فإنا معكم ننصركم ونعينكم عليه، ولئن خرجتم لنخرجن معكم، فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر (٢٩٥/أ) المنافقين لهم طلبوا الصلح فأبى عليهم رسول الله ﷺ إلا أن يخرجوا من البلاد، وهو الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات ما يحمل جمل، فجلوا من البلاد إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام إلا بيتين وهما لأبي الحقيق وحيي بن أخطب؛ فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة من اليهود بالحيرة(١).

واللام التي في قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ لام التاريخ(٢) كما في قوله: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٨)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور(٨/ ٩٣) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وأبو داود وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) هكذا سماها الفيروزآبادي في القاموس المحيط (١/ ١٤٩٧) فقال: بمعنى عند " كتبته لخمس خلون "، وتسمى لام التاريخ، وسماها السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٩٢) لام التوقيت.

لِحَيَاتِي﴾ (١) أي: في زمن حياتي، ومنه قولك: جئتك لوقت كذا؛ أي: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام، وهذا أول حشرهم، والحشر الثاني إجلاء عمر أهل خيبر. وقيل: آخر حشرهم يوم القيامة؛ لأن المحشر يكون بالشام.

وعن عكرمة: من شك أن المحشر يكون بالشام فليقرأ هذه الآية(٢). وقيل: لأول حشر وقع معهم؛ فإنهم لم يقاتلوا قبل ذلك. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ لقوة حصونهم وكثرة العدد والآلات عندهم. ﴿وَظَنُّوا﴾ أن حصونهم تنجيهم من عذاب الله. ﴿فَأَتَاهُمُ﴾ أمر ﴿اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ حتى خربوا ديارهم بأيديهم؛ فإنهم صالحوا على أن يحمل كل ثلاثة أبيات حمل جمل؛ فكانوا يجدون الخشبة الحسنة مدهونة فلا يسهل عليهم تخليتها للمسلمين، ولا يجدون ما يحملونها عليه، فيكسرها اليهودي صاحبها؛ حسدًا للمسلمين أن ينالوها، ويكسرها المسلم إرغامًا للكافر وهي معنى قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ هو قذف قلوبهم، وتمكين المسلمين من هدم بنيانهم، وأوقف المنافقين الذين حلفوا لليهود على نصرتهم؛ ألقى في قلوبهم الجبن؛ فكفوا عن قتال المسلمين ونصرة اليهود، وهذا كله لم يكن في حسابهم. وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ أبلغ من قول القائل: وظنوا أن حصونهم تمنعهم؛ فإن ذلك الظن يضعف الحصون عن المنع، والذي في هذه الآية يدل على أنهم ظنوا في نفوسهم القدرة والقوة على دفع المسلمين. و﴿الرُّعْبَ﴾ الخوف الذي ترعد منه الفرائص. والقذف: الإلقاء بقوة، ومنه قيل للأسد إنه مقذف؛ أي: قذف باللحم قذفًا، لتداخل أعضائه. والتخريب والإخراب: الإفساد بالنقض، والخربة: الفساد كانوا يخربون بواطنها، والمسلمون ظواهرها؛ لما أراد الله (٢٩٥/ ب) من استئصال شأفتهم، وألا تبقى في المدينة لهم دار، ولا يوجد فيها منهم ديار. وقيل: تخريب بيوتهم بأيدي المؤمنين أن المؤمنين كانوا هم السبب، والفعل ينسب إلى المتسبب فيه والمعين عليه؛ كقولك: ضرب الأمير اللص. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ من نصر الله المؤمنين وتمكينهم من تخريب ديارهم. وقيل: وعد رسول الله ﷺ أن يملكهم الله بلاد

---

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩٢) لعبد بن حميد عن عكرمة، ونسبه في (٨/ ٨٩) للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الكفار وأموالهم وحصونهم وإراحة المسلمين من مجاورتهم.

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ وعوقبوا بالبعد عن ديارهم لما قنع لهم بالجلاء وكفى بالجلاء عن الأوطان عقوبة.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل؛ كما فعل بإخوانهم بني قريظة؛ يعني: إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ ومحل ﴿مَا﴾ نصب بـ ﴿قَطَعْتُم﴾ والتقدير: أي شيء قطعتم، وأنث الضمير العائد على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنه في معنى اللينة، واللينة: النخلة، من الألوان التي هي ضروب النخل، ما خلا العجوة والبرنية، وهما من أجود النخيل، وياؤها منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها؛ كثياب ومياه. وقيل: اللينة: الكريمة؛ كأنهم اشتقوها من اللين وجمعها لين.

وقرئ ﴿أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(١)] أي: قطعها بإذن الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ليذلهم ويغيظهم؛ فإنهم قالوا: إن محمدًا كان ينهانا عن الفساد في الأرض، فما بال النخيل تقطع وهي لم تذنب، فنزلت هذه الآية[(٢)]. وفيها دليل على جواز الاجتهاد من رسول الله ﷺ فإنه نهاهم عن قطع النخيل، ثم أمر به وأذن فيه، واحتج به من يقول إن كل مجتهد مصيب[(٣)].

---

(١) قرأ بها عبد الله بن مسعود والأعمش وزيد بن علي.

تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠١).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩٧) للبيهقي في الدلائل عن مقاتل بن حيان.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤): " اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد وهو من وافق الحكم الذي عند الله تعالى والآخر مخطئ لا إثم عليه لعذره، والأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد، وقد احتجت الطائفتان بهذا الحديث، وأما الأولون القائلون كل مجتهد مصيب فقالوا قد جعل للمجتهد أجر فلولا إصابته لم يكن له أجر. وأما الآخرون فقالوا: سماه مخطئا ولو كان مصيبا لم يسمه مخطئا وأما الأجر فإنه حصل له على تعبه في الاجتهاد. قال الأولون: إنما سماه مخطئا لأنه محمول على من أخطأ النص أو اجتهد فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد كالمجمع عليه وغيره.=

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: جعله خاصة له فيئًا. وأوجفت الدواب إذا أسرعت في السير؛ لأن هذا الفيء ما عاد إليهم بقتال، بل حصل للمسلمين بغير تعب؛ فهو لرسول الله ﷺ يصرفه كيف يشاء، وأتى بالواو في الأولى؛ لأنها عاطفة لها على جملة سابقة تماثلها، وأتى في الثانية بغير واو؛ لأنها كالتفسير والشرح.

الدُّولة والدَّولة بمعنى واحد. وقيل: بضم الدال للشيء الذي يتداول؛ كاللقمة والغرفة. والدَّولة بالفتح: المصدر، والمعنى أن الله (٢٩٦/أ) تعالى أمر أن يكون الفيء للمصالح، ولا يفعل فيه كما يفعل الظلمة في اختصاصهم بمال الفيء.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: وما أعطاكم ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وقيل: إن قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ عام في كل ما أمر به من القسمة وغيرها، وكذلك

= وهذا الاختلاف إنما هو في الاجتهاد في الفروع فأما أصول التوحيد فالمصيب فيها واحد بإجماع من يعتد به ولم يخالف إلا عبد الله بن الحسن العنبري وداود الظاهري فصوبا المجتهدين في ذلك أيضا، قال العلماء: الظاهر أنهما أراد المجتهدين من المسلمين دون الكفار والله أعلم ".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٤٠٩): " والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد وخالف الجاحظ والعنبري وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضا: المصيب واحد. وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد. وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية: هو مصيب باجتهاده وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد ".

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٨/ ٥٤): والحق أن كل مجتهد مصيب من الصواب لا من الإصابة.

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾وهذا القول أجود؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدل من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوف عليه، والذي منع الإبدال من ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمعطوف عليهما - وإن كان المعنى لرسول الله - أن الله أخرج رسوله من الفقراء في قوله: ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾وأنه يرتفع رسول الله ﷺ عن التسمية بالفقر، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل. قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعني: الأنصار، والمعنى: تبوءوا الدار، وأخلصوا لله الإيمان؛ لأن الإيمان لا يتبوأ؛ وكقوله [من الرجز]:

علفتُها تِبنًا وماءً باردًا[١]

وقوله [من الوافر]: وزجَّجْنَ الحواجِبَ والعُيونا[٢]

أي: وكحلن العيون. وقوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل المهاجرين. وقيل: من قبل هجرتهم. قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾أي: طلب محتاج إليه مما استأثر به المهاجرون من الفيء وغيره. والخصاصة: الفقر والحاجة مأخوذ من خصاص الباب، وهي شقوقه، وكان رسول الله ﷺ قد قسم أموال بني النضير على المهاجرين. ولم يعط الأنصار شيئًا إلا ثلاثة نفر؛ صحابيين: أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل، والحارث بن الصمة، وقال للأنصار: " إن شئتم جمعنا أموالكم وهذه الغنيمة وقسمناها بينكم وبين المهاجرين، وإن شئتم أبقينا أموالكم لكم، وخصصنا هذه الغنيمة بالمهاجرين. فقالت الأنصار: بل نقسم لهم أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بهذه الغنيمة فلا نشاركهم فيها؛ فنزلت[٣].

والشح: اللوم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع، كما قال [من الطويل]:

يمارسُ نفسًا بين جنبيهِ كزّةً إذا هم بالمعروفِ قالتْ لهُ مَهْلا[٤]

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الذاريات.

(٢) عجز بيت وصدره: إذا ما الغانيات برزن يوما، **ينظر في**: تفسير الطبري (٢٧/ ١٧٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩٠)، غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٣٠)، لسان العرب (زجج).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٤١).

(٤) **ينظر البيت في**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٥)، فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٦٥) وهو في وصف رجل بخيل، وكزة: شحيحة منقبضة عن فعل الخير، إذا غلبها وأراد المعروف دعته إلى البخل وحجبته عن البذل فكأنها قالت له: أمهل فيطاوعها.

وأضيف إلى النفس؛ لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [(١)] (٢٩٦/ب) ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ومن غلب نفسه على هواها فلم يطعها في المنع فذلك هو المفلح.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١١)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على المهاجرين، وهم الذين هاجروا من بعد المهاجرين الأولين قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ الآية. وقيل: هم التابعون بإحسان. ﴿غِلًّا﴾ الغل والغمر والحقد [بمعنى] [(٢)]. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ﴾ حالفوهم على قتال المشركين معهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ الآيات، وقد استنبط من هذه الآية معنى حسن وهو أن من فعل فعلا أو قال قولا وهو يعتقد بطلانه فكان صحيحًا وانتفع به المسلمون يكون عاصيًا بذلك. وإن هؤلاء المنافقين وعدوا اليهود النصرة، وغشوهم في ذلك، فلما رأوا أنهم مغلوبون خذلوهم، وقصدوا بذلك الخذلان تخليصهم من عهدة اليمين، ولم يقصدوا نفع المسلمين فانتفع المسلمون بذلك الخذلان، وذم الله تعالى الكفار عليه. قوله: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في ترك نصرتكم، أو ترك خذلانهم. ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ الآيات.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧)﴾

---

(١) سورة النساء، الآية (١٢٨).

(٢) ما بين المعقوفين ليس بالأصل وأضيف لإتمام المعنى والسياق. وقرئ " غمرا " بدل " غلا " كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٦).

قوله : ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي : على طريق الفرض والتقدير بعد قوله : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ الآية - فيه دليل على أن الله تعالى يعلم ما لا يكون؛ أن لو كان كيف يكون. قوله : ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ أي : المنافقون يولون مدبرين واليهود المحاربون أيضًا منهزمون. قوله : ﴿رَهْبَةً﴾ مصدر للفعل المبني على ما لم يسم فاعله؛ كأنه قيل : لأنتم أشد مرهوبية. قوله : ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ تلويح بنفاقهم؛ لأنهم يظهرون أنهم يخافون الله، وأنتم في صدورهم أهيب من خوف الله. فإن قيل : فيه دليل على أنهم كانوا يخافون الله، ولكن خوفهم منكم أشد، فجوابه : أن الخوف الذي يظهرونه من الله أضعف من الخوف الذي يخافونه منكم. ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون قدرة الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته. ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم. ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين يعني : اليهود والمنافقين، إلا كائنين ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني : إذا اقتتل بعضهم مع بعض ظهرت الجلادة والقوة، فإذا قاتلوكم حصل الرعب في قلوبهم. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة، يعني : أن بينهم إحنا وعداوة فلا يتعاضدون حق (٢٩٧/أ) التعاضد، وهذا تشجيع لقلوب المؤمنين وحث على قتالهم.

﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أن تشتيت القلوب يوقع الوهن وقلة الثبات. ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي : مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت : بم انتصب ﴿قَرِيبًا﴾ ؟

قلت : بـ ﴿كَمَثَلِ﴾ على كوجود مثل أهل بدر. ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبته، بمعنى : ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة عذاب النار. مثّلَ المنافقين في إغرائهم اليهود وخذلانهم إياهم وقت الحاجة بحال الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ ثم تبرأ منه عند الحاجة، والمراد به قوله لقريش يوم بدر : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية [١] وقرئ : "خالدان فيها " [٢] على أنه خبر إنَّ.

كرر الأمر بالتقوى إما توكيدًا، وإما لأن الأول في أداء الطاعات، والثاني في اجتناب المعاصي، والسياق يدل عليه.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٨).

(٢) قرأ بها ابن مسعود والأعمش وزيد بن علي وابن أبي عبلة.

ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا
يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى
جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
(٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾

﴿لِغَدٍ﴾ لأقرب الأيام إليك، ما زال يقرب أمر الساعة حتى جعلها غدًا كأن الدنيا والآخرة يومان يوم وغد، وأمَّا قوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ نكرة، فلقلة الناظرين فيما عملوه وقدموه للآخرة، وأما تنكير الغد فلتعظيم أمره، وأنه يوم لا يقدر قدره. وقيل: مكتوب على باب الجنة: وجدنا ما عملنا؛ ربحنا ما قدمنا، خسرنا ما خلفنا. ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ فأهملوها إهمال الناسي؛ فلا ينظرون فيما قدموه ليوم القيامة، أو رأوا من أهوال الساعة ما نسوا به أمر الدنيا، جعلهم كالناسين فلا يدرون الفرق بين أهل الجنة وأهل النار. وقد استدل أصحاب الشافعي على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار إذا غلبوا على أموال المسلمين لم يملكوها، والغرض تقريع الإنسان على قلة تحفظه، وقلة نظره لنفسه(١). الغيب: المعدوم، والشهادة: الموجود المدرك؛ كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السر والعلانية، القدوس: بالضم والفتح، وقد قرئ بهما(٢) البليغ في النزاهة عما يستقبح. ونظيره: السبوح والسلام بمعنى السلامة، وبه سميت الجنة دار السلام؛ بليغ في السلامة من الظلم، أو: في كونه سليمًا من النقائص، أو: في إعطائه السلامة، وقرئ: "المؤمَن" بفتح الميم(٣). بمعنى: المؤمن به على حذف الجار. والمهيمن: الرقيب على كل شيء الحافظ له،

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٦/ ٢٥)، الوسيط لأبي حامد الغزالي (٦/ ٢٧٣)، روضة الطالبين للنووي (١٠/ ٢٩٣، ٢٩٤)، التنبيه للشيرازي (ص: ٢٣٥).

(٢) قرأ بالفتح أبو ذر وأبو السمال وقرأ الباقون بالضم.
تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٩).

(٣) قرأ بها أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين. وقيل: ابن القعقاع.
تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٩).

مفيعل من الأمن؛ إلا أن همزته قلبت هاء. والجبار : أجبر خلقه على ما أراد.

والمتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل : المتكبر عن ظلم العباد، والخالق : المقدر لما يريده، والبارئ : المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة (٢٩٧/ ب) والمصور: الممثل الذي يخلق المصورات. وعن أبي هريرة ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال : " عليك بآخر سورة الحشر؛ فأعدت عليه فأعاد عليَّ، فأعدت عليه فأعاد "(١).

* * *

(١) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٤٢) وقال : رواه الثعلبي، وذكر نحوه عن ابن عباس ونسبه للواحدي في تفسيره الوسيط، وهو ما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٢٣) ونسبه للديلمي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة الحشر ".

تفسير سورة الممتحنة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

روي: أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا، قال : أفمهاجرة جئت ؟ قالت : لا قال : فما جاء بك ؟ قالت : كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهب الموالي؛ تعني : قتلوا يوم بدر، فاحتجت حاجة شديدة؛ فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة فأعطاها عشرة دنانير وكساها بردًا واستحملها كتابًا إلى أهل مكة نسخته : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة : اعلموا أن رسول الله ﷺ يريدكم؛ فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل بالخبر؛ فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد، وكانوا فرسانًا، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها، فجحدت وحلفت وهموا بالرجوع؛ فقال علي : والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه، وقال : أخرجي الكتاب، أو فضعي رأسك؛ فأخرجته من عقاص شعرها[1].

وروي أن رسول الله ﷺ أمن يوم الفتح جميع الناس إلا أربعة هي أحدهم، فاحتضر رسول الله ﷺ حاطبًا، وقال : " ما حملك على ذلك ؟ فقال : يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت، وما غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم مذ فارقتهم، ولكني كنت امرءًا ملحقًا في قريش، ورأوني غريبًا، وعرفت أن كتابي لا يغني عنهم من الله شيئًا؛ فصدقه وقبل عذره؛ فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال : ما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر، وقال :

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٨٥) ، ومسلم رقم (٤٥٥٠).

الله ورسوله أعلم، فنزلت[1]. والعدوُّ : من عدا؛ كالعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر؛ عومل معاملته وأوقع على الجمع إيقاعه على الواحد.

ويتعلق ﴿تُلْقُونَ﴾ بالضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ وكان القياس (٢٩٨/أ) حيث رجع الضمير إلى غير من هو له أن يقال : [تلقون إليهم أنتم] [2]، وذلك إنما اشترط في الأسماء دون الأفعال، ولو قلتَ : ملقين إليهم بالمودة. لما كان بد من الضمير البارز، وقوله : ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ أصله : تلقون إليهم المودة، والباء زائدة؛ كما في قوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [3] على أن مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف، والتقدير: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ بسبب المودة التي كانت بينكم؛ وكذلك قوله : ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾. وقوله : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ متعلق إما بـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أو بقوله : ﴿تُلْقُونَ﴾. وقوله :﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ كالتفسير لكفرهم وعتوهم، أو حال من " كفروا " و﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ تعليل لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾أي : يخرجونكم لإيمانكم، وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ تعليل لقوله : ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ وهو شرط وجوابه محذوف دل عليه ما سبق.﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري ﴿بِمَا جَاءَكُم﴾ مخففًا[4] أي : كفروا لأجل ما جاءكم؛ بمعنى : أن ما كان ينبغي أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببًا لكفرهم.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾إن يظفروا بكم، لا تحصل الصداقة ولا تفيد المودة القديمة، وجاء

﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾بالفعل المضارع، وجاء بعده ﴿وَوَدُّوا﴾ ماضيًا؛ لأن الماضي إذا وقع في الشرط صار مستقبلاً؛ كأنه قال : وودوا قبل كل شيء كفركم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٤) ، ومسلم رقم (٤٥٥٠).

(٢) غير واضح بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١٢) وهو مناسب للسياق.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٥).

(٤) هذه قراءة الجحدري. تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١٢).

وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾

خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولاً، ثم ما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا؛ ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت إليه وجدته باطلا أي: كان فيهم مذهب حسن مرضي يتأسى به، ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا؛ حيث كاشفوهم العداوة، وأظهروا البغضاء والمقت؛ حيث صرحوا بأنه ما كان من العداوة والبغضاء ليس إلا لكفرهم، ومتى دام هذا السبب دامت العداوة، حتى إذا آمنوا بالله وحده انقلبت العداوة مودة والبغضاء محبة، ولما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقاربهم من الكفار، وعلم الله منهم الجد والصبر على تلك المشقة؛ فوعدهم بتيسر أمر المحبة وزوال العداوة بقوله: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾ الآية. فلما فتح الله مكة أسلم خلق كثير من أهلها، وزالت الحقود وتحابوا.

وقيل: هو تزويج رسول الله ﷺ (٢٩٨/ب) أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان، وكانت أم حبيبة قد أسلمت، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها وساق عنه إليها أربعمائة دينار، وبلغ ذلك أباها أبا سفيان، فقال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه[1].

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ

(١) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٥٤): غريب بهذا اللفظ. وروى أبو داود والنسائي من حديث عروة بن الزبير عن أم حبيبة: "أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة فزوجها النجاشي النبي ﷺ، وأمهرها عنه أربعة آلاف درهم، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة". قلت: رواه أبو داود رقم (١٨٠٢)، والنسائي رقم (٣٢٩٨).
ولا يقدع أي: لا يرتدع، وفحل لا يقدع أي: لا يضرب أنفه، وذلك إذا كان كريما. قال ابن الأثير: يقال: قدعت الفحل، وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكف". ينظر: لسان العرب (قدع)، النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٤).

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

و﴿عَسَى﴾ وعد من الله على عادات الملوك؛ حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى، ولعل، فلا يبقى عند المحتاج شبهة في ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتغيير الأحوال. ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ و﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل مما قبلهما.

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سماهن مؤمنات لتصديقهن في الظاهر. ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكان النبي ﷺ يقول للممتحنة: "بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجت من بغض زوج؟ بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض؟ بالله ما خرجت التماس دنيا؟ بالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله"(١). ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ فإن خبرتم أحوالهن فلا تردوهن إلى الكفار؛ فإنه لا يحل للمرأة أن تبقى على نكاح كافر، ولا لكافر مشرك أن يُبقي مسلمة في عصمته، وأراد بـ "علمتموهن" الخبرة بقدر الطاقة. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم، ومن أتاهم منكم لم يرد إليكم، وكتبوا بذلك كتابًا وختموه؛ فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة، والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي. وقيل: صيفي بن الراهب؛ فقال: يا محمد، اردد إليَّ امرأتي؛ فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف؛ فنزلت بيانًا؛ لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء. وقيل: كان الشرط بين النبي ﷺ وبين المشركين عهد ألا يأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا؛ فإن دخلت في دينك ولها زوج أن تردَّ على زوجها الذي أنفق عليها، والنبي ﷺ ينزل عليه من السماء مثل ذلك. وقيل: نسخ هذا الحكم، واستحلفها رسول الله ﷺ (٢٩٩/ أ)

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٣٠)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٦٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٧) لابن أبي أسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: غريب. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٣٠٨).

بإعطاء زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر[١]. وأراد بالعلم في ﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ غلبة الظن بالقرائن والاختبار التام، ثم نفى الحرج في تزويج المهاجرات إذا آتوهن أجورهن بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ هذا مذهب الشافعي، وأنه لابد أن تعتد المرأة المهاجرة، وعند أبي حنيفة: أنه لا يجوز إخلاء النكاح عن الصداق، ولا عدة على مهاجرة[٢]. ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ العصمة: ما يعتصم به من عقد وسبب. وعن مجاهد: أمرهن بطلاق من بقي في دار الحرب منهن[٣] ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار. ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهور نسائهم المهاجرات. ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما ذكره في الآية. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ بكلام مستأنف، أو حال من ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على حكم الضمير، أي: يحكمه الله، أو جعل الحكم حاكمًا على المبالغة.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (١١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ (١٣)﴾

وروي: أنه لما نزلت أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات المؤمنات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئًا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ﴾ أي: وإن سبقكم شيء وانفلت منكم زوج من أزواجكم، عبر عنه بالشيء، وعدل عن ﴿أَحَدٍ﴾ لأن مراده أن يترك شيء من هذا الجنس، وهي الزوجة المرتدة. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العُقْبة، وهي النوبة. ﴿فَـَٔاتُوا۟﴾ فأعطوا من ذهبت امرأته

---

(١) ذكر ذلك كله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٠٨)، وأما زواجها من عمر ﷺ ففيه نظر؛ فقد روى البخاري في صحيحه رقم (٣٦٩١)، ومسلم رقم (٢٧٢٨) " أن سبيعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع ".

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٤/ ١٩٣، ١٩٤)، أحكام القرآن للإمام الشافعي (٢/ ٦٨، ٦٩)، بداية المبتدي للمرغيناني (١/ ٦٦)، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد (٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٧٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

مثل ما ساق إليها من المهر. قيل : جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست؛ فأعطى رسول الله ﷺ لأزواجهن مهورهن من الغنائم.

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ يريد وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هو ولدي منك فذلك هو البهتان؛ لأن بطنها الذي يحل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ في الذي تأمر به من الحسنات وتنهي عنه من المقبحات، وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف وإنما قال :﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ ومعلوم أنه ﷺ لا يأمر بالمنكر؛ ليدل على أنه لا طاعة للآمر بالعصيان، وروي أن رسول الله ﷺ لما فرغ (٢٩٩/ ب) من مبايعة الرجال جلس على الصفا يبايع النساء، وعمر أسفل منه يبلغهن ما يقول رسول الله ﷺ فقال : " أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا، فقالت هند - وكانت واقفة متنكرة؛ لأنها مثلت بعم رسول الله ﷺ حمزة يوم أحد - : ما قمنا في هذا المقام وفي أنفسنا أن نشرك بالله شيئًا. فقال : ولا تسرقن، فقالت : إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما آخذ منه سرًا، فقال : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فقال : ولا تزنين، فقالت : أو تزني الحرة ؟! فقال : ولا تقتلن أولادكن، فقالت : ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، وكانت هند قد آلت على نفسها لتمثلن بحمزة؛ فإنه قتل ولدها حنظلة فشقت عن قلبه، وأخرجت كبده فمضغتها، وأرادت أن تبتلعها فلم تقدر؛ فلفظتها، وإنما قالت : ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا؛ لعلمها أن رسول الله ﷺ متألم لما جرى على عمه من المثلة؛ فذكرته ﷺ بالسبب الذي حملها على ذلك، فسري عنه بعض التسرية، وتبسم واستغرب عمر في الضحك "[١]. وقالت عائشة : " بايع النساء بلفظه، والله ما مست يده يد امرأة غير أزواجه قط "[٢]. وقيل : غسل يديه ووجهه في قعب[٣] مملوء ماء، وكل من بايعت غمست يدها في ذلك

(١) رواه البخاري رقم (٢٢١١، ٢٤٦٠، ٥٣٥٩)، ومسلم رقم (١٧١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٩١)، ومسلم رقم (١٨٦٦).

(٣) **القعب** : القدح الضخم الغليظ الجافي. وقيل: قدح من خشب مقعر. وقيل: هو قدح إلى الصغر يشبه به الحافر وهو يروي الرجل، والجمع القليل أقعب. **ينظر** : لسان العرب (قعب).

الماء[١]. وقيل : كان عمر يصافحهن عنه[٢].

روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من بعض ثمارهم فقيل لهم: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أن يكون لهم حظ في الآخرة ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ من أن يبعثوا أحياء. وقيل : ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ بيان للكفار، والتقدير: كما يئس الكفار الذين هم في القبور أن ينالهم خير.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢١)، وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٣٧) ونسبه لابن إسحاق في المغازي من رواية يونس بن بكير عنه عن أبان بن صالح.

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢١) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٦٤) : " رواه ابن حبان في صحيحه عن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عطية عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر نساء الأنصار فجمعن في بيت، ثم أرسل إليهن عمر، فجاء عمر فسلم علينا، فقال: أنا رسول رسول الله إليكن. فقلن: مرحبا برسول رسول الله ﷺ. فقال: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن إلى آخر الآية. ثم مد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت، فقال: اللهم اشهد. فبايعناه. انتهى. وكذلك رواه الطبراني في معجمه والبزار في مسنده والطبري في تفسيره وابن مردويه وأبو يعلى الموصلي في مسنده والنسائي في كتاب الكنى " . ثم قال : وفي الصحيح ما يدفع هذه الروايات عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. قالت: وما مست يده يد امرأة قط إلا امرأة يملكها " . قلت : رواه البخاري رقم (٦٦٧٤)، ومسلم رقم (٣٤٧٠) .

تفسير سورة الصف [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ تسقط ألف ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر؛ طلبًا للخفة؛ نحو : فيم وبم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ (١) ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (٢) ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ (٣) ويوقف عليها بالهاء ويجوز أن يوقف عليها ساكنة. وقيل : إن المؤمنين طلبوا أن يفترض عليهم القتال وقالوا : نبذل نفوسنا وأموالنا، فأوجب الله ذلك عليهم، ففروا يوم أحد، فعيرهم الله. واللفظ عام في كل من أخلف بفعله قوله: (٣٠٠/ أ) .

وقيل : أبلى رجل من المشركين في المسلمين فابتدره صهيب فقتله، وانتحل قتله رجل آخر، فقال عمر لصهيب : أنت الذي قتلته. فحدث به النبي ﷺ ، فقال له صهيب : إنما قتلته لله ولرسوله؛ فقال عمر: يا رسول الله ما قتله إلا صهيب؛ فقال النبي ﷺ : " أكذلك يا أبا يحيى ؟ فنزلت في ذلك الرجل الذي ادّعى قتله(٤).

وقيل : كان الرجل يقول : قتلت وطعنت ولم يفعل، فنزلت. وقيل : نزلت في المنافقين وأما نداؤهم بالإيمان فهو استهزاء بهم وتهكم.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ هذا كلام فيه معنى التعجب، وليس من ألفاظ التعجب في شيء؛ كقوله [من الطويل] :

وجارةُ جسَّاسٍ أبأنا بنابِها   كليبًا غلتْ نابُ كليبٍ بَوَاؤُها(٥)

---

(١) سورة التحريم، الآية (١) .

(٢) سورة النبأ، الآية (١) .

(٣) سورة الطارق، الآية (٥) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٢)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٦٩) للثعلبي.

(٥) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٦١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٣) وهو لرجل من بني بكر؛ قبيلة جساس، يفتخر على بني تغلب : قبيلة كليب بن=

ومعنى هذا التعجب تعظيم الأمر في نفوس السامعين؛ لأن التعجب إنما يكون في شيء خارج عن أشكاله ونظائره، ونصب المقت على التمييز إشعار تعظيم شأن ذلك؛ لأن المقت أشد البغض وأبلغه، وقد وصفه مع ذلك بالكبر، وإذا كبر عند الله تم استحقاق العقوبة عليه. وذكر المحبة بعد ذكر المقت لأولئك كأنه جعلهم في طرفي نقيض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿صَفًّا﴾ صفوا أنفسهم أو صفهم صاف حتى وقفوا بغير خلل ولا فرجة بينهم، ويجوز أن يراد أنهم تساووا في الصف حتى كأنهم بنيان قد رصف بعضه إلى بعض؛ مثلٌ لاتفاق ثباتهم في القتال. قالوا: وفيه دليل على استحباب القتال راجلاً؛ لأن ركبان الخيل لا يمكنهم أن يصطفوا كذلك. وقوله: ﴿صَفًّا﴾ كأنهم حالان متداخلتان.

= ربيعة أخي مهلهل، وخال امرئ القيس، وجارة جساس: هي خالته البسوس. وأبانا - بالهمز - أي: قابلنا وساوينا كليبا، بنابها: أي: بناقتها المسنة، فقتلناه فيها، ثم قال تعجباً واستعظاما: غلت، أي: ارتفعت وعظمت ناقة مسنة مهزولة بواؤها كليب المشهور، وبواه: كسواء وزناً ومعنى، أي: كفؤها ومساويها كليب بن ربيعة الشجاع المعروف. وقصة البيت: أن البسوس أتت مع رجل من جرم تزور أختها هيلة أم جساس بن مرة فخرجت ناقة الجرمي ترعى مع إبل بني بكر في أرض تغلب لما كان بينهما من المصاهرة والمودة، فأنكر كليب الناقة وظنها أجنبية، فرماها بسهم فأصاب ضرعها فرجعت تشخب دما، وبركت بفناء جساس، فرأتها البسوس فصاحت: وادلاه، واغربتاه! فقال جساس: اهدئي، والله لأعقرن فيها فحلا هو أعز على أهله منها، فظن كليب أنه يعني فحلا عنده اسمه عليان، فقال: دون عليان خرط القتاد، لكن جساساً كان يعني نفس كليب، فترقبه يوما ورماه برمحه فصرعه، وتبعه عمرو بن الحارث، فلما رآه كليب قال له: اسقني يا عمرو، فقال: تركت الماء وراءك، وأجهز عليه، فضرب به المثل المشهور:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

واشتعلت الحرب بين بكر وتغلب نحو ثلاثين سنة، وضرب المثل السائر: سد كليب في الناقة.

و﴿وَإِذْ﴾ منصوب بإضمار اذكر، أوحينما قال لهم جرى كيت وكيت. كانوا يؤذون موسى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾ (١).

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي﴾وقد علمتم، أي: تؤذونني عالمين علمًا يقينيًا أني رسول الله إليكم، وذلك يقتضي تعظيمي وتوقيري؛ لا أن تؤذوني لأن من عظم رسول الله ﷺ فقد عظم الله، ومن آذاه كان الوعد لاحقًا به. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عن الحق طبع الله على قلوبهم. روي أن الحواريين قالوا: يا روح الله، هل بعدنا أمة ؟ قال: نعم أمة أحمد؛ حكماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله بالقليل من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل (٢). وانتصب ﴿مُّصَدِّقًا﴾و﴿وَمُبَشِّرًا﴾على الحال أي: بعثت إليكم في حال تصديقي وتبشيري. ولا يجوز أن يعمل شيئًا؛ لأن حروف الجر (٣٠٠/ب) لا تعمل بأنفسها، إنما تعمل بما تضمنته من العامل الذي فيه رائحة الفعل.

مثلت حالهم بحال من ينفخ في ضوء الشمس ليطفئه﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾أي: ينصر الحق ويبلغ بحرمته حدَّها.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾أي: بالحجة. وقيل: هو إذا نزل عيسى حكم حكمًا عادلاً، ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ استئناف؛ كأنهم قالوا: كيف نعمل ؟ قال: تؤمنون، وهو خبر معناه الأمر، ولهذا أجيب بقوله:﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزومًا، وإنما جاء لفظة ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ على الخبر ولم يأت به على الأمر إعلامًا أن هذا الإيمان والجهاد طريق موصل إلى الجنة قطعًا وكذلك قول الداعي: غفر الله لك؛ كأن الدعاء استجيب؛ فهو يخبر

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٥).

عن ذلك. وقال الفراء[١] : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزوم بجواب قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وهو بعيد؛ لأن " هل " حرف ليس فيه معنى الفعل، فلا جواب له وتأويله أنه دال على دلالته على الأمر بذلك[٢].

وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره : إن علمتم ذلك خير فإنكم إذا علمتم ذلك أحببتم الإيمان والجهاد أكثر مما تحبونه قبل ذلك. وفي قوله : ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ شيء من التوبيخ على محبة العاجل. قوله : ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ قيل : هو فتح مكة. وقيل : بلاد فارس والروم. ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ والمراد : كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون أنصار عيسى، متوجهًا إلى نصرة الله أو ذاهبًا إليها، ولا يجوز أن يكون : من أنصاري مع الله؛ لأنه لا يطابق كلام عيسى، والحواريون أصفياء عيسى وأول من آمن به[٣].

﴿فَأَيَّدْنَا﴾ مؤمنيهم على كفارهم ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ غالبين.

* * *

(١) معاني القرآن (٣/ ١٥٤)

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٧) : " فإن قلتَ : هل لقول الفراء أنه جواب " هل أدلكم " وجه؟ قلتُ : وجهه : أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد، فكأنه قيل : هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم ؟ ". وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٣١٢) بعد أن نقل قول الفراء: " واختلف الناس في تصحيح هذا القول؛ فبعضهم غلطه، قال الزجاج : ليسوا إذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا، يعني : أنه ليس مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة. وقال المهدوي : إنما يصح حملا على المعنى، وهو أن يكون " تؤمنون " و " تجاهدون " عطف بيان على قوله: " هل أدلكم " وكأن التجارة لم يُدرَ ما هي، فبينت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى، فكأنه قيل : هل تؤمنون وتجاهدون ؟ قال : فإن لم يقدر هذا التقدير لم يصح؛ لأنه يصير إن دللتم يغفر لكم، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة ".

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٨) .

تفسير سورة الجمعة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

قرئت صفات الله - عز وجل - بالرفع [1] على المدح، أي : هو الملك القدوس، ولو قرئ بالنصب لجاز [2] كقول العرب : الحمد لله أهلَ الحمد. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك، ومن قبائح أفعال الجاهلية. و﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة. و" إن " في قوله - تعالى- : ﴿وَإِن كَانُوا﴾ هي المخففة من الثقيلة، واللام في قوله " لفي " هي الفارقة بين النافية والمخففة. ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ معطوف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾.

وسئل رسول الله ﷺ عن الذين يجيئون من بعدهم يلحقون بهم فوضع يده على رأس سلمان وقال : " لو كان الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء " [3]. ويجوز (٣٠١/أ) أن ينتصب ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطفًا على المضمر المنصوب في " ويعلمهم " أي : ويعلم آخرين. شبهت اليهود في ابتداء أخذهم بالتوراة ثم لم يعملوا بما فيها بالحمار الحامل لكتب لا يدري ما فيها ولا يحس إلا بثقل الحمل، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فالحمار مثله.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ

---

(١) قرأ بها أبو وائل وسلمة بن محارب ورؤبة.

تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢٩).

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢٩) وزاد : كقول العرب : الحمدَ لله أهلَ الحمد.

(٣) رواه البخاري في الصحيح رقم (٤٨٩٧)، ومسلم رقم (٢٥٤٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٤١٧)، والترمذي رقم (٣٣١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ٢٣٥) : " وقد ظهر ذلك بالعيان؛ فإنهم ظهر فيهم الدين، وكثر فيهم العلماء، وكان وجودهم كذلك دليلا من أدلة صدقه ﷺ ".

أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

﴿بِئْسَ﴾ مثلا ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ. ومعنى ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كلفوا العلم بها والعمل ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يعملوا بها؛ فكأنهم لم يحملوها. ومحل ﴿يَحْمِلُ﴾ نصب؛ أي: حملوها كالحمار حامل الأسفار، ويجوز أن يكون محله جرًّا؛ نعتًا للحمار؛ لأنه لم يُقصَدْ حمارٌ بعينه؛ إنما أراد هذا الجنس فهو نكرة؛ فكأنه قال: كمثل حمار حامل للأسفار. دخلت الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لأن الكلام فيه معنى الشرط، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ (١).

حاصله: أن دخول " إن " لا يمنع من دخول الفاء في الخبر؛ بخلاف ليت ولعل (٢).

[يوم الجُمعَة: يوم الفوج المجموع] (٣) فإن الفُعَلَة: الذي يُفعَلُ به الفعل؛ فإذا قلتَ:

---

(١) سورة البروج، الآية (١٠).

(٢) قال ابن مالك: " حق خبر المبتدأ ألا يدخل عليه فاء؛ لأن نسبته من المبتدأ نسبة الفعل من الفاعل، ونسبة الصفة من الموصوف، إلا أن بعض المبتدآت تشبه أدوات الشرط، فتقترن بالفاء جوازاً وذلك: إما موصول بفعل لا حرف شرط معه، أو بظرف، وإما موصوف بهما، وإما مضاف إلى أحدهما، وإما موصوف بالموصول المذكور بشرط قصد العموم، واستقبال معنى الصلة، أو الصفة؛ نحو: " الَّذِي يَأْتِينِي، أَوْ فِي الدَّارِ فَلَهُ دِرْهَمٌ ".

فلو عدم العموم لم تدخل الفاء؛ لانتفاء شبه الشرط، وكذا لو عدم الاستقبال، أو وجد مع الصلة، أو الصفة حرف شرط. وربما دخلت في خبر موصول مع عدم العموم، والاستقبال كقوله - تعالى -: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]. وإذا دخل شيء من نواسخ الابتداء على المبتدأ الذي اقترن خبره بالفاء أزال الفاء، إن لم يكن (إن) أو (أن) أو " لَكِنَّ " بإجماع من المحققين. فإن كان الناسخ " إنَّ " أو " أنَّ " أو " لَكِنَّ " جاز بقاء الفاء؛ نص على ذلك في " إنَّ " و" أنَّ " سيبويه وهو الصحيح الذي ورد نص القرآن المجيد به كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ كما ذكر المصنف هنا. ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ١٦٠ - ١٦١)، الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٢)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٤٧).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل ومثبت من الكشاف وبه يستقيم الكلام.

رجل ضُحْكَة؛ فهو يُضحَك منه، وإذا قلتَ: لُعْنَة فهو يُلعن، وأما إذا قلتَ: ضُحَكَة فهو يَضْحَكُ من غيره، وإذا قلتَ: لُعَنَة فهو يلعن غيره، ومثله الهُمَزَة واللمزة. قوله: ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ تفسير لـ " إذا " والمراد الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وكان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد وكان إذا جلس الرسول ﷺ على المنبر أذن المؤذن (١).

وقيل: كذب الله اليهود في ثلاثة دعاوى: أحدها: قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ فكذبهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ وافتخروا بأن لهم كتابًا؛ فنزلت ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ (٢) وافتخروا بيوم السبت؛ فقال النبي ﷺ: " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة " (٣).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: فامضوا، ليس المراد السعي على الأقدام، والسعي: العمل ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ (٤) ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٥) أراد النهي عن كل ما يشغل عن ذكر الله، لم يأمرهم بتجارة ولا كسب، وإنما أمرهم بالتوفر على العبادة وعيادة المرضى وزيارة أخ في الله وشبهه. وقيل: طلب العلم.

وقيل: صلاة التطوع.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

روي أن أهل المدينة (٣٠١/ ب) أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة

(١) ذكره بهذا السياق السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٦)، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن السائب بن يزيد، وأصله في الصحيح عند البخاري رقم (٩١٣) عن السائب بن يزيد.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣٢).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٦)، وأبو داود رقم (١٠٤٦)، والترمذي رقم (٤٩١)، والنسائي (٣/ ١١٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨) عن أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

(٥) سورة النجم، الآية (٣٩).

الكلبي بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه، فما بقي معه إلا يسير. قيل : ثمانية، وأحد عشر، واثنا عشر، وأربعون؛ فقال عليه السلام : " والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعًا لأضرم الله عليهم الوادي نارًا "[١].

وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق؛ فهو المراد باللهو. وعن قتادة : فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير[٢].

* * *

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٤٩) رقم (٨٢٠) بغير إسناد، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣١) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٠٤)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٦٧) لعبد بن حميد عن قتادة.

تفسير سورة المنافقون [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة واطأت قلوبهم فيها ألسنتهم؛ فقال الله عز وجل: قالوا ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الأمر كما يدلُّ عليه قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إنهم ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ﴿نَشْهَدُ﴾ وادعائهم فيه المواطأة، وأنهم كاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم تكن شهادة في الحقيقة، فهم كاذبون في تسميته شهادة، أو أراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: إنك لرسول الله كذب.

فإن قلتَ: أي فائدة في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؟ قلتُ: لو قال: " نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون " لكان يوهم أن قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ليميط هذا الإيهام. يجوز أن يكون قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾) قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فجعل هذا اللفظ يمينًا، وقد اختلف فيه العلماء؛ فبعضهم يقول: هو يمين إذا نواها. وقيل: اتخذوا أيمانهم في معاملاتهم وأحوالهم أن يحلفوا بالله كاذبين. وقوله: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ والمنافقون لم تكن لهم حالة إيمان قط - معناه: أنهم آمنوا، أي: نطقوا بالإيمان كما ينطق به المؤمنون المخلصون، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، وبالكفر عند الكافرين؛ استهزاءً بالإسلام؛ كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1] ويجوز أن يراد أهل الردة منهم. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ كان عبد الله بن أبي بن سلول جميل الصورة ممتلئ الجسم، فصيح اللسان، وكانوا يجلسون مع رسول الله ﷺ في المسجد مستندين. قيل: إن (٣٠٢/أ) الخشب إنما ينتفع به إذا كان مستندًا إلى شيء؛ بأن يكون سعفًا لجدران تحمله أو أبواب مغلقة، فما دام خاليًا كان مسندا إلى الحائط؛

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤).

فشبه المنافقين في قلة نفعهم بالخشب المسند إلى الحائط؛ فإنه في الغالب لا ينتفع به كذلك.

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ يا محمد وأصحابك. وقيل: كان من رآهم وأبصر حسن هيئتهم أعجبهم صورهم وهيئتهم. قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لجبنهم واستشعارهم الخوف ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾[1] وقد أخذ الأخطل[2] هذا المعنى فقال [من الكامل]:

ما زلتُ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُم خَيْلا تَكُرُّ عليهمُ ورِجالا[3]

فيُوقَفُ على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويُبْتَدَئُ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: الكاملون في العداوة؛ لأن أعدى الأعداء قد يحبُّك ويُظْهِرُ لكَ المحبةَ.

ويجوز أن يكون: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني؛ كما لو طرح الضمير فقال: يحسبون كل صيحة عليهم العدوَّ. وروي أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد؛ أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني؛ حليف لعبد الله بن أبي، فاقتتلا فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين وسنان: ياللأنصار؛ فأعان جهجاهًا جعال[4]؛ من فقراء المهاجرين ولطم سنانًا؛ فقال عبد الله: أجعال وأنت

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦٤).

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق، وحيناً في الجزيرة، توفي سنة (٩٠ هـ) تنظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (٤٨/ ١٠٥).

(٣) **ينظر البيت في**: تفسير القرطبي (١٨/ ١٢٥)، روح المعاني للألوسي (٢٨/ ١١١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤١).

(٤) هو جعال ويقال: جعيل بن سراقة الضمري أو الغفاري أو الثعلبي، كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا أسلم قديما وشهد مع رسول الله ﷺ أحدا. **ينظر**: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٤٨١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٤٥).

هناك، وقال: ما صحبنا محمد إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ؛ يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركب رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد؛ فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله الذليل القليل المنقَّص في قومك، ومحمد في عز من الرحمن، وقوة من المسلمين؛ فقال لزيد بن أرقم: اسكت؛ فإنما كنتُ ألعبُ. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال عمر: دعني أضرب عنقَ المنافق يا رسول الله؛ فقال: إذن تُرعَدُ أنوفٌ كثيرةٌ بيثربَ، قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فمر أنصاريًا؛ فقال: فكيف! إذن تحدَّث الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه. وقال عليه السلام لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب (٣٠٢/ب) ما قلتُ شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذب، فهو قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام لعله قد وهم[١]. وروي أن رسول الله ﷺ قال له: "لعلك غضبت عليه. قال: لا. قال: لعله أخطأ سمعك. قال: لا. قال: فلعله شبه عليك. قال: لا. فلما نزلت لحق رسول الله ﷺ زيدًا من خلفه فعرك أذنه، وقال: وفت أذناك يا غلام، إن الله قد صدقك، وكذب المنافق. فلما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حُباب - وهو عبد الله بن عبد الله، غيَّر رسولُ الله ﷺ اسمه، وقال: إن حبابا اسم شيطان، وكان مخلصًا - وقال: والله لا تدخلها حتى تقول: رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله ﷺ بتخليصه[٢].

وروي أنه قال: لئن لم تقر لرسول الله بالعزة لأضربن عنقك؛ فقال: ويحك أفاعل أنت؟ قال: نعم، فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله ﷺ لابنه: "جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا"[٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٠٣).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠١)، ومسلم رقم (٢٧٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٥٣) رقم (٨٢١).

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آيٌ شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك؛ فلوّى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، وما بقي إلا أن أسجد لمحمد. فنزلت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ الآيات، ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات[1]. ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ لأنهم كفار فلا تقبل عبادتهم؛ لأن الله تعالى لا يتقبلها منهم. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهو يرزق من يشاء ما يشاء. ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قيل: الصلوات الخمس[2]. وقيل: عن ذكر الله بالتسبيح والتقديس. وقيل: القرآن. وقيل: الجهاد في سبيل الله[3].

﴿مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ للتبعيض.

* * *

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧٤) لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق الحكم عن عكرمة.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١١٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨٠) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الضحاك.

(٣) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٤) ونسب القول الأخير للكلبي.

تفسير سورة التغابن [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)﴾

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ قدم المجرور ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله، والاختصاص حاصل؛ لأن جميع النعم منه، وهو الذي يعطي الملك من يشاء.

قوله: ﴿فَمِنكُمْ﴾ وقدم الكفر؛ لأنه الأغلب والأكثر ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [1] (٣٠٣/أ) ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [2] قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ مصحوبة بالحق. أخبر بعلمه بجميع ما في السماوات والأرض ليزيد القلوب مهابة وتعظيمًا لجلاله فلا تقدم على معصيته. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لكفار مكة؛ لم يقنع بالجزاء في الدنيا وبما ذاقوه من الوبال حتى أضاف له العذاب في الآخرة. ﴿بِأَنَّهُ﴾ الهاء ضمير الشأن والقصة ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشرًا وأجازوا أن يكون الإله حجرًا.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧).

﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أطلق ليتناول كل شيء. ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الزعم: نسبة القول إلى الشخص مع البراءة من عهدته، ويتعدى إلى مفعولين، و﴿أَن﴾ مع ما في حيزها سدت مسد مفعول " زعم " و﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أهل مكة. ﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد " أن " وهو البعث.﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وعني بالرسول محمدًا ﷺ وبالنور القرآن، وانتصب اليوم إما بقوله: " لتنبؤن " أو بـ "خبير" لما فيه من معنى الوعيد، أو بإضمار " اذكر ". ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون. ﴿ٱلتَّغَابُنِ﴾ مأخوذ من مغابنة المتعاملين؛ كل واحد منهما يغبن صاحبه، ويوم القيامة يصير الغابن مغبونًا والمغبون غابنًا، وفي الحديث: " ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو كان أساء ليزداد إيمانًا، وما من عبد يدخل النار إلا يرى مقعده من الجنة لو كان أحسن ليزداد حسرة "(1). ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يشرح صدره للأعمال الصالحات. وقيل: هو قول الرجل عند المصيبة لا حول ولا قوة إلا بالله. وقيل: يهدي قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

وتقديم المجرور في قوله:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ يدل على الاختصاص عند الزمخشري(2) وعلى الاهتمام عند غيره. إن بعض الأزواج يعادين أزواجهن إما لقلة الإنفاق، أو لاختلاف التدبير والرأي وكذلك الأولاد والضمير في قوله: ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ للأزواج والأولاد ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ عنهم إذا اطلعتم على عداوة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يغفر لكم.

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٨)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٣) لأبي نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري، وقال: لم أره مرفوعا.

(2) ينظر: الكشاف (٤/ ٦٦٢).

وقيل: إن ناسًا أرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: تهاجرون وتضيعوننا ؟ فرقوا لهم ووقفوا؛ فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم (٣٠٣/ب) قد تفقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوهم؛ فزين الله لهم العفو.

وقيل: كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا فهم بأذاهم؛ فنزلت[١].

﴿فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة؛ لأنهم يوقعون في الإثم ألا ترى أن قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الحديث: " يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: أكل عيالُه حسناتِه "[٢].

وعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات. وقيل: إذا جاء وقت الجهاد والهجرة فلا يثبطكم الأولاد والأزواج عنه. ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ حقيقته أن ﴿مَا﴾ مصدرية، وإن سبكت وصارت مصدرًا أضمرنا قبل المصدر ظرفًا أو حالاً.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تلطف في استدعاء الصدقة بجعلها قرضًا ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ بالزيادة إلى ما يشاء. ﴿شَكُورٌ﴾ يفعل ما يفعله المبالغ في الشكر من إجزال العطاء.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٢٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨١).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٤ / ٤٢) وقال: غريب مرفوعا، وهو في الحلية لأبي نعيم من قول سفيان الثوري رواه في ترجمته.

تفسير سورة الطلاق [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)﴾

أفرد النبي بالنداء ثم جمع الضمير في قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ و﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ لأن الخطاب مع النبي خطاب مع أمته إظهارًا لتقدمه.

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ إذا أردتم طلاقهن؛ كقوله - عليه السلام -: " من قتل قتيلا فله سلبه "[١]. والقتيل لا يقتل؛ ومن ثم كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي[٢].

قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: مستقبلات الاعتداد. وقرئ: " في قبل عدتهن "[٣] وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للحيض الأول فقد طلقت مستقبلة للعدة؛ فإن الأقراء عند أبي حنيفة الحيض؛ لقوله ﷺ: " دعي الصلاة أيام أقرائك "[٤]. أي: أيام حيضك، وطلاق السنة: أن يطلق الرجل المرأة في زمن طهر لم يجامعها فيه.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي وقعت فيها العدة، سواء كان المنزل مملوكًا للزوج أو مستأجرًا أو مستعارًا، لا تخرجوهن من بيوتهن مكرهات ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ طالعات. ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنى، يعني: إذا زنت

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢١)، ومسلم رقم (١٧٥١).

(٢) روى البخاري رقم (٦٤٧، ٢١١٩)، ومسلم رقم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة " وهو جزء من حديث طويل.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٢٩) قراءة رسول الله ﷺ.

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٧)، والترمذي رقم (١٢٦)، وابن ماجه رقم (٦٢٥)، عن عدي بن ثابت عن أبيه عن جده. وفي سنده أبو اليقظان واسمه عثمان بن عمير وهو ضعيف جدا، وبه ضعفه أبو داود، وفيه كذلك جهالة جد عدي بن ثابت.

المعتدة جاز إخراجها من المنزل؛ لإقامة الحد عليها. وقيل: هو البذاءة على أحمائها، وروي: أن النبي ﷺ أخرج فاطمة بنت قيس من منزلها لبذاءة كانت فيها على أحمائها [(١)]. وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ﴾ " أن " مع الفعل (٣٠٤/أ) كالمصدر فيسكبه مصدرًا ثم يقدر قبله زمانًا أو حالاً فيصير التقدير إلا زمان إتيان فاحشة مبينة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ أي: رجعة وطيب قلوب من البغض إلى الحب.

﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن، والأجل يطلق على آخر المدة، ويطلق على المدة بجملتها فتقول: آخر الأجل وضع الحمل، وتقول: مدة الأجل مدة الحمل، وهو أن لا يكون لهم غرض في الشهادة إلا إقامة الحد لا مراعاة أحد في الشهادة له أو الكتمان. قوله: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ أي: من مضايق الفرقة فإنه يصحبها قالة واختلاف قول فيفرّج عنه ذلك كله.

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾﴾

﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب. وقوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ في الدم الذي يجيء بعد الإياس فقدر الإياس بستين سنة أو بخمس وخمسين؛ فهذا حكمهن. ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ عدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة الكلام عليه. وعن ابن عباس: " من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى وهي سورة الطلاق نزلت بعد التي في البقرة "[(٢)]. وروي: أن سبيعة الأسلمية وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فقال ﷺ: " قد حللت

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٧٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٤٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٠٣) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه وليس عن ابن عباس رضي الله عنه كم ذكر المصنف هنا، فلعله وهم أو سبق قلم من الناسخ.

فانكحي "[١]. وقال بعض العلماء: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أقصى الأجلين: مدة الحمل أو أربعة أشهر وعشرا؛ أيهما كان أقصى اعتدت به[٢]. " من " في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ هي للتبعيض ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ تقدير لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ والوجد: الوسع والطاقة، والنفقة عند أبي حنيفة واجبة للمطلقات كلهن، وعند الشافعي ومالك: ليس لهن إلا السكنى بلا نفقة[٣].

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ بأن يزاحمها في المسكن، أو يمنعها من الحقوق الواجبة عليه أو يضاجرها لتفتدي من صداقها. فإن قلتَ: ما فائدة قوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ والنفقة واجبة عند أبي حنيفة سواء كانت حاملاً أو حائلاً. قلتُ: فائدته أن مدة الحمل إذا طالت قد يظن أنها تسقط فنفى ذلك الوهم بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَضَعْنَ﴾. فإن قلتَ: فالحامل المرضع إذا توفي عنها زوجها هل لها نفقة ؟ قلتُ: قد اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن أرضع هؤلاء المطلقات ولد المطلق أعطين (٣٠٤/ب) أجرهن، وكان حكمهن حكم الأجانب، أما ما دامت الزوجية باقية فلا يجوز إجارتها للزوج عند أبي حنيفة ويجوز عند الشافعي[٤].

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ليشر بعضكم على بعض بالمصلحة. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ اختلفتم. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ فسييسر الله - تعالى - لهذا الولد من يرضعه.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٣١٨)، ومسلم رقم (١٤٨٤).

(٢) **ينظر**: المغني لابن قدامة (٨/ ٩٣) ، الفواكه الدواني للنفراوي المالكي (٢/ ٥٧)، حاشية العدوي (٢/ ١٥٦) ، الأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ٤٨٠).

(٣) **ينظر**: الهداية شرح البداية (٢/ ٤٤ ، ٤٥) ، الأم للإمام الشافعي (٥/ ٣٥ - ٤٠) ، التمهيد لابن عبد البر (١٥/ ٤٣).

(٤) **ينظر**: الهداية شرح البداية (٢/ ٤٤ ، ٤٥) ، أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٤) ، المهذب للشيرازي (٢/ ١٦٨) ، مغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٤٥).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾

وقرئ: "لينفَق" (١) أي: شرعنا ذلك لكي ينفق. قوله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وعد بسعة الرزق على فقراء ذلك الزمان أو على الفقراء من المتزوجين إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا. قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ أي: عتا أهلها.

وكذلك ﴿فَحَاسَبْنَـٰهَا﴾ و﴿وَعَذَّبْنَـٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فتبين المضمر المتقدم. ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالمناقشة والاستقصاء، والمراد: حساب الآخرة وعذابها؛ لأن المنتظر من وعد الله ووعيده كائن لا محالة، وقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ تفسير للوعيد السابق، ويجوز أن يراد: أحصينا أعمالهم وكتبناها في كتب الحفظة.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ جبريل، وإعرابه أنه بدل من قوله: ﴿ذِكْرًا﴾ وجاز بدل جبريل من الذكر؛ لأنه النازل بالوحي مقترنًا به، أو جعل جبريل ذكرًا لكثرة ذكره الله وعبادته؛ فكأنه هو الذكر.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبره. وقيل: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية (٢). وقيل: بين كل سماءين خمسمائة عام(٣).

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: يجري حكم الله وقضاؤه بينهن. وعن قتادة: في كل سماء من سماواته وأرض من أرضه بينهن كذلك(٤).

* * *

---

(١) قرأ بها معاذ القارئ. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٣١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦٠).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦١).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء والإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (١/ ١٢٤) ونسبه للحافظ ابن رجب في كتاب التخويف من النار بسنده عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٥٤).

تفسير سورة التحريم [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾

روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي وقد حرمت مارية على نفسي، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي. فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين. وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك، واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه، ومكث تسعًا وعشرين ليلة في بيت مارية[١]. وروي أن عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك، فنزل جبريل وقال: راجعها؛ فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها لمن نسائك في الجنة[٢]. وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فواطأت عائشة وحفصة فقالتا: إنا نشم منك (٣٠٥/أ) ريح المغافير، وكان رسول الله ﷺ يكره النتن فحرم العسل[٣]. فمعناه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من ملك اليمين أو من العسل. و﴿تَبْتَغِي﴾ إما تفسيرًا لـ " تحرم " أو حال، أو استئناف، وكان هذا سهوًا منه ﷺ فإنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله؛ لأن الله جل وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله؛ فإذا حرم ما أحل كان ذلك قلب المصلحة مفسدة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قد غفر لك ما سهوت فيه ﴿رَحِيمٌ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به .

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٢٦٦)، ومسلم رقم (١٤٧٤) .

(٢) نسبه السيوطي في الجامع الصغير للحاكم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٠٧) وقال الشيخ الألباني: " فائدة: دل الحديث على جواز تطليق الرجل لزوجته ولو أنها كانت صوامة قوامة ولا يكون ذلك بطبيعة الحال إلا لعدم تمازجها وتطاوعها معه وقد يكون هناك أمور داخلية لا يمكن لغيرهما الاطلاع عليها ولذلك فإن ربط الطلاق بموافقة القاضي من أسوأ وأسخف ما يسمع به في هذا الزمان الذي يلهج به كثير من حكامه وقضاته وخطبائه بحديث " أبغض الحلال إلى الله الطلاق "، وهو حديث ضعيف كما قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٢٠٤٠).

(٣) بهذا اللفظ والزيادة في آخره " وكان يكره النتن فحرم العسل " ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في تخريج الكشاف (٤/ ٦٢) وبدل " النتن ": " التفل ". وأصل الحديث في الصحيحين دون هذه الزيادة؛ رواه البخاري رقم (٤٥٣١)، ومسلم رقم (٢٦٩٤)، وفي رواية للبخاري رقم (٦٤٥٧)، ومسلم رقم (٢٦٩٥) " وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح ".

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)﴾

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: قد فرض الله لكم الاستثناء في أيمانكم؛ من قولك: تحلل في يمينه: إذا استثنى فيها، ومنه: حلا أبيت اللعن، بمعنى:استثن في يمينك إذا طلقتها، وذلك أن تقول: إن شاء الله عقيبه؛ حتى لا تحنث. والثاني: قد فرض الله لكم تحلتها بالكفارة، ومنه قوله عليه السلام: " لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلَّةَ القَسَم "(١).

فإن قلتَ: ما حكم تحريم الحلال ؟ قلتُ: قد اختلف فيه؛ فأبو حنيفة يراه يمينًا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود من تلك العين؛ فإذا حرم طعامًا فقد حلف على أكله، أو أمة فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية؛ في تفاصيل تذكر في كتب الفقهاء(٢) وقد أساء الزمخشري الأدب على رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين حيث قال: وكانت زلة من النبي ﷺ وإنما الزلة القبيحة من الزمخشري(٣).

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥١)، ومسلم رقم (٢٦٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠٩)، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٤/ ٢١٧)، بدائع الصنائع للكاساني (٣/ ١٦٨)، التمهيد لابن عبد البر(٢١/ ٢٤٩)، كشاف القناع للبهوتي (٦/ ٢٤٠)، المبدع لابن مفلح الحنبلي (٩/ ٢٧٣)،الهداية شرح البداية للمرغياني (٢/ ١٣).

(٣) ينظر قوله في: الكشاف (٤/ ٥٦٤).

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أطلعه عليه. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ عتبها على أمر مارية وتحريمها، ولم يذكر حديث خلافة الشيخين[١]. وعن الحسن: ما استقصى كريم قط في العتاب؛ بل يترك بعض ما يعتب عليه؛ حتى يقول السامع: ما علم بذلك، وهو من أكمل محاسن الأخلاق[٢]. وقيل: إنما ترك حديث ولاية الشيخين؛ لأنه خشي أن يكثر فيه القال والقيل؛ فقطع الحديث كيلا يكثر. ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ لا تعطف الكاف في " أهليكم " على الواو في " قوا "؛ لأن الواو في " قوا " ضمير فاعل مرفوع، والكاف في " أهليكم " مجرور بإضافة الأهل إليها فهي في موضع جر، ولا يعطف المجرور على المرفوع. وتقدير هذا الكلام: قوا أنفسكم، وليق أهلوكم أنفسهم من النار[٣]. قوله: (٣٠٥/ ب) ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قيل: إنها حجارة الكبريت؛ لشدة حرها واشتعالها، والمشهور أنها هذه الحجارة المعروفة.

وقيل: الأصنام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٤]

قوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ مثل قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فما فائدة التكرار؟ قلتُ: الجملة الأولى تدل على أنهم يفعلون ما يأمرهم الله به، ويبادرون إلى قبوله، ومعنى الثانية: حصول فعل ما أمروا به، فهما جملتان مختلفتان.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ افتتح الخطاب مع المؤمنين، ثم نقله إلى الكفار، وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٥] فجعلها مخصوصة بهم، وفيه وجوه: أحدها: المراد من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه.

والثاني: يحذر من الردة والعود إلى مساكنة الكفار. والثالث: أن دركات النار متفاوتة ويشمل الجميع اسم جهنم؛ فهم مساكنون للكفار وإن اختلفت طبقاتهم. قوله: ﴿ لَا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٠) ونسبه لأبي نعيم في فضائل الصحابة عن الضحاك ولابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) لابن مردويه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٨): " وقرئ " وأهلوكم "، عطفا على واو " قوا " وحسن العطف للفاصل فإن قلتَ: أليس التقدير: قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ؟ قلتُ: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ".

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

(٥) الآية (٢٤).

﴿تَعْتَذِرُوا۟﴾ إما لأجل أنهم لا عذر لهم، أو لأنهم لا يقبل منهم الاعتذار. ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ هو من الإسناد المجازي، وإنما النصوح التائب ينصح نفسه بتوبة لا غش فيها، وعبر المتقدمون عن ذلك: ألا يعودوا إلى الذنب؛ كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وهذا مبالغة ومن تاب توبة مخلصة فقبلت منه، ثم وقع في الذنب مرة أخرى لم تبطل تلك التوبة، ويستأنف العمل في المستقبل.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ ومن دخل النار فقد أُخزي بنص القرآن﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾) على الصراط. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ يقولونه وهم على الصراط، وقد شرح في سورة الحديد[1]. ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة، واستعمل الغلظة والخشونة في الجهاد السيف والحجة.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

شبه الكفار في انقطاع التواصل بينهم وبين المؤمنين بامرأة نوح وامرأة لوط؛ لم ينفعهما مواصلة رسول الله ﷺ وشبه انتفاع المؤمنين بوُصْلة الإيمان وإن كانوا متقاطعين في الدنيا بامرأة فرعون لم يضرها طغيانه وكفره. وذكر امرأة لم يكن لها وصلة إلى مؤمن ولا كافر فعملت صالحًا؛ فجوزيت عليه أحسن الجزاء بـ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فأمر الله جبريل فنفخ فيها من روحه (٣٠٦/ أ).

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ ولم يقل من القانتات؛ كقوله: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[2] أي: من القوم القانتين انقسموا إلى ذكور وإناث، وهذا التمثيل بامرأة نوح وامرأة لوط تعريض بما جرى من عائشة وحفصة في أمر العسل، أو في أمر مارية.

* * *

(١) عند تفسير الآية (١٢).
(٢) سورة يوسف، الآية (٢٩).

تفسير سورة الملك [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين. ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الممكنات ﴿قَدِيرٌ﴾ وذكر اليد مجاز في الاستيلاء على الشيء والتصرف فيه. والمراد بـ ﴿الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وجود ذلك منه، والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ عاملكم معاملة المبتلى والمختبر ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه؛ لأنه إذا كان خالصًا غير صواب لم يقبل، وإذا كان صوابًا غير مخلص لم يقبل؛ يعني: أعطاكم الحياة التي تسلطون بها على العمل، وسلط عليكم الموت الذي بعده البعث والجزاء، وذلك هو الذي يوجب اختيار الأعمال الحسنة، واجتناب السيئة، وقدم الموت على الحياة؛ لأن أعبد العباد من نصب الموت بين عينيه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ولمن لم يتب.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾

﴿طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض التفاوت: عدم التناسب. وقوله: ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، والمضمر: ما ترى في خلقه من تفاوت. والخطاب في ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ للرسول ﷺ أو لكل مخاطب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ الفاء للسببية، والتقدير: لا تفاوت فيها وإذا ثبت ذلك فردد النظر مرارًا لتستيقن عدم التفاوت. ﴿مِن فُطُورٍ﴾ من صدوع وشقوق، مأخوذة من فطر ناب البعير: إذا شق. ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ أي: إذا رجع بعد التأمل والاجتهاد رجع خائبًا لم يظفر بما طلب من الشق والعيب، ويقال خسأت الكلب: إذا طردته، ومنه: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [1] وحسر يحسر: إذا أعيا، ومنه:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١٠٨).

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١) لا يعيون، وليس المراد بالتثنية في قوله ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ حقيقتها، بل المراد مرارًا مرارًا كثيرة؛ كقوله: " لبيك وسعديك " (٢). يريد تلبية كثيرة وإسعادًا كثيرًا.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ (٣٠٦/ ب) ليس المراد منها التي في مقابلة الآخرة؛ بل المراد المكان القريب منكم؛ أي: السماء القريبة منكم؛ من دنا الشيء يدنو فهو دان، والمصابيح: السرج سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ مع كونها زينة ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ مانعة من استراقهم السمع. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أمور: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٩).

(٢) رواه أبو داود رقم (٦٤٩) وصححه الشيخ الألباني في تخريج سنن أبي داود رقم (٧٦٠) في حديث طويل ولفظه: " كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر، ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله لي إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك. وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظامي وعصبي. وإذا رفع قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد. وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صورته وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين. وإذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به، مني أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت ".

لا علم له به (١) والرجوم: جمع رجم، وهو ما يرجم به، وجعل الكواكب رجومًا؛ أي: ذات رجوم؛ فإن الناس اختلفوا؛ فقال أكثرهم: إن الكواكب لا يرجم بها، بل يخرج منها نار، وهي المسماة ﴿شِهَابًا﴾ يرجم بها الجني ويبقى الكوكب في مكانه لا يتغير. وقال آخرون: يرجم بالكواكب، وهو ظاهر قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للجن المسترقة في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من الشياطين وغيرهم. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ ظاهر الآية أن الشهيق الذي يسمع هو من نفَس جهنم. وقال آخرون: الشهيق لمن دخلها. قيل: وقت إلقائهم؛ كقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ (٢) ووجه الجمع بين الآيتين حصول الأمرين معًا. ﴿تَفُورُ﴾ تغلي كما يغلي الحب في القدر، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ شهادة تغيظها عليهم وإرادتها الانتقام منهم لله. ويجوز أن يراد الزبانية وغيظهم على أهل النار؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ (٣) ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ إما من كلام الله، أو من كلام الزبانية. وقيل: من كلام الكفار، وهو بعيد. ﴿فَسُحْقًا﴾ أي: بعدًا لهم. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بضمائرها.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ
أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ
بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا
ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى
سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤/ ٩١ - ٩٢) عن قتادة.

(٢) سورة هود، الآية (١٠٦).

(٣) سورة الطلاق، الآية (٨).

قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ إنكار على من يزعم أنه لا يعلم الجزئيات، ويرد عليهم: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾[1].

فإن قيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ مفعول له؛ فلا يصح للاحتجاج كما ذكرتم ؟ قلنا: الخلق تفتقر إلى العلم؛ فإذا قال: ألا يعلم ؟ صار التقدير: ألا يعلم من علم ؟ والشيء لا يعلل بنفسه؛ فلابد أن تقدر مفعولا: ألا يعلم الخالق ما خلقه ؟

المشي في مناكبها مثل لفرط التذلل لا إذن في الاكتساب بالتجارة.﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾فيه وجهان: أحدهما: من في السماء سلطانه؛ لأنها منازل الملائكة المقربين.

والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأن الله في السماء - تعالى عن ذلك - (٣٠٧/أ) فخاطبهم بما يعتقدون[2]. ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف باقية إنذاري. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاد وثمود وغيرهم. ﴿صَافَّاتٍ﴾باسطات أجنحتهن في الجو ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضممنها؛ فإن قيل: لم قال: ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ ولم يقل: قابضات ؟ قلتُ: لأن البسط هو الأصل في الطيران والقبض طارئ عليه، وهو شبيه بالسابح؛ فإن الأصل فيه بسط أطرافه والقبض يظهر بعد. ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾يتولى مصالحكم ورزقكم فيكون عونًا لكم وجندًا. ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾اسم فاعل من أكب، وهذا الفعل من عجائب الأفعال؛ فإنه إذا دخلته الهمزة صار غير متعد، وإذا حذفت تعدى[3].﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾أي العذاب الذي وعدوا به ﴿زُلْفَةً﴾أي: قريبًا ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أدركتها المساءة.

كان كفار مكة يدعون على النبي ﷺ وعلى أصحابه بالهلاك؛ فأمر أن يقول لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ فإذًا نتقلب في الجنة، وإن مَنَّ الله علينا بالنصر عليكم شفي

---

(١) سورة يونس، الآية (٦١).

(٢) هذه الآيات من آيات الصفات وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٢) ورد عليه أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٣٠٣) وأغلظ عليه في رده، وأنصفه السمين الحلبي منه في الدر المصون (٦/ ٣٤٧) فليراجع ذلك في موضعه.

الغليل [١]. وقيل: إن أهلكنا الله في الدار الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهم أولى بالهلاك.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض، و﴿غَوْرًا﴾ وصفًا بالمصدر مبالغة؛ كقولهم: رجل عدل وصوم وفطر.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٣).

تفسير سورة ن [القلم]

[مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾

﴿نٓ﴾ حرف من حروف المعجم. وقيل: هو الدواة، قال في الكشاف:[1] وأما قولهم: إنه هو الدواة. فلا أدري أهو وضع لغوي، أو شرعي ؟! وإذا كان اسمًا للدواة؛ فإما أن يكون جنسًا، أو علمًا؛ فإن كان جنسًا فأين الإعراب والتنوين، وإن كان علمًا فأين الإعراب ؟ وأيًا ما كان. فإن قلتَ: هو مقسم به وجب أن تجره وتنونه إن كان جنسًا، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة؛ كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علمًا أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه؛ للعلمية والتأنيث.

وكذلك تفسيره بالحوت؛ إما أن يراد نون من عرض الحيتان أو علمًا للبهموت الذي زعموا أن الأرض فوقه. والتفسير باللوح من نور أو ذهب، ونهر في الجنة ونحو ذلك، وبالقلم لما فيه من المنافع وضبط العلوم وإتقانها للمنتفعين.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتب من كتب. وقيل: ما يسطره الحفظة، و " ما " موصولة أو مصدرية، ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه؛ فيكون الضمير لهم، والمراد: أصحاب القلم ومسطورهم (٣٠٧/ ب) أو سطرهم، ويراد به: كل من يسطر أو يريد به الحفظة. والباء في قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ باء الحال، والتقدير: تبين بنقيضه لو قلت: أنت بحمد الله موفق؛ فإذا قلت: ما أنت بحمد الله بمجنون كانت الباء كما هي في نقيضها فكأنه قال: ما أنت مجنونًا بنعمة الله؛ أعملها في النفي إعمالها في الإثبات؛ كما تقول: ما ضرب زيد عمرًا؛ فتنصبه كما تنصب: ضرب زيد عمرًا. ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع؛ كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2] أو غير ممنون به عليك. استعظم الله

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٥٨٤).

(٢) سورة هود، الآية (١٠٨).

خلقه لفرط احتماله ما يؤذى به وحسن مداراته لقومه، وعن عائشة أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: " كان خلقه القرآن، اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾

﴿الْمَفْتُونُ﴾ المجنون؛ لأنه فتن، أي: امتحن بالجنون، والعرب تزعم أن الصرع من تخييل الجن، والباء زائدة، و﴿الْمَفْتُونُ﴾ مصدر، كالمعقول والمجلود؛ أي: بأيكم الجنون، أي: بأي الفريقين يوصف بالفتنة: المؤمنون أو الكافرون، وهو تعريض بأبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهو كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالمجانين على الحقيقة وأعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أو يكون وعدًا ووعيدًا؛ وكانت الكفار قد دعوه إلى دين آبائه؛ فنهي عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين وتصانع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾. فإن قلتَ: لم رفع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار " أن " وهو جواب التمني الذي دل عليه " لو " ؟ قلتُ: تقديره: فهم يدهنون؛ كقوله: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾[3] أي: ودوا إدهانك فهم الآن مدهنون أي: طامعون في حصول الإدهان منك. قال سيبويه: وزعم هارون أنها في بعض المصاحف " فيدهنوا "[4]. ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحقّ والباطل، وكفى به زجرًا لمن يكثر الحلف. ومثله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[5]

وقوله: ﴿مَّهِينٍ﴾ من المهانة، وهي القلة في الرأي والتمييز، أو أراد الكذاب؛ لأنه حقير بين الناس. ﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب طعَّان. وعن الحسن: يلوي شدقيه في أقفية الناس إذا ولوا[6]. والنميم والنميمة: السعاية.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١) والحديث رواه مسلم رقم (١٢٣٣)، وأحمد في المسند رقم (٢٣٤٦٠)، وأبو داود في سننه رقم (١١٤٤).

(٢) سورة القمر، الآية (٢٦).

(٣) سورة الجن، الآية (١٣).

(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ٤٢٢).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٤).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٦).

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦)﴾

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يريد به البخل ومنع الواجب من أهله. قيل: هو الوليد بن المغيرة؛ كان موسرًا (٣٠٨/ أ) وله عشرة من البنين، وكان يقول لهم: من أسلم منكم منعته رفدي وقيل: هو أبو جهل. وقيل: الأسود بن عبد يغوث، وقيل: هو الأخنس بن شريق، أصله من ثقيف وعداده في زهرة؛ ولذلك قيل: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال الشاعر [من الطويل]

زنيمٌ تداعاهُ الرجالُ زيادةً كما زيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ[(١)]

﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز حده في الظلم. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام. ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف؛ من عتله: إذا قاده بغلظة وعنف. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما عُدَّ له من المثالب والنقائص. ﴿زَنِيمٍ﴾ دعيّ؛ وكان الوليد دعيًا في قريش ليس من أصلهم، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده. وقيل: بَغَتْ أُمُّه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية؛ جعل كونه دعيًا أشدَّ معاتبة؛ لأنه إذا جفا وغلظ ساءت أخلاقه، والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها، ومن ثم جاء في بعض الروايات: " لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده"[(٢)]. وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نظير ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[(٣)] والزنمة: تؤخذ من جلد الماعز وتُخلَّى مدلاةً على وجهها لا تقطع. قوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ أي: لا تطعه؛ لأنه ذو مال مع هذه المثالب، ويجوز أن تتعلق بما بعد؛ أي: لا تطعه لكونه ذا مال مستظهر بالبنين. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ كذَّب بها، وقال: هذا ما سطره الأولون، ولا يعمل فيه " قال " الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله؛ ولكنه يعمل فيه ما دلت عليه الجملة من التكذيب. والوجه أكرم شيء في البدن، والأنف أكرم شيء في الوجه؛ ولذلك شقوا منه الأنفة، وقالوا: الأنفُ في الأنفِ، وحمي أنفُه، وفلان شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جُدِعَ أنفه، ورَغِمَ أنفُه؛ فعبَّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال

---

(١) البيت لحسان بن ثابت، **ينظر في**: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٥)، الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٢٤٦)، لسان العرب (زنم).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٠٨)، وذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة رقم (١٠٦٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٠).

(٣) سورة البلد، الآية (١٧).

والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإهانة؛ فكيف بها على أكرم موضع فيه، ولقد وسم العباس أباعرة في وجوهها، فقال رسول الله ﷺ: " أكرموا الوجوه "(١). فوسمها في جواعرها(٢) وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة.

وقيل معناه: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة (٣٠٨/ ب) كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم. وقيل: سنشهره بهذه النسبة في الدارين جميعًا فلا يخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شميل(٣): أن الخرطوم: الخمر، وأن معناه: سنحده على شربها، وهو تعسف، وقيل للخمر الخرطوم؛ كما قيل لها: السلافة، وهي ما سلف من عصير العنب، أي: لأنها تطير في الخياشيم(٤).

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّا﴾ بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ عليهم. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين؛ فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل، وما في أسفل

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٧٧) وقال: غريب بهذا اللفظ، وقال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٦): لم أره هكذا، ثم ساق نحوه عن ابن حبان.

(٢) **الجواعر:** جمع الجاعرة، والجاعرة: مثل الروث من الفرس. والجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان على الفخذين . وقيل: هما ما اطمأن من الورك والفخذ في موضع المفصل. وقيل: هما رؤوس أعالي الفخذين. وقيل: هما مضرب الفرس بذنبه على فخذيه. لسان العرب (جعر).

(٣) هو النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم بن عنزة بن زهير بن عمرو بن حجر بن خزاعي بن مازن بن عمرو بن تميم، العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المازني البصري النحوي نزيل مرو وعالمها، كان النضر إماما في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان وكان أروى الناس عن شعبة، وخرج كتبا كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وولي قضاء مرو. ولد في حدود سنة اثنتين وعشرين ومائة، ومات في أول سنة أربع ومائتين. **ينظر:** سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٣٢٨ -٣٣١).

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب (خرطم): ومن أسماء الخمر الخرطوم. **والخرطوم:** الخمر السريعة الإسكار وقيل: هو أول ما يجري من العنب قبل أن يداس.

الأكداس(١)، وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي ينبسط تحت النخلة إذا صرمت؛ فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال، فحلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ في السدق، والسدق: الظلمة المختلطة بالضياء؛ خفية عن المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم. وقيل: كانوا من بني إسرائيل. ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح مبكرين. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون: إن شاء الله. فإن قلتَ: لم سمي استثناءً وإنما هو شرط ؟ قلتُ: لأنه يؤدي معنى الاستثناء من حيث إن معنى قولك: لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ بلاء وهلاك ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالمصروم. وقيل: الصريم: الليل؛ أي: احترقت واسودت. وقيل: صريم النهار؛ أي: يبست وذهبت خضرتها. ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ حاصدين. فإن قلتَ: هلا قيل: اغدوا إلى حرثكم ؟ وما معنى " على " ؟ قلتُ: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدواً عليه؛ كما يقال: يغدى عليه بجفنة ويراح بأخرى. ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يتساررون وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم، ومنه: الصوت الخفات. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أن: مفسرة، أي: أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين وهم قادرون على نفعهم؛ طلبوا حرمان المساكين فحرمهم الله الجميع. وقيل: وذهبوا، أي: حصلوا على الحرمان مكان الانتفاع، وقال الشاعر [من الرجز]:

أقبلَ سيلٌ جاء من عندِ اللهْ ... يحرُدُ حردَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ(٢) (٣٠٩/أ)

وقيل: الحرد: الإسراع، أي: ذهبوا إليها مسرعين ﴿قَادِرِينَ﴾ عند أنفسهم على صرامها والاستقلال بغلتها. وقيل: كان اسم الجنة " حرد ".

قالوا في أول الأمر: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ عن جنتنا؛ وذلك لما رأوا فيها من الفعل الشديد والهلاك، ثم استبصروا وتأملوا فعرفوا أنها جنتهم؛ فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم؛ قال الشاعر [من الطويل]:

---

(١) **الكدس**: العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك، والجمع: أكداس وهو الكديس يمانية.
ينظر: لسان العرب (كدس).

(٢) **ينظر في**: تفسير الطبري (٢٩/٣٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٣٥٧)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٩١)، لسان العرب (حرد) في وصف سيل، ويحرد: يسرع، والجنة المغلة: البستان كثير الغلة والثمار.

هُمُ وَسَطٌ ترضى الأنامُ بحكمِهِم إذا نزلتْ إِحْدى الليالي بمُعْظَمِ[١]

وقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[٢] أي: خيارًا. ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ عند ذلك: اذكروا الله وتوجهوا إليه توجهًا كليًا؛ فلو كنتم عظمتم الله حق تعظيمه، ولم تنووا حرمان المساكين لم يصبكم ما أصابكم. وزعم كثير من الناس أن الله أبدلهم جنة تسمى الحيوان يحمل البعير منها عنقودًا. وقيل: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تصلون ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[٣] أي: المصلين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ
﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ
فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ
وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين من ثوابها قال فريق منهم بإنكار الآخرة والتكذيب وقال آخرون: إن كانت فسيكون لنا منها الحظ الأوفر كما هو لنا في الدنيا؛ فقال الله تعالى: أفنحيف في الحكم فنجعل ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المتصدقين الصابرين على أذى الكفار ﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ثم التفت فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج؛ كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم، أو جاءكم من الله كتاب بأنكم تخيرون في الآخرة في المنازل في قصور الجنة وثوابها.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤١٨)، تفسير الطبري (٢/ ٦)، تفسير القرطبي (٢/ ١٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣٩٣).
(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).
(٣) سورة الصافات، الآية (١٤٣).

قوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متعلق بقوله: ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي: يستمر ذلك إلى يوم القيامة. ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ قائم به، كفيل بحصوله، قائم بالاحتجاج لنصرته. ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ يقولون بقولهم ويذهبون إلى ما ذهبوا إليه.

الكشف عن الساق: مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الرَّوع والهزيمة، وكشف المخدرات عن أسوقتهن تجردًا للهرب؛ بمعنى: يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثمَّ ولا ساق، وأما من شبه فهو جاهل بعلم البيان[1] (٣٠٩/ ب).

وعن ابن مسعود: "يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدًا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقًا طبقًا؛ كلما أراد أحدهم أن يسجد انقلب على ظهره "[2]. ونكر الساق تعظيمًا لذلك الأمر وتهويلاً؛ لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾[3].

وعن قتادة: خرج من خراسان رجلان أحدهما شبَّه حتى مثَّل وهو مقاتل بن سليمان[4]، والآخر نفَى حتى عطَّل وهو جهم بن صفوان[5].

---

(١) هذه الآية من آيات الصفات، وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩١٩).

(٣) سورة القمر، الآية (٦).

(٤) هو كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، يروي على ضعفه البين عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وشرحبيل بن سعد والزهري وعدة، وعنه سعد بن الصلت وبقية وعبد الرزاق وحرمي بن عمارة والوليد بن مزيد وخلقًا آخرهم علي بن الجعد. قال ابن المبارك: وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قيل: إن المنصور ألح عليه ذباب، فطلب مقاتلا، فسأله: لم خلق الله الذباب ؟ قال: ليذل به الجبارين. قال ابن عيينة: قلتُ لمقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك ! قال: كان يغلق علي وعليه باب، فقلت في نفسي: أجل باب المدينة. وقيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش. فقالوا: أين أمعاء النملة ؟ فسكت، وسألوه: لم حج آدم من حلق رأسه ؟ فقال: لا أدري. قال وكيع: كان كذابا. وعن أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة ".

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٠١).

(٥) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا، لكنه زرع شرا عظيما. **ينظر:** ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/ ١٥٩).

وتكليفهم السجود في الآخرة ليس لطلب ثواب ولا خوف عقاب، وإنما هو إظهار لما كانوا يفعلونه في الدنيا من السجود لغير الله تعالى، فمنعوا في الآخرة السجود لله؛ وليوبخوا على ذلك. يقال: ذرني وفلانًا؛ أي: سلّم أمره إليَّ فأنا أكفيكه.

استدرجه: إذا كلفه الإتيان إليه درجة بعد درجة، والمراد ها هنا بالاستدراج: الصحة والغنى، ويحسبون الإنعام عليهم إيثارًا لهم على المؤمنين.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله: أم ﴿ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ؛ فهم يكتبون منه ما يريدون، والمعنى: لا تكن مثل يونس بن متى حيث ذهب مغاضبًا ولم يستأذن ربه فيما صنع. قيل: نزلت حين أراد النبي ﷺ أن يدعو على قومه في نوبة أحد. وقيل: في هزيمة المسلمين في نوبة هوازن

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ من شدة تحديقهم إليك، ونظرهم شزرًا نظر المتغيظ إذا رأى من عدوه استقامة أمره وحنكته، وهو كقول الشاعر [من الكامل]:

يتقارضونَ إذا التقوا في موطنٍ   نظرًا يُزلُّ مواطئَ الأقدامِ[(١)]

قيل: كانت العين في بني أسد. وقيل: كان الرجل منهم إذا رأى شيئًا يعجبه فقال: ما رأيت كاليوم قط. هلك ذلك المشار إليه؛ فأحضروا رجلاً من بني أسد، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: ما رأيت كاليوم قوة وفصاحة. وأراد أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين فردَّ الله كيده ونزلت الآية ﴿وَإِن يَكَادُ﴾ [(٢)].

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ ختم السورة بما بدأ به أولها: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: شرف. وقيل: موعظة.

* * *

---

(١) ينظر البيت في: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٤٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٦٣).

تفسير سورة الحاقة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾ الساعة القليلة الوقوع الثابتة (٣١٠/أ) المجيء، أو التي تحق فيها الأمور أي: تعرف على الحقيقة؛ تقول: لا أحق هذا الأمر؛ أي: لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها، وارتفاعها على الابتداء وخبرها ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها والأصل: وما أدراك ما هي؛ فأوقع الظاهر موقع المضمر؛ لأنه أهول لها؛ أي: وأي شيء أعلمك؛ يعني: إنك لا علم لك بهولها، فكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، و" ما " رفع بالابتداء، و﴿أَدْرَاكَ﴾ معلق عنه؛ لأن الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله .

والقارعة: التي تقرع الناس بالإفزاع، وتقرع السماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانتثار، ولما فخم أمر الساعة وعظمه أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها تخويفًا لأهل مكة من عقوبة تكذيبهم.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾

﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة الحد في الشدة. وقيل: المراد بالطاغية: الصيحة. وقيل: الرجفة. وقيل: الصاعقة. قيل: هلكوا بصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وقيل: الطاغية: مصدر؛ كالعاقبة والعافية؛ أي بطغيانهم، وليس بالقوي؛ لعدم المطابقة بينها وبين قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ الصرصرة: الصوت الشديد. وقيل: الباردة؛ من الصَّرِّ وهو البرد؛ كأنها التي ضوعف فيها البرد؛ فهي تحرق بشدة بردها. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العتو أي: عتت على عاد، فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار بناء أو لياذ بجبل، واختفاء في حفيرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم. وقيل: عتت على خزانها؛ فخرجت بلا كيل ولا وزن.

وعن النبي ﷺ : " ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال إلا قوم عاد، وقوم نوح؛ لأن الماء يوم إهلاك قوم نوح طغى على الخزان، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: في

السفينة "[١]﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾[٢] ويجوز أن يكون جمع حاسم؛ كشاهد وشهود، ويجوز أن يكون مصدرًا كـ " الشكور "﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٣] فإن كان جمع حاسم فمعناه أنها حسمت عنهم كل خير، أو متتابعة ما سكنت ساعة، وإن كان مصدرًا فالتقدير: حَسمتهم حسومًا، أو تقديره: ذات حسوم، أو مفعولاً له؛ أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقرئ: "حَسومًا " بفتح الحاء[٤] بمعنى اسم الفاعل وقيل: هي أيام العجوز، وذلك أن عجوزًا استترت في سرب فأخرجتها الريح (٣١٠/ ب) في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجوز وهي عجز الشتاء؛ أي: آخره وأسماؤها: الصن، والصنبر. وقيل: مكفئ الظعن[٥]. ومعنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم، أي: في الليالي والأيام.﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أي: صدورها.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية، أو من نفسٍ باقية، أو من بقاء، و﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بمعنى الطغيان. ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أي: ومن تقدمه، وقرئ: "ومن قِبَلَه"[٦] ويؤيدها قراءة من قرأ ومن معه[٧]. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالخطأ، أو الأفعال الخاطئة. ﴿رَّابِيَةً﴾

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٨٣)، ونسبه لأبي نعيم في الحلية عن ابن عباس، ونسبه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٧) لابن مردويه والثعلبي، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٠٥) لعبد بن حميد وابن جرير والفريابي عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الشورى، الآية (٣٢).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٢).

(٤) نسبها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٩) للسدي.

(٥) **الظعن**: جمع ظعينة وهي الهودج. **ينظر**: لسان العرب (ظعن).

(٦) قرأ أبو عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبان " قِبَلَه "، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وعاصم في غير رواية أبان. **تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٦٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٠٠).

(٧) قرأ بها أبي وابن مسعود. **تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٦٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩٩).

شديدة زائدة في الشدة؛ كما زادتا قبائحهم؛ ربا الشيء يربو: إذا زاد﴿ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ حملنا آباءكم في السفينة ﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾ لأنهم إذا كان أجدادهم محمولين في الجارية فقد حملوا فيها؛ لأن في ذلك إشارة إلى نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين ﴿تَذْكِرَةً﴾ عظة وعبرة. ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ من شأنها أن تعي ما تسمع، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما جعلته في وعاء فقد أوعيته. فإن قيل: لم أفرد الأذن ونكرها ؟ قلنا: للإشعار بقلة الواعين لما سمعوه، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي، وللإشعار بأن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت فهي في مقام السواد الأعظم، وأن ما سواها لا يعبأ به، وإن ملأ ما بين الخافقين والنفخات متعددة. ومعنى قوله: ﴿ وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: لا تثنى في وقتها، والمراد - ها هنا - النفخة الأولى؛ لأن عندها فساد العالم، وفي رواية: هي النفخة الثانية. وأما قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾مع أن العرض بعد النفخة الثانية؛ فلأن جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان، والصعقة والنشور والوقوف والحساب؛ فلذلك قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ كما تقول: جئتك في عام كذا، وإنما جئت في وقت من أوقاته. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾أي: بريح لها من القوة أن تحمل الأرض والجبال. وقيل: بل تفعل ذلك بقدرة الله تعالى. ﴿فَدُكَّتَا﴾ يعني حملة الأرض وحملة الجبال فضرب بعضها ببعض؛ حتى تندقّ وتتفتت، وترجع كثيبًا مهيلا وهباء منبثًا. وقيل: بسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ﴾ جاءت القيامة ﴿وَاهِيَةٌ﴾مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت (٣١١/أ) محكمة. قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: الخلق الذي يقال له الملك، وأفرده ولم يجمعه. ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ على نواحيها؛ الواحد: رجا مقصور. ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قيل: هم حملة العرش؛ اليوم أربعة ويوم القيامة يصيرون ثمانية. وقيل: الثمانية أرجلهم في تخوم الأرض السابعة السفلى، ورؤوسهم تحت العرش وهم مطرقون مسبحون.

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٩).

وقال الحسن: لا أدري أهم ثمانية أملاك أم صفوف ؟ وقيل: بعضهم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وآخرون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. ويجوز أن يكون الثمانية صفوفًا لا يعلم عددها إلا الله [١]. ويجوز أن يكون ذلك العدد من الروح وباقيهم من الملائكة. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٢]

العرض: عبارة عن المحاسبة؛ شبه ذلك تشبيهًا بعرض السلطان الجند، ليتعرف أحوالهم ﴿خَافِيَةٌ﴾ كانت قد خفيت في الدنيا؛ لأن الله أراد سترها، أو كانت مما يجوز أن يخفى؛ لشدة حقارتها، أو حال كانت تستر في الدنيا بستر الله عليكم. هاء: لفظ يصوت به فيفهم منه خذ، أو حدث؛ فعمل فيه ﴿اقْرَءُوا﴾ لأنه أقرب العاملين، وأصله: هاؤم كتابي اقرءوا كتابي؛ كقوله: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [٣] ولو أعمل الأول لكان التقدير: آتوني قطرًا أفرغه عليه. والهاء في ﴿مَالِيَهْ﴾ و ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾ هاء السكت، وحقها أن تسقط في الوصل، وتثبت في الوقف. والظن: ما يحصل من العلم.

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والنسبة تارة تكون بالحرف، وتارة تكون بالصيغة، أو جعل الفعل لها مجازًا ولصاحبها حقيقة.

﴿عَالِيَةٍ﴾ في المكان أو في المعنى. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ يناها القاعد والقائم، يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي: هنئتم هنيئًا على المصدر بما قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا. وقيل: في أيام الصيام؛ لخلو الجوف فيه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ
الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ
فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ

---

(١) ذكره الزمخشري هكذا في الكشاف (٤/ ٦٠٢)، ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عكرمة.

(٢) سورة المدثر، الآية (٣١).

(٣) سورة الكهف، الآية (٩٦).

إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

الضمير في: " يا ليتها " للموتة؛ كأنه قال: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا لا حياة بعدها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ لقاطعة للعمر. ﴿صَلُّوهُ﴾ أي: أدخلوه في النار؛ يقال: شاة مصلية: إذا حفرت حفيرة وأوقد فيها النار الكثيرة، ثم أدخلت الشاة السميط فيها وأطبق عليها. سلكه في السلسلة؛ أي: أدخله فيها.

وقوله (٣١١/ ب) ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ لا يريد السبعين؛ بل يريد الكثرة؛ كقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [١] ولما قدم المعمول من قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ دل على أنه أراد: لا تسلكوه إلا في هذه؛ وعلة ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ يدفع عنه.

والغسلين: ما يسيل من أبدان أهل النار وجراحاتهم وصديدهم، غسلين من غسل.

﴿الْخَاطِئُونَ﴾ الآثمون، وخطئ الرجل: إذا تعمد الذنب، وأخطأ فعله غير متعمد.

قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ قسمٌ بالأشياء كلها؛ لأنها لا تخرج عن قسمين؛ مبصرة وغير مبصرة. وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: الأجسام والأرواح. وقيل: الخلق والخالق. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. إن هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله تعالى. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تدعون والقلة في معنى العدم؛ أي: لا تذكرون قليلاً ولا كثيرًا. ﴿تَنْزِيلٌ﴾ هو تنزيل عليه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وقيل: ﴿حَاجِزِينَ﴾ في وصف ﴿أَحَدٍ﴾ لأنه في معنى العموم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [٢] ينطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن. ومعنى ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ محض الحق. ﴿فَسَبِّحْ﴾ الله بذكر اسمه ﴿الْعَظِيمِ﴾ من إيحائه إليك.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

تفسير سورة المعارج [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾

ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا؛ فعدي تعديته؛ كأنه قال: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ﴾ تقول: دعا بكذا؛ أي: استدعاه؛ ومنه قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [1] وقيل: هو النضر بن الحارث؛ حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [2]. وقيل: هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب الكافرين، وقرئ : "سال سائل" بغير همزة[3] على وجهين أحدهما: أن يكون مخففًا من "سأل" والثاني: أنه إخبار بأن واديًا من أودية جهنم - أعاذنا الله منها بكرمه - فتح، فسال منه صديد أهل النار؛ فسال بالعذاب، والسيل في معنى السائل؛ كالغور في معنى الغائر، وسأل سائل عن عذاب الله بمن ينزل، ومتى (٣١٢/أ) يقع ؟ فنزلت. عنى واهتم.

فإن قلتَ: بم يتصل قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ؟ قلتُ: متصل بـ " واقع " أي: واقع من عنده، أو بـ " دافع " أي: ليس له دافع من جهته إذا جاء. و﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ المصاعد، ثم وصف المصاعد وبعد مداها بقوله:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه، وحيث تهبط منه أوامره ﴿فِى يَوْمٍ﴾ مضى ذكره في سورة السجدة [4]، و﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل. وقيل: خلق من خلق الله ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة، وهم أكثر من الجميع ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[5] و "الروح" حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على بني آدم. وتعلق قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾

---

(١) سورة الجاثية، الآية (٥٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٢).

(٣) قرأ به بغير همز " سال " نافع وابن عامر وأبو جعفر. وقرأ الباقون: " سأل " بالهمز.

وتنظر القراءتان في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢/ ٥٦٠)، الإملاء للعكبري (٢/ ٢٦٨)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٣٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠).

(٤) عند تفسير الآية (٥).

(٥) سورة المدثر، الآية (٣١).

لأن سؤالهم تعجيل العذاب إنما كان استهزاءً؛ فأمر بالصبر، وقد جعل قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ من صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع ﴿فِي يَوْمٍ﴾ طويل ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾) إما أن يكون استطالة له لشدة هوله على الكفار، أو هو حقيقة؛ لذلك قيل فيه: خمسون موطنًا، كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، وتتمة الكلام في سورة السجدة.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)﴾

الضمير في ﴿يَرَوْنَهُ﴾ عائد إلى العذاب، أو ليوم القيامة؛ أي: يستبعدونه على جهة الحالة. ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أي: هو عندنا قريب، أي: من الإنسان، وكذا ﴿بَعِيدًا﴾.

نصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿قَرِيبًا﴾ أي: يمكن ولا يتعذر، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿دَافِعٌ﴾ أو ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يجري كيت وكيت، أو هو بدل عن ﴿فِي يَوْمٍ﴾ عند من علقه بـ " دافع ". ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كدردي الزيت. وقيل: كالفضة المذابة في تلونها.

العهن: الصوف المصبوغ ألوانًا؛ لأن الجبال مختلفة الألوان؛ ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (١) فإذا بست وطويت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح. ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يلتمس منه أن يخفف عنه من حمله. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٢). ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يبصر يومئذ الأعمى والأكمه، ولا يمنعه من الرؤية عدم الإبصار؛ بل هو يبصره ويتحققه، وهو كلام مستأنف، وإنما جمع بضمير الفعل والمفعول؛ لأن المراد أن هذا الجنس يبصر كل واحد منهم بالآخر.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني: يود لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وحكمه، وبذلهم في فداء نفسه ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك، وهيهات أن ينجيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر كلا لا ينجيه ذلك (٣١٢/ب) من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٧).

(٢) سورة عبس، الآية (٣٧).

أي: النار؛ سميت به لتلظيها واتقادها، وهي مؤنثة. و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبر ثان، وقرئ: "نزاعةٌ" [١] نصب على الحال. والشوى: الأطراف، أو جمع شـواء؛ وهـي جلـدة الـرأس فتنتزعهـا نزعًـا فتبتكها[٢] ثم تعاد. وقيل: تناديهم تقول: إلي يا كافر يا منافق.

وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الطير الحب، فجـوز أن يخلق الله فيها كلامًا كما يخلقه في جلودهم وأرجلهم وأيديهم.

ويجوز أن يكون دعاء الزبانية. وقيل: تدعو: تهلـك؛ مـن قـول العـرب: دعـاك الله؛ أي: أهلكك؛ قال [من الوافر]:

دعاكَ اللهُ منْ رجلٍ بأفْعَى[٣]

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عنه ﴿وَجَمَعَ﴾ المال فجعلـه في وعـاء؛ فكثـره ولم يـؤد الزكـاة والحقوق الواجبة فيه، ويتشاغل به عن الدين، وَزَهَى باقتنائه وتكبر.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

أريد بـ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الناس، فلذلك استثنى منه ﴿ٱلْمُصَلِّينَ﴾. والهلع: سرعة الجزع عند مـس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير؛ من قولهم: ناقة هلوع: سـريعة الـسير. وعـن أحمـد بـن يحيى[٤] قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر[٥]: مـا الهلـع ؟ فقلـت: قـد فـسره الله ولا يكـون

(١) قرأ بها حفص وأبو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم، وقرأ الباقون بالرفع. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٠).

(٢) **البتك:** قطع الشيء من أصله، بتكه يبتكه ويبتكه بتكا أي: قطعه، وبتكه فانبتك وتبتك، والبتكة: القطعة منه والجمع بتك. **ينظر:** لسان العرب (بتك).

(٣) هذا صدر بيت وعجزه:

.... ضئيل تنفث السم الزعافا

ينظر في: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١١)، لسان العرب (دعا) وفيه الشطر الثاني:

.... إذا نام العيون سرت عليكا

(٤) هو أحمد بن يحيى بن زهير التستري الحافظ الحجة العلامة الزاهد أبو جعفر أحد الأعلام حدث عنه ابـن حبان والطبراني. مات سنة عشر وثلاثمائة. **تنظر ترجمته في:** طبقات الحفاظ للذهبي (١/ ٣٢١).

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن بن مصعب أبـو العبـاس الخزاعـي كـان شـيخا فاضـلا وأديبـا شاعرا وهو أمير ابن أمير ابن أمير ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكـان مألفـا لأهـل العلـم والأدب. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين. **ينظر:** تاريخ بغداد (٥/ ٤١٨).

تفسيرًا أبلغ من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس[١]. و﴿ٱلۡخَيۡرُ﴾ الغنى والمال. و﴿ٱلشَّرُّ﴾ الفقر، أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف وشح بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي، ومعنى ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ﴾ أي: لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه؛ كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾[٢] لأنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع؛ ولأنه ذم، والله تعالى لا يذم فعله بدليل استثنائه المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم، وحملوها على المضارَّة، وطلقوها من الشهوات حتى لا يكونوا جازعين ولا مانعين.

وعن النبي ﷺ: " شر ما أعطي ابن آدم شره مانع، وجبن خالع "[٣].

وفي لفظ " الكشاف ": شحٌ هالع[٤].

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾﴾

فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ ثم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾؟ قلتُ: معنى دوامهم عليها: لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل؛ كما روي عن النبي ﷺ: "أفضل العمل أدومه وإن قل "[٥]. وقوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أي: على أدائها في أوقاتها ومنه قول

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٢) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٨٣) لابن المنذر عن الحسن أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: اقرأ ما بعدها فقرأ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ قال: هكذا خلق.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٧).

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٥١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **ينظر:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٢).

(٥) رواه البخاري رقم (٥٨٦١)، ومسلم رقم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

عائشة - رضي الله عنها -: " كان عمل رسول الله ﷺ ديمة "(١). ومحافظتهم عليها: أن يراعوا (٣١٣/أ) إسباغ الوضوء لها، والإتيان بسننها وآدابها؛ فالدوام راجع إلى نفس الصلاة والمحافظة على سننها وأركانها. ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ زكاة؛ لأنها معلومة النصب، ومعلوم المقدار الواجب منها، والسائل: الذي يسأل، والمحروم: الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم. ﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يصدقونه بأعمالهم. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ جملة معترضة.

كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ حلقًا يستهزئون بقراءته، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لنكونن أحسن حالاً منهم فنزلت(٢). ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك ﴿عِزِينَ﴾ جماعات متفرقات. و" عزين ": جمع عزة، وأصلها: عزوة؛ كل واحد يعتزي إلى جهة وقيل: كان المستهزئون خمسة.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لهم عن طمعهم؛ كأنه قال: هؤلاء لا يصدقون بالجزاء، فكيف يطمعون في نعيم الآخرة ؟

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قلت: ويدل على إنكارهم البعث قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من النطف. ﴿الْأَجْدَاثِ﴾ القبور. والنصب: كل ما نصب ليعبد من دون الله. ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٦٦)، ومسلم رقم (٧٨٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٨٥)

تفسير سورة نوح عليه السلام [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾

قوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ أي: بأن أنذر؛ فحذف الجار ووصل. فإن قيل: كيف قال: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مع قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾؟

قلت: قدر الله - مثلا - أن قوم نوح إن آمنوا أمهلهم ألف سنة، وإن استمروا على الكفر أخذهم على رأس التسعمائة فإذا جاءت الألف فلا تأخير لها، وإذا جاءت رأس التسعمائة وآمنوا أمهلوا لتأجيل الأجل الآخر. ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ دائبًا من غير فتور مستغرقًا به الأوقات كلها. ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ﴾ جعل دعاءه إياهم سببًا في زيادة طغيانهم؛ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [1] و﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [2] ذكر كيفية إعراضهم لسد مسامعهم ليكون أقبح لإعراضهم عنه. ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ واستفعل في قوله: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟﴾ يدل على أنهم استدعوا ذلك وطلبوه؛ كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم. وقيل: لئلا يعرفهم، ونظيره قوله تعالى: (٣١٣/ ب) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [3]. الإصرار: مأخوذ من قولهم: صر الحمار على حمر الوحش: إذا قرن أذنيه وأقبل عليها يطلب أن يغشاها؛ لأنه في ذلك الوقت لا يرجع إذا صيح به. وذكر المصدر توكيدًا ودلالة على فرط استكبارهم.

﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٤).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٢٥).

(٣) سورة هود، الآية (٥).

أنذرهم سرًا فلم يطيعوا، وأنذرهم جهارًا فلم يرجعوا، فجمع بين الأمرين بقوله: ﴿أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ومعنى " ثم " تنبيه على تباعد الأحوال؛ كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [1] وفيه ترقٍّ؛ لأن الإنذار خفية أخف، والإنذار جهرًا أقوى، والجمع بين الأمرين أتم.

و ﴿جِهَارًا﴾ منصوب بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ نصب المصدر؛ لأن الجهر أحد أنواع الدعاء؛ كقولهم قعد القرفصاء. وقيل: أراد بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ جاهرتهم جهارًا، ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا، أي: دعوتهم دعاء مجاهرًا به، أو مصدرًا في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا. أمرهم بالاستغفار يريد: التوبة عن الكفر والمعاصي، ورغبهم في الاستغفار والتوبة؛ فوعدهم بخير الدنيا وهو المطر والخصب وكثرة الأولاد كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [2]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ الآية [3]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ الآية [4] ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم﴾ [5].

وقيل: لما كذبوه بعد طول المدة أمسك الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب، ورفع عنهم ما كانوا فيه.

وروي: أن عمر خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار؛ فقيل له: إنك لم تستسق؛ فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث، ثم قرأ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات [6]. شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة.

---

(١) سورة البلد، الآية (١٧).

(٢) سورة الصف، الآية (١٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٦).

(٥) سورة الجن، الآية (١٦).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٩٣) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٤٢) لابن سعد في الطبقات وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في سننه. والمجاديح: واحدها: مجدح، وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطر به كقولهم الأنواء وهو المجدح أيضا. وقيل: هو الدبران؛ لأنه يطلع آخرا ويسمى حادي النجوم. **ينظر**: لسان العرب (جدح).

وروي: أن رجلا شكا إلى الحسن قلة الرزق فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر قلة النسل فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر الفقر فأمره بالاستغفار؛ فقيل له: التمس قوم منك أمورًا مختلفة فأجبتهم جوابًا واحدًا وهو الاستغفار، فتلا الحسن هذه الآية(١).

والسماء: المُظِلَّة؛ لأن المطر ينزل منها إلى السحاب، ويجوز أن يريد بالسماء السحاب أو المطر؛ كقول الشاعر (٣١٤/ أ) [من الوافر]:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا(٢)

والمدرار: الكثير الدرور، شبه بما يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ تقول: امرأة معطار ومذكار ومبيات.

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين. ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تأملون له توقيرا أي: تعظيمًا، والمعنى: ما لكم لا تكونون على حالة ترجون فيها الثواب، و﴿لِلَّهِ﴾ بيان للموقر. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال؛ أي: خلق أصلكم من تراب، ثم جعل نسله من النطف؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة، فمن آمن بهذا ألزمه الإيمان بقدرة الله على إحياء الموتى؛ أي: لا تخافون لله حلمًا وترك معاجلة العقاب.

وقيل: لا تخافون لله عظمة؛ نبههم على النظر في أنفسهم أولا؛ لأنها أقرب منظور فيه ثم على النظر في العالم وما خلق فيه من العجائب في السماوات والأرض والشمس والقمر. ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في السماوات، وهو في سماء الدنيا؛ لكن بين السماوات ملابسة فإنها طباق بعضها فوق بعض، والقمر وحده في السماء الأولى فجاز أن يقال: ﴿فِيهِنَّ﴾ وإن لم يكن في جميعهن؛ كما تقول: كنت في الدار، وإنما كنت في جزء منها.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٧).

(٢) البيت لمعوّد الحكماء معاوية بن مالك، **ينظر في**: لسان العرب (سما)، وللفرزدق في: تاج العروس (سما)، وبلا نسبة في: ديوان الأدب (٤/ ٤٧)، والمخصص لابن سيده (٧/ ١٩٥)، مقاييس اللغة (٣/ ١٩٨).

وعن ابن عباس وابن عمر: إن الشمس والقمر ظهورهما إلينا ووجوههما إلى السماء[١].

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ يبصر أهل الدنيا في ضوئها؛ كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج، والقمر نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس، والضياء أقوى من النور؛ لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾[٢].

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا (١٩) لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا (٢٠) قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا (٢١) وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا (٢٢)﴾

الإنبات: الإنشاء في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ والمعنى: فنبتم نباتا، أو نصب بـ" أنبتكم " لتضمنه معنى نبتم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ تتقلبون عليها كتقلبكم على البساط ﴿فِجَاجٗا﴾ واسعة منفجة. واتبعوا المتقدمين في الدنيا من أصحاب الأموال. ﴿وَمَكَرُواْ﴾ معطوف على قوله: ﴿مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ﴾ وجمع الضمير وهو راجع إلى " مَنْ " لأنه في معنى الجمع. والماكرون: الرؤساء، ومكرهم: احتيالهم في الدس لنوح. وقوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ إلى عبادة قوم نوح. ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ الكبار: أكبر من الكبير، وأكبر من الكبار أيضًا، ونحوه: طوال وطوال (٣١٤/ب).

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا (٢٣) وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا (٢٤) مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا (٢٥)﴾

كانت هذه الأصنام أكبر الآلهة عندهم، وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لـ " كلب " وسمت العرب بعبد ود وعبد يغوث. وقيل: هي أسماء رجال صالحين. وقيل: من أولاد آدم لصلبه ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٩٢) لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه عن ابن عباس، ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٩٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٩١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وليس عن ابن عمر كما ذكر المصنف هنا تبعا للزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٨).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم. وقيل: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر.

وقرئ " وُدا " بضم الواو[(١)]. يجوز أن يريد بقوله: ﴿أَضَلُّوا﴾ الأصنام؛ كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[(٢)]. قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ﴾ معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ يحكي قوليه؛ كقولك: نودي بالصلاة فصلى في الجماعة، عطف أحد القولين على الآخر، وتقديمه المجرور في قوله: "مما خطاياهم" [(٣)] يدل على الاختصاص، أي: لم يكن الباعث على إغراقهم إلا خطاياهم. وعن الضحاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب[(٤)]. وتنكير قوله: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ إما لتعظيمها، أو لأنها نار معينة أعدت لقوم نوح. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ بين أنهم يئسوا من نصرة آلهتهم ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[(٥)].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾

ديار: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدار ديار وديور، كقيام وقيوم، ولو كان " فعالا " لكان دوارا، لكنه " فيعال " فعل به ما فعل بسيد وميت. سبق إعلام الله – تعالى – لنوح أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾[(٦)] فلذلك قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

---

(١) قرأ بها نافع وأبو جعفر. وقراءة الباقين بفتح الواو. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٢٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٩)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٦).

(٣) قرأ أبو عمرو البصري والحسن والأعرج وعيسى بن عمر " مما خطاياهم "، وقراءة الباقين ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٢٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٢٠).

(٥) سورة الصافات، الآية (٧٤).

(٦) سورة هود، الآية (٣٦).

﴿كَفَّارًا﴾ والتقدير: ألا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يؤول أمرهم إليه؛ كقوله: " من قتل قتيلا فله سلبه "[(١)].

﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: هما آدم وحواء. وقيل: لملك بن متوشلح، وأمه: شمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين. ﴿بَيْتِيَ﴾ منزلي . وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي. خص أولا من ينتسب إليه؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[(٢)]. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾[(٣)].

﴿تَبَارًا﴾ هلاكًا. وإنما غرّق الله أطفال قوم نوح؛ لتتألم قلوب آبائهم، ويتحسروا على ذلك ويكون ذلك زيادة في عقابهم. وقيل: يهلكون هلكا واحدا، ويحشرون على نياتهم.

وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم أربعين سنة، فلم يكن معهم صبي وقت الغرق.

* * *

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الطلاق.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٣) سورة مريم، الآية (٥٥).

تفسير سورة الجن [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

قرئ " أُحي "[(١)] وأصله " وُحِيَ " . يقال : أُوحي إليه ووُحي إليه ، فقلبت الواو همزة؛ كما يقال : أُعُد ، وأُزُن " ، "وإذا الرسل وقتت" [(٢)] .

وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا، كـ " إشاح وإسادة وإعاء أخيه [(٣)]. وقرأ ابن أبي عبلة : وُحي على الأصل[(٤)].

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ بالفتح ؛ لأنه فاعل " أُوحي " . ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ بالكسر مبتدأ محكي بعد القول ثم تُحمل عليه البواقي ، فما كان من الوحي فتح ، وما كان من قول الجن كسر ،

---

(١) هذه قراءة ابن أبي عبلة وأبي إياس والعتكي وعيسى بن عمر . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية (١١) وهذه قراءة أبي عمرو البصري ، وقرأ أبو جعفر " وقِتت " بالتخفيف ، وقرأ الباقون " أُقّتت " بالهمزة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٥٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٦ - ٣٩٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٢٢) قال أبو حيان في البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) " وليس كما ذكر ، بل في ذلك تفصيل ؛ وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولا أو حشوا أو آخرا ولكل منها أحكام ، وفي بعض ذلك خلاف ، وتفصيل مذكور في كتب النحو " ثم قال أبو حيان معقبا على قول المازني : " وهذا تكثير وتبجح " . ونقل السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) قولين عن المازني في ذلك : أحدهما : القياس ، والثاني : قصر ذلك على السماع . ثم قال السمين معقبا : "ولم يبرح العلماء يذكرون النظير مع نظيره ، ولما ذكر قلب الهمزة باطراد عند الجميع ، ذكر قلبها بخلاف " .

(٤) وقرأ بها أيضا أبو إياس والعتكي عن أبي عمرو . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الدر المصون ، للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢).

وكلهن من قولهم إلا الثنتين الآخرتين . ﴿وأن المساجد لله﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ ومن فتح كلهن[(١)] فعطفا على محل الجار والمجرور في قوله : ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ فكأنه قيل : صدقناه وصدقنا أنه ﴿تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ وكذلك البواقي .

﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقيل : كانوا من قبيلة من الجن من الشيصبان[(٢)] وهم أكثر الجن عددا ، وعامة جنود إبليس منهم .

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم ؛ كقوله : ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[(٣)]. ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز . و﴿عَجَبًا﴾ مصدر يوضع موضع العجب وفيه مبالغة وهو ما خرج من حد أشكاله ونظائره . ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب . وقيل : إلى التوحيد والإيمان . الضمير في " به " للقرآن ، ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا : ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي : ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى ؛ لأن قوله " بربنا " يفسره ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته، من قولك : جد فلان في عيني ، أي : عظم .

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

وفي حديث عمر ﷺ : " كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا " وروي : " في أعيننا "[(٤)].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف بفتح الهمزة في المواضع كلها ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسرها في المواضع كلها ، وفتحها أبو جعفر في ثلاثة مواضع " وأنه تعالى - وأنه كان يقول - وأنه كان رجال " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٢٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٢) **الشيصبان** : الذكر من النمل ويقال : هو جحر النمل ، وقيل : هو الشيطان الرجيم ، والشيصبان والبلأز والجلاز والجان والقاز والخيتعور كلها من أسماء الشيطان . والشيصبان : أبو حي من الجن . لسان العرب (شصب).

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٢٩).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣) وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦) غريب . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) لم أره عن عمر بل هو عن أنس .

أو ملكه أو سلطانه أو غناه أو من الجد الذي[(١)] هو الدولة والبخت ؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون ، والمعنى : وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وذلك لعظمته أو لسلطانه أو ملكوته أو لغناه[(٢)].

وقوله : ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لذلك . وقرئ " جِد ربنا " بالكسر[(٣)] أي : صدق ربوبيته ، وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد (٣١٥/ ب) والإيمان نبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه ، واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)﴾

سفيههم : إبليس – لعنه الله – أو غيره من مردة الجن . والشطط : مجاوزة الحد في الظلم وغيره . ومنه : أشط في السوم إذا بعد فيه أي : يقول قولا هو في نفسه شطط ؛ لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله . وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه بما ليس بحق ، وكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم . و" كذبا " : قولا كذبا أي : مكذوبا فيه ، أو نصب نصب المصدر ؛ لأن الكذب نوع من القول . ومن قرأ : " أن لن تقوّل "[(٤)] وضع " كذبا " موضع " تقولا " ، ولم يجعله صفة ؛ لأن التقول لا يكون إلا كذبا .

---

(١) في الأصل : التي . والمثبت هو الصواب وهو ما في الكشاف أيضا .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

(٣) قرأ بها عكرمة وأبو حيوة ومحمد بن السميقع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٨) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩١) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

(٤) قرأ بها الحسن والجحدري ويعقوب . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

الرهق : غشيان المحارم ، والمعنى : أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كفرا وكبرا ، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره ، وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم ، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الجن والإنس ، فذلك رهقهم . أو : فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم وإضلالهم ؛ لاستعاذتهم بهم . ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ هو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض . وقيل : الاثنان من جملة الوحي ، والضمير في ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ للجن ، والخطاب في " ظننتم " لكفار قريش .

اللمس : المس ، فاستعير للطلب ؛ لأن الماس طالب متعرف ، يقال : لمسه والتمسه وتلمسه ، كطلبه واطّلبه وتطلبه . ﴿مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ الأبرار المتقون . ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ محذوف الموصوف ؛ كقوله : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [(1)] . ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي : ذوي مذاهب مختلفة . أو كنا في اختلاف أقوالنا مثل الطرائق المختلفة . والقدة : فعلة من قطع .

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴿١٨﴾﴾

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ حالان ، أي : لن نعجزه كائنين في الأرض وهاربين . ﴿لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ القرآن فهو غير خائف ، ولولا ذلك لقيل : فلا يخف ، وفائدة العدول عن : لا يخف أنه يصير بتقدير ما ذكرناه أخيرا أن من يؤمن بربه فهو لا يخاف وهو حقيق بالأمن لا محالة . ﴿بَخْسًا﴾ أي : جزاء بخس أو رهق ، ولا يخاف رهقا وفيه دليل على أن حق من آمن بالله (٣١٦/ أ) أن يجتنب المظالم ، قال النبي ﷺ : " المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم " [(2)] .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٤) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٩) ، والترمذي رقم (٢٦٢٧) ، والنسائي (٨/ ١٠٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٠) ، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ويجوز أن يراد : فلا يخاف أن يبخس ولا أن يرهق .﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق . ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ " أن " مخففة من الثقيلة وهي داخلة في صلة ما أوحي إلى الجن . وأوحي إلي أن الشأن والطريق لو استقام أبو الجن على ما كان عليه من العبادة في السماء ولم يستنكف عن السجود لآدم لمُطِروا وأخصبوا .

قال عمر بن الخطاب ﵁ : " حيث كان الماء كان المال ، وحيث كان المال كانت الفتنة "[١]. فذلك معنى قوله : ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾فسقيهم الماء الغدق فتنة ولذلك قال – سبحانه – : ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فجعل بسط الرزق وكثرة الماء سببا للفتنة .

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو موعظته أو وحيه .﴿يَسْلُكْهُ﴾ندخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل : نسلكه في عذاب ، تعدى إلى مفعولين إما بحذف حرف الجر وإما على تعديه كما يعدى بالهمزة . الصعد : مصدر من صعد صَعودا وصُعودا . والصعود : بفتح الصاد : ما يصعد به، وبضمها : المصدر . ﴿وأن المساجد لله﴾من جملة ما أوحي ، أو بحذف حرف الجر ، أي : ولأن المساجد لله فلا تجعل فيها إلا الذكر والعبادة ؛ لأنه بيت الله فينبغي أن يجرد للذكر والتوحيد ولذلك قال : ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

وقيل : المراد : المسجد الحرام ؛ لأنه قبلة المساجد . قيل : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله ، فأمرنا إذا دخلنا أن نخلص الدعوة لله . وقيل : المساجد : الأعضاء السبعة المذكورة في قوله ﷺ : " أمرت أن أسجد على سبعة آراب "[٢]. وهي الجبهة والركبتان والقدمان واليدان . وقيل : هو جمع مسجد وهو السجود .

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١١٥) ، وأبو بكر القرشي في كتاب إصلاح المال (١/ ٣٠) رقم (٤٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٨١٢) ، ومسلم رقم (٤٩٠) ، وأحمد (١/ ٢٢١) ، وأبو داود رقم (٨٨٩) ، والترمذي رقم (٢٧٣) ، والنسائي (٢/ ٢٠٨) ، وابن ماجه رقم (٨٨٤) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني النبي ﷺ وإنما عدل عن قوله : رسول الله أو النبي إلى قوله : " عبد الله " ؛ لأن هذا المكان مكان تواضع ومذلة فكان الاسم الذي هو عبد الله الدال على العبودية أحق بهذا المقام ، أو لأن المعنى أن الجن لما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الصبح وركوعه وسجوده وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده عجبوا وابتهجوا بحسن ما سمعوا وتزاحموا وتراكموا عليه معظمين ومتعجبين بحسن الوحي . وقيل : المراد الكفار لما رأوا استقامة أمر رسول الله ﷺ (٣١٦/ ب) وخالفوا كثيرا من العرب أن يكونوا معهم ليقاتلوا رسول الله كاد الكفار يزدحمون عليه ويقتلونه .

اللبد : جمع لبدة . وعن قتادة : تلبدت الإنس والجن على أن يطفئوا هذا الأمر فأبى الله إلا أن ينصره [١] . ومن قرأ " وإنه " بالكسر [٢] . جعله من كلام الجن ، قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم . قال للمتظاهرين عليه : ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ يريد : ما أتيتكم بشيء بدع إنما أعبد ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أو قال الجن ذلك لقومهم حكاية عن النبي - ﷺ . ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعا أو أراد بالضر : الغي ، والمعنى : لا أستطيع لكم ضرا ولا نفعا فإن الله هو الفاعل لذلك . ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منه أي : لا أملك إلا البلاغ .

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ الآيات بيان لكونه لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر إلا أن يريد الله ذلك . ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملاذا يأوي إليه . والملتحد : الملجأ . وقيل : بلاغا : بدل من ملتحدا ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: عطف على " بلاغا " والمعنى : لا أملك إلا التبليغ والرسالات .

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١١٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٠٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة .

(٢) قرأ نافع وعاصم في رواية شعبة عنه " وإنه لما قام " بالكسر ، وقرأ الباقون بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٥٢) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٢).

وقوله : ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ؛ كقوله : ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [١]. أي : براءة كائنة من الله ، ولا يمكن أن يكون متعلقة بـ " براءة من الله ورسوله " كذلك " إلا بلاغا " كائنا من الله ، وتعلق "حتى" بقوله : ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾. ﴿رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ يوم القيامة أو يوم بدر ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من أمر يوم القيامة أو النصرة عليكم . أي : لا أعلم إلا ما علمني الله ، وهو غيب لا أطلع عليه . وإني لا أدري أقريب أمد الساعة أو بعده .

﴿أَمَدًا﴾ غاية أي : هو عالم الغيب . ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع ، و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى . قال الزمخشري : " وفيه دليل على إبطال الكرامات والكهانة والنجوم ، وادعى أن الله خص الأنبياء بالمعجزات ؛ ليدل على صدقهم ولم يجعل للأولياء شيئا ، وفساد هذا لا يخفى دليلا ومشاهدة [٢].

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ﴾ يدي من ارتضى للرسالة . ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي : حفظة . وعن الضحاك : ما بعث الله نبيا إلا معه جماعة من الملائكة يحفظونه من الشياطين [٣].

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وحَّد أولا على اللفظ ، ثم جمع على المعنى .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٢) قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد (١/ ٣٠٧) باب القول في كرامات الأولياء : " قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال في قصة سليمان عليه السلام : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وآصف لم يكن نبيا ، وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلا على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل وقد حكى نبينا ﷺ من الكرامات التي ظهرت على جريج الراهب والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب والنفر الذين آووا إلى غار من بني إسرائيل فانحطت عليهم الصخرة ، وغيرهم ما يدل على جواز ذلك . وقد ظهر على أصحابه في زمانه ، وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه وبالله التوفيق " . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٣٨٣) : " والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا ، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء " .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٢).

﴿وَأَحَاطَ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع . ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر والرمل (٣١٧/ أ) وورق الأشجار وزبد البحر . و﴿عَدَدًا﴾ حال ، أي : وضبط كل شيء ، أو مصدر في معنى " أحصى " .

* * *

تفسير سورة المزمل [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

كان رسول الله ﷺ قد تلفف في قطيفة له ، وهو المتزمل . وهو سبب لاستثقال النوم ، فقيل له : إنك مأمور بدعوة الخلق وهذا النوم الذي تمته ليس بنوم من يهمه أمر ، فقم الليل وابذل الدعاء وأنشدوا [من الكامل] :

أوْرِدَها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلْ ... ما هكذا تُوردُ يا سَعْدُ الإبلْ(١)

وقال ذو الرمة : [من الطويل] :

وداءٍ تخطَّتْ ناقتي منْ مَفازةٍ ... ومِنْ نائمٍ عنْ ليلِها مُتَزَمِّلِ(٢)

وأمر أن يختار على الهجود التهجد ، وعلى التزمل التجرد ، ولا جرم أن الصحابة

---

(١) ينسب هذا البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وله قصة. ينظر في : غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٢٩) ، غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٤٧٧) ، لسان العرب (شرع) ، والقصة رواها البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤) عن أبي عبيد بن سلام قال : سافر رجل مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا، فاتهم أهله أصحابه، فرفعوهم إلى شريح، فسألهم البينة على قتله، فارتفعوا إلى علي رضي الله عنه وأخبروه بقول شريح فقال علي رضي الله عنه : "أوردها سعد وسعد مشتمل يا سعد لا تروي بها ذاك الإبل" ، ثم قال : إن أهون السقي التشريع . قال : ثم فرق بينهم وسألهم فاختلفوا ثم أقروا بقتله فأحسبه قال : فقتلهم به . قال أبو عبيد : حدثنيه رجل لا أحفظ اسمه عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن علي رضي الله عنه قال أبو عبيد : قوله أوردها سعد وسعد مشتمل هذا مثل يقال إن أصله أن رجلا أورد إبله ماء لا تصل إلى شربه إلا بالاستقاء ثم اشتمل ونام وتركها يقول : فهذا الفعل لا تروي به الإبل . وقوله : إن أهون السقي التشريع هو مثل أيضا يقول إن أيسر ما ينبغي أن يفعل بها أن يمكنها من الشريعة. أو الحوض يقول : إن أهون ما كان ينبغي لشريح أن يفعل أن يستقصي في المسألة والنظر والكشف عن خبر الرجل حتى يعذر في طلبه ولا يقتصر على طلب البينة فقط ".

(٢) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٥٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٠١) ، ديوان ذي الرمة (ص : ٦٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٤) ويروى : وكائن تخطت ناقتي ...

اجتهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيما في وجوههم حتى رحمهم الله وخفف عنهم قيام الليل كله . وقيل : كان متلففا في مرط لخديجة تصلي فيه ، فهو على هذا ليس للتهجين بل هو ثناء عليه بالاجتهاد ، وأمر بأن يدوم على ذلك ، ويواظب عليه . وقد سئلت عائشة -رضي الله عنها- ما كان متزملا به ؟ فقالت : " مرط طوله أربعة عشر ذراعا ، والله ما كان من خزٍّ ولا مَرْعزّي[1] ولا صوفٍ ، كان سُداه شعرا ولحمته وبرا "[2] . وقيل : دخل على خديجة أول ما نزل عليه جبريل فدخل يرجف وبوادره ترعد فقال : زملوني. فزملوه فنزلت ، فبينا هو على تلك الحال ناداه جبريل [3]. وقيل : زمل أمرا عظيما ، أي : حُمِّله . والزمل : الحمل ، وازدمله : احتمله.

قوله : ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من النصف ، خير بين أمرين : أحدهما : أن يقوم نصف الليل وأن يقوم أقل منه ، وإن شئت جعلته بدلا من " قليلا " وكان مخيرا بين ثلاثة أمور : أن يقوم نصف الليل بكماله ، أو ينتقص منه قليلا ، أو يزيد عليه قليلا ، ثم إن شئت جعلت الهاء في " نصفه " عائدة إلى النصف ، فيكون مخيرا بين النصف والربع والزيادة على الربع ، ويجوز أن تجعل الزيادة تتمة الثلث ؛ لكونها مطلقة ويجوز أن تجعل الزيادة تتمة الثلث ، فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع .

فإن قلتَ : أكان القيام فرضا أم لا ؟ قلتُ : عن عائشة – رضي الله عنها – : " إن الله جعله (٣١٧/ ب) تطوعا بعد أن كان فريضة "[4]. وقيل : كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به . وعن الحسن : كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة [5]. وقيل : كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ

---

(١) المرعزى والمرعزاء والمرعزى والمرعزاء : اللين من الصوف ، وحكى الأزهري المرعزى : كالصوف يخلص من بين شعر العنز . ينظر : لسان العرب (رعز).

(٢) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٧) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) للبيهقي في الدعوات . وقال الزيلعي : غريب .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٦) ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٤/ ١٠٨) : غريب .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٧).

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٢٢) لعبد بن حميد عن الحسن رحمه الله .

بعد عشر سنين . وقيل : كان الرجل منهم يقوم الليل كله يقول : ما أدري متى النصف أو الثلث . ومنهم من قال : كان نفلا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (١). ولأنه غير مقدر فهو دليل التطوع ، ولو كان فرضا لكان مقدارا كسائر الفروض .

ترتيل القرآن : قراءته على غير استعجال بتبيين الحروف ، وإشباع الحركات حتى يصير المتلو منه يشبه الثغر الرتل ، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان ، وألا يهذّه هذًّا(٢) ولا يسرده سردا كسرد الشّعر . قال عمر ﷺ : " شر السير الحقحقة ، وشر القراءة الهذرمة "(٣).

وسئلت عائشة – رضي الله عنها– عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : " لا كسردكم هذًّا كهذّ الشّعر ، لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدَّها "(٤).

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾

﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي والتكاليف كثيرة المشقة على المكلفين وهو بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التي ورد فيها القرآن ؛ ولأن الليل وقت الراحة ، فلابد لمن أحياه من السهر المضاد لطبيعته ، ومجاهدة نفسه . وقيل: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه ، وتربد له وجهه(٥). وينزل عليه الوحي

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٩).

(٢) **الهذ والهذذ** : سرعة القطع وسرعة القراءة ، هذ القرآن يهذه هذا يقال : هو يهذ القرآن هذا و يهذ الحديث هذا أي يسرده . **ينظر** : لسان العرب (هذذ).

(٣) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٨) لابن عدي ، وقال الزيلعي : غريب . والحقحقة : المتعب من السير . وقيل : هو أن تحمل الدابة على مالا تطيقه . وقال أبو عبيد بن سلام: الحقحقة وهو أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته أو تعطب فيبقى منقطعا به. وهذا مثل ضربه للمجتهد في العبادة حتى يحسر . والهذرمة : السرعة في الكلام والمشي ويقال للتخليط: هذرمة ، والهذرمة : كثرة الكلام ورجل هذارم وهذارمة كثير الكلام ، وهذرم الرجل في كلامه هذرمة : إذا خلط فيه ، ويقال هو السرعة في القراءة والكلام والمشي. **ينظر** : غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٣٨٨) ، لسان العرب (هذرم)، النهاية في غريب الأثر (١/ ٤١٢ ، ٥/ ٢٥٥) ، لسان العرب (هذرم).

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٨) وقال : غريب .

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٧٦) للطبراني عن ابن عباس . ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤/ ١٠٩) لأبي داود الطيالسي في مسنده عن ابن عباس وفيه: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي تربد له وجهه وجسده . ومن طريق الطيالسي رواه أبو نعيم في دلائل النبوة. **وتربد**: تغير واحمرَّ.

في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه الوحي ، وإن جبينه ليتفصد عرقا "[١].

﴿ثَقِيلًا﴾ أي : في التنزُّلِ . وقيل : على المنافقين . وقيل: كلام له وزن ليس بالسفساف[٢].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ النفس التي تُنشئ القيام ، أو قيام الليل مشتق من نشأ : إذا قام ؛ مصدر على فاعلة ؛ كالعاقبة والعافية . وفسرت عائشة الناشئة بالقيام من المضجع فلا تكون ناشئة الليل إلا لمن قام من فراشه إلى الصلاة . وقيل : هي ساعات الليل كلها . ومنهم من كان يقوم بين المغرب والعشاء ويقول : هي ناشئة الليل . ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ هي خاصة دون ناشئة النهار . ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ أشد موافقة لما يراد من قراءة أو ذكر . وقيل : أشد وطئا : أشد موافقة بين السر والعلانية ؛ لانقطاع رؤية الخلائق ، والمعنى : أنها أشد ثباتا للقدم ، وأبعد من الزلل وأثقل على المكلفين من صلاة النهار ، قال النبي ﷺ : " اللهم اشدد وطأتك على مضر "[٣]. ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ (٣١٨/ أ) وأشد مقاما ، وأثبت قراءة لهدوء الأصوات .

وقرأ أنس : " وأصوب قيلا " ، فقيل له : إنما هي : " وأقوم " ! فقال : إن " أقوم " وأصوب شيء واحد "[٤]. ﴿سَبۡحٗا﴾ تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل

---

(١) رواه البخاري رقم (٢) ، ومسلم رقم (٢٣٣٣) ، وأحمد في المسند (٥٨/٦) ، والترمذي رقم (٣٦٣٤) ، والنسائي (١٤٦/٢) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) الأصل في السفساف : ما تهيأ من غبار الدقيق إذا نخل ، يقال : سفسفت الدقيق : إذا تنخلته ثم شبه به الرديء من كل شيء يقال : رجل سفساف ومسفسف : إذا وصفته برقة المروءة ، وكلام سفساف وثوب سفساف : إذا كان هلهل النسج وهو نعت مطرد في كل شيء لم يحكم صنعه . وسفساف الشعر : رديئه ، وشعر سفساف : رديء ، وسفساف الأخلاق : رديئها . **ينظر** : غريب الحديث للخطابي (٣٠٢/١) ، لسان العرب (سفف).

(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٩٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة ﷺ .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٦٣٩/٤) ، والسمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٤٠٤/٦).

فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل .

لما ذكر أن الليل أعون على قيامه أمره بما يفعل فيه بقوله : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي : بالتلاوة والتسبيح والتقديس والحمد والتهليل والاستغفار ودراسة العلم وكانت أوقات رسول الله - ﷺ - مستغرقة في ذلك . ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ انقطع إليه انقطاعا . والقياس : تبتلا ، فنقل إلى تبتيلا ؛ لمراعاة الفواصل .

الهجر الجميل : أن تفارقهم بالقلب والهوى وتخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة . وعن أبي الدرداء : " إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتقليهم "[(١)]. وقيل : هو منسوخ بآية السيف [(٢)].

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذا رأيت شخصا قد جنى عليك فقال من يريد نصرتك : ذرني وإياه ، فأنا أكفيكه معناه : لا تتعب أنت في دفعه ، فإني أفعل كلما يدفعه عنك فلا يكون في التهديد أبلغ من ذلك . والنَّعمة بالفتح : التنعيم .

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ إن عندنا ﴿أَنكَالًا﴾ قيودا ثقالا إذا رفعتهم النار بلهيبها جذبتهم بثقلها إلى أسفل ﴿وَجَحِيمًا﴾ ونارا مشتعلة . ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ من غير هذا الجنس لا يعلمه إلا الله .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بما في " لدينا " والرجفة : الزلزلة والزعزعة الشديدة . والكثيب من الرمل : المجتمع ، تقول : كثب الشيء : إذا جمعه ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، أي : مكثوب ، أي : كانت الجبال مثل الكثيب من الرمل أهيل هيلا ، أي : نثر وأسيل .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقا قبل رقم (٦١٣١) عن أبي الدرداء ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ١٦٠): وصله ابن أبي الدنيا. وإبراهيم الحربي في غريب الحديث والدينوري في أعماله ، ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٠) للبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) آية السيف هي الآية (٢٩) من سورة التوبة قال تعالى : ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ الخطاب لأهل مكة . ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم . فإن قلتَ : لم نكر الرسول ثم عرف ؟ قلتُ : لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه . ﴿وَبِيلًا﴾ ثقيلا غليظا من قولهم : كلأ وبيل : وخم لا يستمر لثقله . والوبيل : العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به ، أي : فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا . ويجوز أن يكون ظرفا ، أي : فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا . ويجوز أن ينتصب بـ " كفرتم " (٣١٨/ ب) على تأويل جحدتم ، أي : فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء ؛ لأن تقوى الله خوف عقابه

و﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد : يوم تشيب نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب .

قال أبو الطيب : والهَمُّ يخترِمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويهرمُ[(١)]

وقد روي في بعض الكتب: أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال : رأيت القيامة والجنة والنار في المنام ، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون[(٢)] . ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أيام الشيخوخة والشيب .

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا
﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) **ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤١) ، فيض القدير للمناوي (٤/ ١٦٨) ، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ص : ٤٢٦).

(٢) ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٢).

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ وصف اليوم بالشدة أيضا ، وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلائق . قرئ " منفطر " و " متفطر "[(١)] والمعنى : ذات انفطار ، أو على تأويل السماء بالسقف ، والسماء شيء منفطر به مثلها في قولك : فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني : أنها تنفطر بشدة هول ذلك اليوم كما ينفطر الشيء بما ينفطر به ، ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله :﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[(٢)]. و﴿وَعۡدُهُۥ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول ، والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل وهو الله – تعالى ولم يجر له ذكر ؛ لكونه معلوما﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ اتعظ بها ، واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه : التقرب والتوسل بالطاعة .﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ﴾أقل منهما ، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل ؛ لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعُد كثر ذلك . وقرئ : " ونصفه وثلثه " بالنصب[(٣)]على أنك تقوم أقل من الثلثين ، وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه(٣١٩/ أ) وبين قيام الناقص منه وهو الثلث ، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين . ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ وذلك شاق عليكم . ﴿عَلِمَ﴾ استئناف على وجه النسخ . ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني : المفروضات . وقيل : زكاة الفطر ؛ لأنه لم يكن بمكة زكاة . ومن جعلها زكاة مفروضة جعل آخر السورة مدنيا[(٤)].

﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ يريد أداء الصدقات المفروضة والنفل على أحسن الوجوه ، من أطيب المال وأحله ، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله ، واختيار الفقير الصالح المحتاج ، وزمان الحاجات ؛ الفاقة والقحط .

---

(١) تنظر في : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٢).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٨).

(٣) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف ، وقرأ الباقون " ونصفِه وثلثِه " بالكسر .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٦٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٣).

(٤) نسب السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١١) لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ بمكة . ونسب لابن مردويه عن ابن الزبير مثله ، وللنحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ﴾.

تفسير سورة المدثر [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار ، وهو ما فوق الشِّعار ، والشِّعار : الثوب الذي يلي الجسد ، وفي الحديث ، قال النبي ﷺ : " الأنصار شِعار ، والناس دِثار " [(١)]. وأدغمت التاء في الدال في " المدثر " ؛ كما أدغمت التاء في الزاي في " المزمل " .

وقيل : هي أول سورة نزلت . وعن الزهري : أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[(٢)] ثم انقطع الوحي ، فحزن رسول الله ﷺ وكان يصعد على رؤوس الجبال ، فيهمّ أن يلقي نفسه ، فيعترضه جبريل فيقول : لا تفعل ؛ فأنت رسول الله "[(٣)]. وقيل : سمع من قريش ما يكرهه ، فاغتم فتدثر ، فنزلت ، فأمر ألا يدع إنذارهم . ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي : من النجاسات واجباً في الصلوات ، ومستحبا في غيرها . وقيل : وطهر ؛ أي : فقصر ، وكانت العرب يجرون ذيلهم وراءهم ، فنهوا عن ذلك . وقيل : أمر بتطهير النفس من سوء الأخلاق ، وجميع المكروهات ؛ لأن الثوب يلابس الإنسان ، ويشتمل عليه ، فيعبر عنه به ، ويبدل منه بدل الاشتمال ، فيقول : أعجبني زيد حسنُه ، وأعجبني زيد عقله ، وأعجبني ثوبه . ويقولون : المجد في ثوبه ، والكرم تحت حُلّته ؛ ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته .

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٠) ، ومسلم رقم (١٠٦١) ، عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه .

(٢) سورة العلق ، الآيات (١ – ٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٠٧) : " قوله : إن أول ما أنزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ كما صرح به فى حديث عائشة – رضي الله عنها– وأما ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به فى رواية الزهري عن أبى سلمة عن جابر والدلالة صريحة فيه ، ثم قال : فالصواب أن أول ما نزل " اقرأ " وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم " .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٤٣) .

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ العذاب ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾(١). والمعنى الثبات على هجره ؛ لأنه كان بريئاً منه . والرجس – بالسين – : الشيء المبعد ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾(٢) ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ مرفوع ، منصوب المحل على الحال ؛ ولا تعط شيئا ؛ لتأخذ أجود منه ، فيكون نهيا لرسول الله ﷺ (٣١٩/ب) خاصة أن يفعل ذلك ؛ لأن الله اختار له أشرف الأخلاق والآداب ، أو يكون نهي تنزيه لا تحريم . وقرئ " تستكثر " بالجزم(٣) وفيه وجوه : أحدها: أن يكون بدلاً من " تمنن " ، وأن يشبه ثرو بعضد(٤) فيسكن تخفيفاً ، وأن يعتبر حال الوقف . ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي : اجعل الصبر لوجه الله ، ولا تكن كالذي قال [من الكامل]:

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهمُ أني لريَبِ الدهرِ لا أتَضَعْضَعُ(٥)

قيل : فاصبر على أذى الكفار . وقيل : في مواقف القتال . فبين يديهم يوم عظيم يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى فيه عاقبة صبرك والفاء في " فذلك " للجزاء ، فوقت النقر في الناقور يجيء يوم عسير شديد على الكافرين . والنقر في الناقور : النفخة الأولى . وقيل : الثانية . ويجوز أن يكون " يومئذ " مبنيا مرفوع المحل بدل من " ذلك " . و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر ، كأنه قيل : فيوم النقر عسير . فإن قلتَ : ما فائدة قوله :﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وعسير مغن عنه؟ قلتُ : لما قال : ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقصر العسرعليهم قال : ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ؛ ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم . ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى يسره كما يرجى يسر كثير من العسر في الدنيا . ﴿وَحِيدًا﴾ حال من الله – تعالى – وفيه معنيان : أحدهما : ذرني وحدي معه فأنا

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٣) قرأ بها الحسن وابن أبي عبلة . **ينظر** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤١٢) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٦) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٧) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠١).

(٤) **في الأصل** : يشبه بعضد ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٦) وأن يشبه ثرو بعضد .

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الطور .

أجزيه . والثاني : خلقته وحدي لم يشاركني في خلقي أحد . أو حال من المخلوق ، أي : خلقه وحيدا لا مال له ولا جاه ولا قدرة ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(1) . وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان قومه يلقبونه بالوحيد ، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به قبل ، فهو تهكم به وبلقبه الذي كانوا يقصدون به تعظيمه ورياسته وتقدمه في الدنيا ، فنقل إلى وجه الذم والعيب فإنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد .

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

﴿مَّمْدُودًا﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنعماء ، من قولهم : مد النهر وأمده نهر آخر وكان له الزرع والضرع والتجارة . وقيل : كان له ما بين مكة والطائف مختلف الأنواع . وقيل : كان بستانا بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا ولا شتاء . وقيل : كان له عشرة آلاف مثقال . وقيل : ألف ألف .

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضورا معه بمكة لا يفارقونه لسفر ولا تجارة (٣٢٠/ أ) لأنهم كان لهم كفاة يقومون بمصالحهم . ويجوز أن يكون معناه : أن له بنين يشهدون معه المحافل ويحضرون في معاظم الأمور . وقيل : كان له عشرة أولاد ذكور . وقيل : ثلاثة عشر ذكورا خاصة ، فمنهم خالد بن الوليد وعمارة وهشام . ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة وأتممت عليه نعمتي بالجاه والمال والأولاد .

كان الوليد من أكابر قريش وكان يقال له الوحيد وريحانة قريش . ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه . يعني : أنه لا مزيد له على ما أعطي . ونقلوا أنه لم يتجدّد مال ولا ولد بعد هذه الآية ، وهي قوله – تعالى – : ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا﴾ (وكان يقول : إن محمدا صادقا فما خلقت الجنة إلا لي . ﴿كَلَّا﴾ ردع لرجائه وطمعه . ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال : لم لم يزد ؟ فقيل له : إنه معاند لآيات الله وغير شاكر لنعمه ، ومن فعل ذلك لم يستحق المزيد . ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من أنواع العذاب . وعن النبي ﷺ : " يكلف أن يصعد عقبة في

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

النار كلما وضع يده عليها ذابت ، فإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت "(١). وعنه : " الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه أبدا "(٢).

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل للوعيد كأن الله عاجله بالفقر بعد الغنى في الدنيا ، وأعد له في الآخرة عذابا عظيما لطغيانه وتكذيبه وقوله في القرآن :﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة لقوله : ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له ، وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويكون قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ بدلا من قوله :﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ ومعناه : إنه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقول .﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه المخزومية الغرض الذي كان تنتحيه قريش ، أو ثناء عليه على سبيل الاستهزاء وهو حكاية لما كرره من قولهم : ﴿قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره . ومعنى قول القائل : قاتل الله فلانا ما أشجعه. أنه وصل إلى حد يحق فيه أن يقال : قاتله الله .

روي أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد (٣٢٠/ ب) سمعت من محمد كلاما ما هو بشعر ولا كهانة ولا من كلام الجن ولا الإنس ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه . فقالت قريش : صبأ والله الوليد ، والله لتصبون قريش كلها ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه. فقعد إليه حزينا فقام فأتاهم فقال : أتزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق ؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا ؟ وتزعمون أنه كذاب فهل رأيتم عليه كذبا ؟ فأجابوه بقولهم : اللهم لا. في كل فعل ذكره ، ثم قالوا : فما تقول ؟ ففكر ثم قال : ما هو إلا سحر يؤثر ؛ أما رأيتموه يفرق بين المرء وزوجه وولده وأهله ؟! وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل ، فارتج النادي فرحا ، وتفرقوا متعجبين من قوله "(٣).

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٠) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٩) للبزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في البعث والنشور والطبري وابن أبي حاتم .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥) ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٧) ، وقال الترمذي : غريب وفي سنده ابن لهيعة ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٧٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٦٨) رقم (٨٤٢) ، =

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ وجوه الناس ، ثم قطب وجهه ، ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء . وقيل : قدر ما يقوله ، ثم نظر فيه ، ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل وقيل : قطب في وجه رسول الله ﷺ ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء : اعتراض بينهما وهو ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. فإن قلتَ : ما معنى دخول " ثم " في هذه الآيات ؟ قلتُ : لاستبعاد ما أتى به الوليد فجعل بعده عن الحق بمنزلة بعد المسافة . ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل من قوله" سأرهقه " ﴿لَا تُبْقِي﴾ شيئا إلا أهلكته ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ هالكا حتى يعاد . ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لاحته الشمس تلوحه : إذا غيرته أي : مغيرة للخلق . ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي : يلي أمرها تسعة عشر ملكا . وقيل : تسعة عشر صفا . جعلهم ملائكة ولم يجعلهم من جنس غير الملائكة من الجن والإنس ؛ لأن النفس إلى الجنس أميل وإذا كان المعذِّبون ملائكة والمعذَّبون من غير جنسهم لم تأخذهم الرقة عليهم كما لو كانوا من جنس واحد ؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فدل على أنهم ليس عندهم محاباة ولا خروج عن عقوبة تكذيبهم ، والملائكة تؤمن غائلتهم[1] في ذلك . وروي أنه لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل : ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم[2] أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم . فقال الأشد بن أسيد – وكان شديد البأس – : أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين (٣٢١/ أ) فأنزل الله- تعالى- :

= ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٨٢) للبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) **الغائلة** : الحقد الباطن اسم كالوابلة وفلان قليل الغائلة والمغالة ، أي : الشر والجمع : الغوائل وهي الدواهي . والغيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال ، وقتل فلان غيلة أي : خدعة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله . **ينظر** : لسان العرب (غول).

(٢) **الدهم** : العدد الكثير ، وقد دهمونا أي : جاءونا بمرة جماعة ودهمهم أمر إذا غشيهم فاشيا .

ينظر : لسان العرب (دهم) ، النهاية في غريب الأثر (٢/ ١٤٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [١]. وذكر أصحاب الأخبار أن أبا الأشد هذا كان يقف على الأديم العكاظي [٢] ويأمر الناس وإن كثروا أن يجذبوا ذلك الأديم من تحت قدميه فلا يستطيعون ، وينقطع الأديم ورجله ثابتة عليه . فإن قلت : قوله : ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون ولا منافق عند نزول هذه السورة ؛ لأنها كلها مكية ، وإنما نجم النفاق وظهر بالمدينة ؟! قلت : معناه : وليقول الذين في قلوبهم مرض في المستقبل من الزمان ؛ لأنه ذكره بلفظة المضارع وهو " يقول " ولو كان بفعل الماضي لعاد مستقبلا بلام " كي " ؛ لأن النواصب تقلب الماضي مستقبلا .

قوله : ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ مثلا : تمييز لـ " هذا " أو حال منه ؛ كقوله :﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [٣] تشبيها بالأمثال المضروبة ؛ لأنهما يشتركان في الأمور المستغربة . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ موضع الكاف فيها نصب ، و" ذلك " إشارة إلى قوله ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ﴿يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ واختصاص كل فرقة منهم بما اختصت به ، كمساواة عقود الأعداد أو النقص عنها أو الزيادة عليها . ﴿وَمَا هِىَ﴾ يعني القيامة ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ وأعداد النصب والكفارات والصلوات . أو ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لعدم الإحاطة بها لكثرتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وقوله : ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ معترض وهو متصل بوصف سقر ، و" هي " ضمير سقر أي : ما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير للآيات التي ذكرت فيها .

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ منع لأن تكون ذكرى للكفار . ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أو ﴿أَدْبَرَ﴾ [٤] صار كأمس

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٥٩).

(٢) نسبة إلى عكاظ وهو سوق للعرب ، وموسم من مواسم الجاهلية ، وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل سنة ويتفاخرون بها ويحضرها الشعراء فيتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون . قال : وهي بقرب مكة كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهرا يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون فلما جاء الإسلام هدم ذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها . **ينظر** : لسان العرب (عكظ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٧٣).

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية شعبة وأبو جعفر " دبر " وقرأ نافع وحمزة وحفص عن عاصم والباقون " أدبر " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٧٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي=

[الدابر][1]. وقيل : هو من دبر الليل والنهار إذا خلفه . كما جمعت فعلة على " فُعَل " جمعت " فعلى " عليها . أي : لإحدى البلايا الكبر . و﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من " إحدى " على معنى : إنها لإحدى الأمور العظائم ؛ كما تقول : هي إحدى النساء عفافا .

وقيل : " نذيرا " متصل بأول السورة في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ﴾ نذيرا ، وهو من بدع التفاسير . وقرئ " نذيرٌ " بالرفع[2] خبر بعد خبر .

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ مرفوع بالابتداء . و﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبر مقدم عليه ؛ كقولك لمن توضأ أن يصلي . والمراد السبق إلى الخير والتأخر (٣٢١/ ب) عنه . ويجوز أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدلا من ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ .

وليست الرهينة تأنيثا لـ " رهين " ؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم للرهن ؛ كالشتيمة بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهن معناه ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فكوا رقابهم بعمل الطاعات واجتناب المعاصي . وقيل : المراد الأطفال ؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها . وقيل : الملائكة ، وتنكير " جنات " لتهويل أمرها . والقياس : يتساءلون المجرمين : ما سلككم ، إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، ونظيره : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾[3] . والواهب هو الله – تعالى – وإنما هو

= (٦/ ٤١٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٩) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٣).

(١) زيادة من الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٣) غير واضحة بالأصل .

(٢) قرأ بها أبي بن كعب وابن أبي عبلة . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٧٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٠) ، فتح القدير (٥/ ٣٣١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٣) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠١).

(٣) سورة مريم ، الآية (١٩).

حكاية قول الله – تعالى . الخوض : الشروع في الباطل وما لا ينبغي . فإن قلتَ : أتريدون أن كل واحد فعل الأمور الأربعة ، أو هذا فعل بعضا وذاك بعضا ؟ قلتُ : تحتمل الأمرين جميعا . واليقين : الموت ومقدماته لم نقبل ؛ لأن الشفاعة إنما تكون لمن ارتضى ، وهؤلاء مغضوب عليهم غير مرضيين . ﴿عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ﴾ عن الموعظة ، يريد : القرآن وغيره من المواعظ . ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ نصب على الحال .﴿مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ شديدة النفار ؛ كأنها تستدعي النفار من نفسها في جمعها له وحملها عليه . وقرئ بالفتح[1] وهي المنفرة المحمولة على النفار . والقسورة : جماعة الرماة الذين يتصيدونها .

وقيل : الأسد ، يقال : ليوث قساور وهي فعولة من القسر والإلجاء .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : القسورة ركز الناس وأصواتهم[2] . وعن عكرمة : ظلمة الليل [3] . وتشبيههم بالحمر تهجين لحالهم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[4] وشهادة عليهم بالبله . ولا ترى مثل نفار حمار الوحش وأكثر ما يشبه العرب إبلهم في سرعة سيرها بحمار الوحش . ﴿صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ أي : نزلت من السماء ببلوغ الكفار ما يتمنون من النجاة ، وذلك أنهم قالوا : ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [5] فيه اسم كل واحد منا .

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة . قيل : إن القرآن تذكرة بليغة لا

---

(١) قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ، وقرأ الباقون " مستنفِرة " بالكسر .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٨٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٧٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٩) لسفيان بن عيينة في تفسيره وعبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٥٦).

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٥).

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٩٣).

تقدر قدرها . ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وإنه يرجع إلى قوله : ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾[1]. وإنما أنثه ؛ لأن المراد بالتذكرة : الذكر . ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يتذكروا (٣٢٢/ أ) ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أهل أن يتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أن يغفر لمن اتقى .

* * *

(١) سورة الحاقة ، الآية (٤٨).

تفسير سورة القيامة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١)﴾

إدخال " لا " النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم ؛ قال امرؤ القيس [من المتقارب] :

لا وأبيكِ ابنةَ العامريّ　　لا يدَّعي القومُ أنّي أفِرّ [(١)]

وقال غوية بن سلمى [من الوافر] :

ألا نادتْ أمامةُ باحتمالي　　لتحزُنني فلا بكِ ما أُبالي [(٢)]

وفائدتها : توكيد القسم .وقيل : هي زائدة ؛ كما في قوله:﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[(٣)].

وفي قوله [من الرجز] :

في بئرِ لا حورٌ سرى وما شَعَر .... [(٤)]

واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله . وأجابوا : بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح ؛ لأنها لم تقع زائدة ، والجواب غير سديد ، ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته . والمعنى: أن الشيء لا يقسم عليه إلا إعظاما له ، يدل عليه قوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [(٥)] كأنه يقول: إعظامي لهذا القسم كلا إعظام ، يعني : أنه يستحق فوق ذلك .

---

(١) **ينظر البيت في** : خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ٤٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٤) ، ديوان امرئ القيس (ص : ٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٣) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٤١٤).

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٨) ، لسان العرب (أهل).

(٣) سورة الحديد ، الآية (٢٩).

(٤) صدر بيت للعجاج وعجزه : بإفكه حتى رأى الصبح حشر . **ينظر في** : تفسير ابن كثير (١/ ٣٠) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٨١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٤) ، ديوان العجاج (ص : ١٦) ، غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٩٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٨) ، لسان العرب (حور).

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٧٥ – ٧٦).

وقيل : إن " لا " رد لأمر سبق لأنهم أنكروا البعث فقيل لهم : لا وجه لإنكاركم إياه ثم قيل : أقسم بيوم القيامة .

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾

فإن قلتَ : فقوله – تعالى- : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [1]. والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي ، فهلا زعمت أن " لا " التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له ، وقدرت المقسم عليه المحذوف عليه ها هنا منفيا كقولك : لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى ؟ قلتُ : لو قصروا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول وجه ، ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقى ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾بقوله : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [2]. وكذلك قوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أجيب بقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [3].

وقرئ : " لأقسم "[4]. على أنه جعل اللام لام الابتداء ، و " أقسم " خبر مبتدأ محذوف معناه : لأنا أقسم . قالوا : ويعضده أنه في الإمام بغير ألف .

﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ هي النفس المتقية التي تلوم نفسها على التقصير أي : في القيامة . وعن الحسن : إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه (٣٢٢/ ب) وإن الكافر يمضي فيما هو عليه لا يعاتب نفسه [5]. وقيل : هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها . وجواب القسم : ما دل عليه وهو قوله : ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾وهو لتبعثن .

وروي أن الأخنس بن شريق قال للنبي ﷺ : " أخبرني عن القيامة كيف هي ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك فقال : لو شاهدت ذلك بعيني لما صدقتك أو يجمع الله العظم الرميم ؟

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٥).

(٢) سورة البلد ، الآيات (١ – ٤).

(٣) سورة الواقعة ، الآيات (٧٥ – ٧٧).

(٤) قرأ بها ابن كثير في رواية قنبل عنه . **تنظر في** : الإملاء للعكبري (٢ / ٢٧٤) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٢١٣) ، تفسير للقرطبي (١٧ / ١٢٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ /٢٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٩) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٤١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٧٤) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٤٣) لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن الحسن رحمه الله .

فنزلت[1]. التقدير : بلى نجمعها .

﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَـٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في " نجمع " أي : نجمعها قادرين .

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي : أصابعه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان . وقيل : بل نحن قادرون على أن نجمع عظام يديه ورجليه ، ونجعلها عظما واحدا فلا يتأتى به القبض والبسط . وقرئ " قادرون "[2]. أي : نحن قادرون .

﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على " أيحسب " ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على ما هو عليه من الفجور فيما يستقبله من الزمان . وعن سعيد بن جبير : يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول : سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله[3].

﴿يَسْـَٔلُ﴾ سؤال متعنت ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى : متى ، أي : يسأل متى يوم القيامة استهزاء وتعنتا. ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تحير وأصله : من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوءه أو ذهب بنفسه . ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ يجمعهما الله - تعالى - يوم القيامة ويطلعهما من المغرب . وقيل : وجمعا في ذهاب الضوء . وقيل : يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار . وقيل : يجمعان ثم يقذفان في البحر فتكون نار الله الكبرى .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٦٩) رقم (٨٤٣) ، نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص : ١٨٠) للثعلبي والبغوي والواحدي .

(٢) قرأ بها ابن أبي عبلة وابن السميقع . **تنظر في** : الإملاء للعكبري (٢ / ٢٧٤) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٢١٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٢٦) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٦٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/ ٢١٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٧٧) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٤٤) نحوه ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

﴿الْمَفَرُّ﴾ موضع الفرار . ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ . وكل ما التجأت إليه من جبل أو حصن فهو وزرك . ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة لتقديم المجرور .

﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي : يرجع كل أحد إلى ما استقر عليه حكم الله .

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ من عملٍ عمله وبما أخر فلم يعمله . وقيل : بما قدم من ماله فتصدق به أو أخره منه فورث عينه . وقيل : ما قدم من عمل الخير والشر .

﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة مجازا ؛ كقوله : ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[1] أو عين بصيرة . والمعنى : أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء ؛ لأن نفسه شاهدة عليه بما عملت ؛ لأن جوارحه تشهد عليه . ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ الآية[2] (٣٢٣/ أ) .

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أكثر من الجدال والمحاجة لم ينفعه ذلك . وقيل : المعاذير : الستور ، واحدها : معذار ؛ لأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المعتذر . فإن قلت : القياس أن يجمع معذار على معاذر ؟

قلت : ليست المعاذير جمع معذار ولكنها اسم جمع ، ونحوه : المناكير في المنكر . والضمير في " به " للقرآن . وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا أن يتفلت منه فأمر بأن يصغي إليه منصتا مقبلا بقلبه ووعده أن يثبته في صدره فلا ينساه[3] .

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ جعل قراءة جبريل قراءته . والقرآن : القراءة . ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فكن متبعا له منه ولا تراسله وطامن نفسك ألا يبقى غير محفوظ ؛ فإن الله – تعالى – قد تكفل بحفظه

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٩).

(٢) سورة النور ، الآية (٢٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/٨٨ – ٨٩).

وحفظه . ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ إذا أشكل عليك فهم معناه كأنه كان يستعجل في القراءة يراسل جبريل ، ويسأل جبريل عن معانيه كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾(١) كله نهي لرسول الله ﷺ عن العجلة وحثه على التأني فإذا فرغ جبريل من قراءته فاقرأه حينئذ .

الوجه عبارة عن الجملة . والناضرة : من نضرة النعيم . ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لتقدم المجرور . والباسر : السيئ الخلق الشديد العبوس . والباسل أشد منه لكنه غلب استعماله في الشجاع إذا اشتد كلوحه .﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل معها كل خير .

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة وإن لم يجر لها ذكر ؛ لدلالة الكلام عليها ما قال حاتم [من الطويل] :

أماويُّ ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوما وضاقَ بها الصَّدرُ(٢)

تقول العرب : أرسلت. تريد المطر ، ولا تكاد تسمعهم يقولون : أرسلت السماء مطرها

﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال .﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ من يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول منازل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي وقد دنا زهوقها . وقال أصحاب المحتضر : ﴿مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ أيكم يرقيه مما به .

وقيل : هو قول (٣٢٣/ ب) الملائكة بعضهم لبعض : أيكم يرقى بروحه ، أملائكة

---

(١) سورة طه ، الآية (١١٤).

(٢) ينظر في : تفسير الطبري (١٣/ ٣٠) ، غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٨٠) ، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٦٣) ، لسان العرب (قرن).

الرحمة أم ملائكة العذاب . ﴿وَٱلْتَفَّتِ﴾ ساقه بساقه ، والتوت عليها عند قلق الموت . وعن قتادة : ماتت رجلاه فلا تحملانه ، وقد كان عليهما جوالا[1] . وقيل : لشدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة . وقيل : هما ساقاه إذا لفا في أكفانه ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ أي : يساق إلى الله وإلى حكمه . ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ يريد الإنسان الذي قال فيه : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملا بغير راع يراعيه .

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر . وأصله يتمطط ، فقلبت لاجتماع المثلين أي : يتمدد ؛ لأن المتبختر يمد خطاه . وقيل : هو من المطا وهو الظهر . وفي الحديث : " إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم "[2] . يعني : كذَّب رسولَ الله ﷺ وتولى عنه متبخترا يفتخر بذلك . ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى : ويل لك ، دعاء عليه بأن يليه ما يكره . ﴿فَخَلَقَ﴾ فقدر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ فعدل . ﴿مِنْهُ﴾ من الإنسان .

﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين . ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على الإعادة .

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/١٩٨) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٢٦١) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما . وقال الترمذي : غريب . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٠١) .

تفسير سورة الإنسان [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)﴾

﴿هَلْ﴾ بمعنى : قد في الاستفهام خاصة . والأصل : أهل ؛ بدليل قوله [من البسيط] :

.... أهلْ رأونا بسفحِ القاعِ ذي الأكمِ[(١)]

فالمعنى : قد أتى ، على التقدير والتقريب جميعا . ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ أي : بل كان شيئا منسيا . والمراد بالإنسان : الجنس ؛ لقوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ، وقوله : ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ موضعه نصب على الحال ، كأنه قيل : أتى عليه حين من الدهر غير مذكور ، أو الرفع على الوصف لـ " حين " ؛ كقوله : ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾[(٢)] . وقرئت عند إنسان فقال : ليتها تمت ، أي : ليتها بقيت على تلك الحال منسية . قوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ كقوله : برمة أعشار ، وبرد أخلاق ، ومشجة ومزجة بمعنى ، معناه : أنه قد خلق من نطفة امتزج فيها الماءان ماء الرجل وماء المرأة .

وعن ابن مسعود : هي عروق النطفة[(٣)] . وقيل : ألوان وأطوار : نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال أي : خلقناه مبتلين له أي : مقدرين له الابتلاء كقولك : مررت برجل معه صقر(٣٢٤/ أ) صائدا به غدا . أو يريد : ناقلين له من حال إلى حال . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، تقديره : فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف[(٤)] . وشاكرا وكفورا : حالان من الهاء في " هديناه " . ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي :

---

(١) عجز بيت وصدره : سائل فوارس يربوع لحلته .... ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٢) ويروى الشطر الثاني : أهل رأونا بوادي النت ذي الأكم.

(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٢٠٥).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٦) وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٤٣٨) : وهذا لا حاجة إليه .

عرفناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ؛ كقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]. ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز . ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعد والوعيد .

﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ قرئ بالتنوين[2] وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون التنوين بدل حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف . والثاني : أن يكون صاحب الرواية ممن ضرى برواية الشعر وفيه صرف ما لا ينصرف[3] .

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر أو بار وهم الذين لا يؤذون الذر[4]. الكأس : الزجاجة إذا كان فيها خمر ، وتسمى الخمر نفسها كأسا . ﴿كَافُورًا﴾ اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده .

وقيل : يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك . وقيل : يخلق فيها رائحة الكافور وبرده فكأنها مزجت به . و﴿عَيْنًا﴾ على هذا القول بدل من محل ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقدير حذف مضاف ، كأنه قيل : يشربون خمر عين أو نصب على الاختصاص . وأتى في الأول بـ "من" ؛ لأن الكأس أول شربهم ، فلذلك قيل : ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ وعداها بالباء في الثاني ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ فمعناه : يشربون الخمر بالماء كقولك : " شربت الماء بالعسل " .

---

(١) سورة البلد ، الآية (١٠).

(٢) قرأ بالتنوين نافع والكسائي وهشام وشعبة وأبو جعفر وصلا ، وبإبداله ألفا وقفا . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٩٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٦٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٤).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٧) وقال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣٩) معقبا : وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لا سيما على مشيخة الإسلام وأئمة العلماء الأعلام وقرئ بها أيضا ، ووقوف هؤلاء بالألف ظاهر " .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٤٦) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٥) عن الحسن رحمه الله .

﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يخرجونها من منازلهم حيث شاءوا . وقوله : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ جواب لمن سألهم : فبمَ حصل لهم ذلك ؟ فقال : يوفون بالنذر ، مدحهم على الوفاء به ، ولم يمدحهم على أصل النذر ؛ لأن أصل النذر ليس بمستحب ؛ لأن به يستخرج مال البخيل[(١)] ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشيا منتشرا بالغا أقصى الانتشار . ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ على حب الطعام أو حب الإطعام أو حب الله – تعالى – وكان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيقول لآخذه : أحسن إليه ، فيؤثره على نفسه[(٢)]. وعند عامة العلماء : يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا يصرف إليهم الواجبات . وقيل : كان الأسير في ذلك الوقت المشرك فأخوك المسلم أحق منه فأحسن إليه. وقيل : هو المملوك والمسجون وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك "[(٣)].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ على إرادة القول ، ويجوز أن يكون قولا باللسان أو بلسان الحال وكانت عائشة – رضي الله عنها – إذا بعثت إلى أهل بيت شيئا (٣٢٤/ ب) قالت للرسول : "احفظ ما يقولون ؛ فإن ذكر دعاء أو ثناء أثنت عليهم بمثله ، ودعت لهم بمثله حتى يسلم لها ما أعطته من غير مكافأة "[(٤)]. ويجوز أن يكون ذلك بيانا لصحة اعتقادهم . وقيل : أما إنهم لم يتكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم . والشكور والكفور : مصدران كالشكر والكفر . ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يحتمل أن يراد ليس إحساننا إليكم لطلب مجازاة ، بل لطلب رضا الله

---

(١) روى أحمد والحاكم كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير رقم (٣٧٤٣) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : " إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر وإنما يستخرج به من البخيل " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٨٠).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٣٣) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص : ١٨٠) ولم يعلقا عليه .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٨) وقال المناوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي (٣/ ١٠٧٠) : قال الولي العراقي : لم أقف عليه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٨).

وخوفا من عقابه . ووصف اليوم بالعبوس مجازا ما وصف بصفة أهله ؛ كقولك : نهارك صائم وليلك قائم . أو أن يشبه في عبوسه بالأسد العبوس . والقمطرير : الشديد العبوس ، فيقال : اقمطرّت الناقة : إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بأنفسها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة . وأعطاهم بدل عبوس اليوم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ نضرة في الوجوه وسرورا في القلب . ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وروي: أن الحسن والحسين مرضا، فقال النبي ﷺ لعلى : لو نذرت نذرا لولدك . فنذر علي وفاطمة وفضة خادمتهم نذرا لذلك ، فلما شفاهما الله تعالى — لم يكن عند علي شيء ، فاقترض من يهودي ثلاثة آصع من شعير فصنعتها فاطمة خمسة أقراص ، فلما قدموها للإفطار وقف مسكين على باب دارهم وقال : يا أمة محمد مسكين من مساكين أمة محمد جائع أطعمونا أطعمكم الله من ثمار الجنة ، فآثروه بالكل فلما أصبحوا في اليوم الثاني فعلوا كالأمس فجاء وقت الإفطار يتيم وذكر حاجته وفقره فآثروه بالجميع . وفي اليوم الثالث فعل علي كما فعل بالأمس فجاء أسير جائع فآثروه بالكل فجاء النبي ﷺ فرأى ما بهم من الجهد ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1] . والزمهرير القمر قال الشاعر [من الكامل] :

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكرْ قطعتُها والزمهريرُ ما زهرْ[2]

وقيل : الزمهرير : شدة البرد .

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٤/ ١٣٣ – ١٣٤) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص : ١٨٠) ، ونسباه للثعلبي في تفسيره عن ابن عباس . وذكره الواحدي مختصرا في أسباب النزول (ص : ٤٧٠) رقم (٨٤٤) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩٩) لابن مردويه ، ونقل الحافظ ابن حجر عن الحكيم الترمذي قوله : " ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس ... فذكره وفيه شعر ثم قال : هذا حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل . وقال الحافظ ابن حجر كذلك : ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير عن الأصبغ بن نباتة وقال ابن الجوزي : وهذا لا نشك في وضعه.

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٩٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٤٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٠) ، مختار الصحاح (زمهر).

ودخلت الواو في قوله : ﴿وَدَانِيَةً﴾ليعلم باجتماع الأمرين وقرئ : " ودانيةٌ " بالرفع[(١)] على أن " ظلالها " مبتدأ و" دانية " خبر . والجملة في موضع الحال . ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ ﴿وَدَانِيَةً﴾ و﴿لَا يَرَوْنَ﴾ كلها صفات للجنة . ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَدَانِيَةً﴾ عطفا على " جنة " الأولى ، أي : وجنة أخرى غير تلك الأولى دانية ظلالها ومعنى تذليل القطوف : أنها بحيث لا تمنع ممن يريد(٣٢٥/ أ) قطافها .

﴿قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ﴾قرئا بغير تنوين وبتنوين الأولى منهما وتنوينهما[(٢)] ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَاْ﴾ أي : تكونت قوارير بإذن الله . وقوله : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي : وجد .﴿ قَدَّرُوهَا﴾ أي : في أنفسهم فكانت على حسب اختيارهم للطائفين بها . ودل قوله : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على أنهم قدروا شرابها على قدر الري . وهو ألذ للشارب لكونه على قدر حاجته ، سميت الكأس زنجبيلا ؛ لأن فيها طعم الزنجبيل وكانت العرب تحب الزنجبيل[(٣)] .

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا
رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا
﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

و﴿سَلْسَبِيلًا ﴾أي : سهلة النفوذ في الحلق يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ، قيل: معناه : اسأل سبيلا ، وأنشدوا [من الخفيف] :

---

(١) قرأ بها أبو حيوة . **تنظر في** : البحر (٨/ ٣٩٦) ، تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٤٣) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧١).

(٢) قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر " قواريرًا قواريرًا " وقرأ ابن كثير وخلف " قواريرًا قواريرَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٩٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٤٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥).

(٣) الزنجبيل : مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض ، وليس منه شيء بريا وليس بشجر يؤكل رطبا كما يؤكل البقل ، ويستعمل يابسا ، وأجوده ما يؤتى به من الزنج وبلاد الصين، وقيل : الزنجبيل العود الحريف الذي يحذي اللسان ، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا . **ينظر** : لسان العرب (زنجبيل).

سلْ سبيلا فيها إلى جنةِ الخلدِ لتُسقى شرابَها سلْسبيلا[(١)]

و﴿عَيۡنٗا﴾ بدل من " زنجبيلا " وقيل : يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه . وقيل : يخلق الله فيه طعم الزنجبيل . و"عينا " على هذا القول مبدلة من " كأسا " كأنه قيل : ويسقون فيها كأسا كأس عين . شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم بلؤلؤ حالة إخراجه من صدفه وهو أحسن حالاته وأجودها . وقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ﴾ ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ، ومعناه : أن بصر الرائي كيفما توجه لا يدرك إلا نعيما ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ واسعا . يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام فيرى أقصاه كما يرى أدناه . وقيل : إذا رأى شيئا كان . وقيل : تسلم عليهم الملائكة وتستأذن عليهم . وقرئ " عالِيْهم " بسكون الياء ، على أنه مبتدأ ، خبره : ثياب سندس ، أي : مما يعلوهم ، وعاليَهم بالنصب[(٢)] على أنه حال من الضمير في ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أو في ﴿حَسِبۡتَهُمۡ﴾ أي : يطوف عليهم ولدان مخلدون عاليا للمطوف عليهم ثياب سندس ﴿خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالرفع ؛ حملا على الثياب وبالجر ؛ حملا على السندس ، وقرئ " وإستبرق " نصبا[(٣)] في موضع الجر على منع الصرف ؛ لأنه أعجمي وهو غلط ؛ لأنه يدخله حرف التعريف[(٤)] ﴿شَرَابٗا طَهُورًا﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي تقدم ذكره ﴿كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم﴾ عملكم ﴿مَّشۡكُورًا﴾ عند الله يجازي عليه أحسن الجزاء وقد أكد خبر " إن " بقوله : ﴿نَحۡنُ﴾ . ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ أي : قضائه بتأخير القتال إلى أن يقوى الإسلام ويكثر أهله ، وحينئذ يأمرك بالقتال . فإن قلتَ : لم قال ﴿أَوۡ كَفُورٗا﴾ ولم يقل : "وكفورا " ؟ قلتُ : لو قال " وكفورا " جاز طاعة أحدهما فإذا نهاه عن كل واحد امتنع

(١) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٤٤٦) ، والكشاف (٤/ ٦٧٢) ويروى في الدر :
سل سبيلا فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل

(٢) قرأ نافع وحمزة وأبو جعفر " عالِيْهم " وقرأ الباقون " عاليَهم " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٩٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٤٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٦).

(٣) قرأ نافع وحفص عن عاصم " خضرٌ وإستبرقٌ " ، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم " خضرٍ وإستبرقٌ " ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " خضرٌ وإستبرقٍ " ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف " خضرٍ وإستبرقٍ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٩٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٤٨ - ٤٤٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٦٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٦) .

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٣).

الجمع من باب الأولى (٣٢٥/ ب) .

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر . ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصل له ، يعني : صلاة المغرب والعشاء وأدخل " من " على الظرف للتبعيض ؛ كما دخل على المفعول في قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[1]. ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ أمامهم أو خلفهم وهو هوله . ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه : ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. الأسر : الربط والتوثيق ومنه : أسر الرجل : إذا أوثق في القيد . ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم وأتينا بقوم آخرين . أو يستبدل بهم قوما أطوع لله منهم . ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة منها . ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾) هم المؤمنون ونصب ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بفعل مضمر يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

* * *

(١) سورة الأحقاف ، الآية (٣١).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٨٧).

تفسير سورة المرسلات [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا
۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾

أقسم الله – سبحانه – بطوائف الملائكة ، أرسلهن بأوامره ، فعصفن في مضيِّهن ، كما تعصف الرياح ، وطوائف منهم نشرت أجنحتها في الجو عند انحطاطهن بالوحي ، أو نشرت الشرائع ، أو نشرت النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ، ففرقن بين الحق والباطل ، فألقين ذكرا ؛ عذرا للمحقين أو إنذارا للمبطلين . أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن ، فنشرت السحاب في الجو ، ففرقن بينه ؛ لقوله : ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ (١) .

أو بسحاب نشرن الموات ، ففرقن بين من يشكر أو يكفر ، فألقين ذكرا إما عذرا للمحقين وإما إنذارا للذين أغفلوا الشكر ، وينسبون ذلك إلى الأنواء ، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله . وقوله : ﴿عُرْفًا﴾ أي : متتابعة كشعر العرف ، يقال : جاءوا عرفا واحدا ، أو يكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر . وانتصابه على أنه مفعول له أي : أرسلن للإحسان ، والأول على الحال ، وإنما جعل إرسال الملائكة إحسانا ومعروفا لكونه إحسانا للأنبياء وللمؤمنين الذين بين ظهرانيهم والعذر والنذر : مصدران ويجوز أن يكون عذرا جمع عذير كالنذر في جمع نذير ، أو بمعنى العاذر والمنذر وانتصابهما على البدل من " ذكرا " أو على المفعول له ، أو على الحال .

إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن واقع لا ريب فيه . وعن بعضهم : أنه مجرور بإضمار رب .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ
نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝٢١ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ

---

(١) سورة الروم ، الآية (٤٨).

يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿طُمِسَتْ﴾ محقت . وقيل : ذهب بنورها موافقا (٣٢٦/ أ) لقوله : ﴿انتَثَرَتْ﴾ [1]. و﴿انكَدَرَتْ﴾ [2]. ويجوز أن يمحق نورها ثم تتناثر مسلوبة النور ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ كقوله : ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [3]. وقول الشاعر :

.... الفارجي بابَ الأميرِ المبهمِ[4]

﴿نُسِفَتْ﴾ كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [5].

وقيل : أخذت بسرعة من أماكنها . قوله : ﴿أُقِّتَتْ ﴾ [6] الأصل الواو والهمزة بدل منها . ومعنى توقيت الرسل : تبيين الوقت الذي يحضر فيه الأنبياء للشهادة على الأمم .﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعظيم لليوم وتعجيب من هوله . ﴿يَوْمِ الْفَصْلِ﴾ الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يراد بقوله : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ الوقت الذي عين لحضورهم .

﴿نُتْبِعُهُمُ﴾ بالرفع[7] على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة ، يريد : ثم نفعل بالآخرين كما فعلنا بالأولين .﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ﴾ مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وهو تحذير من عاقبة الظلم وسوء أثره . ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى مقدار من الوقت قد علمه الله وحكم به . ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ له نحن . أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه والأول أولى ؛ كقوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [8].

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

---

(١) سورة الانفطار ، الآية (٢).

(٢) سورة التكوير ، الآية (٢).

(٣) سورة النبأ ، الآية (١٩).

(٤) **ينظر البيت في** : روح المعاني للألوسي (١٧٢/٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٦٧٨/٤).

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٥).

(٦) تقدم تخريج القراءة في سورة الجن .

(٧) هذه قراءة العامة من القراء ، وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو بتسكين العين .

تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٤٥٦/٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٩).

(٨) سورة عبس ، الآية (١٩).

انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جملت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ﴾ .

الكفات : من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم لما يجمع ويضم ؛ كقوله الضمام والجماع وبه انتصب ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ كأنه قال : كفاتا لهم أحياء وأمواتا . والمعنى : تكفتهم أحياء على ظهرها ، وأمواتا في بطنها . وإنما نكر أحياء وأمواتا ؛ تفخيما لأمرهم وتعظيما لشأنهم . ويجوز أن يكون المعنى : يكفتكم أحياء وأمواتا فينصبا على الحال من الضمير ؛ لأنه قد علم أنها كفاته للأنس ، والتنكير في ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ و﴿مَاءً فُرَاتًا﴾ للتبعيض لأن في السماء مياها قال الله : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ (١). ﴿انطَلِقُوا﴾ على إرادة القول أي: يقال لهم : ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب . وانطلقوا الثانية تكرير . ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي : دخان حميم وهكذا الدخان العظيم يتفرق ذوائب . وقيل : يخرج لسان من النار أي : يحيط بالكفار كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب إلى حيث يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش . ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكم بهم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ في محل الجر . ﴿بِشَرَرٍ﴾ أي : على شرره كالقصر . وقيل : هو الغليظة من الشجر . وقرئ : " كالقَصَر " بفتحتين ، وهي أعناق الإبل وأعناق النخل . وقرئ " كالقُصُر " بضمتين(٢) جمع " قِصر " ؛ كرهن ورهن . و﴿جِمَالَتٌ﴾ جمع " جمال" أو(٣٢٦/ ب) جمع جمالة . وقيل : صفر سود . قال عمران بن حطان الخارجي(٣):

دعتْهُمْ بأعلى صوتِها ورمَتْهُمْ بمثلِ الجبالِ الصفرِ نزاعةُ الشَّوَى(٤)

---

(١) سورة النور ، الآية (٤٣).

(٢) قرأ " كالقَصَر " ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي والحسن ، وقرأ ابن مسعود " كالقُصُر ".
تنظر في : البحر المحيط (٨/ ٤٠٧) ، تفسير القرطبي (١٩/ ١٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٥٨) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٠) .

(٣) هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن الحارث بن سدوس السدوسي، ويقال: الذهلي. يكنى أبا شهاب ، تابعي مشهور وكان من رؤوس الخوارج ، مات سنة أربع وثمانين من الهجرة .
تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٣٠٣ - ٣٠٥) .

(٤) **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ، ٤٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨١) .

قرئ بنصب " يوم " ونصبه الأعمش[١]. أي : هذا الذي قص عليكم واقع . ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ لا يستطيعون النطق ، أو يقدرون عليه ويصدهم كثرة الهول .

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على ﴿وَلَا يُؤْذَنُ﴾ ولو جعل الاعتذار مسببا عن الإذن لنصب . ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ موضح لقوله : ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تقريع لهم على كيدهم لدين الله ، وتسجيل عليهم بالعجز .

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ في موضع الحال من ضمير " المتقين " أي : هم مستقرون في ظلال مقولا لهم : كلوا واشربوا . و﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ حال من المكذبين أي : الويل ثابت لهم في حال يقال لهم : كلوا وتمتعوا ، وعلل ذلك بأنهم مجرمون دلالة على أن كل مجرم يستحق هذا العقاب ، ثم البقاء في الهلاك أبدا ، ويجوز أن يكون ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطابا للمكذبين في الدنيا . ﴿ارْكَعُوا﴾ تواضعوا لله واطرحوا الاستكبار , وقيل : ما كان على العرب أضر من الركوع والسجود . وقيل : نزلت في ثقيف ، لما أمروا بالصلاة ، ورأوا فيها الركوع والسجود قالوا : نحب ألا ننحني ، فإنها سبة علينا فقال ﷺ : " لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود "[٢]. ﴿بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن .

* * *

(١) قرأ بها زيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة وعاصم في رواية عنه . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٠٧) ، تفسير القرطبي (١٩/ ١٦٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٥٩) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨١).

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٦) عن عثمان بن أبي العاص . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٧١١).

تفسير سورة النبأ [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله : عما . وجاء ثبوت الألف كقول حسان بن ثابت :

على ما قامَ يشتمُني لئيمٌ كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ [1]

والاستعمال الكثير حذف الألف وكأنه أشكل عليه حال هذا المتكلم لما رأى من اختلاف حاله ، فشرع عن جنسه ما هو ، والله لا يخفى عليه شيء من ذلك . ثم كثر استعماله فاستعمل في التعظيم والتفخيم ، والضمير لأهل مكة ، كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون غيرهم عنه على وجه الاستهزاء وإذا وقفتَ على " عم " قلتَ: " عمَّه " فتثبت هاء السكت . ومنهم من أثبتها في الوصل وأجراه مجرى الوقف[2]. وقيل : الضمير للكفار وحدهم . وقيل : للمسلمين والكافرين ؛ أما المسلم فليزداد(٣٢٧/ أ) خشية وأما الكافر فليزداد استهزاء . والمتساءل عنه القرآن والبعث والنبوة .

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للسائلين هزءا و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك . ومعنى " ثم " الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول ، واتصل قوله :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ بما قبله ؛ لإنكارهم البعث وأنهم لما أنكروا البعث قيل لهم : أنتم معترفون بأن الله خالق السماوات والأرض كما قال : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾[3] فإذا اعترفتم بقدرته على الأقوى كانت قدرته على الأضعف من باب الأولى .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة يس .

(٢) قرأ " عَمَّهْ " البزي عن ابن كثير . تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦١) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ١٣٤).

(٣) سورة غافر ، الآية (٥٧).

﴿مِهَٰدًا﴾ فراشا . ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي : أرسينا بها الأرض كما يرسى البيت بالأوتاد . ﴿سُبَاتًا﴾ موتا . والمسبوت : الميت . ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي : وقت معاش . وقيل : السبات : الراحة . ﴿لِبَاسًا﴾ يستركم عن العيون ممن أرادكم بسوء أو تريده أنت ، أو يستر من أحواله مما لا يريد أن يطلع عليه غيره . ﴿سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديد أي : محكمة قوية ، لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ متلألئا وهو الشمس . ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحب ، وامرأة معصر : دنا حيضها .

وقيل : المعصرات : الرياح ذوات الأعاصير . فإن قلتَ : ما وجه من فسر المعصرات بالرياح ، والرياح ذوات الأعاصير ، والمطر لا ينزل من الرياح ؟ قلتُ : الرياح هي التي تنشئ السحاب ، وتدرّ المطر ، فيصح جعله مبدأ للإنزال ، وقد جاء في بعض الروايات : إن الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب ، ثم من السحاب ينزل إلى الأرض[1] . فإن صح هذا فالإنزال منه ظاهر . ﴿ثَجَّاجًا﴾ : منصبا بكثرة . والثج : الصب ؛ " أفضل الحج العجُّ والثجُّ "[2] فالعجُّ : رفع الصوت بالتلبية ، والثجُّ : كثرة صب دماء الهدى . ﴿حَبًّا﴾ أقوات بني آدم وبعض الحيوانات . ﴿وَنَبَاتًا﴾ ما تعتلفه الدواب من الزرع والتبن ، كما قال : ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[3] .

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين . ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة الأغصان ، لا واحد له ، وقيل : واحده : لِف . قال الشاعر : جنةٌ لِفٌ وعيشٌ مغدقٌ   وندامى كلُّهم بيضٌ زُهُر[4] (٣٢٧/ ب).

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٩٩) ، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٨٦).

(٢) رواه الترمذي رقم (٨٢٧) ، وابن ماجة رقم (٢٩٢٤) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٦٣١) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١١٠١).

(٣) سورة النازعات ، الآية (٢٣).

(٤) أنشده ابن علي الطوسي ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤١٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٨٧).

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ كان في علم الله وحكمه أن يجعله وقتا للحساب أو حدا للخلائق ينتهون إليه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من قوله : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾أو عطف بيان . ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ أمما . ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي : طرقا ﴿. فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كقوله : ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [(١)]. يعني : أنها تصير شيئا كلا شيء ؛ لتفرق أجزائها .

المرصاد : الحد الذي يكون فيه الرصد ، والمعنى : أن جهنم حد الطاغين الذين يرصدون فيه العذاب . وقيل : كانت مرصادا : طريقا لأهل الجنة . ﴿أَحْقَابًا﴾ كلما مضى حقب تبعهم حقب . ولا يكاد يستعمل الحقب إلا حيث تتابع الأزمنة . ويجوز أن يكون قوله : ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ متعلقا بـ " لابثين ". التقدير : اللابثين ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ يعذبون بهما ، ثم بعد ذلك يعذبون بأنواع أخرى من التعذيب .

قوله :﴿ إِلَّا حَمِيمًا﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن المراد بالبرد : ما ينفس عنهم حر النار ، وليس في النار ما يخفف ولا يسكن ولا يخفف عنهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[(٢)].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي : ذا وفاق . ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبا . وقرئ: "وكلُّ شيء" بالرفع على الابتداء[(٣)]. ﴿كِتَـٰبًا﴾مصدر في موضع " إحصاء " أو " أحصيناه " في موضع " كتابا " أو يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح . قوله :﴿ فَذُوقُوا۟﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب ويدل عليه قوله : ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ على أن الزيادة كالمستحيل ؛ لأن " لن " عند الزمخشري إنما يؤتى بها في نفي المستحيل أو ما يقرب من المستحيل[(٤)]. واحتج بقوله :﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [(٥)] وروي عن النبي ﷺ أنه قال : " هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار " [(٦)].

---

(١) سورة الواقعة ، الآية (٦).

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٧٥).

(٣) قرأ بها أبو السَّمال . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦٦) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٦٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩٠).

(٤) **ينظر** : الكشاف (١/ ١٠١ ، ٢/ ١٥٤) وفيه أن " لن " للنفي في المستقبل ، وهي تفيد التأكيد والتشديد.

(٥) سورة الأعراف ، الآية (١٤٧).

(٦) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٤٥) للثعلبي في تفسيره ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٠٣) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩)﴾

﴿مَفَازًا﴾ فوزا أو موضع فوز . وقيل : نجاة مما فيه الكفار . أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده . والحدائق : البساتين الكثيرة الثمار . والكواعب : اللاتي كعب ثديهن .

وأتراب : الذين ولدوا في زمن ولادتك ، سموا أترابا ؛ لأن الأرض مسَّتهم في زمن واحد والدهاق : الملآن المترع . ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بقوله : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ و﴿عَطَاءً﴾ منصوب بـ " جزاء " نصب المفعول به . و ﴿حِسَابًا﴾ صفة ، أي : كافيا .

قرئ: "ربُّ السماوات والأرض" بالرفع على : هو رب السماوات ، أو رب السماوات : مبتدأ ، و" الرحمن " صفته ، و﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ الخبر , أو هما خبران (٣٢٨/ أ). وبالجر على البدل من " ربك " ، وبجر الأول ، ورفع الثاني [١] على أنه مبتدأ ، خبره :

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو هو الرحمن لا يملكون . والضمير في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهل السماوات والأرض ، أي : ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ، ويأمر به خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف المُلاك أو لا يملكون أن يخاطبوا بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب .

﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ متعلق بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ . و ﴿الرُّوحُ﴾ مخلوق أشرف من بني آدم ومن الملائكة . وقيل : هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه . وقيل : ليسوا بملائكة وهم يأكلون . وقيل : جبريل .

الشفاعة في يوم القيامة بشرطين : أحدهما : أن يكون المشفوع فيه مرتضى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [٢]. والثاني : أن يكون بإذن الله في الكلام للشافع ؛ لقوله : ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع " رب " و " الرحمن " ، وقرأ ابن عامر وعاصم بجرهما ، وقرأ حمزة والكسائي بجر " رب " ورفع " الرحمن " . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩١).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨).

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلۡمَرۡءُ﴾ هو الكافر ؛ لقوله : ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ و﴿ٱلۡكَافِرُ﴾ ظاهر وضع موضع المضمر ؛ لزيادة الذم يعني : ما قدمت يداه من الشر . و﴿مَا قَدَّمَتۡ﴾ يجوز أن تكون " ما " مصدرية ويجوز أن تكون موصولة ، والراجع من الصلة محذوف . وقيل : المرء عام وخصص منه الكافر. ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ في الدنيا ، فلم أخلق ولم أكلف ، أو ليتني ترابا فلم أحشر في هذا اليوم . وقيل : يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر أن حاله كذلك [(١)] .

وقيل : الكافر : إبليس يرى آدم وولده وثوابهم ، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال : ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [(٢)] .

* * *

(١) روى الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٦) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٦١٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب، حتى تقص الشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها : كوني ترابا . فتكون ترابا ، فيراها الكافر فيقول : يا ليتني كنت ترابا " . وقال الحاكم : رواته عن آخرهم ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول، وتفسير الصحابي مسند، وروى الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٩٤٢٨) عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه ليبلغ من عدل الله يوم القيامة حتى يقتص للجماء من ذات القرن " . ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٣) وقال : وفيه من لم أعرفهم وعطاء بن السائب اختلط .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٢).

تفسير سورة النازعات [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾

أقسم – سبحانه – بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي : تخرجها من نشط الدلو : إذا أخرجها ، وبالطوائف التي تسبح في مضيها أو تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . ﴿غَرْقًا﴾ إغراقا في النزع أي : تنزعها من أقصى الجسد من أناملها وأظفارها . أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب ، من قولك : ثورنا نشط : إذا خرج من بلد إلى بلد ، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر , وإسناد التدبير إليها ؛ لأنها من أسبابه . أو أقسم(٣٢٨/ ب) بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع : أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب ، والتي تخرج من برج إلى برج ، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب . وقيل : النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق السهام والتي تنشط الأوهاق[١]. والمقسم عليه محذوف وهو " لتبعثن " ؛ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١)﴾

و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بهذا المضمر . و﴿الرَّاجِفَةُ﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال وهي النفخة الأولى ، وصفت بما يحدث بحدوثها . و﴿الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية . ويجوز أن تكون الرادفة من قوله- تعالى- : ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [٢]. أي : القيامة التي يستعجلها الكفرة استهزاء ، وهي رادفة لهم لقربها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٩) **والأوهاق** : جمع وهق بالتحريك ، وقد يسكن وهو حبل كالطول تشد به الإبل والخيل لئلا تند . **ينظر** : لسان العرب (وهق).

(٢) سورة النمل ، الآية (٧٢).

وقيل: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الأرض والجبال لقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[(١)]. و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ السماء والكواكب؛ لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك. فإن قلت: ما محل "تتبعها"؟ قلت الحال: أي: ترجف تابعتها الرادفة.

فإن قلتَ: كيف جعل ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظرفا للمضمر الذي هو "لتبعثن" ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلتُ: معناه: لتبعثن في الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأولى؛ لأن قوله: ﴿تَتْبَعُهَا﴾ جعل حالا عن الراجفة. ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بما دل عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: يوم ترجف وجفت القلوب. ﴿وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب. والوجيب والوجيف أخوان. ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة. فإن قلتَ: كيف أضيفت الأبصار إلى القلوب؟ قلتُ: معناه: أبصار أصحابها بدليل قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى يعنون: الحياة بعد الموت، وحقيقة هذه الكلمة أنه يقال: رجع فلان في حافرته أي: في طريقته التي جاء فيها فحفر فيها: أثر فيها بمشيه، جعل أثر قدميه حفرا، كما قيل: حفرت أسنانه حفرا: إذا أثر الأكال في أسنانها، والخط المحفور في الصخر. وقيل: حافرة؛ كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[(٢)]. أي: مرضية.

ومحفورة؛ كقوله: "نهارك صائم وليلك قائم" يريد أرجوعا إلى حافرة؟

وقيل: النقد عند الحافرة، يريدون: على الحالة الأولى التي هي وقت العقد. يقال: نخر العظم فهو نخر وناخر؛ كقولك: طمع فهو طمع وطامع، وفَعِل أبلغ من فاعل. وهو البالي الأجوف الذي تمزقه الريح، فيسمع له نخير (٣٢٩/ أ).

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾

و﴿إِذًا﴾ منصوب بمحذوف تقديره: إذا كنا عظاما نرد ونبعث ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ منسوبة إلى

---

(١) سورة المزمل، الآية (١٤).

(٢) سورة الحاقة، الآية (٢١).

الخسران ، أو خاسر أصحابها . ﴿زَجْرَةٌ﴾ من قولهم : زجر البعير: إذا صاح عليه .

والساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك ؛ لأن السراب يجري فيها ، من قولهم : عين ساهرة ، أي : جارية ، وفي ضدها : عين نائمة ، قال الأشعث بن قيس :

وساهرةٍ يُضحي السرابُ مجللا لأقطارِها قدْ جُبْتُها متلثّما[1]

وقيل : ساهرة : جهنم . ﴿ٱذْهَبْ﴾ على إرادة القول . ﴿هَل لَّكَ﴾ في كذا ، وهل لك إلى كذا ، أي : هل ترغب فيه . ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى أن تطَّهر من الشرك .

﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ إلى معرفة ربك فتخشاه ، والخشية إنما تكون بالمعرفة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [2] وقال – عليه السلام – : " من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل "[3].

بدأ في كلامه بالاستفهام كحال من يعرض على زيد النزول عنده ، فيقول له : هل لك أن تنزل عندنا ، ثم عقبه بالكلام اللين ؛ ليستنزله بالمداراة كما أمر بقوله :﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[4]. ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية ؛ لأنها كانت أول ما أراه الله من المعجزات ، وكان يتَّقيها بيده ، فقيل له : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ [5] أو أرادهما جميعا ، إلا أنه جعلهما آية واحدة ؛ لأن الثانية تابعة ، سماها سحرا بعد علمه بصحة النبوة .

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ فزعا من الثعبان ، وهو معنى قوله : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ يفر منه .

---

(١) ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٩٥).

(٢) سورة فاطر ، الآية (٢٨).

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٩٥٤) .

(٤) سورة طه ، الآية (٤٤).

(٥) سورة النمل ، الآية (١٢).

كان فرعون رجلا خفيفا فاستفزه الثعبان على السرعة وحمله على الهرب ، أو أراد بـ " أدبر " أقبل ؛ كقولك : قلت له كذا فاقبل يحدثني . ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع ؛ كقوله : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [1]. ﴿فَنَادَىٰ﴾ بنفسه أو أمر مناديا فنادى بذلك . وقيل : قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كلمته الأولى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [2]. والآخرة : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [3].

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ مثل الله به . ﴿نَكَالَ﴾ مصدر مؤكد ؛ كقوله : ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ [4]. و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [5]. كأنه قيل : نكل الله به نكال الآخرة والأولى . والنكال بمعنى التنكيل ؛ كالسلام بمعنى التسليم ، يعني : الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة . وقيل : نكال كلمته الأولى وكلمته الآخرة . الخطاب لمنكري البعث يعني : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾، ثم بين البناء فقال: (٣٢٩/ ب) ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي : جعل مقدار ذهابها في العلو مديدا مسيرة خمسمائة عام . ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعدل خلقها مستويا لا عوج فيه ولا فطور ملساء . وأصله : سوى فلان أمر فلان ، أي : دبره .

غطش الليل وأغطشه الله . ويقال : أغطش الليل بمعنى أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها ، وأضيف الليل والشمس إلى السماء ؛ لأن الليل ظلها ، والشمس هي السراج الوهاج . ﴿مَاءَهَا﴾ عيونها المتفجرة بالماء . ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ موضع رعيها والمراد ها هنا : العشب الذي أنبتته العيون . ونصب " الأرض والجبال " بإضمار " دحا " و" أرسى " ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول من أجله أي : تمتيعا . ﴿الطَّامَّةُ﴾ الداهية التي تطم على الدواهي ، أي: تعلو وتغلب. قيل : النفخة الثانية . وقيل : الساعة التي يساق فيها أهل الجنة والنار إلى منازلهم .

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٥٣) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٣٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٤١).

(٤) سورة الروم ، الآية (٦).

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .

ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ يعني : إذا رأى أعماله مدونة في كتابه ساءه ذلك ، وتذكر ما كان قد نسيه من أعماله ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ (١).

و" ما " في ﴿مَا سَعَىٰ﴾ موصولة أو مصدرية . ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ وأظهرت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ للرائين جميعا فإذا جاءت الطامة كان كيت وكيت .

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي : مأواه . ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة بالسوء عن اتباع الهوى ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤها . ﴿فِيمَ أَنتَ﴾ في أي شيء أنت من أمر الساعة وإخبارهم بوقتها . وقيل: الوقف على قوله : ﴿فِيمَ﴾ ثم يبتدئ ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ (٢) أي : من أشراطها. وكان بعث رسول الله ﷺ من أشراط الساعة (٣).

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ بوقت مجيئها ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾. ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في القبور أو في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ فإن قلتَ : كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية ؟ قلت : لما بينهما من الملابسة؛ لاجتماعهما في يوم واحد . فإن قلت : فهلا قيل: " عشية أو ضحى " وما فائدة الإضافة ؟ قلتُ : الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن ساعة من عشيته أو ضحاه، فلما تُرك اليوم أضافه إلى عشية ، فهو كقوله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ (٤).

* * *

(١) سورة المجادلة ، الآية (٦).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٩٩).

(٣) روى البخاري رقم (٦٠٢٣) ، ومسلم رقم (٥٢٤٥) ، والترمذي رقم (٢١٤٠) عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين " .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥).

تفسير سورة عبس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾

أتى رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم . وأم مكتوم : أم أبيه ، واسمه : عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة (٣٣٠/ أ) الفهري من بني عامر بن لؤي ، وعنده صناديد قريش ؛ عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، يدعوهم إلى الإسلام ؛ رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، فقال : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم ، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه [(١)].

وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه : " مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول : هل لك حاجة "[(٢)]. واستخلفه على المدينة مرتين [(٣)]. وقال أنس : رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء [(٤)].

﴿أَن جَآءَهُ﴾ لأن جاءه وهو متعلق بـ " تولى " أو بـ " عبس " على اختلاف المذهبين[(٥)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٥١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٥١) ونسبه له الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٥٥) ولابن مردويه .

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٥٠٣) ، وذكره عمر بن علي الأندلسي في تحفة المحتاج (١/ ٤٥٢) عن أنس ﷺ " أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى " وقال : رواه أبو داود ولم يضعفه، وفي رواية أخرى له : " أنه استخلفه على المدينة مرتين " زاد أحمد في مسنده " يصلي بهم " وفي إسنادهما عمران بن داور بالراء في آخره القطان ضعفه يحيى والنسائي وحدث عنه عفان ، ووثقه وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث واستشهد به .

(٤) رواه أحمد في المسند (١١٨٩٤).

(٥) هذه المسألة تعرف بمسالة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث أن " شيئا " تقدمه عاملان وهما " يعلم وعِلْم " ، وقد اختلف النحاة=

وروي: أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط[١].

﴿تَصَدَّىٰ﴾ في الأخبار والانتقال من الغيبة إلى الخطاب دليل على إنكار ما وقع . وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك . وكان يحب أن يزيده لعماه تعطفا ؛ لأنه مصاب بناظريه ، وتأدب الناس بهذا الأدب ، فروي أن الفقراء كانوا في مجلس سفيان الثوري أمراء[٢]. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ما يؤول إليه حال هذا الأعمى عند التزكية والطهرة . ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعظ . قرئ: "فتنفعه" بفتح العين[٣] بالنصب في جواب الترجي . وقيل : هو الكافر أي : أنك طمعت في أن يتطهر بالإسلام أو يذَّكَّر فتقربه الذكرى . ﴿تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل . قوله : ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فيه إشارة إلى الاختصاص ، أي : أنت مع جلالة قدرك وشرفك بالنبوة حقيق بألا تفعل ذلك وإن فعله غيرك .

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمزجور . ﴿إِنَّهَا﴾ إن آيات القرآن وهذه السورة ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي : كان حافظا له غير ناس ، وذكر الضمير ؛ لأن التذكرة في معنى التذكير . ﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لـ

= في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعلين متصرفين أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف واسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني لمجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حينئذ من باب التنازع . فعلى رأي البصريين يكون العامل في ﴿أَن جَآءَهُ﴾ في هذه الآية : ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ . وعلى مذهب الكوفيين يكون العامل فيه ﴿عَبَسَ﴾ . واختار السمين الحلبي رأي البصريين ورد رأي الكوفيين وذكر علة ذلك فقال في الدر المصون (٦/ ٤٧٨): "والمختار مذهب البصريين ؛ لعدم الإضمار في الثاني " . **وتنظر المسألة في** : الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٨٧ ، المسألة ١٣) ، أوضح المسالك لابن هشام (٣/ ١٨٦) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/ ١٧٥) ، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ٩٤).

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠١)

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٤٩) ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠١)

(٣) قرأ بها عاصم ، وقرأ الباقون " فتنفعُه " بالرفع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٢٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٧٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠١) .

" تذكرة " أي : هي في أيدي الملائكة منتسخة من اللوح المحفوظ . ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله . ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ، أو مرفوعة المقدار . ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن أيدي الشياطين ، ولا يمسها إلا أيدي الملائكة مطهرين ﴿كِرَامٍ﴾ على الله أبرار . وقيل : هي صحف الأنبياء ؛ كقوله : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ (١).

وقيل : السفرة : القراء . وقيل : أصحاب رسول الله ﷺ . ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاء عليه . والقتل : أشد أنواع العذاب . ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبا (٣٣٠/ ب) أغلظ منه ؛ لأن الله لا يعجب وإذا عجب من أمر فهو غاية العجب (٢).

ثم أخذ في وصف حاله ، وفي وصف نشأته إلى أن انتهى .

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله : ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ حقيرة؛ مهّن خلقه ، ثم بين ذلك الشيء بقوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ سبيل الثواب ، يسر دخوله فيه وخروجه منه عند تكميل الخلق ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ فجعل له قبرا يصون جيفته من السباع وهوامّ الطير . فلما فرغ من وصف الآدمي ونشأته شرع فيما خلقه مادة لبقائه ، وهو إنبات الحب والعنب والقضب (٣) والزيتون والنخل والحدائق الغلب ؛ كما قال : ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ أضاف الصب إلى نفسه ؛ لأنه بأمره ، ويجوز أن يكون من شقها بالحرث. والأب : المرعى ؛ لأنه يؤب ، أي : يُؤَم وينتج . والأب والأم أخوان ، قال الشاعر :

جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمكرَعُ (٤)

---

(١) سورة الأعلى ، الآية (١٨).

(٢) تقدم توضيح ذلك في تفسير سورة الصافات .

(٣) **القضب** : الرطبة ، وأهل مكة يسمون القت القضبة ، والقضب من الشجر : كل شجر سبطت أغصانه وطالت .
والقضب : ما أكل من النبات المقتضب عضا . **ينظر** : لسان العرب (قضب).

(٤) **ينظر في** : تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠٤) ، لسان العرب (أبب).

وعن أبي بكر ﷺ أنه سئل عن الأب ، فقال : " أي سماء تظلني أو أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به "[١]. وعن عمر ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال : كل هذا قد عرفنا ، فما الأبُّ ؟ ثم رفض عصا كانت في يده ، وقال : هذا لعمر الله التكلف وما عليك يابن أم عمر ألا تدري ما الأب ؟ ثم قال: " اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه "[٢].

فإن قلتَ : قول عمر يشبه النهي عن تتبع المشكلات والسؤال عنها ؟

قلتُ : كان أهم أمر الصحابة تعلم العلم الذي يقتضي العمل ، فأما ما سوى ذلك فكان من النادر أن يتعرضوا له. وقد فهم من سياق هذه الآية أن الأب نبت أطلقه الله لمصالح هذه الآية ، ولعلف دوابهم .

يقال : صخ لحديثه مثل أصاخ ، فوصف النفخة بالصاخة مجازا ؛ لأن الناس يصيخون لها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَفِرُّ﴾ منه لاشتغاله بما هو أهم ، وما هو مدفوع إليه من الحساب والعرض ، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا . وقيل : يفر منهم ؛ حذرا من أن يطالبوه بالتبعات ، فيطلب القريب ما توجبه صلة الرحم ، وكذلك الأب والأم والصاحبة بحقوقها وكذلك البنون . ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٣١/ أ) من خطايا محمولة على ظهره ، وسائق يسوقه إلى الموقف بالغلظة وحيائهم من الله في إقدامهم على معصيته . ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة نيرة ، يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء . وأسفرت المرأة : كشفت نقابها ، وسمي السفر ؛ لأنه يكشف عن أخلاق المرء .

﴿غَبَرَةٌ﴾ غبار يعلوها . ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي : سواد . ولا ترى أقبح من اجتماع الغبرة والدخان كما ترى في وجوه الزنوج إذا اغبرت.

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥٨/٤) ونسبه لابن أبي شيبة في فضائل القرآن وعبد بن حميد في تفسيره .

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص : ١٨٢) للطبري والطبراني في مسند الشاميين، والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

تفسير سورة التكوير [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾

في التكوير وجهان : أحدهما : هو من كوّر العمامة : إذا لفها ، أي : يلف ضوؤها لفا ، فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق ، أو يكون لفها عبارة عن رفعها ، أو يكون من طعنه فكوره فألقاه على الأرض ، فيكون المعنى أنها تلقى . وقوله :﴿كُوِّرَتْ﴾ مرفوع بكونه مفعولا لم يسم فاعله ؛ لأن التقدير : إذا كورت الشمس ؛ لأن الشرط يطلب الفعل[1] .﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ انقضت . قال [من الكامل] :

أبصرَ خربانَ فضاءٍ فانكدرْ .... [2]

ويروى: أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ؛ ليراها من عبدها كما قال : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3].

---

(١) ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع بعد إن الشرطية نحو قولك إن زيد أتاني آته فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل والتقدير فيه إن أتاني زيد والفعل المظهر تفسير لذلك الفعل المقدر وحكى عن أبي الحسن الأخفش أنه يرتفع بالابتداء. وأما ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش من أنه يرتفع بالابتداء ففاسد وذلك لأن حرف الشرط يقتضي الفعل ويختص به دون غيره ولهذا كان عاملا فيه وإذا كان مقتضيا للفعل ولا بد له منه بطل تقدير الابتداء لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسم في موضع لا يجب فيه تقدير الفعل لأن حقيقة الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية المظهرة أو المقدرة وإذا وجب تقدير الفعل استحال وجود الابتداء الذي يرفع الاسم وبهذا يبطل قول من ذهب من الكوفيين وغيرهم إلى أن الاسم بعد إذا مرفوع لأنه مبتدأ إما بالترافع أو بالابتداء في نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل فلا يجوز أن يحمل على غيره والله أعلم . الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ١٣٤) ، شرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٩) ، المغني لابن هشام (١/ ١٢٧).

(٢) صدر بيت للعجاج يصف صقرا ، وعجزه :

.... داني جناحيه من الطود فمر

ينظر في : تفسير الطبري (٣٠/ ٦٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٤) وفيه : أبصر خربان الفلاة ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠٧) ، لسان العرب (ظفر).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨).

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾

﴿سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت . أو سيرت في الفضاء والجو . و﴿ٱلْعِشَارُ﴾ جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي لها عشرة أشهر وهو من أنفس أموالهم وكانوا يطرحون عليها العود . ﴿عُطِّلَتْ﴾ يوم القيامة ، ولم يفكر فيها صاحبها ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت من كل ناحية ، قيل : يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص . وقيل : إذا قضي بينها ردت ترابا ، فيقول الكافر وهو إبليس : ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[1] . ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت أو ملئت . ﴿زُوِّجَتْ﴾ قرنت كل نفس لشكلها . وقيل : قرنت الأزواج بالآحاد . وقيل : قرنت نفوس المسلمين بالحور ، والكافرين بالشياطين .

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقله الحمل . قال الله – تعالى – : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[2] . وكانت العرب إذا ولدت لهم بنت فإن أرادوا بقاءها ألبسوها ثوبا من شعر وجعلوها ترعى الإبل في البادية ، وإن أرادوا قتلها صبر أبوها حتى تصير خماسية ثم يقول لأمها : طيبيها لأذهب بها (٣٣١/ ب) إلى أحمائها ، وقد حفر لها حفيرة في تربة ، فيأتي بها إليها ، ويلقيها في الحفرة ، ويلقي عليها التراب حتى تموت .

وقيل : كانت المرأة تتمخض[3] على طرف الحفرة ، فإن وضعت بنتا ألقتها في الحفرة ، وإن وضعت ذكرا أبقته ، وحملهم على ذلك إما خوف لحوق العار ، وإما خشية الإملاق ؛ لقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[4] . فإن قلتَ : لم سئلت الموءودة عن سبب قتلها ، ولا علم لها بذلك ، والقياس : ذم الوائد الذي وأدها ؟! قلتُ : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها ، كالتبكيت في قوله لعيسى : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾[5] . وقرئ :

---

(١) سورة النبأ ، الآية (٤٠).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥).

(٣) **تتمخض** : من المخاض وهو وجع الولادة وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض ، وقد مخضت تمخض مخاضا وإنها لتمخض بولدها وهو أن يضرب الولد في بطنها حتى تنتج فتمتخض .

ينظر : لسان العرب (مخض).

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٣١).

(٥) سورة المائدة ، الآية (١١٦).

"سألت "[١] أي : خاصمت عن نفسها . أو سألت الله أو قاتلها .

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر يوم القيامة .

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ كشفت . والكشط والقشط لغتان ، فأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة . يقال : ليقت الثريد وليكته ، والكفور والقفور .

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ وتسعر النار على حسب عصيان العصاة في كثرته وقلته .

﴿أُزْلِفَتْ﴾ أدنيت من المتقين . قيل : هذه ثنتا عشرة خصلة ، ستة في الدنيا وستة في الآخرة . و﴿عَلِمَتْ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وفيما عطف عليه . فإن قلتَ : قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل أحد يوم القيامة يعلم ما أحضره ؛ كقوله- تعالى- : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[٢] فما وجه قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ ؟ قلتُ : هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به عكس ظاهره ؛ كقوله : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾[٣] كلهم يتمنى ذلك ويوده .

وكقول الشاعر :

قد أتركُ القرنَ مصفرًّا أناملُه[٤].

أراد كثرة ذلك .

وقرئت هذه الآية في مجلس فيه ابن مسعود فقال : " وانقطاع ظهرياهْ "[٥].

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ الرواجع ، فإن هذه الكواكب الخمسة وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ترجع في سيرها ؛ لأن لها فلكا يدور غير الفلك الحامل ، فهي تدور في الفلك

---

(١) قرأ بها علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والضحاك . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٣٣) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٦) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٨٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠٨).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٠).

(٣) سورة الحجر ، الآية (٢).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٠).

الحامل . وهذه البروج مخصوصة بالرجوع لا يرجع من الكواكب سواها. ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السيارة . ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ الداخلات في كناسهن ، والكناس : بيت الظبي . وقيل : هي الكواكب كلها ؛ لأنها تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿عَسۡعَسَ﴾ أقبل . وقيل : أدبر وقيل : هو الصبح (٣٣٢/ أ)﴿ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ جعل له تنفسا؛ فإنه إذا طلع الفجر استيقظ أكثر الحيوانات ، وطلب الخروج من وكره ، فجعل ذلك كالتنفس . ﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ جبريل – صلوات الله عليه .﴿ ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ذُو مِرَّةٖ﴾ [1]. قوله : ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ تبيين لمكانة جبريل ، وأنه لو كان ثم مكان لكان جبريل عند الله . ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ تعظيم لأمر الأمانة وأنه أجل أوصاف جبريل . قوله : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ يعني : رسول الله ﷺ . كما اتهمه الكفرة ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ أي : لقد رأى رسولُ اللهِ جبريل ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ وَمَا هُوَ﴾ يعني : وما محمد فيما يخبر به من الغيب ﴿بِضَنِينٖ﴾ بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ ﴿بِضَنِينٖ﴾ [2] بالضاد الساقطة من الضن ، وهو البخيل . فإن قلت: فلو وضع القارئ الظاء موضع الضاد فما حكمها ؟ قلتُ : هو كوضع الدال موضع الجيم والتاء مكان السين وهو غير جائز .

﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن . ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ أي : تلقيه بعض المسترقية للسمع على قلب محمد . ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ يعني : سلكتم في الظن بالنبي ﷺ طرقا مختلفة بعيدة عن الصواب كما

---

(١) سورة النجم ، الآية (٥ – ٦).

(٢) قرأ " بظنين " ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، وقرأ " بضنين " نافع وعاصم وابن عامر وحمزة .

وتنظر القراءتان في : الإتحاف للبنا (٢/ ٥٩٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٣٥) ، والحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٤) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٨٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص :٦٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٨) .

تقول لمن أبعد في البرية[١] وهو تائه فإنك تقول له : أين تذهب ، مع أنه ليس له مقصد صحيح حتى تسأله عنه . لكن يصير تقدير كلامك : لا مذهب لك فتقصده . هذا معنى قوله : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ شرف أو موعظة .

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله : ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

قال فخر الدين بن خطيب الري[٢] " حضرت في مجلس فيه جماعة من المعتزلة ، فقال قائل منهم : كيف تصنع بقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٣] فقد فوض المشيئة في الإيمان والكفر إلى العبد ؟ قلت : هذه الآية حجة لي على مذهبي فإنني أعتقد أن الله - تعالى - يشاء أن يشاء العبد فيشاء العبد فيفعل ، ويدل على ذلك قوله في هذه السورة : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيكون الفعل موقوفا على مشيئة العبد ، ومشيئة العبد موقوفة على مشيئة الله ؛ لقوله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ وقال في آخر "هل أتى" : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[٤] (٣٣٢/ ب) .

* * *

(١) **البرية** : الصحراء والجمع البراري . مختار الصحاح (١/ ١٩).

(٢) **ينظر كلامه في** : تفسيره مفاتيح الغيب (٢١/ ١٢٠) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريد عصره ومتكلم زمانه رزق الحظوة في تصانيفه التي بلغت نحوا من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمحصول والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها . توفي سنة ٦٠٦ هـ . **تنظر ترجمته في** : البداية والنهاية (١٣/ ٥٥) ، شذرات الذهب (٣/ ٢١) ، طبقات الشافعية (٨/ ٨١).

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٩).

(٤) سورة الإنسان ، الآية (٣٠).

تفسير سورة انفطرت [الانفطار]

[مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦)﴾

﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾ انشقت. ﴿فُجِّرَتۡ﴾ فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحرا واحدا. وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار[1]. ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾ بعثر وبحثر بمعنى، وهما مركبان من البعث والبحث، مع راء مضمومة إليها، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل لـ " براءة ": المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين[2]. وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قوله: ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾ ؟

قلت: معناه: أنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بكرم الله عليه، والتوسعة عليه، بل ينبغي أن يكون على حذر من الكريم، فالمنتقم الجبار أولى أن يحذر منه.

وقال الحسن: غره شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي، قال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي عودك من إنعامه ما لا يحصى ولا يحد فهو يغفر لك[3].

وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة فقال: ما غرك بربك الكريم، ماذا تقول ؟ قال: أقول: غرني ستورك المرخاة[4]. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الحشوية[5] ويقولون: إنما قال الكريم ليلقنه

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٦٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٢٧) بنحوه.

(٢) وهي سورة التوبة ومن أسمائها أيضًا: الفاضحة والبحوث؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وتقدم التعليق على ذلك في أول تفسيرها. **وينظر**: تفسير القرطبي (٨/ ٤٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٥) عن الحسن، ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٨٧) عن قتادة "ما غرك بربك الكريم شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان ".

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).

(٥) **الحشوية** - بسكون الشين وفتحها -: هم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية: طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين وقيل: سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم هم، والجسم حشو، فعلى هذا: القياس فيه: الحشوية - بسكون=

الحجة، فيقول: غرني كرم الكريم، وأغره غيره: جعله غارا.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فخلقك سويا سالم الأعضاء. " فعدَّلك" فصيرك معتدلا متناسب الخلق غير متفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر، وجعلك قائما منتصبا تمشي على رجلين لا كالبهائم. وقرئ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف[1] وفيه وجهان: أحدهما: أن يراد بالتخفيف معنى التشديد. والثاني: فعدلك: فصرفك عن خلقة غيرك، وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو: فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات.

و " ما " في ﴿مَّا شَآءَ﴾ مزيدة في الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب، وخلاف الشبه. فإن قلتَ: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها ؟ قلتُ: لأنها بيان لـ " عدلك ". فإن قلتَ: بم يتعلق الجار ؟ قلتُ: يجوز أن يتعلق بـ " ركبك " والمعنى: أنه صورك في أي الصور شاء، ويجوز أن يتعلق بمحذوف حاصلا في بعض الصور، ومحله النصب على الحال (٣٣٣/أ) إذا علق بمحذوف. ويجوز أن يتعلق بـ " عدلك " ويكون في " أي " معنى التعجب أي: فعدلك في صورة عجيبة. ثم قال: ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ والمعنى: ما شاء من التركيب أي: تركيبا حسنا. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن التعلق بكرم الله، والطمع في الغفران من غير توبة. ﴿بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاء، أو بدين الإسلام. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾

= الشين – نسبة إلى الحشو. وقيل: المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد ويفوضون التأويل إلى الله، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف. اهـ من كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي الحنفي (١/ ٥٤٣).

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف " فعدَلك " بالتخفيف، وقرأ الباقون " فعدَّلك " بالتشديد.
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٣٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٤)، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٥٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧١٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٩).

أي: عليكم ملائكة يكتبون أعمالكم، ومنها: إنكار البعث، وتعظيم الحفظة والثناء عليهم تهويل لأمر المجازاة، وأنها كانت لا محالة. وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ما أشدك من آية على المنافقين [1]. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [2].

وقيل: يصلونها يوم الدين وما غابوا عنها قبل ذلك؛ لأنهم كانوا يعذبون في القبور. وقيل: بين الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاثة أحوال: أحدها: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله. وحالته الآخرة وهي دار المجازاة. وحال البرزخ من الموت إلى البعث، يعرض عليه كل يوم مقعده من الجنة أو النار. ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾

ولهذا كرر الله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ لا تدفع عنها ضررا ولا تجلب لها نفعا. ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وحده ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [3].

من رفع " يومُ لا تملك " فهو بدل من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ والفتح بإضمار: اذكروا [4].

ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن، وهو في محل الرفع [5].

* * *

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٦) وفيه: الغافلين، بدل المنافقين.

(٢) سورة الحجر، الآية (٤٨).

(٣) سورة هود، الآية (١٠٦).

(٤) تقدم تخريج القراءة آخر سورة المائدة .

(٥) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٧).

تفسير سورة المطففين [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾

التطفيف: البخس في الكيل والوزن؛ لأن ما يبخس شيء طفيف حقير. روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخسر الناس كيلا، فنزلت فأحسنوا الكيل[١]. وقيل: قدم وفيها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر[٢]. وقيل: كان أهل المدينة تجارا يطففون وكان من بياعاتهم المنابذة[٣] والملامسة[٤] والمخاضرة[٥] فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ وقرأ عليهم وقال: " خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة (٣٣٣/ ب) إلا حبس عنهم القطر "[٦].

وروي: أن عليًّا مر برجل يزن زعفرانا فأرجح فقال له: " أقم الوزن بالقسط، ثم زد بعد ذلك ما شئت "[٧]. أمره أولا بالمساواة؛ ليعتاد ذلك أو ليفصل الواجب من النفل.

---

(١) رواه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٠٠) رقم (٦٧٢)، وابن ماجه رقم (٢٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٩١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣) والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٤)، رقم (٨٤٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧١٥٦) عن أبي هريرة قال: " قدمت المدينة والنبي ﷺ بخيبر، ورجل من بني غفار يؤمهم في الصبح فقرأ في الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين، وكان عندنا رجل له مكيالان مكيال كبير ومكيال صغير يعطي بهذا ويأخذ بهذا فقلت: ويل لفلان ".

(٣) **المنابذة:** أن ينبذ الرجل ثوبه، وينبذ الآخر ثوبه، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا فحص ولا تقليب.

(٤) **الملامسة:** لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو النهار ولا يقلبه. وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٢٠٠٢)، ومسلم رقم (٢٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة ".

(٥) **المخاضرة:** مفاعلة من الخضرة والمراد بيع الثمار والحبوب قبل أن يبدو صلاحها. فتح الباري (٤/ ٤٠٤)

(٦) نسبه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٥٥٥١) للطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٤٠)

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٨) عن علي، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

والضمير في ﴿ كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ منصوب راجع إلى الناس. وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم، أو وزنوا لهم، فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال [من الكامل]:

ولقد جنيتُكَ أكمؤًا وعساقِلا ولقد نهيتُكَ عن بناتِ الأوبرِ (١)

بمعنى: جنيت لك. أو يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيل والموزون. ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا راجعا للمطففين؛ لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد، والمعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل والوزن هم على الخصوص أخسروا، وهو كلام متنافر؛ لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، والتعلق في إبطاله بخط المصحف؛ لأن الواو التي تكتب بعد واو الجماعة غير ثابتة فيه ركيك؛ لأن خط المصحف لم تراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط. قال الزمخشري(٢): على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والخط جميعا؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع، وإنما كتبت هذه الألف؛ تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك: " هم لم يدعوا ولم يدعو " فمن لم يثبتها قال: المعنى كاف في التفرقة بينهما ووقف عيسى بن عمر(٣) على الواوين وقفة يسيرة؛ ليفرق بينهما وبين ما لا يستحق الألف فإن قلت: هلا قيل: أو اتزنوا، كما قيل: أو وزنوهم ؟ قلت: كان المطففون لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين؛ لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة؛ لأنهم يحتالون، وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا (٤).

﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون. يقال: خسر الميزان وأخسره.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ

---

(١) ينظر البيت في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٩٧)، جمهرة اللغة (ص: ٣٣١)، الخصائص لابن جني (٣/ ٥٨)، شرح التصريح (١/ ١٥١)، شرح شواهد المغني (١/ ١٦٦)، لسان العرب (جوت، حجر)، المغني لابن هشام (١/ ٥٢)، المقاصد النحوية (١/ ٤٩٨)، المقتضب للمبرد (٤/ ٤٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٢٠).

(٣) في الكشاف (٤/ ٧٢٠) عيسى بن عمر وحمزة.

(٤) ينظر: السابق.

ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطر ببالهم، ولا يخمنون تخمينا. ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ومحاسبون (٣٣٤/ أ) على مقدار الذرة. وعن قتادة: " أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك "[١]. وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه خاضعين لله – تعالى – ووصف ذاته برب العالمين بيان لتعظيم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، وحث على العمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل.

وقيل: الظن بمعنى اليقين. والوجه ما سبق. ونصب " يوم " بـ " مبعوثون " وقرئ بالجر[٢] بدلا من " يوم عظيم ". وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قرأ هذه الآية فبكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها[٣].

﴿كَلَّآ﴾ ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم، وجعل كتاب الفجار في سجين ومعناه: أنه كتاب جامع للمعاصي التي فعلوها، وهو كتاب مرقوم بيِّن الكتابة، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، وسمي ذلك الديوان سجينا، مأخوذ من السجن والضيق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق أو لأنه مطروح، – كما روي– تحت الأرض السابعة في مكان موحش مظلم وهو بيت لإبليس وشهده الشياطين كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون. والسجين: اسم علم منقول عن الصفة كـ " حاتم " وهو مصروف؛ لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٢) ونسبه لابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﷺ.

(٢) حكاه أبو معاذ القارئ. تنظر في: البحر المحيط (٨/ ٤٤٠)، الدر المصون (٦/ ٤٩١)، الكشاف (٤/ ٧٢٠)، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٠).

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢١).

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ (٢٠) يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ (٢٧) عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب. و﴿كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ ما كتب من أعمالهم. و﴿عِلِّيُّونَ﴾ علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع "عليّ" على فعيل، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى الدرجات العلى، وإما (٣٣٤/ ب) لأنه مرفوع إلى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون[١] تكريما له وتعظيما. روي " أن الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى الله إليهم: إنكم استقللتم عمل عبدي، وأنا أعلم بنيته فاكتبوه في عليين؛ فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل عبد فيزكونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين "[٢].

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة في الحجال[٣]. ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما يحجب حجاب أبصارهم عن الإدراك. ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجة النعيم، كما ترى في وجوه الأغنياء. الرحيق: الشراب الخالص الذي لا غش فيه. ﴿مَّخۡتُومٍ﴾ تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة. وقيل: ختامه: مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم بالمسك. ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون.

﴿تَسۡنِيمٍ﴾ علم لعين بعينها مأخوذ من سنمه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوقهم. وروي أنها تجري في الهواء، فتصب حيث شاءوا، و﴿عَيۡنٗا﴾ نصب

---

(١) **الكروبيون:** سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل هم المقربون، والملائكة الكروبيون: أقرب الملائكة إلى حملة العرش. **ينظر:** لسان العرب (كرب).

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن المبارك في الزهد.

(٣) **الحجال:** جمع: الحجلة وهي مثل القبة، وحجلة العروس معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. والحجلة بالتحريك: بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار، والجمع حجل و حجال. **ينظر:** لسان العرب (حجل).

على المدح. وقيل: على الحال. وقيل: هي للمقربين يشربونها صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ مشركو أهل مكة؛ أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم من فقراء المؤمنين. وقيل: مر بهم عليّ ومعه جماعة من فقراء المهاجرين فتضاحكوا منه وقالوا: ملكهم الأجلح فنزلت[1]. ﴿فَكِهِينَ﴾ [2] ملتذين بالسخرية منهم.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ حال من " يضحكون " منهم ناظرين إليهم، وإلى ما هم عليه من الهوان بعد العزة والكبر، ومن ألوان العذاب بعد النعيم.

وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها. فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مرارا، فيضحك منهم المؤمنون[3].

﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ هل جوزي (٣٣٥/ أ) الكفار بما كانوا يفعلون.

ثوَّبه وأثابه بمعنى إذا جازاه.

* * *

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٢) قرأ جمهور القراء " فاكهين "، وقرأ حفص عن عاصم وأبو جعفر " فكهين ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٤٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٩٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

تفسير سورة "انشقت" [الانشقاق]

[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾

حذف جواب " إذا " ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفى بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه﴿ فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: إذا انشقت السماء لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: تنشق بالغمام؛ لقوله: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ ﴾ [(١)].

وعن علي رضي الله عنه: تنشق من المجرَّة [(٢)].

﴿وَأَذِنَتۡ﴾ استمعت له، ومنه قول النبي ﷺ : " ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن " [(٣)]. والمعنى: أنها فعلت حين امتثال أمر الله ما يفعله المجتهد في الطاعة من بذل الجهد. ﴿وَحُقَّتۡ﴾ من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. والقصد: أن كل من عمت قدرته دخل فيها كل مقدور.

﴿مُدَّتۡ﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تدك جبالها وآكامها. وقيل: مدت مد الأديم العكاظي؛ لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه واستوى. أو من مده بمعنى أمده، أي: زيدت سعة وبسطه. ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ مما دفن في بطنها من الموتى والكنوز.

﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ وخلت غاية الخلو فكأنها تكلفت أقصى الجهد في الخلو كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم، إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبعهما ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها. الكدح: جهد النفس في العمل، والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده: إذا خدشه، ومعنى﴿ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾جاهد إلى اللقاء وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ فملاق له لا محالة، لا مفر لك منه.

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٥).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٥).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٥٤٤)، ومسلم رقم (٧٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: الضمير في " ملاقيه " للكدح. ﴿يَسِيرًا﴾ سهلا هينا، لا يناقش فيه، ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة – رضي الله عنها –: " هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه "[١]. وعن النبي ﷺ أنه قال: " من يحاسب يعذب " فقيل: يا رسول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: " ذلكم العرض، من نوقش العذاب عُذِّب "[٢].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين. أو إلى أهله من الجنة من الحور العين.

﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قيل: تغل يمناه إلى عنقه، ويعطى كتابه بشماله من وراء ظهره.

وقيل: تُخلع (٣٣٥/ ب) يده اليسرى من وراء ظهره.

﴿يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يقول: واثبوراه. والثبور: الهلاك. ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ فيما كان فيه من الدنيا

﴿مَسْرُورًا﴾ مترفا متنعما كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر آخرتهم.

﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ أن لن يرجع تكذيبا بالمعاد، لا يحور ولا يحول أي: لا يرجع ولا يتغير. ﴿بَلَىٰٓ﴾ إذا بلي بعد الموت أي: بلى ليحورن. ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ الحمرة التي ترى في المغرب بين المغرب والعشاء، وبسقوطه خرج وقت المغرب. وروي عن أبي حنيفة قول: إن الشفق البياض. وروي أنه رجع عن هذه المقالة. وأكثر العلماء على أن الشفق: الحمرة[٣]. ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع. ﴿ٱتَّسَقَ﴾ واستوسق: إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ والطبق: ما طابق غيره، أي: حالا بعد حال، كل واحدة مطابقة لصاحبتها في الشدة والهول. وموضع " عن طبق " الصفة، أي: طبقا مجاوزا عن طبق. وعن مسروق: " في كل عشرين

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٥٧) لابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٧٦).

(٣) **ينظر**: حاشية ابن عابدين (١/ ٣٦١)، الحجة للإمام محمد بن الحسن الشيباني (١/ ٨)، المبدع لابن مفلح (١/ ٣٤٤)، المجموع للنووي (٣/ ٤٤)، الموطأ للإمام مالك (١/ ١٢).

عاما يجدون أمرا لم يكونوا عليه "(١). ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ يوما ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (٢) فسجد هو ومن معه، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت(٣). وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة(٤). وعن ابن عباس: " ليس في المفصل سجدة (٥). وعن أبي هريرة: "أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ – سجد فيها "(٦).

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى المذكورين. ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد. أو ما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء منقطع.

* * *

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٦٠) لابن أبي حاتم وابن المنذر عن مكحول.

(٢) سورة العلق، الآية (١٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٨)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٧٨)، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) وقال: لم أجده.

(٤) **ينظر**: نصب الراية للزيلعي (٢/ ١٨٢)، النتف في الفتاوى لأبي الحسن السغدي (١/ ٣٩، ٤٠) ، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢/ ١٣٨).

(٥) روى البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣١٣) عن عاصم الأحول عن العريان أو أبي العريان قال: قال ابن عباس: " ليس في المفصل سجدة " قال: فلقيت أبا عبيدة فذكرت له ما قال ابن عباس، قال: قال عبد الله – يعني ابن مسعود – سجد رسول الله ﷺ والمؤمنون والمشركون في النجم فلم نزل نسجد بعد " وروى الترمذي سنن الترمذي رقم (٥٢٤) عن عكرمة عن ابن عباس قال: " سجد رسول الله ﷺ فيها يعني النجم والمسلمون والمشركون والجن والأنس ". قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون السجود في سورة النجم. وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: ليس في المفصل سجدة. وهو قول مالك بن أنس، والقول الأول أصح، وبه يقول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.

(٦) رواه البخاري رقم (١٠٧٤)، ومسلم رقم (١٢٩٩)، عن أبي هريرة ﷺ.

تفسير سورة البروج [مكية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر. وقيل: قصور السماء على التشبيه. وقيل: البروج: النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب، سميت بروجا لعظمها. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة. ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق عليهم، والمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائب. وتنكيرها على ما قدمته في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[(١)] وقد اضطربت أقوال المفسرين فيها؛ فقيل: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة. وقيل:(٣٣٦/ أ) عيسى وأمته. فإن قلتَ: أين جواب القسمَ ؟ قلتُ: محذوف يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾. وكأنه قيل: أقسم بهذه الأقسام ليعذبن الله من كذبك، وذلك أن السورة نزلت في ثبات المؤمنين وصبرهم على أذى الكفار، وتذكيرهم بما جرى على غيرهم من المعذبين. قتلت قريش كما ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ والأخدود: الشق في الأرض.

روي أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب يسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس، فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها. فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار، وأتي بالغلام فذهب به إلى جبل ليلقى من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا الغلام، فذهب به إلى قرقور[(٢)] فلججوا به[(٣)] ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) **قرقور**: هو السفينة العظيمة وجمعها قراقير. **ينظر**: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٤٨).

(٣) **يقال**: ألج القوم و لججوا: ركبوا اللجة. والتج الموج: عظم. ولجج القوم: إذا وقعوا في اللجة. ولججت السفينة أي: خاضت اللجة. والتج البحر التجاجا والتجت الأرض بالسراب: صار فيها منه كاللج والتج الظلام: التبس واختلط. واللجة: الصوت. **ينظر**: لسان العرب (لجج).

السفينة ونجا الغلام، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام. ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدره فوضع يده عليه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فأمر بأخاديد في أفواه السكك فأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرح فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق. فاقتحمت. وقيل: قال لها: قعي ولا تنافقي. وقيل: ما هي إلا غميصة فصبرت "[١].

وعن علي: أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته، فلما صحا ندم، وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أنك تخطب الناس وتقول: أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات. ثم تخطبهم بعد ذلك: إن الله حرمه. فخطبهم فلم يقبلوا منه، فأمر بالأخاديد، وإيقاد النار، وطرح من أتى فيها، فهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [٢].

وقيل: وقع إلى نجران رجل ممن كان على (٣٣٦/ ب) دين عيسى فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد [٣]. وقيل: سبعين ألفاً. وقيل: إن طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه: اثنا عشر ذراعاً. وعن النبي - ﷺ - " أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء " [٤].

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٠٠٥)، وأحمد في المسند (٦/ ١٦)، والترمذي رقم (٣٣٤٠)، من حديث صهيب الرومي.

(٢) نسبه ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لأحمد والبزار والطبري وأبي يعلى وإسحاق بن راهويه. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٩) لعبد الرزاق في المصنف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) نسبه ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن إسحاق في السيرة.

(٤) نسبه ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن أبي شيبة عن الحسن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود. ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ وصف لها بالعظم لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وهو الوقود وأبدان الناس. ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ " قتل "؛ أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: متولين أمرها؛ كقولك: هو على البصرة؛ أي متوليها يؤدون بالشهادة يوم القيامة بما فعله الكفار.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾ وما عابوا إلا إيمانهم بالله كقول الشاعر [من الطويل]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سُيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ (١)

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة، فقد تضاعف وتفاقم.

﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. ﴿فَعَّالٌ﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله المحب في غاية الكثرة.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدل من ﴿ٱلْجُنُودِ﴾، وأراد بـ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ إياه وآله؛ كما في قوله: ﴿وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ (٢) والمعنى: قد عرفت تكذيب الجنود الرسل، وما نزل بهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك. ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ واستيجاب للعذاب. ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ عالم بأحوالهم، مقتدر على الانتقام منهم. بل ﴿هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ شريف عظيم. ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ بالجر نعتا للوح، وبالرفع: نعت للقرآن (٣).

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النمل.

(٢) سورة يونس، الآية (٨٣).

(٣) قرأ نافع " محفوظٌ "، وقرأ بقية العشرة " محفوظٍ ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٥٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٧)، الدر المصون للسمين (٦/ ٥٠٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٣٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٩).

تفسير سورة والطارق [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه، فينفذ فيه كما قيل: دُرِّيٌّ؛ لأنه يدرأ الظلمة، أي: يدفعها وهو صفة للطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق. أو لأنه يطرق الجني أي: يصكه، والمراد: جنس النجوم، أو الشهب التي يرجم بها. وأقسم الله – تعالى – بالنجم الثاقب؛ تعظيما له، فأراد أن ينبه على ذلك، فجاء بصفه مشتركة وهو كونه طارقا. وجواب القسم قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ من قرأ: "لَما" مخففه من الثقيلة (٣٣٧/ أ) واللام هي الفارقة[1] و" ما ": زائدة، ومن قرأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد[2] فالمعنى: وما كل نفس إلا عليها حافظ رقيب، ووجه الربط بين قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ وبين قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أنه لما ذكر الحافظ وأنه يحصي عملك أتبعه ما يجب اهتمام المرء به لما خلق له من العبادة والطاعة وليعلم قدرة الله في خلقه الآدمي وإنشائه من نطفة، ونقله في الأطوار حتى تكامل إنسانا كثير الجدال؛ كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[3].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)﴾

﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ دخل حرف الجر على الاستفهامية، فحذفت ألفها. ﴿دَافِقٍ﴾ ذي دفق، أو الدفق لصاحبه، ولم يقل: من مائين؛ لامتزاجهما واختلاطهما في الرحم. ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ من

---

(١) قال ابن هشام في شرح قطر الندى (ص: ١٦٤): سميت فارقة؛ لأنها فرقت بين النفي والإثبات.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وأبو جعفر " لما " بالتشديد، وقرأ بقية العشرة " لما " بالتخفيف.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٥٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٨)، الدر المصون للسمين (٦/ ٥٠٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٣٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٣) سورة يس، الآية (٧٧).

الرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من المرأة. وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للخالق؛ لدلالة ﴿خُلِقَ﴾ عليه. إن ذلك الذي قدر على خلقه ابتداءً ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ وبعثه. ﴿لَقَادِرٌ يَوْمَ﴾ ظرف منصوب بـ ﴿رَجْعِهِۦ﴾. ومن جعل الضمير ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماء، وفسره برجعه إلى الصلب والترائب أو إلى الإحليل[1]، أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر. ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسر في القلوب من العقائد، وما أخفي من الأعمال. وسمع الحسن رجلا ينشد: [من الطويل]

سيبقَى لها في مضمرِ القلبِ والحشا   سريرةُ ودٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ[2]

فقال: ما أغفله عما في ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[3].

﴿فَمَا﴾ للإنسان: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ سمي المطر رجعا، كما سمي أوبا، وذلك أن العرب كانوا يعتقدون أن السحاب يصعد بالمطر من الأرض، ثم يرجع فيصبه فيه. وقيل: تفاؤلا برجوع المطر و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ ما تتصدع منه الأرض من النبات.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل، ومن حقه لما وصف بذلك أن يكون معظما في الصدور من سامعه وقارئه ولا يلمان بهزل، وأن يصور في نفسه أن الجبار خالق السماء والأرض يخاطبه ويأمره وينهاه.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم بتعميرهم وسعة الأرزاق. ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تدع بهلاكهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: إمهالا (٣٣٧/ ب) وكرر الإمهال وغير اللفظ دلالة على الاهتمام بهذا الأمر وتفخيمه.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٢٥)، **والإحليل:** مخرج البول من الإنسان ومخرج اللبن من الثدي والضرع. وإحليل الذكر: ثقبه الذي يخرج منه البول وجمعه الأحاليل. **ينظر:** لسان العرب (حلل).

(٢) **ينظر البيت للأحوص في:** تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٣٢/ ٢١٨)، والمجنون ليلى في الكشاف (٤/ ٧٣٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣٦).

تفسير سورة "سبح" [الأعلى]

[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤)
فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥)﴾

تسبيح اسمه – عز وجل –: تنزيهه عما لا يليق به وصونه عن أن يذكر بغير تعظيم ولا توقير، ويجوز أن يكون " الأعلى " صفة للحديث، وفي الحديث: " أنه لما نزل قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [(١)] قال ﷺ: " اجعلوها في ركوعكم " فلما نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: " اجعلوها في سجودكم "[(٢)].

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلق كل شيء فسوى خلقه، ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم؛ دلالة على أنه صدر عن عالم حكيم. ﴿قَدَّرَ﴾ أي: قدر لكل حيوان ما يصلحه، وهداه إليه.

يحكى: أن الأفعى إذا مرَّ عليها ألف سنة عميت، فربما كانت في برية وفي مكان بعيد عن نبات الشمر فتسافر المسافة البعيدة حتى تقع على زراعة الرازيانج فتحك به عينها، فيعود إليها بصرها، وهذا نوع عظيم من المصالح[(٣)]. وكذلك هداية الله للإنسان وسائر الحيوان إلى مصالحها. ﴿أَحْوَىٰ﴾ صفة لـ ﴿غُثَآءً﴾ أي: أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه[(٤)]. ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ درينا[(٥)] أسود. ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن
نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢)﴾

---

(١) سورة الواقعة، الآية (٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، وأبو داود رقم (٨٦٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٥) وصححه.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٣٨).

(٤) يقال: **شجر رفيف:** إذا تندى، ويرف رفيفا: يقطر نداه. يقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا. **ينظر:** لسان العرب (رفف).

(٥) **الدرين:** حطام المرعى إذا قدم وهو ما بلي من الحشيش، وقلما تنتفع به الإبل، وأدرنت الإبل: رعت الدرين وذلك في الجدب وحطب مدرن: يابس. **ينظر:** لسان العرب (درن).

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ بشره الله بإعطائه آية بينة وهي أن جبريل يقرأ عليه الوحي فلا ينسى مما يقرأ عليه شيئا. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه أو تلاوته؛ كقوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [1]. وقيل: كان يعجل بالقراءة فقيل له: لا تعجل؛ فإن جبريل إذا قرأ فهو مأمور بأن يكرره عليك إلى أن تحفظه فلا تنساه إلا ما شاء الله للقلة والندرة. وقيل: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ نهي، والألف مزيدة؛ كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [2].

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ قراءتك مع جبريل خيفة السَّلب. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ من ذلك أو يعلم جميع الظاهر والخفي من الأقوال والأفعال. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ معطوف على " سنقرؤك " وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ اعتراض أي: معناه: ونوفقك للطريقة التي هي أيسر. وقيل: الشريعة السمحة. فإن قلتَ: كان رسول الله ﷺ مأمورا بالتذكرة نفعت أو لم تنفع، فما وجه اشتراط النفع ؟ قلتُ: وجهان: أحدهما: أن يكون الرسول قد استفرغ جهده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على التذكرة إلا عتوا. وكان النبي ﷺ حريصا على أن يطيعوا، فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [3] (٣٣٨/ أ) ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌ﴾ [4]. ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير. والثاني: أن يكون ظاهره شرطا وباطنه ذما للمذكرين، واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم؛ كما تقول للواعظ: عظ المكّاسين[5] إن نفعت الموعظة، استبعادا لأن يكون ذلك.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سينتفع بالتذكرة ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة. ويتجنب التذكرة ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق. ﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ السفلى من أطباق النار. وقيل: الكبرى: نار جهنم، والصغرى: نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦٧).

(٣) سورة ق، الآية (٤٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٨٩).

(٥) **المكاسون:** جمع الماكس وهو العشار، ويقال للعشار صاحب مكس، والمكس: ما يأخذه العشار يقال: مكس فهو ماكس: إذا أخذ، والمكس: درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه، والمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية. **ينظر:** لسان العرب (مكس).

ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ﴾ لأن التردد بين الموت والحياة أشد وأفظع من التعذيب بغير ذلك ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة أو تزكى تفعَّل من الزكاة.

﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلوات الخمس، نحو قوله:﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [1].

وقيل: هي صدقة الفطر. وقال [عَلِيٌّ] [2]: لا أبالي ألا أجد في كتابي غيرها؛ لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾فأعطى زكاة الفطر، وصلى صلاة العيد [3].

وقيل: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾فكبر تكبيرة الافتتاح، وبه احتج على وجوب تكبيرة الإحرام وعلى أنها ليست من الصلاة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه – تعالى [4]. وعن ابن عباس: " ذكره معاده وموقفه بين يديه، فصلى له " [5]. وعن الضحاك: " فذكر اسم ربه في طريق المصلَّى " [6]. ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ " يؤثرون " [7] على الغيبة، ويعضد الأول قراءة ابن مسعود: " بل أنتم تؤثرون " [8].

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر ﷺ: " ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب " [9].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧)

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت من الكشاف.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠) عن علي ﷺ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٨٥ – ٤٨٦) عن بعض الصحابة.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٧٢) ، التمهيد لابن عبد البر (٩/ ١٨٢، ١٨٥) ، المغني لابن قدامة (١/ ٢٧٥، ٢٧٦)، نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠).

(٧) قرأ بها أبو عمرو. وقرأ الباقون " تؤثرون ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(٨) ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤١).

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٧)، وابن السري في كتاب الزهد (١/ ٣١٨) عن مسروق قال: خرج عمر ذات يوم وعليه حلة قطن، فنظر إليه الناس نظرا شديدا فقال: " لاشيء مما يرى تبقى بشاشته إلا الإله ويودي المال والولد ، وما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب ". وكنفجة أرنب أي: كوثبته من=

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ يعني: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل: إن ما في السورة كلها.

روي عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: " مائة وأربعة كتب؛ منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ - هو إدريس - ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان "[١].

وقيل: إن في صحف إبراهيم: " ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه "[٢].

* * *

= مجثمه، يريد تقليل مدتها، يقال: نفج الأرنب: إذا ثار، وأنفجها الصائد: أثارها من مجثمها.
ينظر: لسان العرب (نفج).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى العماني، وهو كذاب كما في الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي (٢/ ١٤٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤١)، والمزي في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤١).

تفسير سورة الغاشية [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٣٨/ ب)

﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾

﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتلبسهم أهوالها، يعني: القيامة، من قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[1] وقيل: النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[2] ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[3]. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ غشيت. ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعمل في النار عملا تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها. وقيل: عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾[4] ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[5] وقيل: هم أصحاب الصوامع. ومعناه: أنها خشعت لله، وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب، والتهجد الواصب. وقرئ: عاملةً ناصبةً[6] على الشتم. وقرئ: ﴿تَصْلَىٰ﴾ - بفتح التاء، و"تُصلى" بضمها - وتصلّى بالتشديد[7]. وقيل:

(١) سورة العنكبوت، الآية (٥٥).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٤١).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٥) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٦) قرأ بها ابن محيصن وعيسى بن عمر وحميد وابن كثير في رواية عنه. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥١٢/٦)، فتح القدير للشوكاني (٤٢٨/٥ - ٤٢٩)، الكشاف للزمخشري (٧٤٢/٤)، المحتسب لابن جني (٣٥٦/٢)، مفاتيح الغيب للرازي (١٥١/٣١).

(٧) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية شعبة عنه ويعقوب "تُصْلى" وقرأ أبو رجاء "تُصَلّى"، وقرأ الباقون "تَصْلى". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٨)، تفسير القرطبي (٢٨/٢٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥١٢/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، الكشاف للزمخشري (٧٤٢/٤)، النشر لابن الجزري (٤٠٠/٢).

المصلى عند العرب: أن يحفروا حفيرا، فيجمعوا فيه جمرا كثيرا، ثم يعمدوا إلى شاة، فيدسوها في وسطه، فأما ما شوي فوق الجمر، أو على المقلى، أو في التنور فلا يسمى مصليا.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾

﴿ءَانِيَةٍ﴾ متناهية في الحر؛ كقوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾(١)

الضريع: يبس الشرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا، فإذا يبس تحامته، وهو سم قاتل. فإن قلت: كيف قيل: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾. وفي الحاقة: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾(٢)؟

قلتُ: العذاب ألوان , والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(٣)

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني: أن طعامهم من شيء وليس من مطاعم الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل، وتتولع به. قلتُ: كونه وصفا للطعام لا يصح؛ إذ يصير المعنى: ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا الضريع، ومفهومه: أن لهم طعاما غيره والغذاء فيه منفعتان: إذهاب الجوع، وإمداد القوى. أو يراد: لا طعام لهم أصلا؛ لأن الضريع ليس بطعام للبهائم، فضلا عن الإنس، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس يريد: نفي الظل. وقيل: قالت كفار قريش: إن الضريع لتسمن عليه إبلُنا، فنزلت(٤).

﴿نَّاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة وحسن؛ كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾(٥) (٢٣٩/أ)

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٤٤).

(٢) الآية (٣٦).

(٣) سورة الحجر، الآية (٤٤).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٤٣).

(٥) سورة المطففين، الآية (٢٤).

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ رضيت بعملها لما رأت ما أداها إليه من الكرامة والثواب. ﴿عَالِيَةٍ﴾ من علو المكان أو المقدار. ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب، أو الوجوه. ﴿لَاغِيَةً﴾ لغواً مصدر على فاعلة كالعاقبة. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يريد: عيونا في غاية الكثرة؛ كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [1] ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ من رفعة المقدار أو المكان أو السمك ليرى المؤمن عند جلوسه عليها جميع ما خوّله الله من النعم. وقيل: مرفوعة مخبوءة لهم من رفع الشيء: إذا خبأه ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: كلما أرادوها وجدوها عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يستدعوها، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب. ويريد: أنها موضوعة عن حد الكبر إلى حد التوسط. ومساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة[2]، واستند إلى أخرى.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُط عراض فاخرة. وقيل: هي الطنافس[3] التي لها خمل رقيق جمع زربية. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة، أو مفرقة في المجالس. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ نظر اعتبار. ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ على أكمل الأحوال التي ينتفع بها فيها، حيث تنهض بالحمل الثقيل من البروك إلى القيام. ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ وما فيها من البروج والمنازل ودورانها في الفلك. ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وأرسيت الأرض بها ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ فصارت مهادا للخلق. ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع.

وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار، ولا حسابهم إلا عليه.

* * *

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) **المسورة**: متكأ من أدم وجمعها المساور. **ينظر**: لسان العرب (سور).

(٣) **الطنفسة** والطنفسة بضم الفاء الأخيرة: النمرقة فوق الرحل، وجمعها طنافس. وقيل: هي البساط الذي له خمل رقيق. **ينظر**: لسان العرب (طنفس).

تفسير سورة الفجر [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)﴾

أقسم بالفجر كإقسامه بالصبح إذا أسفر، وقيل: بصلاة الفجر، وأراد بالعشر: عشر ذي الحجة. فإن قلتَ: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به ؟ قلتُ: لأنها ليالي مخصوصة من بين جنس الليالي، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلتَ: هلا عرفت بلام العهد؛ لأنها ليالي معلومة معهودة ؟ قلتُ: لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير؛ لأن الأحسن في الآيات أن تكون متجانسة لئلا يبقى الكلام كاللغز، وبالشفع والوتر: إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالي ووترها، وقد أكثروا في الشفع والوتر. حتى كادوا يستوعبون جميع ما يقع عليه شفع ووتر(٣٣٩/ ب) .

وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم. ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي وياء ﴿يَسْرِ﴾ تسقط في الدرج، اكتفاء عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة. وقيل: معنى يسري: يُسْرَى فيه. ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرته من الآيات محل قسم لذي عقل.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)﴾

والمقسم عليه محذوف وهو: ليعذبن، يدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد. كما يقال لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى. وإرم تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخير، فإرم في قوله: ﴿بِعَادٍ (٦) إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد. وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة.

وقيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، ويدل عليه قراءة ابن الزبير: "بعادِ إرم" على الإضافة، وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (١) ولم ينصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث. وقرأ الحسن: "بعادَ إرمَ" مفتوحتين، وقرئ: " بعادِ إرْم"

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٢).

بسكون الراء على التحقيق، كما قرئ ﴿بورقكم﴾ [(١)]. وقرئ: "بعادِ إرمَ ذات العماد" [(٢)] على الإضافة إلى ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: جعل الله ذات العماد رميما، بدلا من " فعل ربك " وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة، فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة، ذات البناء الرفيع، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطير.

وروي أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد، وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا، ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجَنَّة، فقال: أبني مثلها. فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها[(٣)] من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء، فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة: "أنه خرج في طلب إبل له، فوقع عليها فحمل منها ما قدر عليه، فبلغ خبره معاوية فاستحضره، فقص عليه وبعث إلى كعب فسأله، فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير، على حاجبيه خال [(٤)]، وعلى عقبه خال يخرج في (٣٤٠/ أ) طلب إبل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل" [(٥)].

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) سورة الكهف، الآية (١٩)وقرأ بها أبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون " بوَرِقكم ". **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٤٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٨٩).

(٢) قرأ الحسن وأبو العالية " بعادِ إرَمَ " على الإضافة وفتح الراء، وقرأ معاذ القارئ " بعادِ إرْم " بالإضافة وسكون الراء، وقرأ جمهور القراء " بعادٍ إرَمَ ". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٩)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١٨)فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٣٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤٧).

(٣) **أساطين:** جمع أسطوانة، وهي السارية، وعمود المنزل. **ينظر:** لسان العرب (سطن).

(٤) **الخال:** شامة سوداء في البدن. وقيل: نكتة سوداء فيه والجمع خيلان. **ينظر:** لسان العرب (خول).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٨).

لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾

﴿مِثْلُهَا﴾ مثل عاد ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ عظم إجرام وقوة، وكان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، وكان يأتي الصخرة العظيمة، فيقلبها على الحي فيهلكهم، أو لم يخلق مثل مدينة شداد في بلاد الدنيا. ﴿جَابُوا﴾: قطعوا، نحتوا الجبال، واتخذوا فيها بيوتا.

وقيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة. وقيل لفرعون: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ ؛ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد، كما فعل بماشطة بنته وبآسية.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا﴾ في محل نصب على الذم، أو مرفوعا على هم الذين طغوا، أو مجروراً ردًا على قوله بعاد وثمود وفرعون، وذكر السوط ليدل على أن ما يعذب به في الدنيا نسبته إلى عذاب الآخرة كنسبة السوط إلى آلات العقوبة.

وكان الحسن إذا قرأها يقول: إن عند الله أسواطاً كثيرة فأخذهم بسوط منها [١].

المرصاد: المكان الذي يترقب فيه من يمر أو يأتي، وقيل لبعض العرب: أين ربك ؟ قال: بالمرصاد. وقرأ عمر بن هبيرة هذه السورة على أبي جعفر المنصور، فلما وصل إلى ها هنا قال: إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر. يعني: إنك من قوم ينذرون بذلك.

قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ متصل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ فأما الإنسان فلا يهمه إلا العاجلة، وجعل كثرة الرزق ابتلاءً وكذلك جعل ضيقه وتقتيره ابتلاءً؛ لأن الله تعالى يبتلي العبد بالنعمة ليظهر كيف يشكره عليها، ويبتليه بالشدة؛ ليظهر صبره عليها.

﴿جَمًّا﴾ كثيراً شديداً. ﴿دَكًّا﴾ بعد دكٍّ. قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء سلطانه، ونفوذ أحكامه وأوامره [٢] ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تنزل ملائكة كل سماء، فيصطفون صفا بعد صف.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٨).

(٢) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات=

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام. أي: يتذكر ما فرط فيه الإنسان.

قيل: المراد به أبي بن خلف.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾

﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: لا يعذب كعذاب الله أحد.

﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ مثل وثاقه أحد. وقيل: لا يحمل أحد عن أحد عذابا، ولا تزر وازرة وزر أخرى. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ إما أن يكلمها الله؛ إكراماً لها (٣٤٠/ ب) أو على لسان ملك. و﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ التي لا يستقر لها خوف، والمطمئنة إلى الحق المعتقدة له. قيل: يقال لها ذلك عند الموت. وقيل: وقت البعث. وقيل: عند دخول الجنة.

﴿رَاضِيَةٗ﴾ بما أوتيت. ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ عند الله. ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي: انتظمي في سلك عبادي الصالحين. ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم. وقيل: النفس: الروح. ومعناه ادخلي في أجساد عبادي. قيل: الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾ لحمزة بن عبد المطلب [(١)]. وقيل: لخبيب الذي صلبه المشركون[(٢)].

* * *

= الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾).

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن بريدة ﷺ.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٣).

تفسير سورة البلد [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ (٢) وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ (٥) يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا (٦) أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (٨) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (٩) وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ (١٠)﴾

أقسم سبحانه – بالبلد الحرام، وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني: ومن المكابدة: أن مثلك على عظيم حُرْمَتك تُسْتَحل بهذا البلد الحرام، كما يستحل الصيد في غير الحرم والإحرام، ويستحلون إخراجك وقتلك.

وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من الكفار، أو: سلاّه بالقسم ببلده أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد. واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية قوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني: في المستقبل؛ وذلك لأن الله لما فتح عليه مكة أحلها له يفعل فيها ما شاء، فقتل ابن خطل، وقيس بن صبابة، وحرم دار أبي سفيان، وقال: " إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، لا يُختلى خلاها، ولا يعضد شجرها ". فقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر؛ فإنه لقيوننا [(١)] وقبورنا وبيوتنا، فقال عليه السلام: " إلا الإذخر " [(٢)] والسورة مكية: فأين فتح مكة منها ؟ [(٣)]

﴿وَوَالِدٖ﴾ هو رسول الله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريته، وتنكير ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ للتفخيم.

وقوله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ – أي: هو مولود عظيم الشأن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [(٤)] أي: بأي شيء وضعت. وقيل: هما لآدم وولده. وقيل: ووالد وولد.

---

(١) **القيون:** جمع قين وهو الحداد والصائغ . **ينظر:** النهاية في غريب الأثر (٤/ ١٣٥).

(٢) رواه البخاري رقم (١٥٨٧، ١٨٣٤، ٣١٨٩)، ومسلم رقم (٤٤٥)، والترمذي رقم (٨٠٩).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٤) نحو هذا الكلام، وقال: ومثله واسع في كلام العباد، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٣٦).

كبد الرجل كبدا: إذا وضع كبده، قال لبيد [من المنسرح]:

يا عينُ هلا بكيتِ أربدَ إذْ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كبدِ [١]

أيحسب أن لا بعث، ولا مجازاة، فيسلم من العقاب في ظنه.

﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ يفتخر(٣٤١/ أ) بكثرة ما أنفق في الأمور التي كان يعدُّها أهل الجاهلية مكارم. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك النعم، والمعنى: أن إطعام اليتيم والمسكين، أو فك رقبة من الأسْرِ أو الملك بالعتق، ووقعت " لا " غير مكررة مع الفعل الماضي، وليست بدعاء، وذلك لا يقع إلا قليلا.

ووجهه أنها متكررة في المعنى والتقدير: فلا اقتحم العقبة، ولا أطعم مسكينا، ولا فك رقبة، ألا ترى المعنى: فلا اقتحم العقبة، ولا آمن. والاقتحام: الدخول في الشيء بعنف. قال الحسن: عقبة والله شديدة؛ مجاهدة الإنسان نفسه وشيطانه وهواه وعدوه[٢].

وروي: أن رجلا قال: يا رسول الله؛ دلني على عمل يدخلني الجنة قال: " تعتق النسمة وتفك الرقبة. قال أوليسا سواء ؟ قال: لا؛ إعتاقها: أن تنفرد بعتقها، وفكها: أن تعين في تخليصها من قود أو غرم " [٣].

وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾اعتراض. ومعناه: لم تدر كنه صعوبتها على النفس، وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة والمقربة والمتربة: مفعلات من سغب وقرب وترب.

وترب الرجل: إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب من العدم. ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ مأواه المزابل، وأتى

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٢٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠٤)، لسان العرب (عدل).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٩٩)، وابن حبان رقم (٣٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٧).

بلفظة ﴿ثُمَّ﴾ لتبيِّن فضيلة الإيمان على كل هذه الأفعال كأنه لا يصح شيء من الأعمال إلا به.

والمرحمة: الرحمة. أي: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين، أو بها يؤدي إلى رحمة الله.

الميمنة والمشأمة: اليمين والشمال، أو اليمن والشؤم، أي: الميامين على أنفسهم، والمشائيم عليهن. قرئ: " موصدة "[١]– بالواو والهمزة – من أوصدت الباب، وأصدته إذا أطبقته وأغلقته . وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهمز﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾فأشتهي أن أسد سمعي إذا سمعته[٢].

* * *

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية شعبة عنه والكسائي وأبو جعفر. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف " مؤصدة " . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٧٧)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٧٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٦٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٢٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٥٧)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٠).

(٢) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٥٣٦ – ٥٣٧)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٧).

تفسير سورة الشمس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩)﴾

﴿وَضُحَاهَا﴾ ضوءها إذا أشرقت وقام سلطانها، ولذلك قيل: وقت الضحى، وكأن وجهه شمس الضحى. وقيل: وقت الضحوة: ارتفاع النهار. (٣٤١/ب) والضُّحى فوق ذلك. والضَّحى – بالفتح والمد – : إذا امتد النهار.﴿ إِذَا تَلَاهَا﴾ طالعا عند غروبها، آخذاً من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر. وقيل: إذا استدار، فتلاها في النور والضياء.﴿ إِذَا جَلَّاهَا﴾ وذلك عند ارتفاع النهار. وقيل: الضمير للدنيا أو للظلمة أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر. تقول العرب: أصبحتْ باردةً، يريدون الغداة، وأرسلتْ: يريدون السماء. ﴿إِذَا يَغْشَاهَا﴾ فتغيب وتظلم. فإن جعلت الواوات عاطفة فقد وقعت في العطف على عاملين، وإن جعلتها أقساما وقعت فيما أنكره الخليل وسيبويه [(١)]؛ لأن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا، ولا يكون من العطف على عاملين فكانت الواو قائمة مقام الفعل، والباء سادة مسدهما معا، والواوات العواطف نائبة عن هذه الواو، فحقهن أن يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا؛ كما تقول: ضربَ زيدٌ عمراً وبكراً خالداً، فترفع بالواو، وتنصب؛ لقيامها مقام ضرب، الذي هو عاملها[(٢)]. جعلت " ما " مصدرية في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ ، ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ وليس بالوجه؛ لقوله:﴿ فَأَلْهَمَهَا﴾ وما يؤدي إليه من فساد النظم. والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على﴿مَن﴾ ؛ لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، ونُكِّرت النفس إما لأنه أراد بها نفسا بعينها، وهي نفس آدم، أو أراد كل نفس، ونكّر للتكثير؛ كقوله:

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه (١/ ٣١).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/٧٥٨ – ٧٥٩)، واعترضه أبو حيان في البحر المحيط في بعض ما ذهب إليه، ورد السمين الحلبي بعض ما اعترضه شيخه أبو حيان على الزمخشري.

ينظر تفصيل ذلك في: البحر المحيط (٨/ ٤٨٠)، الدر المصون (٦/ ٥٢٩ – ٥٣٠).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ (١) ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما واعتقادهما.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

وأصل ﴿دَسَّىٰهَا﴾ دسسها، كما قيل في تقصص: تقصَّى. وجواب القسم محذوف أي: ليُدَمْدِمَنَّ الله عليهم، ودل عليه قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾. الباء في ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ للاستعانة، نحو: كتب بالقلم. وقيل: كذبوا تعذيبهم بالطاغية فعذبوا بها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ (٢).

قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ منصوب بالتكذيب، أو بالطغوى [و﴿أَشْقَىٰهَا﴾ قدار بن سالف، ويجوز أن يكونوا جماعة، والتوحيد لتسويتك] (٣) بين الواحد والجمع والمؤنث والمذكر؛ لأن من تولى العقر بنفسه كانت شقاوته أتم.

و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على التحذير؛ كقولك: الأسد الأسد. بإضمار: احذروا.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بما حذرهم منه من العذاب ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بمعصيتهم (٣٤٢/ أ) ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ يعني الدمدمة لم يفلت منها صغير ولا كبير.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: عاقبتها وتبعتها، كما يخاف ذلك المعاقب من الملوك، فيبقى بعض الإبقاء، ويجوز أن يكون الضمير لثمود، أي: فسواها بالأرض.

* * *

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) سورة الحاقة، الآية (٥).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل والسياق يتطلبه وهو من الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٦٠).

تفسير سورة والليل [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

المغشي إما الشمس، من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ (١) أو النهار من قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (٢) ﴿تَجَلَّىٰ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين وانكشف بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقيل: هما آدم وحواء. وقيل: إن الله لم يخلق نوعاً ثالثاً غير الذكر والأنثى. والخنثى وإن أشكل حاله فهو عند الله معلوم، ولو حلف أنه ما رأى ذكرا ولا أنثى، وكان قد رأى خنثى حنث؛ لأنه لم يتجاوز النوعين. ﴿لَشَتَّىٰ﴾ جمع شتيت، أي: مساعيكم أشتات مختلفة، وبيان تفصيلها ما ذكر عقبها. ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ أعطى حقوق ماله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك العصيان. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ لطريق اليسر، وهي الطريق التي هي أيسر وأسهل؛ كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ (٣) ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ وزهد فيما عند الله، كأنه مستغن عنه، فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة؛ لأنه في مقابلة ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ﴾ يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون استفهاما بمعنى الإنكار. ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ هلك، وأصله: السقوط من جبل، أو موضع عال. أو تردى في اللحد: إذا قبر، أو تردى في قعر جهنم. ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ بيان طريق الحق ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ فنعطي منهما من نشاء ما نشاء.

فإن قلتَ: لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها، وكل تقي يجنبها، لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء، فقد علم أن أفسق

---

(١) سورة الشمس، الآية (٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٢٥).

المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة !

قلتُ: الآية واردة في صفة الشخصين؛ أحدهما أشقى، والآخر في مقابلته أتقى، وقد علم منزل الشقي والتقي.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مفعول من أجله ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مستثنى من غير جنسه، وهو المنعم، أي: ما لأحد عنده من نعمة، كقولك: ما في الدار أحد (٣٤٢/ ب) إلا فرسا ويجوز أن يكون ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ﴾ مفعولا له على المعنى؛ لأن المعنى: لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه.

* * *

تفسير سورة والضحى [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦)﴾

المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وتلقي شعاعها. وقيل: إنما خص وقت الضحى؛ لأنه الوقت الذي كلم الله فيه موسى، وأُلقي فيه السحرة سجداً لقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (١).

وقيل: الضحى: النهار كله؛ لقوله – تعالى -: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٢) وقال في مقابلته: ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٣).

﴿سَجَى﴾ سكن، وركد ظلامه. ويقال: ليلة ساجية ليس فيها برد ولا حر، فهي ساكنة الريح. ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ما قطعك قطع المودع.

قيل: الوحي انقطع عن رسول الله ﷺ أياما، فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فنزلت (٤). وقيل: إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت (٥). حذف الضمير من ﴿قَلَى﴾ ما حذف في قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (٦) أصله: والذاكرته.

﴿فَآوَى فَهَدَى فَأَغْنَى﴾: اختصار لفظي؛ لأن الضمير مراد، والتقدير لفظي؛ لظهور المحذوف. فإن قلتَ: كيف اتصل قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ بما قبله ؟ قلتُ: لما كان في ضمن نفي التوديع أنك عند الله بالمكان الرفيع، وأنه مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب

---

(١) سورة طه، الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٨).

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٤٥) وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٨٠٢، ٤٩٥١)، ومسلم رقم (١٧٩٦).

(٦) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥).

الله، والمصطفى من العالم كله، ولا منزلة أعلى من ذلك، أعلمه أن منزلته في الآخرة أعظم. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ألم يعلمك، متعديا إلى مفعولين، والمعنى: ألم تكن يتيما؛ فإن النبي ﷺ توفي أبوه وهو جنين قد مضى عليه ستة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين، فكفله عمه أبو طالب، ومن بدع التفاسير: أنه من قولهم: درة يتيمة. وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير، فآواك، أي: فضمك إلى عمك أبي طالب[1].

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿ضَآلًّا﴾ أي غير عالم بالشرائع فهداك للعلم بها. وقيل: ضل في صباه ببعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب. وقيل: أضلته حليمة حين فطمته، وجاءت به لترده على عبد المطلب، فأضلته عند باب مكة. وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج مع عمه أبي طالب، فهداك: فعرفك القرآن والشرائع. ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة. فإن أراد (٣٤٣/ أ)بذلك خلو قومه عن معرفة الشرائع فصحيح، وإن أراد أنه على دينهم وكفرهم فمعاذ الله. وهذا كفر يقتل قائله بالسيف، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الصغائر، فكيف من الكبائر ؟!﴿ عَآئِلًا﴾ فقيرا، فأغناك بمال خديجة، وبما أفاء الله عليك من الغنائم. وعنه عليه السلام أنه قال: " جعل رزقي تحت ظل رمحي "[2].

وقيل: قنعك، وأغنى قلبك. ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تغلبه على ماله؛ لضعفه.

﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ ليس هو الطالب المستجدي، بل هو طالب العلم مُتلقى بالرحب. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ التحدث بنعم الله: شكرها وإذاعتها.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وأبو داود رقم (٤٠٣١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

تفسير سورة ألم نشرح [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك، ولذلك عطف عليه ﴿وَوَضَعْنَا﴾ اعتباراً بالموضع، ومعنى شرح الصدر: أنه وسعه لاحتمال الأذى، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم. والوزر الذي أنقض ظهره حمله على النقيض، وهو صوت الانتفاض والانفكاك لثقله، مثلٌ لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمه من فرطاته قبل النبوة، أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه، ووضعه: أن غفر له ما تقدم، أو علم الشرائع أو مهد له عذره بعد ما بلغ وبالغ. ورفع ذكره: أن قرن اسمه باسمه في الأذان والإقامة والتشهد والإسلام والخطب. وفي غير موضع من القرآن: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [1]. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [2] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [3]. وفي تسميته رسول الله، ونبي الله، ومن ذلك: ذكره في كتب الأولين، والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به.

فإن قلتَ: أي وجه في زيادة ﴿لَكَ﴾ والمعنى مستقلٌ بدونه ؟ قلتُ: ما في الإبهام والإيضاح كأنه لما قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ سأل سائل فقال: ليس طريقه محل الشرح، فقال ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ فبين موضع الانشراح.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾

فإن قلتَ: كيف يتعلق قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟ قلتُ: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى فهمه أنهم قد رغبوا عن الإسلام؛ لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره نعمته عليه، ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣٤٣/ ب) أي: إن مع العسر في

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

الدنيا يسرا في الدنيا ويسراً في الآخرة.

فإن قلتَ: لفظة " مع " تقتضي المعية، فما معنى قوله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وكيف يجتمع العسر واليسر ؟ قلتُ: أراد أن الله تعالى يوسع عليهم بعد مدة قريبة، فبالغ في تقريبها حتى جعلها معية. فإن قلتَ: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود: " لن يغلب عسر يسرين ". وروي مرفوعا أن النبي ﷺ قال: " لن يغلب عسر يسرين "[١]: قلتُ: هذا عمل على الظاهر، وبناءً على قوة الرجاء، وأن وعود الله لا تحمل إلا على أقصى ما يحتمله اللفظ. والقول فيه: أن يحتمل أن تكون الثانية تكريرا للأول كـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢] مكررا وأن يكون الأول عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة. والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان اليسر متكررا، ولم يكن العسر مكررا؛ لأن الألف واللام التي في العسر إما أن تكون للعهد، فيكون العسر واحدا، والعسر لخلوه عن اللام مكررا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد، فهو هو أيضا. وأما اليسر فمتكرر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر، فقد تناول بعضا غير البعض الأول بلا إشكال. فإن قلتَ: ما المراد باليسرين ؟ قلتُ: يجوز أن يراد ما فتح الله لرسوله ﷺ، ولأصحابه من بعده، وما يدّخر لهم في الآخرة. ويجوز أن يكون ما ذكر لهم في الآخرة هو يسر الآخرة، وما فتح عليهم في الدنيا هو يسر الدنيا، فيكونان يسرين، وأن يكون أحد اليسرين في الدنيا، والآخر في الآخرة، ومعنى التنكير في ﴿يُسْرًا﴾ التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر في الدنيا يسراً عظيماً في الدنيا، ويسراً عظيماً في الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من عبادة ربك ﴿فَانْصَبْ﴾ في الدعاء. وقيل: فاجتهد في العبادة. ومن بدع

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٣٥)لعبد الرزاق، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢١٧)لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود، ورواه الإمام مالك في الموطأ رقم (٨٥٤)موقوفا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٥)عن عمر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٤٣٤٢) .

(٢) سورة المرسلات، الآية (١٥) .

التفاسير: فإذا فرغت من صلاتك فانصب عليًا للإمامة [١].

﴿فَٱرۡغَب﴾: فاجعل رغبتك إليه خصوصا دون من سواه، وأخذ هذا الحصر من تقديم المجرور في قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٢)ثم قال بعده: ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

تفسير سورة والتين [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢)﴾

أقسم بالتين والزيتون؛ لأنهما عجيبان من بين سائر الثمار؛ روي أن النبي ﷺ (٣٤٤/أ) أكل تينا، ثم قال لأصحابه: " كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس "[(١)].

ومرّ معاذ بن جبل بشجرة زيتون فأخذ منها غصنا: فاستاك به، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، تطيب الفم وتذهب بالحفر "[(٢)] وسمعته يقول: " هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي "[(٣)].

وعن ابن عباس: هو تينكم هذا، وزيتونكم[(٤)] وقيل: هما جبلان بالأرض المقدسة، يقال لهما بالسريانية طور تينا[(٥)]، وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون[(٦)].

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٤١) لأبي نعيم في " الطب "، وذكره الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٤٣)والنقرس - بكسر النون والراء -: ضر معروف وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر، ولا يجتمع مدة ولا ينضج لأنه في عضو غير لحمي.
ينظر: التعاريف للمناوي (١/ ٧٠٩).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٥٨)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٧٧) لابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه، عن ابن عباس " وقال الدارقطني: معلى بن ميمون - أحد رواته- ضعيف متروك.

والحفر: صفرة تعلو الأسنان، وهو ما يلزق بالأسنان من ظاهر وباطن. **ينظر:** لسان العرب (حفر).

(٣) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٤٢) للطبراني في مسند الشاميين وفي المعجم الأوسط.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٣٩) عن أكثر من واحد، وليس عن ابن عباس، وإنما ذكره عن ابن عباس الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٣).

(٥) **في الأصل:** سيناء، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/ ٧٧٣).

(٦) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٤٠): " والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على=

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

والبلد: مكة حرسها الله تعالى.

والأمين: من أمن الرجل: صار ذا أمن، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما سُلم إليه. ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول، من أمنه؛ لأنه مأمون. ومعنى القسم بهذه الأشياء: الإبانة عن شرف هذه البقاع. والطور: الجبل الذي نودي عليه موسى. ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته ثم كان عاقبة كونه لم يشكر هذه النعمة، وهو تسوية الخلق، أن رده أسفل سافلين، وأقبح صورة، وهم أصحاب النار.

وقيل: هو الكبر والهرم، وبتقوُّس ظهره بعد استقامته، وثقل قوة السمع والبصر، والوطء والبطش، فيرد إلى أضداد ذلك. وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثناء متصل على القول، ومنقطع على الثاني، تقديره: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا ينقص من وظائفهم التي كانوا يفعلونها في الصحة بل يكتب لهم ثواب تلك الأوراد والأعمال كاملة، وإن لم يفعلوا شيئا منها؛ لأنه إنما عاقهم الكبر والهرم، وهو ليس من فعلهم.

قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ خطاب للإنسان على صورة الالتفات أي: فما يجعلك كاذبا بسبب الدين، والباء في ﴿بِٱلدِّينِ﴾ مثلها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1]. أي: فما يكذبك يا إنسان بعد ظهور الدليل على البعث أن تكذب به حتى يجعلك التكذيب من أهل النار. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يعذب المسيء ويحسن للمحسن.

* * *

=صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابت التين وبيت المقدس منابت الزيتون ".

(١) سورة النحل، الآية (١٠٠).

تفسير سورة العلق [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة القلم أول سورة نزلت، ويدل عليه حديث الصحيحين: أن رسول الله ﷺ (٣٤٤/ ب) " جاءه جبريل في جبل حراء، فقرأ عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والخبر مشهور (١).

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة. وزعم الزمخشري أنه القول الأصح (٢) والمشهور هو القول الذي سبق. وقيل: أول ما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ (٣)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣)﴾

محل ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال؛ أي: اقرأ متبركا باسم ربك؛ أي: قل بسم الله، ثم اقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون ﴿اقْرَأْ﴾ لا يضمر له مفعول أي: كن قارئا أو يكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ معمولا لـ " اقرأ "، أي: اقرأ باسم هذا الذي كون الأشياء وأوجدها. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تخصيص له دون سائر المخلوقات لأنه أشرفها، والوحي إنما ينزل إليه، وهو المقصود بالخطاب، ويجوز أن يكون المراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (٤) تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على فطرته، فإن قلتَ: لم قال ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾، ولم يقل " من علقة " ؟ قلتُ: لأن الإنسان في معنى الجمع. ﴿الْأَكْرَمُ﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ لأنه لم يضبط أقاصيص الأولين، وشرائع الأنبياء

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٥٦، ٦٩٨٢)، ومسلم رقم (٢٥٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٧٥).

(٣) تقدم الحديث عن ذلك في تفسير سورة المدثر.

(٤) سورة الرحمن، الآيات (١-٣).

المتقدمين إلا الكتابة بالقلم. ﴿كَلَّآ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أي: لأن رأى نفسه، وأفعال الشك واليقين يتحد فاعلها ومفعولها؛ تقول: لو رأيتُني وعلمتُني. ولا يجوز ذلك في غيرها [1] ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لاقتصرت على مفعول واحد. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ التفات أيضًا عن الحديث عن الإنسان. و﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ مصدر؛ كالبشرى. وقيل: نزلت في أبي جهل، قال للنبي ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا، ونتبع دينك، فنزل جبريل، وقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء؛ إبقاءً عليهم [2]. ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ بعض عباد الله عن طاعة الله والركوع والسجود. أو يَنْهَى عبداً أمر بالتقوى، فيما يأمر به من عبادة الأوثان.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ مشاهد له على أعماله، ومطلع على نيّاته، فهو يجازيه بحسب ذلك . وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ مع (٣٤٥/ أ)الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين. فإن قلتَ: فأين جواب الشرط ؟. قلتُ: تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى؛ حذف لدلالة الكلام عليه. فإن قلتَ: فما ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثانية وتوسطها بين مفعولي " أرأيت " ؟ قلتُ: هي زائدة مكررة؛ للتوكيد. وقيل: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمان عن الصلاة. ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل، وزجر له عن نهيه عن عبادة الله. ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن بناصيته، ولنسحبنه بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء، وجذبه، واكتفى بلام العهد عن الإضافة، والتقدير: لنسفعنه بناصيته.

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ بدل من الناصية، وجاز بدلها من المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت فتخصصت. قلتُ: هذا مما لا حاجة إليه؛ فإنه يجوز بدل المعرفة من النكرة، والنكرة من

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ٢٥١)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٤٩٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٧)وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦): لم أجده.

المعرفة[١]. والزبانية: ملائكة العذاب. ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ وفي الحديث: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "[٢].

* * *

(١) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج (٢/٤٦)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٥٠).

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٨٣)، وأبو داود رقم (٨٧٨)عن أبي هريرة ﷺ.

تفسير سورة القدر [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾

عظم القرآن من ثلاثة أوجه، أحدها: أن أسند إنزاله إليه بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾. والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالشاهد، والاستغناء عن التنبيه عليه. والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي ابتدئ النزول فيه. وروي أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزل على رسول الله ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة.

وأكثر العلماء على أن ليلة القدر في شهر رمضان، ولعل الداعي إلى إخفائها أن يجتهد من يقوم الليل لطلبها الشهر كله أو السنة كلها؛ ليظفر بها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ليلة تقدير الأمور ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [1] وشرفها على سائر الليالي ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ يعني: ولم يبلغ درايتك فضلها ثم بين ذلك بقوله: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ فضّلها إلى هذه الغاية؛ لما يكتب فيها، وينزل من الملائكة والوحي والرحمة، وروي: أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: " إن رجلا من بني إسرائيل حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله فسمع (٣٤٥/ ب)أصحاب رسول الله ﷺ، فتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطى الله هذه الأمة هذه الليلة؛ لتقوم مقام الألف الشهر التي حمل فيها ذلك الإسرائيلي السلاح " [2].

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى سماء الدنيا وقيل: إلى الأرض، أي: تنزل بكل مرضاة الله في تلك السنة إلى قابل. وقيل: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ أي: من أجل كل إنسان.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ لكثرة من يسلم من الملائكة على بني آدم.

---

(١) سورة الدخان، الآية (٤).

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦)لابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن خالد عن أبي نجيح عن مجاهد مرسلا دون قوله: " فتقاصرت إليهم أعمالهم ".

تفسير سورة لم يكن [البينة]

[مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

كان المشركون من أهل الكتاب، وعبدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك عن ديننا حتى مبعث النبي الموعود بذكره في التوراة والإنجيل. فحكى الله ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق، وأنه متى بعث النبي صدقوه وآمنوا به، و﴿رَسُولٌ﴾ بدل من البينة، و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة. ﴿صُحُفًا﴾ قراطيس مطهرة من الباطل.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مكتوبات قيمة بمصالح العباد في الدنيا والآخرة. فإن قلتَ: لم جمع أهل الكتاب والمشركين أولا، ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فأفردهم ؟

قلتُ: أهل الكتاب كانوا عالمين بأن النبي المبعوث آخر الزمان آت لا محالة، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي، ولكنهم حرفوا وبدلوا.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الله القيمة، ومعنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وما أمروا بالعبادة والطاعة إلا ليعبدوا الله. ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ بالتشديد من غير همز[1]. قيل: لأنهم خلقوا من

---

(١) قرأ نافع وابن عامر من رواية ابن ذكوان: " شر البريئة " و " خير البريئة " مهموزتين، وقرأ الباقون "البرية " بلا همز مع تشديد اليائين. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٢ - ٧٨٣).

التراب. والبراء: هو التراب. وقيل: إنه مخفف من البريئة المهموز، وهو بمعنى الخليقة ومن أسمائه - تعالى - البارئ المصور.

* * *

تفسير سورة الزلزلة [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾

﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي: زلزالها اللائق بها، ونظيره: قولك: أكرم التقي كرامته، وأهن الفاسق إهانته، أي ما يليق بكل واحد منهما. الأثقال: جمع ثقل، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾(1)

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ (٣٤٦/ أ) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل، وتلفظ أمواتها أحياءً، فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

فإن قلتَ: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء إليها ؟ قلتُ: هو مجاز عما يحدث الله فيها من الأحوال مما يقوم مقام حديث اللسان.

وقيل: ينطقها الله على الحقيقة، فتحدث بما عمل عليها من خير وشر،

فإن قلتَ: ﴿إِذَا يَوْمَئِذٍ﴾ ما ناصبهما ؟ قلتُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ ، وناصبهما ﴿تُحَدِّثُ﴾ ، ويجوز أن تنتصب ﴿إِذَا﴾ بمضمر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾.

والباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾ متعلقة بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾ والمعنى: أن ما حدثت بما جرى على ظهرها، بسبب أن الله أوحى لها بذلك. قال ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ القرار فاستقرت.

﴿أَشْتَاتًا﴾ جماعات متفرقين بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتا. ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ليروا جزاء أعمالهم.

الذرة: النملة الصغيرة. وقيل: الذرة: ما يُرى في شعاع الشمس.

---

(١) سورة النحل، الآية (٧).

تفسير سورة العاديات [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾

أقسم بخيل الغزاة تعدو، فتضبح. والضبح: صوت أنفاسها قال عنترة [من الكامل]:

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا(١)

وانتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على الحال؛ أي: تعدو ضابحات أو بالعاديات. ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ﴾ تورى نارا، تقدح بقدح حوافرها الحجارة. وانتصب ﴿قَدْحًا﴾ بما انتصب به ضبحا.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تغير على العدو ﴿صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ فهيجن بذلك العدو غبارا، والنقع: غبار الحرب. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الوقت. ﴿جَمْعًا﴾ من العدو، أو: فوسطن بالغبار الجمع، أو: وسطن بمعنى: توسطن، ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح وقيل: أثرن: مقلوب، وعن علي: إن الله أقسم بالإبل التي يحج عليها(٢).

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ تقدح الحجارة. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ من قوله عليه السلام: " أشرق ثبير كيما نغير "(٣). وقيل: الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب. وجمع: اسم المزدلفة،

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٠٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٦)، لسان العرب (ضبح).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٧٣).

(٣) رواه البخاري رقم (١٧٨٤)، والترمذي رقم (٨٩٦)، عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه صلى بـ " جمع " الصبح ثم وقف فقال: " إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون " أشرق ثبير " وإن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ". وهذا لفظ البخاري. وظاهر من هذه الرواية أن هذا من قول المشركين، وليس من كلام النبي ﷺ كما قد توهم عبارة المصنف - رحمه الله. وقد تقدم هذا القول ونسبه المصنف إلى كلام العرب في تفسير سورة ص.

وعطف ﴿فَأَثَرْنَ﴾ على الفعل الذي دل عليه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ [(١)].

الكنود: الجحود، وبه سمي كندة؛ لأنه أنكر أباه، وجحده. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مضر وربيعة: (٣٤٦/ ب) الكفور[(٢)] إنه لنعمة ربه لشديد الكفران. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بالكنود. وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد، وهو تهديد.﴿ٱلْخَيْرِ﴾ المال؛ كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[(٣)].

والشديد: البخيل، وإنه لأجل حبّ المال، أي: لأن إيثار الدنيا عنده، وطلبها قوي، أو أراد به: لفعل الخيرات غير منشرح، وأما حبه الدنيا وإيثارها على الآخرة فهو فيه شديد وقوله: ﴿وَحُصِّلَ﴾جمع في الصحف محصلا، ومعنى علمه بهم: أنه يجازيهم يوم القيامة. وقرئ بفتح " أن " [(٤)] وحذف اللام من خبره.

* * *

(١) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه بالتأويل بأن كان الاسم يشبه الفعل، وهو رأي ابن مالك، واختاره السيوطي في الهمع وقال: يجوز في الأصح. ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل وعكسه؛ لأن العطف أخو التثنية فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر. وقال السهيلي: يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل فتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين اختلفا في الزمان. ونرى أن الراجح هو رأي القائلين بالجواز؛ لما علله السهيلي.

وينظر تفصيل ذلك في: الإملاء للعكبري (٢/ ٢٥٦)، البيان لابن الأنباري (٢/ ٤٢٢)، شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٣٨٣)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٩١ – ١٩٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٠).

(٤) قرأ بها أبو السمال والحجاج. **تنظر في:** البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٨٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٩).

تفسير سورة القارعة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ
ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ
فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ
﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾

الظرف في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ متعلق بما دلت عليه القارعة أي: تقرع القلوب يوم يكون الناس.

شبَّههم بالفراش في الكثرة والانتشار، وسمي فراشا؛ لانتشاره، وشبه الجبال بالعهن، وهو الصوف؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرق أجزائها.

الموازين: جمع ميزان، والميزان يثقله ثقل ما فيه.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي هلكت أمه وجداً عليه، لما ترى من شدة الخطب عليه.

وقيل: الهاوية: من أسماء النار، وجعلت أمًّا له؛ لأنه يأوي إليها. وقيل: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ أي فأم رأسه في النار. وقوله ﴿هِيَهْ﴾ الهاء للسكت فيها، وإذا وصل القارئ حذفها، وإذا وقف أثبتها، وثبوتها في المصحف دليل على أنها أجريت مجرى الوقف، وأثبتت فيه.

* * *

تفسير سورة التكاثر [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ألهاه عن كذا: إذا شغلَهُ. و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التباهي؛ كقوله: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ (١). وروي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بعددهم، فكثرت بنو عبد مناف بني سهم، فقالت بنو سهم: إنما أهلكتنا الحروب ونحن أكثر منهم، فهلم فلنعد الأحياء والأموات، فعدوهم فكثر بنو سهم، فأنزل الله - تعالى - شغلكم التكاثر حتى عددتم الأموات(٢). وقيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وهو لا يغني عنكم من الله شيئا، ولا يغنيكم منه أمر. وقيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بالأموال والأولاد، حتى متم وصرتم إلى القبور. قال الشاعر [من المتقارب] :

زار القبورَ أبو مالكٍ فأصبحَ ألأمَ زُوارِها (٣)

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد، وتكراره ثانيا؛ زيادة في التوكيد، والدليل عليه: أنه أتى (٣٤٧/ أ) بـ " ثم "؛ لتباعد ما بين التهديد الأول والثاني، ثم كرر ذلك محذوف الجواب. والوقف على قوله: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ ومعناه: لو علمتم علم اليقين لما شغلكم التكاثر، ولا يجوز أن يكون الظاهر جوابا. وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ زيادة للتوكيد والتفخيم ويدل على أن المراد بقوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ أمر عظيم أشد من التهديد. تسوف عين اليقين؛ أي: لترونها رؤية هي عين اليقين وخالصته.

﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ عن اللهو والتلذذ الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين. وقيل: أراد بالنعيم: التنعم والتفرغ للالتذاذ في الدنيا على ما يزيد في رتبة الدين.

* * *

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٠) .

(٢) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩١)، ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٨٣) بنحوه.

(٣) ينظر البيت في: الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٢)، لسان العرب (كثر) .

تفسير سورة والعصر [مكية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾

أقسم بصلاة العصر؛ لفضلها، وهي الصلاة الوسطى، ولأنها مؤقتة بوقت هو وقت الاشتغال بالمتاجر والمعايش، فالمواظبة عليها أشق. وأقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة. أو أقسم بالزمان؛ لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس. والخسر: الخسران؛ كما قيل الكفر في الكفران. والمعنى: إن الناس في خسر من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم؛ لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجاراتهم، فوقعوا في الخسارة. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله. والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ عن المعاصي، وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده.

* * *

تفسير سورة الهمزة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

الهمز: الكسر، كالهزم، واللمز: الطعن. يقال: لمزه ولهزه: طعنه، والمراد: الكسر من أعراض الناس، والغض منهم، واغتيابهم، والطعن فيهم، وبناء (فُعَلَة)يدل على أن ذلك عادة منهم، وقد ضرى بها، ونحوهما: الضُّحَكة واللُّعَنة. قال الشاعر [من البسيط]:

.... وإنْ أُغيّبْ فأنتَ الهامزُ اللُّمزَة[1]

وقرئ: ويل لكل همْزة لُمْزة، بسكون الميم [2] وهو المسخرة الذي[3] يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق، وكانت عادته الغيبة والوقيعة [4]. وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة، واغتيابه لرسول الله ﷺ (٣٤٧/ ب)وغضه منه [5]. ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما؛ ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾الحطمة: من أسماء جهنم، تحطم ما وقع فيها، ويقال للرجل الأكول حطمة. وقيل: خص الفؤاد؛ لأنه محل الكفر والعقائد الفاسدة.﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة، والمعنى: إنه يؤكد يأسهم من الخروج منها وتيقنهم بحبس الأبد، فتوصد عليهم الأبواب، ويمدد على الأبواب العمد.

---

(١) هذا عجز بيت لزياد العجم وصدره:

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا ....

ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥١٠)، تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٢) قرأ بها الأعرج والباقر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥١٠)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٣) في الأصل: التي، والصواب ما أثبتناه. كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢٣)لابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٥).

تفسير سورة الفيل [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة(١) النجاشي بنى كنيسة بصنعاء اليمن، وسمّاها " القليس " وأراد أن يصرف إليها حج العرب، فخرج رجل من كنانة، فقعد فيها ليلا، فأغضبه ذلك، وقيل: أججت رفقة من اليمن ناراً، فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة فخرج بالجيش، ومعه فيل له اسمه: محمود وكان قويًا عظيماً، واثنا عشر فيلا. وقيل: ثمانية، وقيل ألف فيل. وقيل: لم يكن معه غير محمود، فلما بلغ المغمّس(٢) خرج إليه عبد المطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة ؟ ليرجع فأبى، وعبَّأ جيشه، وقدم الفيل، وكانوا كلما وجهوه برك وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرْول، فأرسل الله طيراً سوداً، وقيل: خضراً، وقيل: بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة، وأصغر من الحمصة. وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة، كالجزع الظفاري (٣) فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل. وأما أبرهة فتساقطت أنامله، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكشوم، وطائر يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه، فلما فرغ من القصة ألقى الطائر عليه الحجر فهلك بين يدي النجاشي (٤).

---

(١) في الأصل: أصمحة، والصواب ما أثبتناه.

(٢) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه أبو رغال وقبره يرجم؛ لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٦١).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٧)، والجزع: ضرب من الخرز. وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين، والجزع: الصبغ الأصفر. والظفاري: نسبة إلى ظَفَار: مدينة باليمن. والجزع الظفاري: منسوب إلى هذا البلد. ينظر: لسان العرب (جزع)، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري الأندلسي (٣/ ٩٠٤).

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢٧)لابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل.

وقيل: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ بأربعين سنة. وعن عائشة قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان[1]. وقيل: إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير (٣٤٨/ أ) فجاء عبد المطلب إلى أبرهة وكان عبد المطلب رجلا وسيما جسيما، فقيل لأبرهة: هذا سيد قريش يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فقال له أبرهة: ما حاجتك ؟ قال: إبل لي أخذها جندك. فقال له أبرهة: نقصت من عيني، جئت لأهدم ما فيه شرفك وشرف أسلافك، فلم تكلمني فيه، وكلمتني في إبل يسيرة ! فقال: أنا رب الإبل، ولهذا البيت رب يمنعه منك. فقال: ما كان ليمنعه مني. ثم رجع عبد المطلب، وضرب حلقة الباب وقال:

لاهُمَّ إنَّ العبدَ يمنعُ رحلهُ فامنعْ حلالك

لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عَدْواً محالكْ

إن كنتَ تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدالكْ

يا ربِّ لا أرجو لهم سواكا   يا ربِّ فامنعْ منهمُ حماكا

إن عدوَّ البيتِ من عاداكا.

فبينما هو يدعو إذ جاءت الطير من قبل اليمن. وفي القصة: أن أبرهة احتاط على أموال أهل مكة، وجمع عبد المطلب من أموالهم شيئا كثيراً، فكان سبب يساره[2].

والمعنى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أنك رأيت بعض آثار رحمة الله وسمعت الأخبار فيه متواترة، فقامت لك مقام الرؤية. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله. ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ كقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [3] وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل؛ لأنه ضلل ملك

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٥) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) روى هذه القصة الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١١٥ - ١٢٥)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص: ١٠٠ - ١٠٨)، وذكرها ابن هشام في السيرة النبوية (١/ ٤٩ - ٥١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٧٠ - ١٧٦)، والبيت الأخير من الشعر تكملته عند البيهقي في الدلائل:

إن عدو البيت من عاداكا   إنهم لن يقهروا قواكا

(٣) سورة غافر، الآية (٥٠).

أبيه[1]، يعني: أنهم كادوا البيت أولا ببناء كنيستهم " القليس "، وأرادوا أن ينسخوا حاله بصرف الحج إلى كنيستهم، فرد الله كيدهم وأهلكهم، وأرادوا ثانيا أن يهدموا الكعبة.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿أَبَابِيلَ﴾ جماعات متفرقة الواحدة: إبالة، ومنه المثل: إنها لضغث على إبالة [2].

و﴿سِجِّيلٍ﴾ علم الديوان أعمال الكفار، كأنه قال: بحجارة من جملة العذاب الذي قدر وقوعه. والعذاب يوصف بالإرسال؛ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾[3] وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ﴿مَّأْكُولٍ﴾ (٣٤٨/ ب) أكلته الدود، أو تبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن؛ كقوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [4].

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٩)وقال: أي: ضيعه.

(٢) ينظر في: القاموس المحيط (ضغث)، لسان العرب (أبل) ومعنى المثل: أي بلية على أخرى كانت قبلها. والضغث: ملء اليد من الحشيش المختلط. وقيل: الحزمة منه وما أشبهه من البقول، والإبالة: البلية. وهو مثل يضرب للأمر يتبع الأمر. ينظر اللسان: (ضغث – أبل).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٩).

(٤) سورة المائدة، الآية (٥٧).

تفسير سورة قريش [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ﴾

قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ لما في الكلام من معنى الشرط.

المعنى: أن نعم الله عليهم كثيرة جدًّا، فلا يحصونها، فإذا لم يعبدوه لنعم كثيرة، فليعبدوه لأجل هذه النعمة. وقيل: المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش.

وقيل: هو متعلق بما قبله، بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾[(١)] وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعليقا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة. وروي: أن عمر قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى بالتين والزيتون[(٢)]. والمعنى: إنه أهلك الحبشة الذين قصدوا هدم كعبتهم حتى انتظم لهم الأمر في رحلتيهم، وكانت قريش يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون؛ لأن مكة واد غير ذي زرع، كان أهل مكة آمنين في رحلتيهم لا يعارضهم أحد ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[(٣)]. و﴿قُرَيْشٍ﴾ ولد النضر بن كنانة سموا باسم القرش، وهي دابة عظيمة من البحر تعبث بالسفن. وعن ابن عباس: أنه سئل: لم سميت قريش ؟ قال: بدابةٍ في البحر تأكل، ولا تؤكل، وتعلو، ولا تُعلَى وأنشد [من الخفيف]:

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحرَ بها سميت قريش قريشا
تأكل الغثَّ والسمينَ ولا تترك فيه لذي المخالب ريشا

---

(١) سورة الفيل، الآية (٥).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٥٦) لعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف عن عمرو بن ميمون قال: صليت خلف عمر بن الخطاب المغرب... ' فذكره.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

هكذا في الكتابِ حيٌّ قريشٍ ... يأكلون البلادَ أكلا كميشا

ولهم آخرَ الزمـــانِ نبيٌّ ... يكثرُ القتلَ فيهم والحموشا[1]

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ الجذام فلا يصيبهم ببلدهم، ومن بدع التفاسير: آمنهم من أن تكون الخلافة في غيرهم[2].

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/٣٠٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/٦٣٨) للبيهقي في دلائل النبوة، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/٥١٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/٥٧٣) وفيه: آخر البيت الثاني:

.... لذي جناحين ريشا.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده (٣/١٢٩، ١٨٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٧٥)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف للمزي (١/١٠٢) عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الأئمة من قريش".

تفسير سورة أرأيت [الماعون]

[مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم (٣٤٩/ أ)

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء إن تعرفه فهو الذي يدُعُّ اليتيم يدفعه دفعا ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (١). ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ولا يبعث أهله على إطعام المسكين، يعني: إنه لو آمن بالجزاء إيمانا يقينا، لما دعَّ اليتيم، ولحثَّ على إطعام المسكين.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الذين يسهون عن الصلاة تهاونا بها، حتى يخرج وقتها، والفرق بين قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ والمراد: الإعراض عنها وبشأنها، وبين قوله: هو في صلاته ساهٍ، أن السهو يجبر في الصلاة، فتكمل والتي سها عنها حتى خرج وقتها لا يخلص من ذلك إلا بالتوبة. وقوله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿يُرَآءُونَ﴾ من باب المفاعلة؛ لأن المرائي يري الناس أنه عمل لله، والناس يرونه الثناء عليه، واستحسان ما يفعل.

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاة. وقيل: الماعون: ما يعين الناس به بعضهم بعضا بالعارية، وهي القدر والدلو والمقدحة وغيرها. وقيل: الماء والنار والملح.

* * *

---

(١) سورة الطور، الآية (١٣).

تفسير سورة الكوثر [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ (٢)﴾

الكوثر: فوعل من الكثرة قال [من الطويل]:

وأنت كثيرٌ يا بن مروانَ طيبٌ   وكان أبوكَ ابنُ الأكارمِ كوثرا [١]

وقيل: الكوثر: نهر في الجنة. وقيل: ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حافاتُه الزبرجد وأوانيه من فضة، عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شرب منه أبداً، أول وارد عليه فقراء المهاجرين الذين لا يزوجون المنعّمات، ولا تفتح لهم السدد [٢] يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره [٣]. وقال ابن الزبير لابن عباس: إن ناسا يقولون: هو نهر في الجنة فقال: " الذي في الجنة من ذلك الخير " [٤] وقيل: هي جنس الصلاة. والنحر: وضع اليمني على الشمال. ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ في الدنيا خيراً كثيراً، فجعلناك تابعاً لهداية ملك الملوك. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فإن الصلاة عماد الدين [٥].

﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ بدنك لله خالصا مخالفا لما كانت العرب ينحرون للطواغيت وأن من يبغضك

---

(١) البيت للكميت بن زيد، **ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٧٧)، ديوان الكميت (١/ ٢٧٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٠٦)، لسان العرب (كثر)، وفي الدر:

....   وكان أبوك ابن العقائل كوثرا .

(٢) **السدد:** البيوت والدور.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٣٣٣)، والترمذي رقم (٢٣٨٦)عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: " حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ". وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٦٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٩٢).

(٥) روي في هذا المعنى حديث نسبه السيوطي في الجامع الصغير للبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب يرفعه بلفظ: " الصلاة عماد الدين " وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٥٦٦).

ويشنؤك هو دونك.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

وروي أن العاص بن وائل قال: إن محمداً لا عقب له، فسيموت ويخمد ذكره، فإنه أبتر فأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [(١)].

* * *

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٤ - ٤٩٥) رقم (٨٧٢، ٨٧٣).

تفسير سورة الكافرون (٣٤٩/ ب)

[مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أن رهطا من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا، ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فقال: "معاذ الله أن أشرك بالله غيره"، فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك، ونعبد إلهك، فنزلت[1] فغدا إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم، فقرأها عليهم، فأيسوا منه. ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ في المستقبل. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في الماضي ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في الماضي. وقيل: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا ينبغي أن أعبد ما تعبدون، ولا يتأتي لكم أن تعبدوا ما أعبد. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لكم شرككم، ولي توحيدي.

* * *

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٦) رقم (٨٧٤).

تفسير سورة النصر [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

﴿إِذَا﴾منصوب بـ " سبح " وهو لما يستقبل من الزمان والإعلام بذلك قبل حضور وقته من أعلام النبوة، وروي: أنها نزلت في أيام التشريق في " منى " في حجة الوداع[1].

النصر: الإغاثة والإعانة على العدو، وأما الفتح: فهو الاستيلاء على الأماكن التي كانت خارجة عن اليد. وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، ثم خرج إلى هوازن.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾أي: إلى ملة الإسلام. ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات كثيفة، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً بعد واحد، فإن قلتَ: ما محل﴿يَدْخُلُونَ﴾ ؟

قلتُ: النصب إما على الحال، إن جعلت الرؤية رؤية عين، أو على أنه مفعول ثان لرأيت. ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقل سبحان الله، حامداً له. ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ واطلب منه المغفرة. ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾وعن ابن عباس: كان عمر يقدمه ويأذن له مع أهل بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتأذن لهذا الفتى ولنا أبناء مثله. فقال: إنه ممن قد علمتم. ودعاني يوماً، وسألهم عن قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، ولا أراه سألهم إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه مكة (٣٥٠/ أ) أن يستغفره، ويتوب إليه. قلتُ: ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما يعلمه، ثم قال: كيف تلومونني بعدما ترون "[2].

وعن ابن مسعود: " إن هذه السورة تسمى سورة التوديع "[3].

﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: كان في الأزل الذي لا أول له توابا.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٥٩) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: " هذه السورة نزلت على النبي ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع ".

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٧٠)، والترمذي رقم (٣٣٦٢) وأحمد في المسند (١/ ٣٣٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨١٢).

تفسير سورة تبت [المسد]

[مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾

المراد بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ هلاك جملته. روي أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [(١)] صعد النبي ﷺ الصفا. فقال: يا صباحاه. فاجتمع عليه الملأ من قريش، فقال لهم: " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [(٢)].

وإنما كنّاه، والكناية تكرمة، إما أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم، وإما لأن اسمه كان عبد العزى، فعدل عن هذا الاسم القبيح، إلى أبي لهب، وإما لأنه كان ذا مال، وماله إلى نار ذات لهب، فوافقت حاله كنيته.

وقيل: كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به، وبافتخاره بذلك. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ الذي كسبه وما ورثه من أبيه. ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ تحقيقًا للوعيد، وأنه كائن لا محالة، وإن تراخى وقته.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك، فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ والمؤمنين. وقيل: كانت تمشي بالنميمة، وقد توسل إلى رسول الله بجميل من أحب شتم أم جميل. الجيد: العنق. المسد: الذي فتل من الحبال فتلا شديدا، من ليف أو جلد أو غيرهما، ويحتمل أن يكون حالها في جهنم كحالها في الدنيا، مجموع إليها حزمة من حطب متقدة ناراً عليها؛ لجرأتها بفعلها.

* * *

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٩٤، ٣٥٢٥)، ومسلم رقم (٣٥٥، ٣٥٦).

تفسير سورة الإخلاص [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن. وقيل: إن قريشا قالت للنبي ﷺ: صف ربك الذي تأمرنا بعبادته؛ أمن ذهب هو أم من حديد ؟ (٣٥٠/ ب) فنزلت [(١)] يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله أحد.

﴿ٱللَّهُ﴾ بدل من أحد ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ المقصود، مِنْ صمد إليه: إذا قصده، والمعنى: هو الله الذي تقرون بأنه خالق السماوات والأرض. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه ليس بجنس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا؛ كقوله:﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [(٢)].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدث، وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده، ليس بجسم، ولم يكافئه أحد، أي: لا يماثله ولا يشاكله، ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح؛ نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم، فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته، فقوله:﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء. فإن قلتَ: الكلام الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو، ويقدم الاسم، ويؤخر الخبر ؟ قلتُ: هذا الكلام إنما سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري، وهذا المعنى مصبُّه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه. وتسمى سورة الأساس؛ لاشتمالها على أصول الدين.

* * *

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٤)، والترمذي رقم (٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٥٠٠)رقم (٨٨٠)وسنده ضعيف؛ فيه أبو سعد الصاغاني واسمه: محمد بن ميسر، ضعفه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (٢/ ٢١٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

تفسير سورة الفلق [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْفَلَقِ﴾ هو الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [1] لأن الليل ينفلق عن الصبح، ولذلك كل شيء انفلق كالحب والنوى، وكالأرض بالنبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر. والأرحام عن الأولاد. وقيل: هو واد، أو جبّ في جهنم لقولهم فيما اطمأن من الأرض: الفلق، والجمع: فِلقان. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر خلقه ومضارة بعضهم بعض؛ كالضرب والشتم، والغصب والسرقة، وما يفعله غير المكلفين من الأكل والنهش واللدغ والعض؛ كالسباع والحشرات وما وضعه في الحشرات من أنواع الضرر كالإحراق للنار، والقتل في السم. و﴿غَاسِقٍ﴾ الليل إذا اعتكر ظلامه، من قوله - تعالى-: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [2] ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء. ويقال: وقبت الشمس: إذا غابت، والتعوذ بالليل؛ لأن الانبثاث فيه أكثر، والتحذر منه أصعب، وأسند الشر إلى الليل؛ لحدوثه فيه. ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ النساء السواحر، أو النفوس، أو الجماعات السواحر، وأنكر الحنفية تأثير السحر، وقالوا: هو تخييل؛ (٣٥١ / أ) لقوله - تعالى-: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [3]. واحتج الشافعي على تأثير السحر، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [4] فجعل إبطاله مستقبلا، فدل على تحققه قبل الإبطال[5]. وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح[6]. ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ إذا حصل حسده، وعمل بمقتضاه.

والحاسد إذا ظهر أثر حسده من شتم وسب أو أذى يؤمله فيأثم؛ لأنه استعان بالله على

(١) سورة الأنعام، الآية (٩٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٨).

(٣) سورة طه، الآية (٦٦).

(٤) سورة يونس، الآية (٨١).

(٥) ينظر: الأم للإمام الشافعي (١/ ٢٥٦، ٢٥٧)، حاشية البجيرمي (٤/ ١٩٧).

(٦) تقدم تخريجه في سورة يونس، الآية (٨١).

أذى غيره، فأما إذا لم يظهر لحسده أثر، فلا إثم عليه.

وقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يعم جميع ما استعاذ منه، ومعنى ذكر الغاسق والحاسد، فخص من بينها الغاسق والحاسد والساحر؛ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر. فإن قلتَ: لم عرف بعض المستعاذ منه دون بعضه ؟

قلتُ: لأن كل نفَّاث في العقد آثم، لأنه فعل السحر وهو معصية، وليس الغاسق كذلك، بخلاف الحاسد، قلتُ: قد يحسد ولا يعصي إذا لم يظهر لحسده أثر.

* * *

تفسير سورة الناس [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

فإن قلتَ: لِمَ قيل ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مضافا إليهم خاصة ؟ قلتُ: لأن الاستعاذة وقعت من شر الوسواس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الوسواس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا دهمه خطب بسيده. فإن قلتَ: ما موقع ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ؟ قلتُ: هو عطف بيان لرب الناس كقولك: اذكر عمر أبا حفص الفاروق.

بين بـ " ملك الناس " ثم زيد بيانا بـ " إله الناس "؛ لأنه قد يقال لغير رب الناس؛ كقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (١) وقد يقال: ملك الناس، فقد يطلق على الآدميين، وأما إله الناس، فلا ينطلق إلى على الله وحده. وإنما كرر الناس مع أن الفهم كاف بإثباته في الأول، فلو قال أعوذ برب الناس ملكهم إلههم. وإنما جاء مكررا؛ لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسم بمعنى الوسوسة؛ كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوِسواس (٣٥١/ ب) بالكسر – كزِلزال، والمراد به: الشيطان، سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه الخفي، ومنه: وسواس الحلي.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس إذا ذكر الإنسان ربه خنس؛ أي: تأخر، وإذا غفل وسوس. ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس (٢) على أن الشيطان ضربان: إنسي وجني.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان والناس ينطلق على الإنسي والجني. وقيل: الذي

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣١).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣٤).

يوسوس تارة يكون إنسيًا، وتارة يكون جنيًّا، كما قال– تعالى–: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [1] ولو كان اسم الناس ينطلق على القبيلتين وصح ذلك، وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن، وبعده عن التصنع، ثم بين بقوله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أنهما الثقلان المخصوصان بالتكليف دون سائر المخلوقات

وليكن آخر الكلام: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف السابقين والمصلين، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين (٣٥٢/أ).

* * *

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

الفهارس العامة

* * *

أولاً : فهرس القراءات

الآية	السورة	الجزء والصفحة
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن ﴾	آل عمران: ١٦١	١/ ١٥٦
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾	النساء: ١	١/ ١٦٥
﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ ﴾	النساء: ٢٩	١/ ١٧٦
﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾	النساء: ٣٣	١/ ١٧٨
﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾	النساء: ٣٣	١/ ١٧٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا ﴾	النساء: ٤٠	١/ ١٨٠
﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	النساء: ٤٣	١/ ١٨١
﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ ﴾	النساء: ١٣٥	١/ ٢٠٣
﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾	المائدة: ٦	١/ ٢١٧
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾	المائدة: ٣٨	١/ ٦٧٠
﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	المائدة:٥٧	١/ ٢٢٧
﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾	المائدة:٦٠	١/ ٢٢٩
﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	المائدة:٧١	١/ ٢٣١
﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾	المائدة:١١٢	١/ ٢٤
﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنعام:١٠٩	١/ ٢٥٩
﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾	الأنعام:١١١	١/ ٢٦٠
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	الأنعام:١١٥	١/ ٢٦١
﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ ﴾	الأنعام:١٣٧	٢/ ٢٨٠
﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾	الأنعام:١٥٤	١/ ٢٧٠
﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	الأنعام:١٦١	١/ ٢٧٢
﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾	الأعراف:٢٦	١/ ٢٧٢
﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾	الأعراف:٥٤	١/ ٢٨٤

الآية	السورة	الجزء والصفحة
﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾	يونس:٢٧	١/ ٣٦١
﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾	يونس:٣٠	١/ ٣٦٢
﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	يونس:٣٣	١/ ٣٦٣
﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾	يونس:٣٥	١/ ٣٦٣
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾	يونس:٥٨	١/ ٣٦٧
﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	يونس:٦١	١/ ٣٦٩
﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾	يونس:٦٥	١/ ٣٦٨
﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾	يونس:٧١	١/ ٣٧٠
﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾	يونس:٨١	١/ ٣٧١
﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾	هود:٢٧	١/ ٣٨٠
﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾	هود: ٤٨	١/ ٣٨٤
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾	هود : ٥٠	١/ ٣٨٥
﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾	هود :٨١	١/ ٣٩٠
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾	هود:١٠٨	١/ ٣٩٤
﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾	هود :١٢٣	١/ ٣٩٧
﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾	يوسف:١٢	١/ ٣٩٩
﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾	يوسف:١٩	١/ ٤٠١
﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	يوسف:٢٤	١/ ٤٠٣
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾	يوسف:٩٠	١/ ٤١٤
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	يوسف:٩٢	١/ ٤١٤
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾	الرعد:٣	١/ ٤١٧
﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾	الرعد :٤	١/ ٤١٧

* * *

ثانيًا: فهرس الأحاديث والآثار

الأحاديث	الراوي	الجزء والصفحة
أخرجي الكتاب	علي	٢/ ٤٥٨
اخشوشنوا	عمر	٢/ ٣٠٠
أخفى القوم أعمالهم في الدنيا	الحسن	٢/ ٩٤
أخلصوا العمل	عثمان	٢/ ٢٧٥
أخوف ما أخاف على أمتي	أبو سعيد الخدري	٢/ ٢٨٨
ادعوا الناس	أنس	٢/ ١٢٦
أدوا الفرائض	علي	٢/ ٢٧٥
إذا استأثر الله بشيء		١/ ٢٨٨، ٤٥٠
إذا التقى المسلمان بسيفيهما	أبو موسى الأشعري	١/ ٢٢١-٢٢٢
إذا أمرت بي فأعلمني	سليمان عليه السلام	٢/ ١٣٩
إذا امتنع لا ترافعه المرأة	الشافعي	٢/ ٤٤٣
إذا تاب القاذف قبلت شهادته	مالك والشافعي والجمهور	١/ ٥٩٩
إذا حلف لا يأكل فاكهة	أبو حنيفة	٢/ ٤٢٠
إذا خرجوا من قبورهم	ابن عباس	٢/ ٤١٧
إذا دخلت المسجد فقل	ابن عباس	١/ ٦٢٢
إذا دفنتني وتركتني في القبر	عائشة	١/ ٦٠٨
إذا ذهبت إلى فراشك فاقرأ	أبو هريرة	١/ ١٢٠
إذا لم تستح فاصنع	أبو مسعود الأنصاري	١/ ٥٢٣
إذا لم يكفر المظاهر	أبو حنيفة	٢/ ٤٤٣
إذا مشت أمتي المطيطاء	ابن عمر	٢/ ٥٤٦
إذن ترعد أنوف كثيرة		٢/ ٥٧٥
اذهب فاطرحه في القبض	سعد بن أبي وقاص	١/ ٣١٠
اذهب فخذ السيف	سعد بن أبي وقاص	١/ ٣١١
أراد النبي أن يصلي على عبد الله		١/ ٣٤٥
أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم		٢/ ٢١٣
أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً		٢/ ٦٤١
الأرض كلها هي الصور	كعب	١/ ٥٤٣
ارفعوا طعامكم	أنس	٢/ ١٢٦
الاستئذان ثلاث	أبو موسى الأشعري	١/ ٦٠٥
استأذن ابن سلام أن يقرأ		١/ ١٠٦
استأذن رجلٌ على النبي ﷺ	عمرو بن سعيد الثقفي	١/ ٦٠٥
استبطأ الله قلوب المؤمنين	ابن عباس	٢/ ٤٣٧
استقاموا على الطريقة	عمر	٢/ ٢٧٥
استيقظ رسول الله ﷺ من نومه	أم سلمة	١/ ٥٦٥

* * *

ثالثًا: فهرس الأشعار

قافية الهمزة

قافية الباء

كأنَّ بها سُعرًا إذا الريحُ هزَّها ذميلٌ وإرخاءٌ من السيرِ مُتْعِبُ		الطويل	٢/ ٤٠٩
كم امرئ كان ذا خفض وذا دعة صُبَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ		البسيط	٢/ ٣١٩
لذنٌ بهزّ الكفِّ يعسِلُ متنَهُ فيه كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ	لساعدة بن جؤية الهذلي	الكامل	١/ ٢٧٦
لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ فإن أبيتمْ فلنا القليبُ		الرجز	٢/ ٣٨٩
مجلببٌ من سواد الليل جلبابا	أبو زبيد	الوافر	٢/ ١٣١
وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فلم يستجبــهُ عندَ ذاكَ مُجــيبُ	كعب بن سعد الغنوي	الطويل	١/ ٣٧٩، ٢/ ٤٠
وقد أتاك يقينٌ غيرُ ذي عوجٍ من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبِ		البسيط	٢/ ٢٣٩
وكمْ دعاني مُسْتَنْجٍ فحادثني. . وما أخلَّ ولا أخللتُ بالأدبِ		البسيط	١/ ٥٢٢
وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَــائِبِ	النابغة الذبياني	الطويل	١/ ٢٢٨،٢٣، ٢٩٤ ، ٢/ ٥٩٠
وليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر العبد في ظلمائها الطنبا لا ينبح الكلب فيها غير واحدة تى يلف على خرطوه الذنبا		البسيط	١/ ٢٧
يا ويح زَيَّابَةَ للحارث الصــالح فالغانم فالآيب	ابن زَيَّابَةَ	السريع	٢/ ١٨٩
يرجِّي المرءُ ما إن لا يراهُ وتعرضُ دون أدناهُ الخطوبُ	الأخفش	الوافر	٢/ ٣٣٨

قافية التاء

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت	النبي صلى الله عليه وسلم		٢/ ١٨٥
رُبَّمَا أَشرفتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثوبي شَمَالاتُ	جذيمة الأبرش	المديد	١/ ٤٣٩

قافية الجيم

تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه لَيَّ المُلاء بأبوابِ التَّفاريج	ذو الرمة	البسيط	٢/ ٢٣٣
نحنُ بنو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بالسَّيْفِ ونَرْجُو بالفَرَجْ	النابغة الجعدي	الرجز	١/ ٥٧٣

قافية الحاء

سَأَتْرُكُ مَنزلِي بَنِي تميم وَأَلْحَقُ بالحجاز فأَسْتَرِيحا	المغيرة بن حبناء	الوافر	٢/ ٢٩٠
كأن القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى بليلى العامرية أو يراحُ قطاةٌ عزَّها شرَكٌ فباتتْ تجاذِبُهُ وقد علَقَ الجناحُ فلا في الليل نالت ما تُرَجّي ولا في الصبح كان لها براح	توبة بن الحمير	الوافر	١/ ١٣٠
لَقَدْ ذاقَ حَسَّانُ الَّذي كانَ أَهْلُهُ وحَمْنَةُ إِذْ قالا هَجيرًا وَمِسْطَحُ	حسان بن ثابت	الطويل	١/ ٦٠
لو كان حيٌّ مدركَ الفلاحِ أدركه ملاعبُ الرماحِ	لبيد	الكامل	١/ ٥٣، ٥٨٦
منْ صَدَّ عنْ نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ	سعد بن مالك	مجزوء الكامل	١/ ٣٦٩
من نَهيتُكَ عَنْ طِلاَبكَ أَمّ عَمْرٍو بعَافيَةٍ وَأَنْتَ إِذٍ صحيحُ	أبو ذؤيب الهذلي	الوافر	٢/ ١١٢
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي وأَضْرِبُ هـــامةَ البـــطلِ المُشيحِ	عمرو بن الإطنابة	الوافر	١/ ٣١٣
والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا	عنترة	الكامل	٢/ ٦٢٥
يقولونَ لا تبعَدْ وهم يدفنونَهُ وما البُعْدُ إلا ما تجنُّ الصفائحُ		الطويل	١/ ٣٩٢

قافية الدال

إذا ما انتسبْنا لمْ تلدْني لئيمةٌ ولم تجدي من أن تقري به بدا	زائد بن صعصعة	الطويل	٢/ ٣٠٣
أرى الموتَ يعتامُ الكريمَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشددِ	طرفة	الطويل	١/ ١٢٤
أعدْ نَظَرا يا عبدَ شمسٍ فرُبَّما أضاءتْ لكَ النارُ الحمارَ المقيَّدا	الفرزدق	الطويل	١/ ٥٦
من أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فاليَومَ لاَ يُبْدي وَلاَ يُعيدُ	عبيد بن الأبرص	الرجز	٢/ ١٥٢

ألا أيها الزاجري أحضرَ الوغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي	طرفة بن العبد	الطويل	٢/ ٢٤٦
إنَّ قريشًا أخلفوكَ الموعِدا ونقضوا ميثاقَك المؤكَّدا هـمْ بيَّتونـا بالوتيـرِ هُجَّدا وقـتـلونا رُكَّعا وسُجدا	قوم من خزاعة	الرجز	١/ ٣٢٦
شمر وكن في أمور الدين مجتهدا ولا تكنْ مثلَ عيرٍ قِيدَ فانْقادا		البسيط	٢/ ٢٣٨
على ما قامَ يشتمُني لئيمٌ كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ	حسان بن ثابت	الوافر	١/ ٥٦٧، ٢/ ١٧٥
فإنَّ الذي حانتْ بفَلْجٍ دماؤُهُم هم القوم كل القوم يا أم خالد	الأشهب بن رميلة	الطويل	١/ ٣٤٢
فإنك لو شهدتَ بكاءَ هندٍ و رملة إذ يصكان الخدودَا إذ لشهدتَ معولةً تكولا أباحَ الدهرُ واحدَها الفقيدا رمي الحدثانُ نسوةَ آلِ حربٍ بمقدارٍ سمدنَ له سُمودا فردَّ شعورَهنَّ السودَ بيضًا وردَّ وجوهنَّ البيضَ سودا		الوافر	٢/ ٤٠٥
قدْ أترُكُ القِرنَ مُصفرًّا أناملُه كأن أثوابه مجت بفرصاد	عبيد بن الأبرص	البسيط	١/ ٩١ ، ٢/ ٢٤٤، ٥٧٤
هل أغدون في عيشة رغيد والموتُ أدنى لي مِنَ الوريدِ	ذو الرمة	السريع	٢/ ٣٧٢
وجاءتْ إليهم ثلةٌ خندفيةٌ تجيشُ كتيارٍ من السيلِ مزبدِ		الطويل	٢/ ٤٢٣
وذا النُّصُبِ المنصوبَ لا تعبُدَنَّهُ ولا تعبُدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاعبدا	الأعشى	الطويل	١/ ٢١٥
وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا	المتنبي	الطويل	٢/ ٢٢٤

الألمعي الذي يريك من الأمـ(ر) كأن قد رأى وقد سمعا	أوس بن حجر	المنسرح	٢/ ٧٦
أما تتقين الله في جنبِ وامق له كبدٌ حري عليكِ تقطَّعُ	جميل بثينة	الطويل	٢/ ٢٤٥
بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعسُ أوْلَى بها منْ أنْ أقولَ لعَا	الأعشى	البسيط	٢/ ٣٤٣
تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ	المتنبي	الكامل	٢/ ٤٢
ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَه وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجمعُ		الطويل	١/ ٤٣٧
تعبَّدني نمرُ بنُ سعدٍ وقد أرى ونمرُ بنُ سعدٍ لي مطيعٌ ومهطع		الطويل	٢/ ٤٠٧
جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمكرَعُ			٢/ ٤٧٠
زنيمٌ تداعاهُ الرجالُ زيادةً كما زيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ	حسان بن ثابت	الطويل	٢/ ٤٩٥
فقمتُ إليهِ باللجامِ ميسّرًا كذلك يجزيني الذي كنتُ أصنعُ	الأعرج	الطويل	٢/ ٤٠٨
قد حصَّتِ البيضةُ رأسي فما أطعمُ نومًا غيرَ تَهْجاعِ	أبو قيس بن الأسلت	السريع	٢/ ٣١٠
منْ يرجعُ العامَ إلى أهلِهِ فما أكيلُ السبعِ بالراجعِ	حسان بن ثابت	السريع	٢/ ٣٩٧
وتجلُّدي للشامتينَ أُريهِمُ أني لِصَرفِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	١/ ٤٢٤، ٢/ ٥٣٣
وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ بيْنِهِم ضَرْبٌ وجيعُ	عمرو بن معدي كرب	الوافر	١/ ٦٦٢

قافية الغين

وعليهما مَسْرَوْدتانِ قضَاهُما داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبَّعُ	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	١/ ٥١٠

قافية الفاء

يـــا محنـــة الله كفـــي إن لـــم تكفـــي فخفـــي أمـــا آن أن ترحمينـــا مـــن طـــول هـــذا التشفي	أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي		١/ ٤٩

ذهبـــت أطلـــب بخـتي فقيـل لـي: قـــد توفـــي كـم مـن عالـم فـي الثـريا وعالـــم متخفـــي الحمـــد لله شكـرا علـى نقـــاوة حرفـــي			
دعاكَ اللهُ منْ رجلٍ بأفعَى ضئيل تنفث الـم الذعافا		الوافر	٢/ ٥٠٨
كانتْ هي الوَسَطُ المَحْمِيُّ فاكتنفَتْ بها الحوادثُ حتَّى أصْبَحَتْ طَرَفاً	أبو تمام	البسيط	١/ ١١٤

قافية القاف

خَفِ اللهَ وَاستُرْ ذا الجَمالَ بِبُرْقُعٍ فَإِن لُحتَ حاضتْ في الخُدورِ العَواتِقُ	المتنبي	الطويل	١/ ٤٠٤
فلما ردفنا من عميرٍ وصحبِهِ تولوا سِراعًا والمنيةُ تُعنِقُ		الطويل	٢/ ٢٥
فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلَقْ كأنهُ في الوجهِ توليعُ البَهَقْ	رؤبة	الرجز	٢/ ١٧٧
قالـتْ سُلَيْمَـى اشْتَرْ لَنـا سَويقـا وهاتِ خبزَ البرِّ أو دقيقا		الرجز	١/ ٦١٧
قد استوى بشرٌ على العراقِ من غيرِ قهرٍ ودمٍ مِهْراقِ	الأخطل	الرجز	١/ ٢٨٢، ٣٥٥
كأنَّ عَيْنَيّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَة من النواضحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقا	زهير	البسيط	١/ ٤١٨
وإلا فاعلَموا إنَّا وأنتُم بغاةٌ ما بقينا في شقاقِ	بشر بن أبي خازم	الوافر	١/ ٢٣١

قافية الكاف

اللهُمَّ إنَّ العبدَ يمنعُ رحلهُ فامنعْ حلالك لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عَدْواً محالكْ إن كنتَ تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدالكْ يا ربِّ لا أرجو لهم سواكا يا ربِّ فامنعْ منهمُ حماكا إن عدوَّ البيتِ من عاداكا.	عبد المطلب		٢/ ٦٣٢

يا عُزَّى كفرانَكِ لا سُبْحانَكِ إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ	خالد بن الوليد	الرجز	٢/ ٢٤١، ٣٩٩

قافية اللام

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لمْ يرْجُ لَسْعَها وحالفها في بيت نوب عواسل	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	١/ ٣٥٧
أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ارْتِحَالاَ	المتنبي	الوافر	٢/ ٤٤
أَفْرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكِرامَ وأنْ أرزَقَ ذَوْدًا شَصائِصًا نَبَلا	حضرمي بن عامر	المنسرح	١/ ٦٢٧
ألا زعمتْ بسباسةُ القوم أنني كَبِرْتُ وأن لا يُحسِنَ السِّرَّ أمثالي	امرؤ القيس	الطويل	١/ ١١٣
ألا نادتْ أمامةُ باحتيالي لتحزُنُني فلا بلكِ ما أُبالي	غوية بن سلمى	الوافر	٢/ ٥٤١
إنَّ تقوى ربِّنا خيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ الله رَيْثِي وَالْعَجَل	لبيد بن ربيعة	الرمل	١/ ٣١٠
أوْرِدَها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلْ ما هكذا تُوردُ يا سَعْدُ الإبل	علي بن أبي طالب	الكامل	٢/ ٥٢٥
فَوَالله مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِل أَغالكَ بَعْدِي السَّهلَ أمْ غالَك الجبل فيا ليت شعري هل إلى الدهر أوبة حسبي من الدنيا رجوعك لي أمل تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا غربها أفل وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل أعمل نص العيش في الأرض جاهدًا ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل حياتي أو تأتي عليَّ منيتي فكل امرئ فان وإن غره أمل	والد زيد بن حارثة		٢/ ١١٦
زُوِّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَة للعوسج اللدن في أبياتها زجل	أبو حنيفة	البسيط	٢/ ٢٩٩
سلْ سبيلا فيها إلى جنةِ الخلدِ لتُسقى شرابَها سلْسبيلا		الخفيف	٢/ ٥٥٢
شربتُ الإثمَ حتَّى ضَلَّ عقلي كذاكَ الإثمُ تذهبُ بالعُقولِ	الأصمعي	الوافر	١/ ٢٧٩

قدْ تَخَلَّلْتَ مَسلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وبِهذا سُمِّيَ الخَليلُ خَليلا	بشار	الخفيف	١/ ٢٠٢
قدْ نخضِبُ العسرَ من مكنونِ قائِلِهِ وقدْ يشطُّ على أرماحِنا البطلُ	الأعشى		١/ ٩١
قدْ يُدْرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجَتِهِ وقد يكون مع المستعجل الزلل	القطامي		١/ ٩١
كـادتْ تهـدُّ مـن الأصواتِ راحلتي إذا سالـتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ			١/ ١٦٠
كذبتْكَ عينُك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الربابِ خيالا	الأخطل	الكامل	٢/ ٢٢٨
لقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما فُهتُ عِنْدَهُم بِزُورٍ ولا أَرْسَلْتُهُم بِرَسولِ	كثير عزة	الطويل	١/ ٦٥٣
لم يمنعِ الشُّرْبَ مِنْها غَيْرَ أنْ نَطَقَتْ حَمامَةٌ في غصونٍ ذاتِ أوقالِ	أبو قيس بن الأسلت	البسيط	١/ ٦٤٥
النبعُ في الصخرةِ الصماءِ منبتُهُ والنخلُ تنبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ		البسيط	١/ ٥٥٧
ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُم خَيْلا تَكُرُّ عليهِمُ ورِجالا	الأخطل	الكامل	٢/ ٤٧٤
نقَّبوا في البلادِ من حذرِ المو تِ وجالوا في الأرضِ كلَّ مجالِ	عدي بن زيد	الخفيف	٢/ ٣٧٧
وَإنْ تَعْتَذِرْ فَالمَحْلُ مِنْ ذي ضُرُوعِهَا إِلَى الضَّيفِ يَجْرَحُ في عَراقِيبِهَا نَصْلي		الطويل	٢/ ٣٣٤
وداءٍ تخطَّتْ ناقتي منْ مَفازةٍ ومِنْ نائمٍ عنْ ليلِها مُتَزَمِّلِ	ذو الرمة	الطويل	٢/ ٥٢٥
وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتِها بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ	امرؤ القيس	الطويل	١/ ٩١، ٢/ ٨٠
ويلْحينني في اللهوِ ألا أحبَّهُ وللهوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافلِ	الأحوص	الطويل	١/ ٥٥٣
يُسْقَوْنَ مِنْ وِرْدِ البَريصِ عَلَيْهِمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ	حسان	الكامل	١/ ٦٤١
يمارسُ نفسًا بين جنبيهِ كزَّةً إذا همَّ بالمعروفِ قالتْ لهُ مَهْلا		الطويل	٢/ ٤٥٣

قافية الميم

إن الخَلِيفَةَ إن الله سَربَلَه سِربَالَ عِزٍّ بِه تُرجَى الخوَاتِيمُ		البسيط	١/ ٤٩٣
دعوني أنح وجدا كنوح الحمائم فَلا تجْعلَنّي عُرضةً للّوائم	أبو تمام	الطويل	١/ ١٠٩
زجرَ أبي عروةَ السباعَ إذا أشفقَ أنْ يختلطنَ بالغنمِ	النابغة الجعدي	المنسرح	٢/ ١٩٣، ٣٦٣
سائل فوارس يربوع لحلته أهلْ رأونا بسفحِ القاعِ ذي الأكمِ		البسيط	٢/ ٥٤٧
عَهدي بِهِ شَدَّ النَهارِ كَأَنَّ خُضِبَ البَنانُ وَرَأسُهُ بِالعِظْلِمِ	عنترة	الكامل	١/ ٤٠١، ٤٧٥
فَإِنَّكَ وَالكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلمَ الأَديمُ	الوليد بن عقبة بن أبي عقبة	الوافر	٢/ ٢٠٨
فبِتْنَ بِجانبَيَّ مُصَرَّعاتٍ وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتامِ	الفرزدق	الوافر	١/ ٦٧١
فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ يَقضِمنَ حُسنَ بنانِهِ وَالمِعصَمِ	عنترة	الكامل	١/ ٥٧
فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيِنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَّقَا أأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ	ذو الرمة	الطويل	٢/ ١٤٤
قالوا : غداً نأتي ديار الحمى وكل من كان مطيعاً لهم قلت : فلي ذنب فما حيلتي ؟ قالوا : أليس العفو من شأنهــــم ؟ وينزل الركب بمغناهمُ أصبح مسروراً بلقياهمُ بأيِّ وجهٍ أتلقاهمُ لا سيَّمـــا عمَّــــن ترجَّـــاهمُ	السخاوي	السريع	١/ ٢٤
هُمُ وَسَطٌ ترضى الأنامُ بحكمِهِم إذا نزلتْ إِحْدى الليالي بمعْظَمِ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	٢/ ٤٩٨
وساهرةٍ يُضحي السرابُ مجللا لأقطارِها قدْ جُبْتُها متلثّما	الأشعث بن قيس		٢/ ٥٦٥
وَسْنانُ أرصدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليسَ بنائِمِ	عدي بن الرقاع	الكامل	١/ ١١٩
وكمْ مِنْ عائبٍ قَولاً صَحيحًا وآفَتُـــهُ مِـــنَ الفَهْـــمِ السَّقيـــمِ	المتنبي	الوافر	١/ ١٩١

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقدِمِ	عنترة	الكامل	٢/ ٤٦
وَلَمْ أُسْلَمْ لكَيْ أَبْقَى وَلكنْ سَلِمْتُ منَ الحِمامِ إلَى الحِمامِ	المتنبي	الوافر	٢/ ١٧٩
والهَمُّ يخترِمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويهرمُ	أبو الطيب		٢/ ٥٣٠
ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبيةً تعطو إلى قاصي السَّلم	علباء بن أرقم	الطويل	٢/ ٣٢٢
يا خيرَ مَنْ دُفِنتْ بِالقاعِ أَعْظُمُهُ فَطابَ مِنْ طيبِهِنَّ القاعُ والأكمُ نفسي الفِداءُ لِقبرٍ أنْتَ ساكِنهُ فيـهِ العَفافُ وفيـهِ الجودُ والكَرمُ	أعرابي	البسيط	١/ ١٨٧
يتقارضونَ إذا التقوا في موطنٍ نظرًا يُزِلُّ مواطئَ الأقدامِ		الكامل	٢/ ٥٠٠

قافية النون

إذا ما الغانيات برزن يوما وزجَّجْنَ الحواجِبَ والعُيونا		الوافر	٢/ ٤٥٣
إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خسفًا أبيْنا أنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فينا	عمرو بن كلثوم	الوافر	١/ ٢٩٧
إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنِمْها فإن لكلِّ خافقةٍ سكونُ		الوافر	١/ ٣١٩
ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	الوافر	١/ ١٧١، ٤٦٩، ٦٤٣
امتلأ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي			٢/ ١٣٤
أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثَّنايا متَى أضَعُ العِمامةَ تعْرِفُونـي	سحيم بن وثيل	الوافر	١/ ٧٨، ١٨٣
إن أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَب قَدْ تُجزئُ الحُرَّةُ المذكَارَ أَحيانًا		البسيط	٢/ ٢٩٨
إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلِيقَتِكُمْ لا قدَّسَ اللهُ أرْواحَ المَلاعينِ		البسيط	١/ ٥٢٧
بِأَنّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَسْعَى بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ فَأَضْرِبُهَا بِلا دَهشٍ فَخَرَّتْ صَرِيعًا لليدين وَللجرَانِ	تأبط شرًّا	الوافر	٢/ ١٥٨، ٣٨٤

تخوَّفَ الرَّحْلُ مِنْها تامِكًا قَرِداً كَما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ	زهير	البسيط	١/٤٥٦
ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنهُ مقامَ الذئبِ للرجلِ اللعينِ	الشماخ بن ضرار	الوافر	٢/٤١٨
رَجُـلانِ مِـنْ ضبّـةَ أخبرانـا إنـا لقينـا رجـلاً عُريانـا		الرجز	١/١٣٨
رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني	ابن أحمر	الطويل	٢/٣٧٣
فإني لستُ منكَ ولستَ منّي		الوافر	١/١٣٧، ٤٣٥
قالوا خُراسانَ أقصَى ما يُرادُ بِنا ثمَّ القفولَ فقد جِئْنا خُراسانا	العباس بن الأحنف	البسيط	١/٢٢٠، ٢٧١
كيف تراني قالبا مجني أقلب أمري ظهره للبطن قد قتلَ اللهُ زيادًا عني	لفرزدق	الرجز	١/٢٩٠
مَال أَبي حَمْزَةَ لاَ يَأْتينَا يَظَلُّ في البيْتِ الذي يَلِينَا غَضْبَانَ أَلاَ نلدَ البَنينا لَيْسَ لَنا من أمرنا ما شينا وَإِنَّما نأخُذُ ما أُعطينا		الرجز	٢/٢٩٩
وإنْ حَلَفَتْ لا تَنْقُضُ الدَّهرَ عهدَها فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ		الطويل	١/٢٩٠، ٣٢٩
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لو لا المَلامَةُ أو حَذارُ مَسَبَّةٍ لوجَدْتَني سَمْحًا بـذاكَ مُبينا	أبو طالب	الكامل	١/٢٤٧

قافية الهاء

إذا لَسعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها		الطويل	١/٦٣١
أكرُّ علـى الكتيبةِ لا أُبالي أَحَتْفِـي كـانَ فيهـا أمْ سِواهـا	العباس بن مرداس	البسيط	١/١٦٥
إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يرزَؤُها	ابن هرمة	المنسرح	١/٥٥٧
تشرق بالقول الذي أذعته وقد أغتدي والطير في وكناته	الأعشى	الطويل	٢/٨٠، ٨٥
حتَّى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامُها	لبيد	الكامل	١/٤٥٨

قافية التاء المربوطة

أقبلَ سيلٌ جاء من عندِ اللهْ يحرُدُ حردَ الجَنَّةِ المُغِلَّة		الرجز	٢/٤٩٧
تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا وإنْ أُغيّبْ فأنتَ الهامزُ اللُّمزَة	زياد العجم	البسيط	٢/٦٣٠

قافية الواو

خُلِقوا وما خُلِقوا لمَكْرُمةٍ فكأنهم خُلِقوا وما خُلِقوا رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنهم رُزِقوا وما رُزقوا		الكامل	١/٥٧

قافية الياء

فبِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ وبِرُّ الثّلاثَةِ غيرُ الخفِيّ	الأشعري الجعفي	المتقارب	١/٥٢٨
دعتْهُمْ بأعلى صوتِها ورمَتْهُمُ بمثلِ الجبالِ الصفرِ نزاعةُ الشّوَى	عمران بن حطان		٢/٥٥٦

* * *

رابعًا: فهرس الأعلام

* * *

خامسًا: فهرس الأمثال

* * *

سادسًا: فهرس الأماكن والبلدان

* * *

سابعًا: فهرس محتويات الجزء الثاني

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *